

ص: ۱

[الجزء الثاني]

[هوية الكتاب]

مركز بحوث

مؤسسة دار الحديث العلميّة الثقافيّة

ص: ۲

مركز بحوث دار الحديث: ۹۳

احمدى ميانجى، على، ۱۳۰۴ - ۱۳۸۰.

مكاتب الأئمة عليهم السلام: مكاتب الإمام على عليه السلام / على الأحمدي الميانجي؛ تحقيق و مراجعه مجتبی فرجی. - قم: دار الحديث، ۱۴۲۶ ق ۱۳۸۴.

ج. - (مركز بحوث دار الحديث؛ ۹۳، مكاتب الأئمة عليهم السلام؛ ۱ و ۲)

(قیمت دوره) ۳۲۰۰ تومان ۷- ۰۲۰ - ۴۹۳ - ۹۶۴ ISBN:

فهرست‌نویسی بر اساس اطلاعات فیبا.

کتاب‌نامه: ج. ۲. ص. ۴۹۹ - ۵۲۲؛ همچنين به صورت زیرنویس.

۱. ائمه اثنا عشر (ع) - نامه‌ها و پیمان‌ها. ۲. ائمه اثنا عشر (ع) - وصایا. ۳. على بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق - نامه‌ها و پیمان‌ها. ۴. على بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق - وصایا. الف. فرجی، مجتبی، ۱۳۴۶ -، مصحح. ب. عنوان: مكاتب الإمام على عليه السلام. ج. عنوان.

۷۱۳۸۴ م ۱۳ الف / BP۳۶ / ۹ / ۷۹۲

فهرست‌نویسی توسط کتاب خانه تخصصی دار الحديث قم

ص: ۳

مكاتب الأئمة عليهم السلام

مكاتب الإمام على عليه السلام

على الأحمدي الميانجي

تحقيق و مراجعة

مجتبى فرجى

الجزء الثانى

ص: ٤

مكاتب الأئمة عليهم السلام (مكاتب الإمام على عليه السلام) / ج ٢

على الأحمدي الميانجي

تحقيق و مراجعة: مجتبى فرجى

مراجعة النص و استخراج الفهارس: رعد البهبهاني

تقويم النص: ماجد الصيمرى

مقابلة النص: محمود سپاسى، مصطفى اوجى، مهدى جوهرچى، محمد محمودى

الإخراج الفنى: محمد ضياء سلطانى

الناشر: دار الحديث للطباعة و النشر

الطبعة: الاولى، ١٤٢٦ ق / ١٣٨٤ ش

المطبعة: دار الحديث

الكمية:

التمن:

دار الحديث للطباعة و النشر

مؤسسة دار الحديث العلمىة الثقافىة

دار الحديث للطباعة و النشر: قم، شارع معلّم، قرب ساحة الشهداء، الرقم ١٢٥

الهاتف: ٥٠٧٧٤١٦٥٠ - ٥٢٣٠٧٧٤٠٢٥١ - ٢٥١٠٧٧٤٠٢٥١ ص. ب: ٤٤٦٨ / ٣٧١٨٥

شايك: ٩٦٤ - ٧٤٨٩ - ٥٣ - ٦

[http:// www. hadith. net](http://www.hadith.net)

hadith@ hadith. net

ص: ٥

الفصل الرابع: مكاتيبه عليه السلام من نهاية صفين إلى نهاية النهروان

ص: ٧

١ كتابه عليه السلام إلى الخوارج

قال الطبري: و كتب (أمير المؤمنين عليه السلام) إلى الخوارج بالنهر:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَى زَيْدِ بْنِ حُصَيْنٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهَبٍ، وَمَنْ مَعَهُمَا مِنَ النَّاسِ: أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ الَّذِينَ ارْتَضَيْنَا حُكْمَهُمَا قَدْ خَالَفَا كِتَابَ اللَّهِ، وَاتَّبَعَا أَهْوَاءَهُمَا بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ، فَلَمْ يَعْمَلَا بِالسُّنَّةِ، وَلَمْ يُنْفِذَا لِلْقُرْآنِ حُكْمًا، فَبَرِئَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْهُمَا وَالْمُؤْمِنُونَ! فَإِذَا بَلَغَكُمْ كِتَابِي هَذَا فَأَقْبِلُوا، فَإِنَّا سَائِرُونَ إِلَى عَدُوِّنَا وَعَدُوِّكُمْ، وَنَحْنُ عَلَى الْأَمْرِ الْأَوَّلِ الَّذِي كُنَّا عَلَيْهِ، وَالسَّلَامُ».

«١»

٢ كتابه عليه السلام إلى الخوارج

قال البلاذري: (أنه لما) أجمع علىّ على إتيان صفين، و العود إلى حرب

(١). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٧٧، الإمامة و السياسة: ج ١ ص ١٢٣، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٥٠٣.

ص: ٨

معاوية ثانياً، كتب إلى الخوارج بالنهر:

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ جَاءَ كُمْ مَا كُنْتُمْ تُرِيدُونَ، قَدْ تَفَرَّقَ الْحَكَمَانِ عَلَى غَيْرِ حُكُومَةٍ، وَلَا اتَّفَاقٍ، فَارْجِعُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ، فَإِنِّي أُرِيدُ الْمَسِيرَ إِلَى الشَّامِ».

«١»

٣ كتابه عليه السلام إلى الخوارج

قال البلاذري: وكتب (أمير المؤمنين عليه السلام) إلى الخوارج:

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي أَذْكُرُكُمْ (اللَّهُ) أَنْ تَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ فَارَقُوا دِينَهُمْ، وَكَانُوا شِيعَاءَ، بَعْدَ أَنْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَكُمْ عَلَى الْجَمَاعَةِ، وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ عَلَى الطَّاعَةِ، وَأَنْ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا، وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ».

«٢»

٤ كتابه عليه السلام إلى ابن عباس

قال الطبري: إِنَّ عَلِيًّا لَمَّا نَزَلَ بِالنُّخَيْلَةِ وَآيِسَ مِنَ الْخَوَارِجِ، خَطَبَ النَّاسَ وَحَثَّهُمْ عَلَى الْجِهَادِ، وَسَاقَ الْخُطْبَةَ، فَقَالَ: وَكَتَبَ عَلِيٌّ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ مَعَ عُتْبَةَ بْنِ الْأَخْنَسِ بْنِ قَيْسٍ، مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ:

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّا قَدْ خَرَجْنَا إِلَى مُعَسَّكِرِنَا بِالنُّخَيْلَةِ، وَقَدْ أَجْمَعْنَا عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى عَدُوِّنَا مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ، فَأَشْخِصْ بِالنَّاسِ حَتَّى يَأْتِيَكَ رَسُولِي، وَأَقِمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي وَالسَّلَامُ».

(١). أنساب الأشراف: ج ٢ ص ١٤١.

(٢). أنساب الأشراف: ج ٢ ص ١٤٤.

ص: ٩

فلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ قَرَأَهُ عَلَى النَّاسِ، وَآمَرَهُمُ بِالشُّخُوصِ مَعَ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، فَشَخِصَ مَعَهُ مِنْهُمْ أَلْفٌ وَخَمْسَمِائَةِ رَجُلٍ، فَاسْتَقْلَهُمُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، فَقَامَ فِي النَّاسِ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:

أَمَّا بَعْدُ؛ يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ، فَإِنَّهُ جَاءَنِي أَمْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، يَأْمُرُنِي بِإِشْخَاصِكُمْ، فَأَمَرْتُكُمْ بِالنَّفِيرِ إِلَيْهِ مَعَ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، وَلَمْ يَشْخِصْ مَعَهُ مِنْكُمْ إِلَّا أَلْفٌ وَخَمْسَمِائَةِ، وَأَنْتُمْ سِتُونَ أَلْفَ سَوَى أَبْنَائِكُمْ وَعِبْدَانِكُمْ وَمَوَالِيكُمْ! أَلَا أَنْفِرُوا مَعَ جَارِيَةِ بْنِ قُدَامَةَ السَّعْدِيِّ، وَلَا يَجْعَلَنَّ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ سَبِيلًا، فَإِنِّي مُوقِعٌ بِكُلِّ مَنْ وَجَدْتَهُ مُتَخَلِّفًا عَنْ مَكْتَبِهِ، عَاصِيًا لِإِمَامِهِ، وَقَدْ أَمَرْتُ أَبَا الْأَسْوَدَ الدَّؤْلِيَّ بِحَشْرِكُمْ، فَلَا يَلُمُ رَجُلٌ جَعَلَ السَّبِيلَ عَلَى نَفْسِهِ إِلَّا نَفْسَهُ.

فَخَرَجَ جَارِيَةَ فَعَسَكَرَ، وَخَرَجَ أَبُو الْأَسْوَدِ فَحَشَرَ النَّاسَ، فَاجْتَمَعَ إِلَى جَارِيَةِ أَلْفٌ وَسَبْعَمِائَةِ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى وَافَاهُ عَلِيٌّ بِالنُّخَيْلَةِ. «١»

٥ كتابه عليه السلام إلى الخوارج

من كتابه عليه السلام إلى الخوارج في قضية قتلهم عبد الله بن خباب بن الارت.

«بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله وابن عبده، أمير المؤمنين وأجير المسلمين أخى رسول الله صلى الله عليه وآله وابن عمه، إلى عبد الله بن وهب وحرْقُوص بن زهير المارقين من دين الإسلام.

أما بعد، فقد بلغنى خروجكما واجتماعكما هُنَالِكَ بغير حقٍّ كان لكما

(١). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٧٨، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٠١، الإمامة والسياسة: ج ١ ص ١٦٤ كلاهما نحوه.

ص: ١٠

ولأبويكما من قبلكما، وجمعكما لهذه الجموع؛ الذين لم يتفقهوا في الدين، ولم يعطوا في الله اليقين.

والزما الحقَّ فإنَّ الحقَّ يُلْزِمُكما منزلةَ الحقِّ ثمَّ لا يُقْضَى إلَّا بالحقِّ، ولا تَريغا فَيَزيغُ منَّ معكما من أخباركما فيكونَ مثلكما ومثلهم كمثل غنمٍ نفشتْ في أرض ذات عُشبٍ، فرَعَتْ وسمَنَتْ، وإنَّما حَتَفَهَا في سِمَنِهَا، وقد عَلِمْنَا بأنَّ الدُّنْيَا كَعُورَتَيْنِ سُفْلًا وعلوًّا، فمن تَعَلَّقَ بالعلوِّ نجا، ومن استمسك بالسُّفْلِ هلك، والسَّعيدُ من سَعَدَتْ به رَعِيَّتُهُ، والشَّقِيُّ من شَقِيَتْ به رَعِيَّتُهُ، وخيرُ النَّاسِ خيرُهم لِنَفْسِهِ، وشَرُّهم شَرُّهم لِنَفْسِهِ، وليسَ بينَ الله وبينَ أحدٍ قرابةٌ، و«كُلُّ نَفْسٍ مِّمَّا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ» (١)، والكلامُ كثيرٌ، وإنَّما نريدُ منه اليسيرَ، فمن لم يَنْتَفِعْ باليسيرِ ضرَّهُ الكثيرُ، وقد جَعَلْتُمُونِي في حالةٍ من ضَلٍّ وِغْوَى وعن طَريقِ الحقِّ هَوَى، خرَجْتُم عَلَيَّ مخالِفينَ بعدَ أنْ بايَعْتُمُونِي طَائِعِينَ غيرَ مُكْرَهِينَ، فنَقَضْتُم عُهُودَكُمْ، ونَكَثْتُم أَيْمَانَكُمْ، ثمَّ لم يَكْفِكُمْ ما أنْتُمْ فيه من العمى وشقِّ العصا، حتَّى وثَبْتُم على عبدِ اللهِ بنِ خَبَّابٍ فقتَلْتُمُوهُ وقتَلْتُم أَهْلَهُ ووَلَدَهُ، بغيرِ تَرةٍ كانتَ منه إليكم ولا دخل، (ذخل) (٢)، وهو ابنُ صاحبِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، ولن يُغْنِيَ القُعودُ عَن الطَّلَبِ بِدَمِهِ، فادفعوا إلينا من قَتَلَهُ وقتَل أَهْلَهُ ووَلَدَهُ وشَرِك في دمائِهِم، ولا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ على عَمَى وجَهْلٍ، فتكونوا حَديثًا لِمَن بَعْدَكُمْ.

وبالله أَقسَمُ قَسَمًا صادقًا، لئن لم تَدْفَعُوا إلينا قَاتِلَ صاحِبِنَا عبدِ اللهِ بنِ خَبَّابٍ لم أنصَرِفْ عَنْكُمْ دُونَ أنْ أَقْضِيَ فيكم إِرْبِي، وبالله أَسْتَعِينُ وَعَلَيْهِ أَتَوَكَّلُ وَالسَّلَامُ

(١) المدثر: ٣٨.

(٢) ذخل: الحقد و العداوة.

ص: ١١

وَالرَّحْمَةُ مِنَ الْوَاحِدِ الْخَلَّاقِ عَلَى النَّبِيِّينَ، وَعَلَى عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ.

ثُمَّ طَوَى الْكِتَابَ وَخَتَمَهُ وَدَفَعَهُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عَقْبٍ، وَأَرْسَلَهُ. «١»

٦ كتابه عليه السلام إلى ابن عباس

وصيَّته عليه السلام لعبد الله بن العباس، لما بعثه للاحتجاج على الخوارج:

«لَا تُخَاصِمُهُمْ بِالْقُرْآنِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَلٌ ذُو وُجُوهِ، تَقُولُ وَيَقُولُونَ، وَلَكِنْ حَاجِبُهُمُ بِالسُّنَّةِ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصًا.» «٢»

٧ كتابه عليه السلام إلى بعض أمراء جيشه

قال سبط ابن الجوزي: كتبه إلى بعض أمراء جيشه في قوم كانوا قد شردوا عن الطاعة، و فارقوا الجماعة، رواه الشعبي، عن ابن عباس:

«سَلَامٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنْ عَادَتْ هَذِهِ الشَّرْذِمَةُ إِلَى الطَّاعَةِ فَذَلِكَ الَّذِي أُوتِرُهُ، وَإِنْ تَمَادَى بِهِمُ الْعِصْيَانُ إِلَى الشَّقَاقِ، فَانْهَذَا بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَى مَنْ عَصَاكَ، وَاسْتَعِنَ بِمَنْ انْقَادَ مَعَكَ عَلَى مَنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ، فَإِنَّ الْمُتَكَارَةَ مَعِيْبُهُ خَيْرٌ مِنْ حُضُورِهِ، وَعَدَمُهُ خَيْرٌ مِنْ وَجُودِهِ، وَقُعُودُهُ أَغْنَى مِنْ نُهُوضِهِ.»

«٣»

(١). الفتوح: ج ٤ ص ٢٦٢.

(٢). نهج البلاغة: الكتاب ٧٧.

(٣). تذكرة الخواص: ص ١٥٧.

ص: ١٢

٨ كتابه عليه السلام إلى زياد بن أبيه

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَنْ عَبْدُ اللَّهِ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى زِيَادِ بْنِ عُبَيْدٍ؛ سَلَامٌ عَلَيْكَ أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي قَدْ بَعَثْتُ أَعْيُنَ بَنِ صُبَيْعَةَ لِيُفَرِّقَ قَوْمَهُ عَنِ ابْنِ الْحَضَرَمِيِّ، فَارْقَبْ مَا يَكُونُ مِنْهُ، فَإِنْ فَعَلَ وَبَلَغَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَظُنُّ بِهِ وَكَانَ فِي ذَلِكَ تَفْرِيقُ تِلْكَ الْأَوْبَاشِ «١» فَهُوَ مَا نَحِبُّ، وَإِنْ تَرَامَتْ الْأُمُورُ بِالْقَوْمِ إِلَى الشَّقَاقِ وَالْعِصْيَانِ، فَانْهَضْ بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَى مَنْ عَصَاكَ، فَجَاهِدْهُمْ فَإِنْ ظَفَرْتَ

فَهُوَ مَا ظَنَنْتُ، وَإِلَّا فَطَاوِلُهُمْ وَمَاطِلُهُمْ، ثُمَّ تَسَمَّعَ بِهِمْ وَأَبْصَرَ فَكَأَنَّ كِتَابَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ أَظَلَّتْ عَلَيْكَ، فَقَتَلَ اللَّهُ الْمُفْسِدِينَ الظَّالِمِينَ، وَنَصَرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُحِقِّينَ، وَالسَّلَامُ».

«٢»

[أقول: كتب أمير المؤمنين عليه السلام هذا الكتاب إلى زياد حينما استخلفه ابن عباس على البصرة، و قدم على علي عليه السلام يعزيه بمحمد بن أبي بكر، و وقع الخلاف في البصرة لمجيء ابن الحضرمي من قبل معاوية إلى البصرة، و دعوته أهل البصرة إلى معاوية؛ و ملخص الواقعة على ما نقله إبراهيم الثقفى في الغارات:]

أَنَّ معاوية بن أبي سفيان لما أصاب محمد بن أبي بكر بمصر، و ظهر عليها، دعا عبد الله بن عامر الحضرمي، فقال له: سير إلى البصرة؛ فإن جلّ أهلها يرون رأينا في عثمان و يعظمون قتله و قد قتلوا في الطلب بدمه و هم موتورون ...

(١) الأوباش من الناس: الأخطا، و أوباش من الناس: و هم الضروب المتفرقون. (لسان العرب: ج ٦ ص ٣٦٧)

(٢). الغارات: ج ٢ ص ٣٩٧ و راجع: بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٥١٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٤ ص ٤٦، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤١٦، أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٩٠.

ص: ١٣

[و حثّ معاوية على ذلك كتاب كتبه إليه عباس بن الضحّاك العبدى، و هو كان ممّن يرى عثمان و يخالف قومه في حبّهم عليّاً، فلّياه معاوية و كتب إليه في ذلك، و رأى معاوية أن يكتب إلى عمرو بن العاص في ذلك يستطلع رأيه و يستشير، فكتب إليه عمرو معجباً برأيه مصوباً و مرعوباً، و لما جاءه كتاب عمرو دعا ابن الحضرمي فقال: سير على بركة الله إلى أهل البصرة، فانزل في مضر، و احذر ربيعة، و تودد الأزدي، و انع عثمان بن عفّان، و ذكرّهم الواقعة التي هلكتهم، و من لمن سمع و أطاع دنياً لا تفنى، و أثرة لا يفقدها حتّى يفقدنا أو نفقده، فودّعه ثمّ خرج من عنده، و قد دفع إليه كتاباً، و أمره إذا قدم أن يقرأه على الناس.

[فقدم ابن الحضرمي و نزل في بني تميم، فاجتمع إليه من كان يرى رأى عثمان، فتكلّم ابن الحضرمي و ذكرّهم حرب الجمل و ما حلّ بهم] فقام إليه (رجل اسمه) الضحّاك بن عبد الله الهلالي، فقال: قَبَّحَ اللَّهُ ما جئتنا به و دعوتنا إليه، جئتنا و الله بمثل ما جاء به صاحبك طلحة و الزبير، أتينا و قد بايعنا عليّاً عليه السلام و اجتمعنا له و كلمتنا واحدة، و نحن على سبيل مستقيم [إلى آخر ما قال.

فقام عبد الله بن خازم السلمى، و ردّ على الضحّاك، و أجاب ابن الحضرمي، و طال الحوار و اللفظ، و قرأ ابن الحضرمي على الناس كتاب معاوية، و اعتزل الأحنف قائلاً: لا ناقة لى في هذا و لا جمل، و اعتزل أمرهم ذلك. فكثر الكلام بين الخطباء]

و أقبل النَّاس إلى ابن الحَضْرَمِيِّ، فكثرت تبعه ففرع لذلك زياد، و هاله و هو في دار الإمارة، فبعث إلى الحُصَيْن بن المُنْذِر و مالك بن مُسَمَّع [فاستجارهما فقال مسمع: هذا أمر فيه نظر أرجع و أستشيره، و أمَّا الحُصَيْن فقال: نعم، و لم يطمئن زياد فبعث إلى صبرة بن شيمان الأزدِي فاستجاره، فأجاره بشرط أن ينزل داره،

ص:١٤

فارتحل ليلاً حتَّى نزل دار صبرة، و كتب إلى عبد الله بن العباس، فرفع ذلك ابن عباس إلى أمير المؤمنين عليه السلام، و شاع ذلك في النَّاس بالكوفة] و غلب ابن الحَضْرَمِيِّ على البصرة و جباها و اجتمعت الأزد على زياد، فصعد المنبر [و حثَّهم على نصرة أمير المؤمنين عليه السلام و الدِّفاع عنه، فقام شيمان و صبرة ابنة فوعدها النصرة.]

ثُمَّ إِنَّ شَبْت بن رَبِيعٍ قال لعلِّي عليه السلام: ابعث إلى هذا الحيِّ من تميم، فادعهم إلى طاعتك و لزوم بيعتك و لا تسلط عليهم أزد عمان البُعْداء البغضاء، و قال مِخْنَف بن سُلَيْم الأزدِي: إِنَّ البعيد البغيض من عصى الله و خالف أمير المؤمنين ...

[فنهاهما علىَّ عليه السلام عن ذلك، و دعا أُعَيْن بن ضُبَيْعَةَ المجاشعي فحكى له القصة].

فقال: لا تستأ يا أمير المؤمنين، و لا يكن ما تكره، ابعثنني إليهم، فإنَّا لك زعيم بطاعتهم و تفريق جماعتهم و نفى ابن الحَضْرَمِيِّ من البصرة أو قتله.

فقال فاخرج السَّاعة، فخرج من عنده و مضى حتَّى قدم البصرة، (مع الكتاب المتقدم) ثُمَّ دخل على زياد [و أوصل الكتاب]، فلَمَّا قرأه زياد أقرأه أُعَيْن بن ضُبَيْعَةَ، فقال له أُعَيْن: إِنِّي لأرجو أن تكفي هذا الأمر إن شاء الله، ثُمَّ خرج من عنده فأَتى رحله فجمع إليه رجالاً من قومه، [فوعظهم و وبَّخهم على عملهم، و حثَّهم فأجابوا و أطاعوه، فنهض بهم إلى ابن الحَضْرَمِيِّ فتصافوا و توافقوا، فوعظ أُعَيْن بن ضُبَيْعَةَ المخالفين المنابذين، و هم يَشْتُمُونَه و ينالون منه، فانصرف عنهم فلَمَّا آوى إلى رحله دخل عليه عشرة فقتلوه، فكتب زياد بذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فدعا جارية، و حكى له القصة] فقال: يا أمير المؤمنين ابعثنني

ص:١٥

إليهم و استعن بالله عليهم.

[فقدم جارية البصرة مع خمسين رجلاً من تميم فبدأ بزياد فقام في الأزد فجزاهم خيراً]، قال: جزاكم الله من حيٍّ خيراً ما أعظم عناءكم، و أحسن بلاءكم، و أطوعكم لأمركم، و قد عرفتم الحق إذ ضيَّعه من أنكره، و دعوتكم إلى الهدى إذ تركه من لم يعرفه، ثُمَّ قرأ عليهم و على من كان معه من شيعة علىَّ عليه السلام و غيرهم كتاب علىَّ عليه السلام، فإذا فيه «١»

زياد بن أبيه

هو زياد بن سُمَيَّة؛ و هي أمه، و قبل استلحاقه بأبي سُفْيَانَ يقال له: زياد بن عبيد التَّقْفِي، تحدَّثنا عنه مجملاً في مدخل البحث. كان من الخطباء «٢» و السَّاسة. اشتهر بذكائه المفرط و مكره في ميدان السِّياسة «٣». ولدته سُمَيَّة الَّتِي كانت بغياً من أهل الطائف «٤»- و كانت تحت عبيد التَّقْفِي «٥»- في السَّنة الاولى من الهجرة «٦»

(١) راجع: الغارات: ج ٢ ص ٣٧٣-٣٩٧؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١١٠-١١٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٤ ص ٣٥-٤٦، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤١٥-٤١٦، أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٨٥-١٩٠، البداية و النهاية: ج ٧ ص ٣١٦-٣١٧.

(٢). الاستيعاب: ج ٢ ص ١٠٠ الرقم ٨٢٩، اسد الغابة: ج ٢ ص ٣٣٦ الرقم ١٨٠٠، سِير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٩٦ الرقم ١١٢، الإصابة: ج ٢ ص ٥٢٨ الرقم ٢٩٩٤.

(٣). الاستيعاب: ج ٢ ص ١٠٠ الرقم ٨٢٩، العقد الفريد: ج ٤ ص ٦، الإصابة: ج ٢ ص ٥٢٨ الرقم ٢٩٩٤.

(٤). تاريخ يعقوبى: ج ٢ ص ٢١٩؛ مروج الذهب: ج ٣ ص ١٥، سِير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٩٥ الرقم ١١٢، العقد الفريد: ج ٤ ص ٤، الإصابة: ج ٢ ص ٥٢٨ الرقم ٢٩٩٤.

(٥). سِير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٩٥ الرقم ١١٢، الإصابة: ج ٢ ص ٥٢٧ الرقم ٢٩٩٤، العقد الفريد: ج ٤ ص ٤.

(٦). تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ١٦٣، الاستيعاب: ج ٢ ص ١٠٠ الرقم ٨٢٩، سِير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٩٤ الرقم ١١٢ وفيهما «ولد عام الهجرة»، الوافى بالوفيات: ج ٥ ص ٢ ح ١٠، الطبقات الكبرى: ج ٧ ص ١٠٠، المعارف لابن قتيبة: ص ٣٤٦ وفيهما «ولد عام الفتح بالطائف».

ص:١٦

أسلم زياد في خلافة أبي بكر «١». و لفت نظر عمر في عنفوان شبابه بسبب كفاءته و دهائه السِّيَاسي «٢»، فأشخصه في أيام خلافته إلى اليمن لتنظيم ما حدث فيها من اضطراب «٣». كان عمر بن الخطَّاب قد استعمله على بعض صدقات البصرة، أو بعض أعمال البصرة. «٤»

كان زياد يعيش في البصرة، و عمل كاتباً لولاتها: أبي موسى الأشعري «٥»، و المُعِيرَة بن شُعْبَة «٦»، و عبد الله بن عامر «٧».

و كان كاتباً «٨» و مستشاراً «٩» لابن عباس في البصرة أيام خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. و لما توجه ابن عباس إلى صفين جعله على خراج البصرة

(١). تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ١٦٢، سِير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٩٤ الرقم ١١٢، الوافى بالوفيات: ج ٥ ص ٢ الرقم ١٠، الإصابة: ج ٢ ص ٥٢٨ الرقم ٢٩٩٤.

(٢). تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ١٦٦-١٦٨، أنساب الأشراف: ج ٥ ص ١٩٨.

(٣). الاستيعاب: ج ٢ ص ١٠١ الرقم ٨٢٩.

(٤). الاستيعاب: ج ٢ ص ١٠٠ الرقم ٨٢٩.

(٥). الطبقات الكبرى: ج ٧ ص ٩٩، المعارف لابن قتيبة: ص ٣٤٦، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ١٦٢ و ص ١٦٩، الاستيعاب: ج ٢ ص ١٠٠ الرقم ٨٢٩، سِير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٩٤ الرقم ١١٢، أنساب الأشراف:

ج ٥ ص ١٩٨.

(٦). تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ١٦٩، المعارف لابن قتيبة: ص ٣٤٦، سِير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٩٥ الرقم ١١٢، أنساب الأشراف: ج ٥ ص ١٩٨.

(٧). تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ١٦٩.

(٨). تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ١٦٩ و ١٧٠، المعارف لابن قتيبة: ص ٣٤٦، سِير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٩٥ الرقم ١١٢، أنساب الأشراف: ج ٥ ص ١٩٩.

(٩). تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ١٧١.

ص: ١٧

و ديوانها و بيت مالها. «١»

و عند ما امتنع أهل فارس و كرمان من دفع الضرائب، و طردوا واليهم سَهْل بن حُنيف، استشار الإمام عليه السلام أصحابه لإرسال رجل مدبر و سياسى إليهم، فاقترح ابن عباس زياداً «٢»، و أكد جاريةُ بن قُدّامة هذا الاقتراح «٣».

فتوجّه زياد إلى فارس و كرمان «٤». و تمكّن بدهائه السّياسى من إخماد نار الفتنة. و فى تلك الفترة نفسها ارتكب أعمالاً ذميمة فاعترض عليه الإمام عليه السلام. «٥»

لم يشترك زياد فى حروب الإمام عليه السلام، و كان مع الإمام و ابنه الحسن المُجتبى عليهما السلام حتّى استشهاد الإمام عليه السلام، بل حتّى الأيام الاولى من حكومة معاوية «٦».

ثمّ زلّ بمكيدة معاوية، و وقع فيما كان الإمام قد حذّره منه «٧»، و أصبح أداة طيّعة لمعاوية تماماً، من خلال مؤامرة الاستلحاق. و سمّاه معاوية أخاه «٨».

و شهد جماعة على أنّه ابن زنى. «٩» و هكذا أصبح زياد بن أبى سفيان!

(١). تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ١٧٠، سِير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٩٥ الرقم ١١٢ و فيه «ناب عنه ابن عباس بالبصرة».

(٢). تاريخ الطبرى: ج ٥ ص ١٣٧، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٤٣٠، البداية و النهاية: ج ٧ ص ٣١٨.

(٣). تاريخ الطبرى: ج ٥ ص ١٣٧، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٢٩

(٤). تاريخ الطبرى: ج ٥ ص ١٣٧، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٤٢٩، تاريخ خليفة بن خيَّاط: ص ١٤٤ و فيه «وجه علىّ زياداً فأرضوه و صالحوه و أدّوا الخراج».

(٥). نهج البلاغة: الكتاب ٢٠ و ٢١.

(٦). العقد الفريد: ج ٤ ص ٥.

(٧). نهج البلاغة: الكتاب ٤٤؛ الاستيعاب: ج ٢ ص ١٠١ الرقم ٨٢٩، اسد الغابة: ج ٢ ص ٣٣٧ الرقم ١٨٠٠.

(٨). تاريخ اليعقوبى: ج ٢ ص ٢١٨؛ تاريخ الطبرى: ج ٥ ص ٢١٤، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ١٦٢، سِير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٩٤ الرقم ١١٢، الاستيعاب: ج ٢ ص ١٠١ الرقم ٨٢٩، اسد الغابة: ج ٢ ص ٣٣٦ الرقم ١٨٠٠، تاريخ الخلفاء: ص ٢٣٥، العقد الفريد: ج ٤ ص ٤.

(٩). تاريخ اليعقوبى: ج ٢ ص ٢١٩؛ مروج الذهب: ج ٣ ص ١٤ و ١٥، العقد الفريد: ج ٤ ص ٤، الإصابة: ج ٢ ص ٥٢٨ الرقم ٢٩٩٤، سِير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٩٥ الرقم ١١٢.

ص: ١٨

كانت المفاسد و القبائح متأصلة فى نفس زياد، و قد أبرز خبث طينته و اسوداد قلبه فى بلاط معاوية. ولّاه البصرة فى بادئ الأمر، ثم صار أميراً على الكوفة أيضاً «١». و لما أحكم قبضته عليهما لم يتورّع عن كلّ ضرب من ضروب الفساد و الظلم «٢». و تشدّد كثيراً على الناس، خاصة شيعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، «٣» إذ سجن الكثيرين منهم فى سجون مظلمة ضيقة أو قتلهم «٤».

و أكره الناس على البراءة من الإمام عليه السلام «٥» و سبّه مصرّاً على ذلك. «٦»

هلك زياد بالطّاعون «٧» سنة ٥٣ هـ «٨» و هو ابن ٥٣ سنة، «٩» بعد عَقْدٍ من الجور و العدوان و النهب و نشر القبائح و إشاعة الرّجس و الفحشاء، و خَلَفَ من هذه

(١). الطبقات الكبرى: ج ٧ ص ٩٩، أنساب الأشراف: ج ٥ ص ٢٠٥ و ص ٢٠٧، المعارف لابن قتيبة: ص ٣٤٦، مروج الذهب: ج ٣ ص ٣٣ و ٣٤، تاريخ خليفة بن خيَّاط: ص ١٥٦ و ص ١٥٨، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ١٦٢، سِير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٩٦ الرقم ١١٢.

(٢). أنساب الأشراف: ج ٥ ص ٢١٦، مروج الذهب: ج ٣ ص ٣٥، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٢٢٢، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٧٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ٢٠٤. و لمزيد الاطلاع على حياة زياد بن أبيه راجع: أنساب الأشراف: ج ٥ ص ٢٠٥ - ٢٥٠.

(٣). المعجم الكبير: ج ٣ ص ٧٠ ح ٢٦٩٠، الفتوح: ج ٤ ص ٣١٦، الوافي بالوفيات: ج ٥ ص ١٢ الرقم ١٠.

(٤). تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ٢٠٢، مروج الذهب: ج ٣ ص ٣٥، سِير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٩٦ الرقم ١١٢.

(٥). تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ٢٠٣، سِير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٩٦ الرقم ١١٢.

(٦). مروج الذهب: ج ٣ ص ٣٥.

(٧). أنساب الأشراف: ج ٥ ص ٢٨٨، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ٢٠٣، سِير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٩٦ الرقم ١١٢، الوافي بالوفيات: ج ٥ ص ٣ الرقم ١٠، وفيات الأعيان: ج ٢ ص ٤٦٢.

(٨). الطبقات الكبرى: ج ٧ ص ١٠٠، الطبقات لخليفة بن خياط: ص ٣٢٨ الرقم ١٥١٦، المعارف لابن قتيبة:

ص ٣٤٦، تاريخ دمشق: ج ١٩ ص ٢٠٧، سِير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٩٦ الرقم ١١٢، الوافي بالوفيات: ج ٥ ص ٣ الرقم ١٠، اسد الغابة: ج ٢ ص ٣٣٧ الرقم ١٨٠٠.

(٩). تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٦٦، الاستيعاب: ج ٢ ص ١٠٠ الرقم ٨٢٩.

ص: ١٩

الشجرة الخبيثة ثمرة خبيثة تقطر قبحاً، و هو عبيد الله الذي فاق أباه في الكشف عن سوء سريرته و ظلمه لآل علي عليه السلام و شيعته.

كان زياد نموذجاً واضحاً للسياسي الذي له دماغ مفكر، و لكن ليس له قلب و عاطفة قط!

كان الشر، و العبت، و النفاق في معاملة الناس من صفاته التي أشار إليها الإمام عليه السلام، في رسالة موقظة منبهة «١».

كان زياد عظيماً عند طلاب الدنيا الذين يعظم في عيونهم زبرجها و بهرجها؛ و لذا مدحوه بالذكاء الحاد و المكانة السامية «٢». بيد أن نظرة إلى ما وراء ذلك، تدلنا على أنه لم يرعو من كل رجس و دنس و قبح و خبت، حتى من تغيير نسبه أيضاً.

في سِير أعلام النبلاء - في ذكر زياد بن أبيه -: هو زياد بن عبيد الثقفي، و هو زياد بن سميّة و هي أمه، و هو زياد بن أبي سفيان الذي استلحقه معاوية بأنه أخوه. كانت سميّة مولاة للحارث بن كعدة الثقفي طبيب العرب، يُكنى أبا المغيرة. له إدراك، ولد عام الهجرة، و أسلم زمن الصديق و هو مراهق، و هو أخو أبي بكره الثقفي الصحابي لأمه، ثم كان كاتباً لأبي موسى الأشعري زمن إمرته على البصرة

وكان كاتباً بليغاً، كتب أيضاً للمُغِيرَةَ و لابن عَبَّاس، و غاب عنه بالبصرة.

يقال: إنَّ أبا سُفْيَانَ أتى الطَّائِف، فسُكِر، فطلب بغيّاً، فواقع سُمَيَّة، و كانت مزوّجةً بعبيد، فولدت من جماعه زياداً، فلمّا رآه معاوية من أفراد الدَّهر،

(١). تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢٠٤، نثر الدرّ: ج ١ ص ٣٢١.

(٢). الاستيعاب: ج ٢ ص ١٠٠ الرقم ٨٢٩، اسد الغابة: ج ٢ ص ٣٣٧ الرقم ١٨٠٠.

ص: ٢٠

استعطفه و ادّعاه، و قال: نزل من ظهر أبي. و لمّا مات علىّ عليه السلام، كان زياد نائباً له على إقليم فارس «١».

و فى الاستيعاب- فى ذكر زياد بن أبيه-: كان رجلاً عاقلاً فى دنياه، داهية خطيباً، له قدر و جلاله عند أهل الدُّنيا «٢».

و فى اسد الغابة: كان عظيم السَّياسة، ضابطاً لما يتولّاه «٣».

و فى تاريخ اليعقوبيّ: كان (المُغِيرَةَ) يختلف إلى امرأة من بنى هلال يقال لها:

أمّ جميل، زوجة الحجاج بن عُتيك التَّقَفِيّ، فاستتراب به جماعة من المسلمين، فرصده أبو بكره و نافع بن الحارث و شبل بن مَعْبُد و زياد بن عبيد، حتّى دخل إليها فرفعت الرِّيح السُّتْر فإذا به عليها، فوفد على عمر، فسمع عمر صوت أبي بكره و بينه و بينه حجاب، فقال: أبو بكره! قال: نعم. قال: لقد جئت ببشر؟

قال: إنّما جاء به المُغِيرَةُ. ثمّ قصّ عليه القصة.

فبعث عمر أبا موسى الأشعريّ عاملاً مكانه، و أمره أن يُشخص المُغِيرَةَ، فلمّا قدم عليه جمع بينه و بين الشُّهود، فشهد الثلاثة، و أقبل زياد، فلمّا رآه عمر قال:

أرى وجه رجل لا يخزى الله به رجلاً من أصحاب محمّد، فلمّا دنا قال: ما عندك يا سلح العقاب؟ قال: رأيت أمراً قبيحاً، و سمعت نفساً عالياً، و رأيت أرجلاً مختلفة، و لم أر أذى مثل الميل فى المكحلة.

فجلد عمر أبا بكره، و نافعاً، و شبل بن مَعْبُد، فقام أبو بكره و قال: أشهد أنّ المُغِيرَةَ زان، فأراد عمر أن يجلدّه ثانية، فقال له: علىّ إذا توفّي صاحبك حجارة.

(١). سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٩٤ الرقم ١١٢.

(٢). الاستيعاب: ج ٢ ص ١٠٠ الرقم ٨٢٩.

(٣). اسد الغابة: ج ٢ ص ٣٣٧ الرقم ١٨٠٠.

ص: ٢١

وكان عمر إذا رأى المغيرة قال: يا مغيرة، ما رأيته قط إلا خشيت أن يرجمني الله بالحجارة «١».

و في الاستيعاب: بعث عمر بن الخطاب زياداً في إصلاح فسادٍ وقع باليمن، فرجع من وجهه و خطب خطبة لم يسمع الناس مثلها، فقال عمرو بن العاص: أما والله لو كان هذا الغلام قرشياً لساق العرب بعصاه.

فقال أبو سفيان بن حرب: والله إنني لأعرف الذي وضعه في رحم أمه.

فقال له علي بن أبي طالب:

وَمَنْ هُوَ يَا أَبَا سُفْيَانَ؟

قال: أنا.

قال:

مهلاً يا أبا سُفْيَانَ.

فقال أبو سُفْيَانَ:

يَرَانِي يَا عَلِيُّ مِنَ الْأَعَادِي

وَلَمْ تَكُنِ الْمَقَالَةَ عَنْ زِيَادٍ

و تَرَكِي فِيهِمْ ثَمَرَ الْفُؤَادِ «٢»

أَمَا وَاللَّهِ لَوْ لَا خَوْفُ شَخْصٍ

لَأُظْهِرَ أَمْرَهُ صَخْرُ بْنُ حَرْبٍ

وَقَدْ طَالَتْ مُجَامَلَتِي تَقِيْفًا

في تاريخ مدينة دمشق عن الشعبي: أقام علي عليه السلام بعد وقعة الجمل بالبصرة

(١). تاريخ يعقوبى: ج ٢ ص ١٤٦؛ تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٠ ص ٣٥ - ٣٩ نحوه، تاريخ الطبرى: ج ٤ ص ٦٩ - ٧٢، الأغاني: ج ١٦ ص ١٠٣ - ١١٠ وفيه عن الشعبي «كانت أم جميل بنت عمر - التي رُمى بها المغيرة بن شعبة - بالكوفة تختلف إلى المغيرة في حوائجها، فيقضيها لها، قال: و وافقت عمر بالموسم و المغيرة هناك، فقال له عمر: أ تعرف هذه؟ قال: نعم، هذه أم كلثوم بنت عليّ. فقال له عمر: أ تتجاهل عليّ؟! والله ما أظنّ أبا بكره كذب عليك، و ما رأيته قط إلا خفت أن ارمى بحجارة من السماء».

(٢). الاستيعاب: ج ٢ ص ١٠١ الرقم ٨٢٩، اسد الغابة: ج ٢ ص ٣٣٦ الرقم ١٨٠٠ نحوه و ليس فيه الأبيات، الوافي بالوفيات: ج ٥ الرقم ١٠ و راجع تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ١٧٤، العقد الفريد: ج ٤ ص ٤.

ص: ٢٢

خمسین ليلة، ثمّ أقبل إلى الكوفة و استخلف عبد الله بن عباس على البصرة، فلم يزل ابن عباس على البصرة حتّى سار إلى صفّين. ثمّ استخلف أبا الأسود الدؤلى على الصّلاة بالبصرة، و استخلف زياداً على الخراج و بيت المال و الديوان، و قد كان استكتبه قبل ذلك، فلم يزالا على البصرة حتّى قدم من صفّين «١».

و فى تاريخ الطبرىّ عن الشّعبيّ: لما انتقض أهل الجبال و طمع أهل الخراج فى كسره، و أخرجوا سهّل بن حنّيف من فارس - و كان عاملاً عليها لعلّى عليه السلام - قال ابن عباس لعلّى: أكفيك فارس.

فقدم ابن عباس البصرة، و وجّه زياداً إلى فارس فى جمع كثير، فوطئ بهم أهل فارس، فأدّوا الخراج «٢».

و عن علىّ بن كثير: إنّ عليّاً استشار النّاس فى رجل يولّيه فارس حين امتنعوا من أداء الخراج، فقال له جارية بن قدامة: أ لا أدلك يا أمير المؤمنين على رجل صليب الرأى، عالم بالسياسة، كافٍ لما وُلّي؟

قال:

من هو؟

قال: زياد.

قال:

هو لها.

فولّاه فارس و كرمان، و وجّهه فى أربعة آلاف، فدوّخ تلك البلاد حتّى استقاموا «٣».

و فى شرح نهج البلاغة عن علىّ بن محمّد المدائنى: لما كان زمن علىّ عليه السلام ولى

(١). تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ١٧٠.

(٢). تاريخ الطبرى: ج ٥ ص ١٣٧، البداية و النهاية: ج ٧ ص ٣١٨ نحوه.

(٣). تاريخ الطبرى: ج ٥ ص ١٣٧، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٤٢٩، البداية و النهاية: ج ٧ ص ٣٢١ كلاهما نحوه.

ص: ٢٣

زياداً فارس أو بعض أعمال فارس، فضبطها ضبطاً صالحاً، و جبا خراجها و حماها، و عرف ذلك معاوية، فكتب إليه: أما بعد، فإنه غرّتك قلاع تأوى إليها ليلاً، كما تأوى الطير إلى وكرها، و ايم الله، لو لا انتظاري بك ما الله أعلم به، لكان لك منى ما قاله العبد الصالح:

«فَلَنَاتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ» «١».

و كتب فى أسفل الكتاب شعراً من جملته:

تَنسَى أَبَاكَ وَ قَدْ شَالَتْ نَعَامَتُهُ
إِذْ يَخِطُبُ النَّاسَ وَ الْوَالِىَ لَهُمْ عُمُرُ

فلما ورد الكتاب على زياد قام فخطب الناس، و قال: العجب من ابن آكلة الأكباد، و رأس النفاق! يهددنى و بينى و بينه ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه و آله و زوج سيّدة نساء العالمين، و أبو السبطين، و صاحب الولاية و المنزلة و الإخاء فى مائة ألف من المهاجرين و الأنصار و التابعين لهم بإحسان! أما و الله، لو تخطى هؤلاء أجمعين إلىّ لوجدنى أحمر مخشاً ضرباً بالسيف. ثم كتب إلى علىّ عليه السلام، و بعث بكتاب معاوية فى كتابه.

فكتب إليه علىّ عليه السلام، و بعث بكتابه:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّى قَدْ وَلَّيْتُكَ مَا وَلَّيْتُكَ وَأَنَا أَرَاكَ لِذَلِكَ أَهْلًا ... «٢».

و فى أنساب الأشراف: كتب معاوية إلى زياد يتوعده و يتهدده، فخطب الناس فقال: أيّها الناس، كتب إلىّ ابن آكلة الأكباد، و كهف النفاق، و بقيّة الأحزاب، يتوعّدنى، و بينى و بينه ابن عمّ رسول الله فى سبعين ألفاً، قبائع سيوفهم عند

(١) النمل: ٣٧.

(٢). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ١٦ ص ١٨١، اسد الغابة: ج ٢ ص ٣٣٧ الرقم ١٨٠٠، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ١٧٥ و ١٧٦ كلاهما نحوه و راجع الإستيعاب: ج ٢ ص ١٠١ الرقم ٨٢٩.

ص: ٢٤

أذقانهم، لا يلتفت أحد منهم حتّى يموت، أما و الله، لئن وصل هذا الأمر إليه ليجدنى ضرباً بالسيف «١».

و فى تاريخ الخلفاء: و فى سنة ثلاث و أربعين ... استلحق «٢» معاوية زياد بن أبيه، و هى أوّل قضيّة غيّر فيها حكم النّبىّ عليه الصّلاة و السّلام فى الإسلام «٣».

و فى تاريخ مدينة دمشق عن سعيّد بن المسيّب: أوّل من ردّ قضاء رسول الله صلى الله عليه و آله، دعوة معاوية «٤».

و عن ابن أبى نجيع: أوّل حكم ردّ من حكم رسول الله صلى الله عليه و آله الحكم فى زياد «٥».

و عن عَمْرُو بن نَجْعة: أوَّل ذلّ دخل على العرب قتل الحسين، و ادّعاء زياد «٦».

و فى مروج الذهب: لمّا همّ معاوية بإلحاق زياد بأبى سُفْيَان أبيه- و ذلك فى سنة أربع و أربعين- شهد عنده زياد بن أسماء الحرمازى و مالك بن ربيعة السّلولى و المُنذر بن الزُّبير بن العوّام: أنّ أبا سُفْيَان أخبر أنّه ابنه ... ثمّ زاده يقيناً إلى ذلك شهادة أبى مريم السّلولى، و كان أخبر النَّاس ببدء الأمر، و ذلك أنّه جمع بين أبى سُفْيَان و سُمَيَّة امّ زياد فى الجاهليّة على زنا.

و كانت سُمَيَّة من ذوات الرّايات بالطائف تؤدّى الضّريبة إلى الحارث بن كلدة،

(١). أنساب الأشراف: ج ٥ ص ١٩٩، تاريخ الطبرى: ج ٥ ص ١٧٠ نحوه؛ وقعة صفين: ص ٣٦٦ و راجع المعارف لابن قتيبة: ص ٣٤٦ و الغارات: ج ٢ ص ٦٤٧.

(٢) فى المصدر: «استخلف»، و الصحيح ما أثبتناه.

(٣) فى المصدر: «استخلف»، و الصحيح ما أثبتناه.

(٤). تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ١٧٩.

(٥). تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ١٧٩.

(٦). تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ١٧٩.

ص: ٢٥

و كانت تنزل بالموضع الذى تنزل فيه البغايا بالطائف خارجاً عن الحضر فى محلّة يقال لها: حارة البغايا «١».

و فى تاريخ البعقوبى: كان زياد بن عبيد عامل علىّ بن أبى طالب على فارس، فلمّا صار الأمر إلى معاوية كتب إليه يتوعّده و يتهدّده، فقام زياد خطيباً، فقال: إنّ ابن آكلة الأكباد، و كهف النّفاق ...

فوجّه معاوية إليه المُغيرة بن شُعبة، فأقدمه ثمّ ادّعاه، و ألحقه بأبى سُفْيَان، و ولّاه البصرة، و أحضر زياد شهوداً أربعة، فشهد أحدهم أنّ علىّ بن أبى طالب أعلمهم أنّهم كانوا جلوساً عند عمر بن الخطّاب حين أتاه زياد برسالة أبى موسى الأشعرى، فتكلّم زياد بكلام أعجبه، فقال: أ كنت قائلاً للناس هذا على المنبر؟ قال: هم أهون علىّ منك يا أمير المؤمنين، فقال أبو سُفْيَان: و الله، لهو ابنى، و لأنّا وضعته فى رحم أمّه. قلت: فما يمنعك من ادّعائه؟ قال: مخافة هذا العير «٢» النّاهق.

و تقدّم آخر فشهد على هذه الشّهادة. قال زياد الهمّدانى: لمّا سأله زياد كيف قولك فى علىّ؟ قال: مثل قولك حين ولّاك فارس، و شهد لك أنّك ابن أبى سُفْيَان.

و تقدّم أبو مريم السلّولى فقال: ما أدري ما شهادة علىّ، و لكنّي كنت خماراً بالطائف، فمرّ بي أبو سُفْيَان منصرفاً من سفر له، فطعم و شرب، ثمّ قال:

يا أبا مريم طالت الغربة، فهل من بغيّ؟ فقلت: ما أجد لك إلّا أمة بنى عَجْلَان. قال:

(١). مروج الذهب: ج ٣ ص ١٤.

(٢) العَيْر: الحمار الوحشيّ (النهاية: ج ٣ ص ٣٢٨).

ص: ٢٦

فأتتني بها على ما كان من طول ثدييها و نتن رفقها «١»، فأتيت به، فوقع عليها، ثمّ رجعت إلىّ فقال لي: يا أبا مريم، لاستلّ ماء ظهري استلالاً تشيب ابن الحبل في عينها.

فقال له زياد: إنّما أتينا بك شاهداً، و لم نأت بك شاتماً. قال: أقول الحقّ على ما كان، فأنفذ معاوية ... «٢» قال: ما قد بلغكم و شهد بما سمعتم، فإن كان ما قالوا حقّاً، فالحمد لله الذي حفظ منّي ما ضيع النّاس، و رفع منّي ما وضعوا، و إن كان باطلاً، فمعاوية و الشّهود أعلم، و ما كان عبيد إلّا والدّاً مبروراً مشكوراً «٣».

و في تاريخ الطبري عن مَسْلَمَة: استعمل زياد على شرطته عبد الله بن حصن، فأهل النّاس حتّى بلغ الخبر الكوفة، و عاد إليه وصول الخبر إلى الكوفة، و كان يؤخّر العشاء حتّى يكون آخر من يصلّي ثمّ يصلّي، يأمر رجلاً فيقرأ سورة البقرة و مثلها، يرتل القرآن، فإذا فرغ أهل بقدر ما يرى أنّ إنساناً يبلغ الخريبة ... «٤».

و في مروج الذهب: قد كان زياد جمع النّاس بالكوفة بباب قصره يحرضهم على لعن عليّ، فمن أبى ذلك عرضه على السيف «٥».

و في المعجم الكبير عن الحسن: كان زياد يتتبع شيعة عليّ عليه السلام فيقتلهم، فبلغ

(١) الرُّفْع بالضم و الفتح: واحدُ الأرفاغ، و هي أصولُ المَغَابِن كالأباط و الحوالب، و غيرها من مطاوى الأعضاء، و ما يجتمع فيه من الوسخ و العرق (النهاية: ج ٢ ص ٢٤٤).

(٢) بياض في المصدر.

(٣). تاريخ يعقوبى: ج ٢ ص ٢١٨ و راجع الفخرى: ص ١٠٩، أنساب الأشراف: ج ٥ ص ١٩٩-٢٠٣.

(٤). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ٢٠٤ و راجع أنساب الأشراف: ج ٥ ص ٢٠٦.

(٥). مروج الذهب: ج ٣ ص ٣٥، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ٢٠٣ عن عبد الرحمن بن السائب نحوه.

ذلك الحسن بن عليّ عليه السلام فقال:

اللَّهُمَّ تَفَرَّدَ بِمَوْتِهِ، فَإِنَّ الْقَتْلَ كَفَّارَةٌ «١».

و في سِيرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ عن الحسن البصريّ: بلغ الحسن بن عليّ أن زياداً يتتبع شيعة عليّ بالبصرة فيقتلهم، فدعا عليه.

وقيل: إنه جمع أهل الكوفة ليعرضهم على البراءة من أبي الحسن، فأصابه حينئذ طاعون في سنة ثلاث و خمسين «٢».

٩ كتابه عليه السلام إلى ابن عباس

من كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس بعد مقتل محمد بن أبي بكر رحمه الله:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مِصْرَ قَدْ افْتُتِحَتْ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ اسْتُشْهِدَ، فَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُهُ وَلَدًا نَاصِحًا، وَعَامِلًا كَادِحًا، وَسَيِّفًا قَاطِعًا، وَرُكْنًا دَافِعًا، وَقَدْ كُنْتُ حَشْتُ النَّاسَ عَلَى لِحَاقِهِ، وَأَمَرْتُهُمْ بِغِيَاثِهِ قَبْلَ الْوَقْعَةِ، وَدَعَوْتُهُمْ سِرًّا وَجَهْرًا وَعَوْدًا وَبَدءًا، فَمِنْهُمْ الْآتِي كَارِهَا، وَمِنْهُمْ الْمُعْتَلُّ كَاذِبًا، وَمِنْهُمْ الْقَاعِدُ خَاذِلًا، أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ فَرَجًا عَاجِلًا، فَوَاللَّهِ لَوْ لَا طَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي الشَّهَادَةِ، وَتَوَطُّيْنِي نَفْسِي عَلَى الْمَنِيَّةِ، لَأَحْبَبْتُ أَلَّا أَلْقَى مَعَ هَؤُلَاءِ يَوْمًا وَاحِدًا، وَلَا أَلْتَقِيَ بِهِمْ أَبَدًا».

«٣»

(١). المعجم الكبير: ج ٣ ص ٧٠ ح ٢٦٩٠.

(٢). سِيرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ: ج ٣ ص ٤٩٦ الرقم ١١٢، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ٢٠٢ نحوه و زاد فيه «اللهم لا تقتلن زياداً و أمته حتف أنفه» بعد «فدعا عليه» و راجع ص ٢٠٣ و ٢٠٤.

(٣). نهج البلاغة: الكتاب ٣٥ و راجع: الغارات: ج ١ ص ٢٩٨؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ٩٢، تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٣٤١٢، أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٤٠٥.

١٠ كتابه عليه السلام إلى العمال

«مَنْ عَبْدَ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَى مَنْ قُرِئَ عَلَيْهِ كِتَابِي هَذَا مِنَ الْعَمَالِ، أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ رَجَالًا لَنَا عِنْدَهُمْ تَبَعَةً، خَرَجُوا هُرَابًا نَظَنُّهُمْ خَرَجُوا نَحْوَ بِلَادِ الْبَصْرَةِ، فَاسْأَلْ عَنْهُمْ أَهْلَ بِلَادِكَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمُ الْعْيُونَ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ أَرْضِكَ، ثُمَّ اكْتُبْ إِلَيَّ بِمَا يَنْتَهِي إِلَيْكَ عَنْهُمْ. وَالسَّلَامُ»

فخرج زياد بن خَصْفة حَتَّى أَتَى داره، و جمع أصحابه فحمد الله، و أَثنى عليه، ثُمَّ قَالَ: يا معشر بَكْر بن وائل، إِنَّ أَمِير المؤمنين نَدَبَنِي لأمر من أموره مهمّ له، و أمرني بالانكماش فيه بالعَشِيرَة، حَتَّى أَتَى أمره؛ و أنتم شيعته و أنصاره و أوثق حَيٍّ من أحياء العرب في نفسه، فانتدبوا معي السَّاعَة، و عَجَّلُوا. فو الله ما كان إلَّا ساعة حَتَّى اجتمع إليه مائة و ثلاثون رجلًا، فقال: اكتفينا لا نريد أكثر من هؤلاء؛ فخرج حَتَّى قطع الجسر، ثُمَّ أَتَى دير أبي موسى فنزله، فأقام به بقية يومه ذلك، ينتظر أمر أمير المؤمنين عليه السلام.

قال إبراهيم بن هلال: فحدَّثني مُحَمَّد بن عبد الله، عن ابن أبي سيف، عن أبي الصَّلْت التَّيْمِي، عن أبي سعيد، عن عبد الله بن وائل التَّيْمِي، قال: إِنِّي لعند أمير المؤمنين؛ إِذَا فيج «١» قد جاءه يسعى بكتاب من قَرظَة بن كَعْب بن عَمْرٍو الأنصاريّ - و كان أحد عمّاله - فيه:

لِعَبْدِ اللَّهِ عَلَيَّ أَمِير المؤمنين مِنْ قَرظَة بن كَعْب، سلام عليك؛ فَإِنِّي أَحمدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ؛ أَمَّا بعدُ:

فإِنِّي أَخبر أمير المؤمنين، أَنَّ خِيلاً مَرَّتْ مِنْ قِبَل الكوفة متوجّهة نحو نَقْر،

(١) الفيج: رسول السُّلْطَان على رجله؛ فارسي معرب «بيك» (تاج العروس: ج ٢ ص ٨٩).

ص: ٢٩

و أَنَّ رجلًا من دهاقين أسفل الفرات قد أسلم و صَلَّى، يقال له: زاذان فروخ؛ أقبل من عند أخوال له فلقوه، فقالوا له: أ مسلم أنت أم كافر؟ قال: بل مسلم، قالوا: فما تقول في عليّ قال: أقول فيه خيرا؛ أقول إِنَّه أمير المؤمنين عليه السلام و سيّد البشر و وصيّ رسول الله صلى الله عليه و آله. فقالوا: كفرت يا عدو الله! ثُمَّ حملت عليه عصابة منهم، فقطّعه بأسيا فهم، و أخذوا معه رجلًا من أهل الذمّة يهوديًا، فقالوا له: ما دينك؟ قال:

يهوديّ، فقالوا: خلّوا سبيل هذا، لا سبيل لكم عليه، فأقبل إلينا ذلك الذمّيّ، فأخبرنا الخبر، و قد سألت عنهم، فلم يخبرني أحد عنهم بشيء، فليكتب إلى أمير المؤمنين فيهم برأى أنته إليه، إن شاء الله «١».

قصة الخريّت بن راشد و ما جرى فيها من المكاتبات:

قال ابن هلال النَّقْفِيّ، و روى مُحَمَّد بن عبد الله بن عثمان، عن أبي سيف، عن الحارث بن كَعْب الأزديّ، عن عمّه عبد الله بن قعين الأزديّ:

كان الخريّت بن راشد النّاجي أحد بني ناجية قد شهد مع علي عليه السلام صفّين، فجاء إلى علي عليه السلام بعد انقضاء صفّين و بعد تحكيم الحكّمين، في ثلاثين من أصحابه، يمشي بينهم حَتَّى قام بين يديه، فقال: لا و الله، لا أطيع أمرك، و لا أصلي خلفك، و إِنِّي غداً لمفارق لك.

فقال له:

«ثكلتك أمك؛ إذا تنقض عهدك، وتعصى ربك، ولا تضرَّ إلَّانفسك، أخبرني لِمَ تفعل ذلك؟»

قال: لأنَّك حكمت في الكتاب، و ضعفت عن الحقِّ، إذ جدَّ الجدُّ، و ركنت إلى القوم الذين ظلموا أنفسهم، فأنا عليك رادٌّ و عليهم ناقد، و لكم جميعاً مَبَينٌ.

(١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ١٣٠.

ص: ٣٠

فقال له على عليه السلام:

«ويحك هلمَّ إليَّ، أدارسك وأناظرُك في السُّنن، وأُفَاتِحُك أُمُوراً من الحقِّ، أنا أعلمُ بها منك، فلعلَّكَ تعرف ما أنت الآن له منك، وتبصر ما أنت الآن عنه عمٍ وبه جاهل».

فقال الخريِّت: فإنِّي غاد عليك غداً.

فقال على عليه السلام:

«اغد ولا يستهوينك الشَّيْطان، ولا يتقحمَن بك رأى السُّوء، ولا يستخفَّنك الجهلاء الذين لا يعلمون، فوالله إن استرشدتني واستنصحتني وقبلت مِنِّي لأهديَنَّكَ سبيل الرَّشاد».

فخرج الخريِّت من عنده منصرفاً إلى أهله.

قال عبد الله بن قعين: فعجلت في أثره مسرعاً، و كان لي من بني عمِّه صديق، فأردت أن ألقى ابن عمِّه في ذلك، فأعلمه بما كان من قوله لأُمير المؤمنين، و آمر ابن عمِّه أن يشتدَّ بلسانه عليه، و أن يأمره بطاعة أمير المؤمنين و مناصحته، و يخبره أن ذلك خير له في عاجل الدُّنيا و آجل الآخرة.

قال: فخرجت حتَّى انتهيت إلى منزله و قد سبقني فقامت عند باب دار، فيها رجال من أصحابه لم يكونوا شهدوا معه دخوله على أمير المؤمنين عليه السلام، فوالله ما رجع و لا ندم على ما قال لأُمير المؤمنين، و ما ردَّ عليه، و لكنَّه قال لهم: يا هؤلاء، إنِّي قد رأيت أن أفارق هذا الرَّجل، و قد فارقتُه على أن أرجع إليه من غد، و لا أرى المفارقة، فقال له أكثر أصحابه: لا تفعل حتَّى تأتيه، فإن أتاكَ بأمر تعرفه قبلت منه، و إن كانت الأخرى فما أقدركَ على فراقه!

قال لهم: نِعَمَ ما رأيتم؛ قال: فاستأذنت عليهم فأذنوا لي، فأقبلت على ابن عمِّه - و هو مدرك بن الرِّيان النَّاجي، و كان من كبراء العرب - فقلت له: إنَّ لك عليَّ حقًّا لإحسانك و ودك، و حقَّ المسلم على المسلم. إنَّ ابن عمِّكَ كان منه ما قد ذكر لك، فاخلُ به فاردد عليه رأيه، و عظمَّ عليه ما أتى؛ و اعلم أنَّي خائف إن فارق

ص: ٣١

أمير المؤمنين أن يقتلك و نفسه و عشيرته، فقال: جزاك الله خيراً من أخ! إن أراد فراق أمير المؤمنين عليه السلام ففي ذلك هلاكه، وإن اختار مناصحته و الإقامة معه ففي ذلك حفظه و رشده.

قال: فأردت الرجوع إلى علي عليه السلام لأعلمه الأذى كان؛ ثم اطمأنتت إلى قول صاحبي، فرجعت إلى منزلي، فبت ثم أصبحت، فلما ارتفع النهار أتيت أمير المؤمنين عليه السلام، فجلست عنده ساعة، و أنا أريد أن أحدثه بالأذى كان علي خلوة، فأطلت الجلوس، و لا يزداد الناس إلّا كثرة، فدنوت منه، فجلست وراءه، فأصغى إليّ برأسه، فأخبرته بما سمعته من الخريّت، و ما قلت لابن عمّه، و ما ردّ عليّ، فقال عليه السلام:

«دعه، فإن قبل الحقّ ورجع عرفنا له ذلك، وقبلناه منه»

، فقلت: يا أمير المؤمنين، فلم لا تأخذه الآن فتستوثق منه؟ فقال:

«إنّا لو فعلنا هذا بكل من يتّهم من الناس ملأنا، السجون منهم، ولا أراني يسعني الوثوب بالناس، والحبس لهم، وعقوبتهم حتّى يظهروا لي الخلاف»

. قال: فسكت عنه و تنحّيت، فجلست مع أصحابي هنيهة، فقال لي عليه السلام:

«ادن منّي»

، فدنوت، فقال لي مُسرّاً:

«أذهب إلى منزل الرّجل فاعلم ما فعل؛ فإنّه قلّ يوم لم يكن يأتيني فيه قبل هذه السّاعة»

فأتيت إلى منزله، فإذا ليس في منزله منهم ديار، فدرت على أبواب دور أخرى، كان فيها طائفة من أصحابه، فإذا ليس فيها داع و لا مجيب. فأقبلت إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال لي حين رآني:

«أ وطنوا فأقاموا، أم جبنوا فظعنوا؟»

قلت: لا بل ظعنوا، فقال:

«أبعدهم الله كما بعدت ثمود! أما والله لو قد أشرعت لهم الأسنّة، وصبّت على هامهم السيوف، لقد ندموا؛ إنّ الشيطان قد استهواهم وأصلّهم، وهو غداً متبرئ منهم، ومُخلّ عنهم»

؛ فقام إليه زياد بن خصفة، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إنّه لو لم يكن من مضرّة

هؤلاء إلاً فراقهم إيانا لم يعظم فقدهم علينا، فإنهم قلما يزدون في عددنا لو أقاموا معنا، و قلما ينقصون من عددنا بخروجهم منا، و لكننا نخاف أن يفسدوا علينا جماعة كثيرة ممن يقدمون عليهم من أهل طاعتك، فائذن لي في اتباعهم حتى أردهم عليك إن شاء الله.

فقال له عليه السلام:

«فَاخْرُجْ فِي آثَارِهِمْ رَاشِداً»

؛ فلما ذهب ليخرج قال له:

«وَهَلْ تَدْرِي أَيْنَ تَوَجَّهَ الْقَوْمُ»

؟ قال: لا والله؛ و لكنني أخرج فأسأل و أتبع الأثر، فقال:

«اخرُجْ رَحِمَكَ اللَّهُ حَتَّى تَنْزِلَ دَيْرَ أَبِي مُوسَى، ثُمَّ لَا تَبْرَحْهُ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي؛ فَإِنَّهُمْ إِنْ كَانُوا خَرَجُوا ظَاهِرِينَ بَارِزِينَ لِلنَّاسِ فِي جَمَاعَةٍ؛ فَإِنَّ عُمَالِي سَتَكْتُبُ إِلَيْكَ بِذَلِكَ، وَإِنْ كَانُوا مُتَفَرِّقِينَ مُسْتَخْفِينَ؛ فَذَلِكَ أَخْفَى لَهُمْ، وَسَاكْتُبُ إِلَى مَنْ حَوْلِي مِنْ عُمَالِي فِيهِمْ»

. فكتب نسخة واحدة و أخرجها إلى العمال:

كتابه عليه السلام إلى قرظة

فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام:

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ فَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ الْعَصَابَةِ الَّتِي مَرَّتْ بِعَمَلِكَ، فَقَتَلْتَ الْبِرَّ الْمُسْلِمَ، وَأَمِنَ عِنْدَهُمُ الْمُخَالَفُ الْمُشْرِكُ؛ وَإِنْ أَوْلَيْكَ قَوْمٌ اسْتَهْوَاهُمُ الشَّيْطَانُ فَضَلُّوا، كَالَّذِينَ حَسَبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا، فَاسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ تُخْبِرُ أَعْمَالُهُمْ! فَالزَّمْ عَمَلَكَ وَأَقْبِلْ عَلَى خُرَاجِكَ؛ فَإِنَّكَ كَمَا ذَكَرْتَ فِي طَاعَتِكَ وَنَصِيحَتِكَ، وَالسَّلَامُ».

[أقول: كان قرظة بن كعب، كاتب علي عليه السلام على عين التمر، لجباية الخراج، و كان قبلها عاملاً له عليه السلام على الكوفة، و سيأتي كتابه عليه السلام إليه بعد فتح البصرة، و كان قبلها عاملاً له على البهقبادات.] قال:

فكتب علي عليه السلام إلى زياد بن خصفة مع عبد الله بن وائل التيمي كتاباً نسخته:

ص: ٣٣

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكَ أَنْ تَنْزِلَ دَيْرَ أَبِي مُوسَى حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي، وَذَلِكَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ عَلِمْتُ أَيْنَ تَوَجَّهَ الْقَوْمُ، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُمْ أَخَذُوا نَحْوَ قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى السَّوَادِ، فَاتَّبَعَ آثَارَهُمْ، وَسَلَّ عَنْهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ مُسْلِمًا مُصْلِيًا، فَإِذَا أَنْتَ لَحِقْتَ بِهِمْ فَارْدُدْهُمْ إِلَيَّ، فَإِنْ أَبَوْا فَنَاجِزْهُمْ، وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ عَلَيْهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ فَارَقُوا الْحَقَّ، وَسَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ، وَأَخَافُوا السَّبِيلَ، وَالسَّلَامُ».

قال عبد الله بن وائل: فأخذت الكتاب منه عليه السلام - وأنا يومئذ شاب - فمضيت به غير بعيد ثم رجعت إليه، فقلت: يا أمير المؤمنين، ألا أمضى مع زياد بن خصفة إلى عدوك، إذا دفعت إليه كتابك؟

فقال: «يا ابن أخي، افعل، فوالله إنني لأرجو أن تكون من أعوانى على الحق وأنصارى على القوم الظالمين».

قال: فوالله ما أحب أن لى بمقاتلته تلك حُر النعم، فقلت له: يا أمير المؤمنين، أنا والله كذلك من أولئك؛ أنا والله حيث تُحب. «١»

ثم مضيت إلى زياد بكتاب علي عليه السلام - ثم ساق الحديث إلى أن قال: فدعونا أصحابنا، ودعا الخريث أصحابه، ثم اقتتلنا؛ فوالله ما رأيت قتالا مثله منذ خلقني الله، لقد تطاعنا بالرماح حتى لم يبق فى أيدينا رمح، ثم اضطربنا بالسيوف حتى انحنت، وعُفرت عامة خيلنا وخيلهم، وكثرت الجراح فيما بيننا وبينهم ... ثم مضوا فذهبوا وأصبحنا فوجدناهم قد ذهبوا؛ فوالله، ما كرهنا ذلك؛ فمضينا حتى أتينا البصرة، وبلغنا أنهم أتوا الأهواز، فنزلوا فى جانب منها، وتلاحق بهم ناس

(١) وفى انساب الأشراف: فكتب علي عليه السلام إلى أبى موسى، ثم نقل ما يقرب هذا الكتاب، ثم قال: ويقال: إن علياً لم يكتب إلى أبى موسى فى هذا بشىء. (أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٧٨). أقول: هذا باطل قطعاً، لأن علياً عليه السلام عزل أباً موسى قبل حرب الجمل، وهو معلوم.

ص: ٣٤

من أصحابهم نحو مئتين كانوا معهم بالكوفة، لم يكن لهم من القوة ما ينهضون به معهم حين نهضوا؛ فاتبعوهم من بعد لحوقهم بالأهواز، فأقاموا معهم.

قال: وكتب زياد بن خصفة إلى علي عليه السلام (الخبر).

فلما أتاه الكتاب قرأه على الناس، فقام إليه معقل بن قيس الرباحى، فقال:

أصلحك الله يا أمير المؤمنين إنما كان ينبغي أن يكون مكان كل رجل من هؤلاء الذين بعثتهم فى طلبهم عشرة من المسلمين، فإذا لحقوهم استأصلوا شأفتهم «١»، وقطعوا دابرهم، فأما أن تلقاهم بأعدادهم؛ فلعمري ليصبرن لهم، فإنهم قوم عرب، والعدة تصبر للعدة، فيقاتلون كل القتال.

قال: فقال عليه السلام له: «تجهز يا معقل إليهم»، وندب معه ألفين من أهل الكوفة، فيهم يزيد بن معقل.

وكتب إلى عبد الله بن العباس بالبصرة:

«أما بعد؛ فابعث رجلاً من قبلك صليباً شجاعاً، معروفاً بالصلاح، فى ألفى رجل من أهل البصرة، فليتبّع معقل بن قيس؛ فإذا خرج من أرض البصرة، فهو أمير أصحابه حتى يلقي معقلاً؛ فإذا لقيه فمعقل أمير الفريقين، فليسمع منه وليطعه ولا يخالفه؛ ومُرّ زياد بن خصفة فليقبل إلينا، فنعم المرء زياد؛ ونعم القبيل قبيله! والسلام».

[أقول: فجَهَّزَ ابن عَبَّاس جيشًا، توجَّهَ إلى مَعْقِلِ خالد بن معدان الطَّائِيّ في ألفى رجل، وكتب إليه ما يأتي] قال:

وكتب عليه السلام إلى زياد بن خصفه:

(١) الشَّافَةُ في الأصل: قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب؛ وإذا قطعت مات صاحبها؛ و قولهم: استأصل الله شأفته؛ أى أذهب كما تذهب القرحة، و معناه أزاله من أصله.

ص: ٣٥

«أَمَّا بَعْدُ؛ فقد بلغنى كتابك، وفهمت ما ذكرت به النَّاجِيَّ وأصحابه، «الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ» «١»، «وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ» «٢»؛ فهم حَيَارَى عَمُونَ، «يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا» «٣»؛ ووصفت ما بلغ بك وبهم الأمر؛ فأما أنت وأصحابك فللَّهِ سعيكم وعليه جزاؤكم! وأيسر ثواب الله للمؤمن خير له من الدنيا التي يُقبل الجاهلون بأنفسهم عليها، ف «مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» «٤»، وأما عدوكم الَّذِينَ لَقِيتُمْ فحسبهم خروجهم من الهدى، وارتكاسهم في الضلالة، وردُّهم الحقَّ، وجماحهم في التَّيَّة، فذرهم وما يفترون، ودعهم في طغيانهم يعمهون، فأسمع بهم وأبصر؛ فكأنك بهم عن قليل بين أسير وقتيل، فأقبل إلينا أنت وأصحابك مأجورين، فقد أطعتم وسمعتهم، وأحسنتم البلاء، والسلام».

قال: ونزل النَّاجِيَّ جانبًا من الأهواز، واجتمع إليه علوج كثير من أهلها؛ ممَّن أراد كسر الخراج ومن اللُّصوص، وطائفة أخرى من الأعراب ترى رأيه.

قال: إبراهيم بن هلال: فحدثنا مُحَمَّد بن عبد الله، قال: حدَّثني ابن أبي سيف، عن الحارث بن كَعْب، عن عبد الله بن قُعين، قال: كنت أنا وأخى كَعْب بن قُعين في ذلك الجيش مع مَعْقِل بن قَيْس، فلَمَّا أراد الخروج أتى أمير المؤمنين عليه السلام يودِّعه، فقال:

«يا مَعْقِل بن قَيْس اتَّقِ اللَّهَ ما استطعت؛ فَإِنَّه وصية الله للمؤمنين؛ لا تبغ على

(١) النحل: ١٠٨.

(٢) النمل: ٢٤.

(٣) الكهف: ١٠٤.

(٤) النحل: ٩٦.

ص: ٣٦

أهل القبلة، ولا تَظْلِمُ أهل الذِّمَّة ولا تتكَبَّر؛ فَإِنَّ اللَّه لا يحبُّ المتكَبِّرِينَ».

فقال: معقل الله المستعان، فقال: «خير مستعان».

ثُمَّ قام فخرج، و خرجنا معه؛ حَتَّى نزل الأهواز، فأقمنا ننتظر بعث البصرة، فأبطأ علينا، فقام مَعْقِل فقال: أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّا قد انتظرنا أهل البصرة، و قد أبطؤا علينا، و ليس بنا بحمد الله قِلَّة و لا وحشة إلى النَّاس؛ فسيروا بنا إلى هذا العدو القليل الذَّلِيل؛ فَإِنِّي أرجو أن ينصركم الله و يهلكهم.

فقام إليه أخى كَعْب بن قُعَيْن فقال: أصبت إن شاء الله رأينا رأيك، و إِنِّي لأرجو أن ينصرنا الله عليهم؛ و إن كانت الأخرى؛ فَإِنَّ فى الموت على الحقِّ لتعزيةً عن الدنيا. فقال: سيروا على بركة الله. فسرنا، فو الله ما زال مَعْقِل بن قَيْس لى و لأخى مكرماً واداً، ما يعدل بنا أحداً من الجند، و لا يزال يقول لأخى: كيف قلت: إن فى الموت على الحقِّ لتعزية عن الدنيا! صدقت و الله و أحسنت، و وفقت وفقك الله! قال: فو الله ما سرنا يوماً؛ و إذا بفيئج يشتدّ بصحيفة فى يده.

من عبد الله بن عباس إلى مَعْقِل بن قَيْس:

أَمَّا بعد؛ فَإِنَّ أدركك رسولى بالمكان الذى كنت مقيماً به، أو أدركك و قد شَخَصْتَ منه؛ فلا تبرحنَّ من المكان الذى ينتهى إليك رسولى و أنت فيه، حَتَّى يقدم عليك بعثنا الذى وجَّهناه إليك، فقد وجَّهت إليك خالد بن معدان الطَّائِيّ، و هو من أهل الدين و الصَّلاح و النُّجدة، فاسمع منه و أعرف ذلك له إن شاء الله، و السَّلام.

قال: فقرأه مَعْقِل بن قَيْس على أصحابه. فسروا به، و حمّدوا الله، و قد كان ذلك الوجه هَالِهم. و أقمنا حَتَّى قدم علينا خالد بن معدان الطَّائِيّ، و جاءنا حَتَّى دخل

ص: ٣٧

على صاحبنا، فسَلَّم عليه بالإمرة، و اجتمعنا جميعاً فى عسكر واحد، ثُمَّ خرجنا إلى النَّاجِيّ و أصحابه، فأخذوا يرتفعون نحو جبال رامهرمز، يريدون قلعة حصينة، و جاءنا أهل البلد. فأخبرونا بذلك، فخرجنا فى آثارهم فلحقناهم ...

قال: و سار فينا مَعْقِل يحرضنا، و يقول: يا عباد الله، لا تبدءوا القوم، و غَضُّوا الأبصار، و أَقْلَوْا الكلام، و وطنوا أنفسكم على الطَّعن و الضَّرَب، و أبشروا فى قتالهم بالأجر العظيم، إِنَّمَا تقاتلون مارقةً مَرَقَتْ و علوجاً منعوا الخراج، و لصوصاً و أكراداً فما تنتظرون! فإذا حملت فشدّوا شدة رجل واحد.

قال: فمرَّ فى الصَّفِّ يكلمهم، يقول هذه المقالة، حَتَّى إذا مرَّ بالنَّاس كلَّهم أقبل فوقف وسط الصَّفِّ فى القلب، و نظرنا إليه ما يصنع، فحرَّك رأسه تحريكين، ثُمَّ حمل فى الثَّالثة؛ و حَمَلْنَا معه جميعاً، فو الله ما صبروا لنا ساعة حَتَّى ولّوا و انهزموا، و قتلنا سبعين عربياً من بنى ناجية، و من بعض من اتَّبعه من العرب، و نحو ثلاثمائة من العُلوج و الأكراد.

قال: كَعْب و نظرت، فإذا صديقى مدرک بن الرِّيان قتيلاً، و خرج الخريّت منهزماً، حَتَّى لحق بسيف من أسياف البحر؛ و بها جماعة من قومه كثير، فما زال يسير فيهم و يدعوهم إلى خلاف على عليه السلام، و يزيّن لهم فراقه، و يخبرهم أن الهدى فى حربته و مخالفته، حَتَّى اتَّبعه منهم ناس كثير.

و أقام مَعْقِل بن قَيْس بأرض الأهواز، و كتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام بالفتح، و كنت أنا الذي قدم بالكتاب عليه، و كان في الكتاب:

لعبد الله على أمير المؤمنين، من مَعْقِل بن قَيْس سلام. عليك فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أمّا بعد؛ فإننا لقينا المارقين؛ و قد استظهروا علينا بالمشركين؛ فقتلنا منهم ناساً كثيراً و لم نعد فيهم سيرتك فلم نقتل منهم مُدبراً و لا أسيراً؛ و لم

ص: ٣٨

نذفف منهم على جريح، و قد نصرك الله و المسلمين، و الحمد لله رب العالمين.

قال: فلما قدمت بالكتاب على علي عليه السلام، قرأه على أصحابه و استشارهم في الرأي، فاجتمع رأى عامتهم على قول واحد. قالوا: نرى أن تكتب إلى مَعْقِل بن قَيْس؛ يتبع آثارهم، و لا يزال في طلبهم حتى يقتلهم أو ينفيتهم من أرض الإسلام؛ فإننا لا نأمن أن يفسدوا عليك الناس.

قال: فردني إليه، و كتب معي:

كتابه عليه السلام إلى مَعْقِل بن قَيْس

«أمّا بعد؛ فالحمد لله على تأييده أوليائه، و خذله أعداءه، جزاك الله والمسلمين خيراً؛ فقد أحسنتم البلاء، وقضيتُم ما عليكم، فاسأل عن أخي بني ناجية، فإن بلغك أنه استقرّ في بلد من البلدان، فسرّ إليه حتى تقتله أو تنفيه، فإنه لم يزل للمسلمين عدواً، وللناسقين ولياً، والسلام».

قال: فسأل مَعْقِل عن مسيره و المكان الذي انتهى إليه، فنبئ بمكانه بسيف البحر بفارس، و أنه قد ردّ قومه عن طاعة علي عليه السلام، و أفسد من قبله من عبد القيس، و من والاهم من سائر العرب، و كان قومه قد منعوا الصدقة عام صفين، و منعوها في ذلك العام أيضاً، فسار إليهم مَعْقِل بن قَيْس في ذلك الجيش من أهل الكوفة و البصرة، فأخذوا على أرض فارس، حتى انتهوا إلى أسياف البحر؛ فلما سمع الخريت بن راشد بمسيره، أقبل على من كان معه من أصحابه - ممن يرى رأى الخوارج - فأسرّ إليهم: إنني أرى رأيكم، و إن علياً ما كان ينبغي له أن يحكم في دين الله. و قال: لمن منع الصدقة: شدّوا أيديكم على صدقاتكم. قال: فلما رجع مَعْقِل، قرأ على أصحابه كتاباً من علي عليه السلام فيه:

ص: ٣٩

كتابه عليه السلام إلى المارقين

«من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من قرئ عليه كتابي هذا؛ من المسلمين و المؤمنين و المارقين و النصاري و المرتدين. سلام على من اتبع الهدى، و آمن بالله و رسوله و كتابه، و البعث بعد الموت و افياً بعهد الله؛ و لم يكن من الخائنين.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ؛ وَأَنْ أَعْمَلَ فِيكُمْ بِالْحَقِّ وَبِمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ، فَمَنْ رَجَعَ مِنْكُمْ إِلَى رَحْلِهِ وَكَفَّ يَدَهُ، وَاعْتَزَلَ هَذَا الْمَارِقَ الْهَالِكَ الْمُحَارِبَ؛ الَّذِي حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُسْلِمِينَ، وَسَعَى فِي الْأَرْضِ فُسَادًا، فَلَهُ الْأَمَانُ عَلَى مَالِهِ وَدَمِهِ. وَمَنْ تَابَعَهُ عَلَى حَرْبِنَا وَالْخُرُوجِ مِنْ طَاعَتِنَا، اسْتَعْنَا بِاللَّهِ عَلَيْهِ، وَجَعَلْنَاهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا، وَالسَّلَامُ».

قال: فأخرج مَعْقِلَ رَايَةَ أَمَانَ فنصبها، و قال: مَنْ أَتَاهَا مِنَ النَّاسِ فَهُوَ آمِنٌ، إِلَّا الْخَرِيتَ وَ أَصْحَابَهُ الَّذِينَ نَابَذُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فتفرَّقَ عَنِ الْخَرِيتِ كُلِّ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ قَوْمِهِ ... [ثُمَّ وَقَعَتْ حَرْبٌ شَدِيدَةٌ، قُتِلَ فِيهَا النَّاجِيُّ] قَتَلَهُ النُّعْمَانُ بْنُ صُهَيْبَانَ الرَّاسِبِيُّ وَ قَتَلَ مَعَهُ فِي الْمَعْرَكَةِ سَبْعُونَ وَمِائَةً، وَ ذَهَبَ الْبَاقُونَ فِي الْأَرْضِ يَمِينًا وَ شِمَالًا ...

و كتب مَعْقِلٌ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي أَخْبَرْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ جُنْدِهِ، وَ عَنْ عَدُوِّهِ، أَنَّا دَفَعْنَا إِلَى عَدُوِّنَا بِأَسْيَافِ الْبَحْرِ، فَوَجَدْنَا بِهَا قِبَائِلَ ذَاتِ حَدٍّ وَ عَدَدٍ؛ وَ قَدْ جَمَعُوا لَنَا، فَدَعَوْنَاهُمْ إِلَى الْجَمَاعَةِ وَ الطَّاعَةِ، وَ إِلَى حُكْمِ الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ؛ وَ قَرَأْنَا عَلَيْهِمْ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَ رَفَعْنَا لَهُمْ رَايَةَ أَمَانَ؛ فَمَالَتْ إِلَيْنَا طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، وَ ثَبَتَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى، فَقَبِلْنَا أَمْرَ أَلِيِّ أَقْبَلْتُ، وَ صَمَدْنَا إِلَى أَلِيِّ أَدْبَرْتُ، فَضَرَبَ اللَّهُ وَجُوهَهُمْ،

ص: ٤٠

وَ نَصَرْنَا عَلَيْهِمْ؛ فَأَمَّا مَنْ كَانَ مُسْلِمًا؛ فَإِنَّا مَنَّا عَلَيْهِ، وَ أَخَذْنَا بِيَعْتِهِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَ أَخَذْنَا مِنْهُمْ الصَّدَقَةَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ؛ وَ أَمَّا مَنْ ارْتَدَّ فَعَرَضْنَا عَلَيْهِمُ الرُّجُوعَ إِلَى الْإِسْلَامِ؛ وَ إِلَّا قَتَلْنَاهُمْ؛ فَرَجَعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ؛ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ قَتَلْنَاهُ؛ وَ أَمَّا النَّصَارَى؛ فَإِنَّا سَبَيْنَاهُمْ وَ أَقْبَلْنَا بِهِمْ؛ لِيَكُونُوا نَكَالًا لِمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، كَيْ لَا يَمْنَعُوا الْجِزْيَةَ، وَ لَا يَجْتَرِئُوا عَلَى قِتَالِ أَهْلِ الْقِبْلَةِ؛ وَ هُمْ لِلصَّغَارِ وَ الذَّلَّةِ أَهْلٌ. رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَ عَلَيْكَ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ، وَ أَوْجِبْ لَكَ جَنَاتِ النَّعِيمِ، وَ السَّلَامُ.

قال: ثُمَّ أَقْبَلَ بِالْأَسَارَى، حَتَّى مَرَّ عَلَى مَصْقَلَةِ بَنِي هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِيِّ، وَ هُوَ عَامِلٌ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى أَرْدَشِيرُخَرَةَ «١»، وَ هُمْ خَمْسَمِائَةِ إِنْسَانٍ، فَبَكَى إِلَيْهِ النِّسَاءُ وَ الصِّبْيَانُ، وَ تَصَايَحَ الرِّجَالُ: يَا أَبَا الْفَضْلِ، يَا حَامِلَ الثَّقَلِ، يَا مَوْوِيَّ الضَّعِيفِ، وَ فَكَّكَ الْعَصَا، آمِنِينَ عَلَيْنَا فَاشْتَرْنَا وَ أَعْتَقْنَا ... [فَاشْتَرَاهُ مَصْقَلَةُ عَلَى خَمْسَمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، عَلَى أَنْ يُصَدَّرَ الْمَالُ أَوَّلًا وَ ثَانِيًا؛ فَرَجَعَ مَعْقِلٌ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَ أَخْبَرَهُ الْخَبَرَ].

فقال عليه السلام له:

«أَحْسَنْتَ وَأَصَبْتَ وَوَقَّفْتَ»

. وَ انْتَظَرَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَصْقَلَةَ أَنْ يَبِيعَ بِالْمَالِ، فَأَبْطَأَ بِهِ. وَ بَلَغَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ مَصْقَلَةَ خَلَّى الْأَسَارَى، وَ لَمْ يَسْأَلْهُمْ أَنْ يَعِينُوهُ فِي فَكَّكَ أَنْفُسَهُمْ بِشَيْءٍ.

فقال عليه السلام:

«مَا أَرَى مَصْفَلَةً إِلَّا قَدْ حَمَلَ حِمَالَةً، وَلَا أَرَاكُمْ إِلَّا سَتَرُونَهُ عَنْ قَرِيبٍ مُبْلَدَحًا» «٢»

، ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ:

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْخِيَانَةِ، خِيَانَةُ الْأُمَّةِ...»

«٣»

(١) أَرْدَشِيرُ خُرَّهَ، بِالْفَتْحِ ثُمَّ السُّكُونِ وَفَتْحِ الدَّالِ الْمَهْمَلَةِ، وَكَسْرِ الشَّيْنِ الْمَعْمَجَةِ، وَيَاءِ سَاكِنَةٍ وَرَاءَ، وَخَاءِ مَعْجَمَةٍ مَضمُومَةٍ، وَرَاءَ مَفْتُوحَةٍ مَشْدُودَةٍ وَهَاءَ: مِنْ كُورِ فَارَسٍ (مَرَاصِدُ الْإِطْلَاعِ).

(٢) الْمِبْلَدَحُ: الْمَلْقَى عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الضَّرْبِ.

(٣). شَرْحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ لِابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ: ج ٣ ص ١٢٨ - ١٤٥؛ الْغَارَاتُ: ج ١ ص ٣٣٢ - ٣٦٤، بَحَارُ الْأَنْوَارِ:

ج ٣٣ ص ٤٠٥ - ٤١٩ كِلَاهُمَا نَحْوُهُ وَرَاجِعُ: تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ: ج ٣ ص ١٣٧ - ١٤٦، تَارِيخُ مَدِينَةِ دِمَشْقَ: ج ٥٨ ص ٢٧١ - ٢٧٣، الْكَامِلُ فِي التَّارِيخِ: ج ٢ ص ٤١٧ - ٤٢٣، الْفَتْوحُ: ج ٤ ص ٢٤٢ - ٢٤٤، أَنْسَابُ الْأَشْرَافِ:

ج ٣ ص ١٧٧ - ١٨٤.

ص: ٤١

أَقُولُ: زِيَادُ بْنُ خَصْفَةَ، هُوَ التَّيْمِيُّ الْبَكْرِيُّ، مِنَ الْمَخْلَصِينَ فِي وِلَاةِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَابْنُهُ الْمَجْتَبِيُّ السَّبْطُ الْأَكْبَرُ، بَعَثَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مَعَاوِيَةَ لِاتِّمَامِ الْحِجَّةِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَى الْحَقِّ. «١»

وَهُوَ قَاتِلُ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ فِي صَفِّينَ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ ابْنُ سَعْدٍ. «٢»

كَفَى فِي مَدْحِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِيَّاهُ فِي كِتَابِهِ إِلَيْهِ:

«أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ مَأْجُورُونَ، فَقَدْ أَطْعَمْتُمْ وَسَمِعْتُمْ وَأَحْسَنْتُمْ الْبَلَاءَ».

وَفِي كِتَابِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ:

«فَنِعْمَ الْمَرْءُ زِيَادٌ، وَنِعْمَ الْقَبِيلُ قَبِيلُهُ».

وَعَدَّهُ الطَّبَرِيُّ: مِنَ الرُّؤَسَاءِ الَّذِينَ كَانَ يَخْرُجُهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْحَرْبِ فِي صَفِّينَ، كُلُّ يَوْمٍ جُنْدًا مَعَ رَئِيسٍ. «٣»
وَعَدَّهُ الطَّبَرِيُّ: مِنَ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مَعَاوِيَةَ لِالْحِجَّةِ، قَالَ زِيَادُ فِي جَوَابِ مَعَاوِيَةَ: - حَيْثُ قَالَ مَعَاوِيَةُ لَزِيَادَ: فَإِنْ قَطَعَ أَرْحَامَنَا، وَكَتَلَ إِمَامَنَا، وَآوَى قَتْلَةَ صَاحِبِنَا، وَإِنِّي أَسْأَلُكَ النُّصْرَةَ بِأَسْرَتِكَ وَعَشِيرَتِكَ وَلكِ

على عهد الله و ميثاقه إذا ظهرت أن أوليك أئى المصرين أحببت - فحمد الله و أثنى عليه و قال: أمّا بعد؛ فإننى على بينة من ربى، و بما أنعم علىّ، فلن أكون ظهيراً للمجرمين. «٤»

(١) راجع: تاريخ الطبرى: ج ٥ ص ٥؛ قاموس الرجال: ج ٤ ص ٤٩٩.

(٢) راجع: الطبقات الكبرى: ج ٥ ص ١٨.

(٣). تاريخ الطبرى: ج ٥ ص ١٠ - ١١، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٣٦٦.

(٤) راجع: تاريخ الطبرى: ج ٥ ص ٧، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٣٦٨، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ٤ ص ٢ - ٢٢؛ وقعة صفين: ص ١٩٧ - ١٩٩، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٤٥٤ - ٤٥٥.

ص: ٤٢

و عدّه الطّبري من الرّؤساء الّذين أجابوا أمير المؤمنين عليه السلام للخروج إلى حرب معاوية بعد قصّة الحكمين، و كتبوا أسماء مقاتلة قومهم، و بعثه أمير المؤمنين عليه السلام إلى المدائن، لإشخاصهم إلى الحرب. «١»

و لما خان خالد بن المعمر السّدوسى، أو اتّهم بذلك، قال: زياد بن خصفة لأمير المؤمنين عليه السلام: يا أمير المؤمنين، استوتق من ابن المعمر بالآيمان لا يغدر. «٢»

فقال أبو الصّلت التّيمي: - لما فرّ يزيد بن حجية إلى معاوية - كان دعاؤه عليه السلام:

«اللّهمَّ إنَّ يزيدَ بنَ حُجَيَّةَ هَرَبَ بِمالِ المُسلمينَ، وَلَحِقَ بالقَوْمِ الفاسِقينَ، فَكفِنَا مَكْرَهُ، وَكَيِّدَهُ، واجزِهِ جَزاءَ الظّالِمينَ»

. قال: و رفع القوم أيديهم يؤمنون، و كان فى المسجد عفاق بن شرحبيل بن أبى رهم التّيميّ شيخاً كبيراً، و كان يعدّ ممّن شهد على حُجْر بن عدىّ، حتّى قتله معاوية، فقال عفاق: على من يدعو القوم؟ قالوا على يزيد بن حُجَيَّة، فقال: تربت أيديكم أ على أشرافنا تدعون، فقاموا إليه فضربوه حتّى كاد يهلك، و قام زياد بن خصفة، و كان من شيعة علىّ عليه السلام ... يذكر ضرب النّاس عفاقاً:

دَعَوْتُ عِفَاقاً لِلهُدَى فَاسْتَغَشَنِي

وَوَلَّى فَرِيّاً قَوْلُهُ وَهُوَ مُغْضَبٌ

وَلَوْ لَا دِفَاعِي عَنْ عِفَاقٍ وَمَشْهَدِي

هَوْتُ بِعِفَاقٍ عَوْضُ عُنُقَاءٍ مُغْرِبٌ

أَنْبَتُهُ أَنَّ الْهُدَى فِي اتِّبَاعِنَا

فَيَأْبَى وَ يُضْزِرِيهِ الْمِرَاءُ فَيَشْغَبُ

فَإِنْ لَا يُشَايِعُنَا عِفَاقٌ فَإِنَّا

عَلَى الْحَقِّ مَا غَنَى الْحَمَامُ الْمُطْرَبُ

سَيُعْنِي الْإِلَهُ عَنْ عِفَاقٍ وَ سَعِيهِ

إِذَا بُعِثَ لِلنَّاسِ جَأَوَاءُ تُحْرَبُ

(١) راجع: تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٧٩، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٠٢؛ قاموس الرجال: ج ٤ ص ٥٠٠.

(٢) راجع: وقعة صفين: ص ٢٨٨؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٥ ص ٢٢٦.

ص: ٤٣

يَمَانِيَّةٌ لَا تَنْشَى حِينَ تُنْدَبُ

قَبَائِلُ مِنْ حَيٍّ مَعَدٍّ وَمِثْلُهَا

تُودُّ وَبَأْسٌ فِي الْوَعَى لَا يُؤْنَبُ»^(١)

لَهُمْ عَدَدٌ مِثْلُ التُّرَابِ وَطَاعَةٌ

فقال زياد بن خصفة - بعد غارة بُسر بن أوطاة وخطبة أمير المؤمنين عليه السلام -: نحن شيعتك يا أمير المؤمنين، ألتى لا نعصيك و لا نخالفك، فقال:

«أَجَلْ أَنْتُمْ كَذَلِكَ، فَتَجَهَّزُوا إِلَى غَزْوِ الشَّامِ»

. «٢»

[و هو من الَّذِينَ قاموا إلى الحسن عليه السلام، و أظهروا له الإخلاص و الوفاء و النصيحة،] فقال لهم:

«صَدَقْتُمْ رَحِمَكُمُ اللَّهُ! مَا زِلْتُ أَعْرِفُكُمْ بِصِدْقِ النِّيَّةِ وَالْوَفَاءِ وَالْقَبُولِ وَالْمَوَدَّةِ الصَّحِيحَةِ، فَجَزَاكُمُ اللَّهُ خَيْرًا»

. «٣»

مَعْقِلُ بْنُ قَيْسِ الرِّيَّاحِيِّ

من تميم، كان من رجال أمير المؤمنين عليه السلام و شيعته المخلصين، و أوليائه المتفانين فيه، و أعوانه على إقامة الدين، و قمع الظالمين. «٤»

قال ابن أبي الحديد: معقل بن قيس، كان من رجال الكوفة و أبطالها، و له رئاسة و قدم، أوفده عمّار بن ياسر إلى عمر بن الخطّاب مع الهرمزان لفتح تستر، و كان من شيعة عليّ عليه السلام، و جهّاه إلى بني ساقه، فقتل منهم و سبى، و حارب المستورد بن علفة الخارجي من تميم الرّباب، فقتل كل واحد منهما صاحبه بدجلة. «٥»

(١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٤ ص ٨٥ و راجع: تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٥ ص ١٤٩؛ الغارات: ج ٢ ص ٥٢٨ و ٥٣٠ و ٦٣٧.

(٢). الغارات: ج ٢ ص ٦٣٧.

(٣). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ٣٩، مقاتل الطالبين: ص ٧٠؛ بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٥٠.

(٤). رجال الطوسي: ص ٤٧، الغارات: ج ٢ ص ٧٨٢.

(٥). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ٩٢ و راجع: تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٩ ص ٣٦٧، الإصابة: ج ٦ ص ٢٤١ الرقم ٨٤٧٠، الكامل للمبرّد: ج ٣ ص ١١٦٣.

ص: ٤٤

قال ابن حجر: وذكره يعقوب بن سُفيان في أمراء عليّ يوم الجمل، وقال الهيثم بن عديّ: كان صاحب شرطة عليّ. «١»

قال المفيد رحمه الله: إنّ معقلاً كان على رجالة بني تميم، في جند أمير المؤمنين عليه السلام، في حرب الجمل. «٢»

[كان أمير المؤمنين عليه السلام يتهيأ لحرب صفين، دخل عليه جمع فيهم حنظلة بن الربيع التميمي، و عبد الله بن المعتم، فأشاروا بالتأخير في الحرب، و المكاتبة مع معاوية؛] فقام إليه معقل بن قيس اليربوعي ثمّ الرباحي فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ هؤلاء و الله ما أتوك بنصح، و لا دخلوا عليك إلّا بغش، فاحذرهم فإنّهم أدنى العدو. «٣»

[لمّا عزم أمير المؤمنين عليه السلام على الخروج إلى صفين، جاءه ابن عباس من البصرة، و معه رؤوس الأخماس، و أمراء الأسباع من أهل الكوفة منهم،] معقل بن قيس اليربوعي على تميم و ضبة و الرباب و قريش و كنانة و أسد. «٤»

[و لمّا أراد أن يرحل من النخيلة خطب الناس و استنفرهم،] فقام إليه معقل بن قيس الرباحي، فقال: يا أمير المؤمنين، و الله لا يتخلف عنك إلّا ظنين، و لا يتربّص بك إلّا منافق، فأمر مالك بن حبيب أن يضرب أعناق المتخلفين. «٥»

[بعثه أمير المؤمنين عليه السلام] من المدائن في ثلاثة آلاف رجل، و قال له:

(١). الإصابة: ج ٦ ص ٢٤١ الرقم ٨٤٧٠.

(٢). الجمل: ص ٣٢١.

(٣). وقعة صفين: ص ٩٦؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ١٧٥.

(٤). وقعة صفين: ص ١١٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ١٩٣.

(٥). وقعة صفين: ص ١٣٢، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٤٢٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ٢٠٢.

ص: ٤٥

«خُذْ عَلَى الْمُوصِلِ، ثُمَّ نَصِيبِينَ، ثُمَّ الْقَنَى بِالرَّقَّةِ، فَإِنِّي مُوَافِيهَا، وَسَكَنَ النَّاسَ وَأَمْنُهُمْ، وَلَا تُقَاتِلْ إِلَّا مَنْ قَاتَلَكَ، وَسِرُّ الْبَرْدَيْنِ، وَغَوْرَ النَّاسِ، وَأَقِمِ اللَّيْلَ، وَرَقَّةَ فِي السَّيْرِ، وَلَا تَسِرْ فِي اللَّيْلِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ سَكَنًا، أَرِحْ فِيهِ بَدَنَكَ وَجُنْدَكَ وَظَهْرَكَ، فَإِذَا كَانَ السَّحَرُ أَوْ حِينَ يَنْبَطِحُ الْفَجْرُ فَسِرْ»

. «١»

كان مَعْقِلُ من الرؤساء الَّذِينَ يَأْمُرُهُمُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْقِتَالِ فِي صَفِّينَ كُلِّ يَوْمٍ وَاحِدًا مِنْهُمْ. «٢»

كان مَعْقِلُ بْنُ قَيْسِ الرِّيَّاحِيِّ مِنَ الرُّسَاءِ الْمَخْلُصِينَ، الَّذِينَ قَامُوا إِلَى أَبِي الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَكَلَّمُوهُ وَأَظْهَرُوا لَهُ الْإِخْلَاصَ، بِمِثْلِ كَلَامِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ فِي الْإِجَابَةِ وَالْقَبُولِ، فَقَالَ لَهُمُ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«صَدَقْتُمْ رَحِمَكُمُ اللَّهُ، مَا زِلْتُ أَعْرِفُكُمْ بِصِدْقِ النَّبِيِّ وَالْوَفَاءِ وَالْقَبُولِ وَالْمَوَدَّةِ الصَّحِيحَةِ، فَجَزَاكُمُ اللَّهُ خَيْرًا»

. [كَلَامُ عَدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ] ... ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْحَسَنَ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: أَصَابَ اللَّهُ بِكَ الْمَرَّاشِدَ، وَجَنَّبَكَ الْمَكَارَهَ، وَوَفَّقَكَ لِمَا يُحْمَدُ وَرَدُّهُ وَصَدْرُهُ، قَدْ سَمِعْنَا مَقَالَاتِكَ، وَانْتَهَيْنَا إِلَى أَمْرِكَ وَسَمِعْنَا لَكَ، وَأَطَعْنَاكَ فِيمَا قُلْتَ وَمَا رَأَيْتَ. «٣»

[لَمَّا أَغَارَ سُفْيَانُ بْنُ عَوْفٍ الْغَامِذِيُّ عَلَى الْأَنْبَارِ ... خُطِبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّاسَ وَحَرَّضَهُمْ وَأَنْبَهَهُمْ ...] فَلَمَّا دَخَلَ مَنْزِلَهُ وَدَخَلَ عَلَيْهِ وَجْوهُ أَصْحَابِهِ، قَالَ لَهُمْ:

«أَشِيرُوا عَلَى بَرَجُلٍ صَلِيبٍ نَاصِحٍ يَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ السَّوَادِ»

، فَقَالَ لَهُ سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَشِيرُ عَلَيْكَ بِالنَّاصِحِ الْأَرِيبِ، الشُّجَاعِ

(١). وقعة صفين: ص ١٤٨؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ٢٠٨، ربيع الأبرار: ج ٢ ص ٣٩٤.

(٢). وقعة صفين: ص ١٩٥، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٤٢٨.

(٣). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ٣٩، مقاتل الطالبين: ص ٧٠؛ بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٥٠.

ص: ٤٦

الصَّلِيبِ، مَعْقِلُ بْنُ قَيْسِ التَّمِيمِيِّ، قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ دَعَاهُ فَوَجَّهَهُ، فَسَارَ فَلَمْ يَقْدَمْ حَتَّى أَصِيبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. «١»

لَمَّا نَدَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْخُرُوجِ إِلَى الشَّامِ ثَانِيًا، بَعْدَ الْحَكَمِينَ، وَ أَمَرَ كُلَّ رَئِيسٍ أَنْ يَكْتُبَ: مَا عَشِيرَتُهُ وَ مَوَالِيَهُمْ وَ يَرْفَعَهُ إِلَيْهِ. أَجَابَهُ جَمْعٌ مِنْهُمْ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسِ الرِّيَّاحِيِّ. «٢» وَ كَانَ مَعْقِلُ فِي حَرْبِ الْخَوَارِجِ: عَلَى مِيسَرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. «٣»

عند ما أغار يزيد بن شجرة على مكة و المدينة، هبَّ مَعْقِلٌ إلى مواجهته، فأسرَّ عدداً من أصحابه، و لاذ بالاقون بالفرار «٤».

لمّا عزم الإمام عليه السلام على معاودة قتال معاوية بعد إخماد فتنة النُّهروان، و استبان الاستعداد النَّسبي الَّذي أبداه أهل الكوفة للقتال، ذهب مَعْقِلٌ إلى أطراف الكوفة لجمع المقاتلين، لكنّه تلقّى - و هو في مهمّته - الخبر المُفجِعَ لاستشهاد الإمام علىّ عليه السلام «٥».

أقول: و الَّذي تحصّل ممّا سردنا، أنّه كان من رجال الحرب، و فرسان الطّعان من زمن عمر، و حضر الحروب في عصره، ثمّ صار إلى أمير المؤمنين عليه السلام، و كان من رجاله المعروفين و الشجعان المشهورين، و كان ناصحاً أريباً، و شجاعاً صليماً، و ظهر منه في تلكم الحروب ما يحكى عن بسالته و عقله و تدبيره، حتّى

(١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٩٠؛ الغارات: ج ٢ ص ٤٨٢.

(٢) راجع: تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٧٩، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٠٢.

(٣) راجع: تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٨٥.

(٤). الغارات: ج ٢ ص ٥١١.

(٥). الغارات: ج ٢ ص ٦٣٨؛ الأخبار الطوال: ص ٢١٣.

ص: ٤٧

وقع عند أمير المؤمنين عليه السلام موقع الرّضا و القبول. و الَّذي أتعجّبُ منه، هو مقاتلته مع المستورد تحت راية معاوية، و هو هو، و الرّاية رايتنه، و الحكومة حكومته الغاشمة الظّالمة، بل الكافرة.

و الَّذي يحتمل، هو أن يكون مجبوراً لا خيار له، أو حاربهم من أجل أنّهم يبغيضون عليّاً عليه السلام و يُكفّرونه.

قال الطّبري: فلمّا أراد الخروج (لحرب خريّت) أقبل إلى علىّ عليه السلام فودّعه عليه السلام فقال:

«يا مَعْقِلُ، اتَّقِ اللَّهَ ما اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّهَا وصِيَّةُ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ، لا تَبْغِ عَلَى أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَ لا تَظْلِمِ أَهْلَ الدِّمَةِ، وَ لا تَتَكَبَّرْ، فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُتَكَبِّرِينَ»

. «١»

في سنة ٤٣ هـ خرج المُستورد - أحد أقطاب الخوارج - في أيّام حكومة معاوية الغاصبة «٢»، و هو يريد الشيعة، فنهض مَعْقِلٌ إلى قتاله. و استشهد بعد أن دحر جيشه و قتله في مبارزة بينهما «٣». وصفه سعيد بن قيس بأنّه: ناصح أريب، صليب شجاع «٤».

من أصحاب الإمام عليه السلام «٥»، و شهد معه حروبه «٦». و جعله الإمام عليه السلام أحد الشُّهود

(١). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٢٢.

(٢). أنساب الأشراف: ج ٥ ص ١٧٥.

(٣). أنساب الأشراف: ج ٥ ص ١٧٦ و ١٧٧، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٢٠٦، الكامل للمبرّد: ج ٣ ص ١١٦٣، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٦٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ٩٢.

(٤). الأُمالي للطوسي: ص ١٧٤ ح ٢٩٣، الغارات: ج ٢ ص ٦٣٨.

(٥). تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٥ ص ١٤٧.

(٦). الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٦٧، الأخبار الموقّيات: ج ٥٧٥ ص ٣٧٤.

ص: ٤٨

في التَّحْكِيم «١». استعمله الإمام عليه السلام على الرَّيِّ «٢» و دَسْتَبَى «٣». لكنّه انتهج الخيانة، إذ نقل ابن الأثير أنّه استحوذ على ثلاثين ألف درهم من بيت المال؛ و طالبه الإمام بالنقص الحاصل في بيت المال، فأنكر ذلك، فجلده «٤» و سجنه، ففرّ من السّجن و التَّحَقَّ بمعاوية «٥». و شهد على حُجْر بن عَدِيّ حين أراد معاوية قتله. «٦»

١١ كتابه عليه السلام إلى مصقلة بن هبيرة الشَّيبَانِيّ

و هو عامله على أردشير خُرّة:

بَلَّغْنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ إِلَهَكَ، وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ، أَنْكَ تَقْسِمُ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِي حَازَتْهُ رَمَاحُهُمْ وَخِيُولُهُمْ وَأَرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ فِيمَنْ اِعْتَمَاكَ مِنْ أَغْرَابِ قَوْمِكَ، فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسْمَةَ، لَيْتَن كَانَ ذَلِكَ حَقًّا لَتَجِدَنَّ لَكَ

(١). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٥٤، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٨٩، تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٥ ص ١٤٧ و فيه «كان أحد الشُّهود في كتاب الصلح».

(٢) الرَّيُّ: مدينة من بلاد فارس، و النسبة إليها «الرازي» (تقويم البلدان: ص ٤٢١). و هي اليوم تعدّ إحدى نواحي مدينة طهران و ضواحيها.

(٣) دَسْتَبَى: كورة (بلدة) كبيرة كانت مقسومة بين الرى و همذان؛ فقسم منها يسمّى «دستبى الرازى» و قسم منها يسمّى «دستبى همذان» (معجم البلدان: ج ٢ ص ٤٥٤). الغارات: ج ٢ ص ٥٢٥؛ أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٢١٥ و ٢١٦، الأخبار الموقّيات: ج ٥٧٥ ص ٣٧٤، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٣٦٧، تاريخ مدينة دمشق:

ج ٦٥ ص ١٤٧، و فيهما «استعمله على الرى».

(٤). الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٣٦٧.

(٥). الغارات: ج ٢ ص ٥٢٥ - ٥٢٨؛ أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٢١٦، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٣٦٧، الأخبار الموقّيات: ج ٥٧٥ ص ٣٧٤ و ليس فيه «حبسه»، تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٥ ص ١٤٧.

(٦). الغارات: ج ٢ ص ٥٢٨؛ أنساب الأشراف: ج ٥ ص ٢٦٨، تاريخ الطبرى: ج ٥ ص ٢٧٣.

ص: ٤٩

عَلَى هَوَانًا، وَلَتَخَفَنَّ عِنْدِي مِيزَانًا، فَلَا تَسْتَهِنِ بِحَقِّ رَبِّكَ، وَلَا تُصْلِحْ دُنْيَاكَ بِمَحَقِّ دِينِكَ، فَتَكُونَ مِنَ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا، أَلَا وَإِنَّ حَقَّ مَنْ قَبْلَكَ وَقَبْلَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي قِسْمَةِ هَذَا الْفَىءِ سَوَاءٌ يَرِدُونَ عِنْدِي عَلَيْهِ وَيَصْدُرُونَ عَنْهُ.

«١»

قال اليعقوبى: بلغ أمير المؤمنين عليه السلام أن مصقلة يفرّق و يهب الأموال (أى أموال أردشير خرة) و كان عليها، فكتب إليه:

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ أَكْبَرْتُ أَنْ أَصَدِّقَهُ؛ أَنَّكَ تَقْسِمُ فِي الْمُسْلِمِينَ فِي قَوْمِكَ، وَمَنْ اعْتَرَاكَ مِنَ السَّأَلَةِ وَالْأَحْزَابِ، وَأَهْلِ الْكَذِبِ مِنَ الشُّعْرَاءِ، كَمَا تُقَسِّمُ الْجَوْزَ، فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَأُفْتِشَنَّ عَنْ ذَلِكَ تَفْتِيشًا شَافِيًا، فَإِنْ وَجَدْتُهُ حَقًّا لَتَجِدَنَّ بِنَفْسِكَ عَلَى هَوَانًا، فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ أَعْمَالًا، «الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا»» «٢».

فكتب مصقلة فى الجواب:

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَيْسَ أَلْ إِنْ كَانَ حَقًّا، فَلْيَعْجَلْ عِزْلِي بَعْدَ نِكَالِي، فَكُلَّ مَمْلُوكِي حَرًّا، وَ عَلَى آثَامُ رِبِيعَةٍ وَ مَضْرٍ، إِنْ كُنْتَ رَزَأْتُ «٣» مِنْ عَمَلِي دِينَارًا وَ لَا دِرْهَمًا وَ لَا غَيْرَهُمَا، مِنْذُ وَلَّيْتَهُ إِلَى أَنْ وَرَدَ عَلَى كِتَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَ لَتَعْلَمَنَّ أَنَّ الْعِزْلَ أَهْوَنُ عَلَىَّ مِنَ التُّهْمَةِ.

فلما قرأ كتابه قال:

ما أَظُنُّ أَبَا الْفَضْلِ إِلَّا صَادِقًا.

«٤»

و نقل أنساب الأشراف بنحو آخر أحببت إirاده هنا، و هو:

(١). نهج البلاغة: الكتاب ٤٣، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٥١٦ ح ٧١٢؛ نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ١٧٥.

(٢) الكهف: ١٠٤.

(٣) يقال: رزأ - من باب منع، و المصدر كالمنع و القفل و المعركة - رزا و رزأ و مرزنة الرجل ماله: نقصة.

(٤). تاريخ اليعقوبى: ج ٢ ص ٢٠١.

ص: ٥٠

«بلغنى عَنكَ أمرٌ، إن كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَتَيْتَ شَيْئاً إِذَا «١»، بَلَّغْنِي أَنَّكَ تَقْسِمُ فِى ٱ الْمُسْلِمِينَ فِيمَنْ اِعْتَنَاكَ وَتَغَشَّاكَ مِنْ أَعرَابِ بَكْرِينَ وَاِئِلْ، فَوَ الَّذِى فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، وَاِحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً، لَئِنْ كَانَ ذَلِكَ حَقًّا لَتَجِدَنَّ بَكَ عَلَى هَوَانًا، فَلَا تَسْتَهِينَنَّ بِحَقِّ رَبِّكَ، وَلَا تُصْلِحَنَّ دُنْيَاكَ بِفَسَادِ دِينِكَ وَمَحَقِّهِ، فَتَكُونَ مِنَ الْاُخْسَرِينَ اَعْمَالًا، «الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ اَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا» «٢»»

. «٣»

[أقول: كان مصقلة بن هبيرة الشَّيبَانِيَّ عاملاً على أردشير خُرَّة، و أردشير خُرَّة: كورة من كور فارس، و قد مرَّ كتاب له عليه السلام حين اشترى سبى بنى ناجية و أعتقهم،] و آخر المال، فكتب إليه على عليه السلام بما قدمنا، ثُمَّ هرب مصقلة إلى معاوية، فلمَّا بلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام، قال:

«قَبِّحَ اللَّهُ مَصْقَلَةَ فَعَلَ فِعْلَ السَّادَةِ، وَفَرَّ فَرَارَ الْعَبِيدِ، فَمَا اَنْطَقَ مَا دِحَهُ حَتَّى اُسْكَنَتْهُ، وَلَا صَدَّقَ وَاَصِفَهُ حَتَّى بَكَّتَهُ، وَلَوْ اَقَامَ لِاُخْذِنَا مِيسُورَهُ، وَاَنْتَظَرْنَا بِمَالِهِ وُفُورَهُ.»

«٤»

مَصْقَلَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ

كان أحد أصحاب الإمام عليه السلام «٥»، و نائب ابن عباس، و والى أردشير خُرَّة «٦» «٧»،

(١). الراغب: أى أمراً منكراً يقع فيه جلبية.

(٢) الكهف: ١٠٤.

(٣). أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٨٩.

(٤). نهج البلاغة: الخطبة ٤٤.

(٥). رجال الطوسي: ص ٨٣ الرقم ٨٣٢.

(٦) أردشير خُرة: من أجلّ بقاع فارس، و قد بناها أردشير بابكان، و منها مدينة شيراز و ميمند و كازرون، و هي بلدة قديمة (راجع معجم البلدان: ج ١ ص ١٤٦).

(٧). أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٨٩، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٨ ص ٢٦٩ الرقم ٧٤٥٠؛ نهج البلاغة: الكتاب ٤٣ و فيه «هو عامله على أردشير خُرة»، تاريخ يعقوبى: ج ٢ ص ٢٠١ و فيه «يهب أموال أردشير خُرة و كان عليها».

ص: ٥١

فكان عاملاً غير مباشر للإمام عليه السلام.

و فى سنة ٣٨ هـ «١»، لما ظهر معقل بن قيس على الثوار المرتدين من بنى ناجية و أسرهم، اشتراهم مصقلة، و أطلق سراحهم، ثم لم يتمكن من أداء قيمتهم إلى بيت المال. «٢»

مضافاً إلى تصرفه فى أموال بيت المال، بالبذل لأقربائه، و العفو عمّا عليهم.

و لهذا استدعاه الإمام و عاتبه على تصرفه غير المشروع فى بيت مال المسلمين، و إتلافه للأموال، و طلب منه ردّ ما أخذه من بيت المال لفكّ الأسرى.

فعظم ذلك على مصقلة، حيث لم يكن يتصور أنّ الإمام يعامله بهذه الشدّة، بعد أن رأى عطاء عثمان و هباته من بيت المال، بل كان يأمل عفو الإمام. فلما لم يصل إلى أمّله فرّ و التحق بمعاوية «٣». و لهذا قال الإمام عليه السلام فى حقّه:

«فَعَلَ فِعْلَ السَّادَةِ، وَفَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ»

«٤».

لقد شغل مصقلة بعض المناصب فى حكومة معاوية «٥». و شهد على حُجر بن

(١). تاريخ الطبرى: ج ٥ ص ١٢٨.

(٢). تهذيب الأحكام: ج ١٠ ص ١٤٠ ح ٥٥١، نهج البلاغة: الخطبة ٤٤؛ أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٨١، مروج الذهب: ج ٢ ص ٤١٩، تاريخ الطبرى: ج ٥ ص ١٢٨، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٨ ص ٢٧٠ الرقم ٧٤٥٠.

(٣). أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٨١، تاريخ الطبرى: ج ٥ ص ١٢٩ و ١٣٠، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٤٢١ و ٤٢٢، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٨ ص ٢٧٢ الرقم ٧٤٥٠؛ الغارات: ج ١ ص ٣٦٤ - ٣٦٦، رجال الطوسي:

ص ٨٣ الرقم ٨٣٢ وفيه «هرب إلى معاوية».

(٤). أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٨١، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٢٩ و ١٣٠، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٢١ و ٤٢٢، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٨ ص ٢٧٢ الرقم ٧٤٥٠؛ الغارات: ج ١ ص ٣٦٤ - ٣٦٦، رجال الطوسي:

ص ٨٣ الرقم ٨٣٢ وفيه «هرب إلى معاوية».

(٥). أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٨٣ وج ٥ ص ٢٧٨، تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٦٩، تاريخ مدينة دمشق:

ج ٥٨ ص ٢٧٣ الرقم ٧٤٥٠.

ص: ٥٢

عَدِيّ حين أراد معاوية قتله. «١»

في مروج الذهب: مضى الحارث بن راشد الناجي في ثلاثمائة من الناس فارتدوا إلى دين النصرانية ... فسرح إليهم عليّ مَعْقِل بن قَيْس الرياحي، فقتل الحارث و من معه من المرتدين بسيف البحر، و سبى عيالهم و ذراريهم، و ذلك بساحل البحرين، فنزل مَعْقِل بن قَيْس بعض كُور الأهواز بسبى القوم، و كان هنالك مصقلة بن هبيرة الشَّيبانيّ عاملاً لعلّى، فصاح به النسوة: امنن علينا، فاشتراهم بثلاثمائة ألف درهم و أعتقهم، و أدّى من المال مائتي ألف، و هرب إلى معاوية.

فقال عليّ:

قَبَحَ اللَّهُ مِصْقَلَةً! فَعَلَ فِعْلَ السَّيِّدِ، وَفَرَّ فِرَارَ الْعَبْدِ، لَوْ أَقَامَ أَخْذَنَا مَا قَدَرْنَا عَلَى أَخْذِهِ؛ فَإِنْ أَعْسَرَ أَنْظَرْنَا، وَإِنْ عَجَزَ لَمْ نَأْخُذْهُ بِشَيْءٍ

، و أنفذ العتق.

و فى ذلك يقول مصقلة بن هبيرة، من أبيات:

تَرَكْتُ نِسَاءَ الْحَيِّ بُكْرٍ بِنِ وَاثِلٍ وَ أَعْتَقْتُ سَبِيًّا مِنْ لُؤَيٍّ بِنِ غَالِبِ
و فَارَقْتُ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ لِمَالٍ قَلِيلٍ لَا مَحَالَةَ ذَاهِبِ «٢»

و فى الغارات عن عبد الله بن قعين - بعد ما اشترى مصقلة اسارى بنى ناجية -:

انتظر علىّ عليه السلام مصقلة أن يبعث إليه بالمال، فأبطأ به، فبلغ عليّ عليه السلام أن مصقلة خلى سبيل الاسارى، و لم يسألهم أن يعينوه فى فكاك أنفسهم بشيء. فقال: ما أرى مصقلة إلّا قد حمل حمالة «٣»، لا أراكم إلّا سترونه عن قريب مُبْلَدَحًا «٤»

(١). أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٨٣ و ج ٥ ص ٢٧٨، تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٦٩، تاريخ مدينة دمشق:

ج ٥٨ ص ٢٧٣ الرقم ٧٤٥٠.

(٢). مروج الذهب: ج ٢ ص ٤١٨ و ٤١٩ و راجع تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٣٠، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٢٢، نهج البلاغة: الخطبة ٤٤.

(٣) الحَمالة: ما يتحمّله الإنسان عن غيره من دية أو غرامة (النهاية: ج ١ ص ٤٤٢).

(٤) بلدح الرجل: إذا ضرب بنفسه على الأرض (تاج العروس: ج ٤ ص ١٦).

ص:٥٣

ثم كتب إليه:

«أما بعد؛ فإن من أعظم الخيانة خيانة الامة، وأعظم الغش على أهل المِصر غش الإمام، وعندك من حقّ المسلمين خمسمئة ألف درهم، فأبعث إليّ بها حين يأتيك رسولِي، وإلّا فأقبل إليّ حين تنظر في كتابي؛ فإنّي قد تقدّمتُ إلى رسولِي أن لا يدعَكَ ساعةً واحدةً تُقيمُ بعدُ قدومه عليك إلّا أن تبعثَ بالمال، والسّلامُ».

قال: و كان الرسولُ أبا حرّة الحنفي، فقال له أبو حرّة: إن تبعث بهذا المال و إلّا فاشخصّ معي إلى أمير المؤمنين، فلما قرأ كتابه أقبل حتّى نزل البصرة، و كان العمّال يحملون المال من كور البصرة إلى ابن عبّاس، فيكون ابن عبّاس هو الذي يبعث به إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له: نعم أنظرني أيّاماً، ثم أقبل من البصرة حتّى أتى عليّاً عليه السلام بالكوفة، فأقرّه علىّ عليه السلام أيّاماً لم يذكر له شيئاً ثمّ سأله المال، فأدّى إليه مائتي ألف درهم، و عجز عن الباقي فلم يقدر عليه «١».

و عن ذهل بن الحارث: دعاني مصقلة إلى رحله، فقدم عشاءً قطعنا منه، ثمّ قال: و الله، إن أمير المؤمنين يسألني هذا المال، و و الله لا أقدر عليه، فقلت له: لو شئت لا يمضي عليك جمعة حتّى تجمع هذا المال، فقال: و الله، ما كنت لأحملها قومي، و لا أطلب فيها إلى أحد.

ثمّ قال: أما و الله، لو أن ابن هند يطالبني بها، أو ابن عفّان لتركها لي، أ لم تر إلى ابن عفّان، حيث أطعم الأشعث بن قيس مائة ألف درهم من خراج أذربيجان

(١). الغارات: ج ١ ص ٣٦٤؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٢٩، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٨ ص ٢٧١ الرقم ٧٤٥٠ كلاهما عن عبد الله بن ققيم و فيهما «مُلبداً» بدل «مُبلدحاً»، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ١٤٤ و راجع أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٨١، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٢١، الفتوح: ج ٤ ص ٢٤٤ و البداية و النهاية: ج ٧ ص ٣١٠.

ص:٥٤

فى كل سنة، فقلت: إن هذا لا يرى ذلك الرأى و ما هو بتارك لك شيئاً، فسكت ساعة و سكت عنه، فما مكث ليلة واحدة بعد هذا الكلام حتى لحق بمعاوية، فبلغ ذلك علياً عليه السلام فقال:

«ما له؟! ترحه «١» الله! فعل فعل السيد، وفر فرار العبد، وخان خيانة الفاجر، أما إنه لو أقام فعجز ما زدنا على حبسه؛ فإن وجدنا له شيئاً أخذناه، وإن لم نقدر له على مال تركناه»

، ثم سار إلى داره فهدمها «٢».

١٢ كتابه عليه السلام إلى قثم بن العباس

من كتاب له عليه السلام إلى قثم بن العباس، و هو عامله على مكة:

«أما بعد، فإن عيني بالمغرب كتب إلي، يعلمني أنه وجه إلى الموسم أناس من أهل الشام، العمى القلوب، الصم الأسماع، الكمه الأبصار، الذين يلبسون الحق بالباطل، ويطيعون المخلوق في معصية الخالق، ويحتلبون الدنيا درهماً بالدين، ويشترون عاجلها بأجل الأبرار المتقين، ولن يفوز بالخير إلا عامله، ولا يجزى جزاء الشر إلا فاعله.

فأقم على ما في يدك قيام الحازم الصليب، والناصح اللبيب، التابع لسلطانته، المطيع لإمامه، وإياك وما يعتذر منه، ولا تكن عند النعماء بطراً، ولا عند البأساء فشلاً، والسلام».

«٣»

(١) الترح: ضد الفرح؛ و هو الهلاك و الانقطاع أيضاً (النهاية: ج ١ ص ١٨٦).

(٢). الغارات: ج ١ ص ٣٦٥؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٣٠، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٨ ص ٢٧٢ الرقم ٧٤٥٠ كلاهما عن عبد الله بن قسيم نحوه و راجع أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٨١ و ١٨٢، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٢١، الفتوح: ج ٤ ص ٢٤٤، البداية و النهاية: ج ٧ ص ٣١٠.

(٣). نهج البلاغة: الكتاب ٣٣ و راجع: الغارات: ج ١ ص ٥٠١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ١٣٩.

ص: ٥٥

قثم بن العباس

قثم بن العباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، و أمه أم الفضل، لبابة بنت الحارث من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله «١»، و أخو أحد الحسينين عليهما السلام من الرضا «٢»، أثنوا عليه بالمعرفة القويّة و الفضل و الفضيلة. ولى مكة «٣» و الطائف «٤» طيلة خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. و صار أمير الحج سنة ٣٨ هـ «٥». و عند ما أغار بسر بن أرطاة على مكة، فر منها «٦» ثم عاد إليها بعد خروج بسر. «٧»

كان قُتَمَ حاضراً في مسجد الكوفة، عند ما ضرب الإمام عليه السلام، و هو الذى قبض على ابن ملجم «أ».

توفى قُتَمَ فى فتح سمرقند «٩» أيام معاوية «١٠»

(١). مسند ابن حنبل: ج ١ ص ٤٤٠ ح ١٧٦٠، التاريخ الكبير: ج ٧ ص ١٩٤ ح ٨٦٣، سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٤٠ الرقم ٨٢، اسد الغابة: ج ٤ ص ٣٧٣ الرقم ٢٢٧٩ و فيها «قد أوقفه النبى صلى الله عليه و آله خلفه».

(٢). مسند ابن حنبل: ج ١٠ ص ٢٥٦ ح ٢٦٩٣٩، الإصابة: ج ٥ ص ٣٢٠ الرقم ٧٠٩٦، أنساب الأشراف: ج ٤ ص ٨٥، سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٤٠ الرقم ٨٢.

(٣). تاريخ الطبرى: ج ٥ ص ٩٢ و ص ١٥٥، تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٥٢ و فيه «ولها أبا قتادة الأنصارى ثم عزله و ولّى قُتَمَ بن عبّاس، فلم يزل والياً حتّى قتل على»؛ نهج البلاغة: الكتاب ٦٧، تاريخ يعقوبى: ج ٢ ص ١٧٩.

(٤). تاريخ الطبرى: ج ٥ ص ٩٢ و ص ١٥٥.

(٥). تاريخ الطبرى: ج ٥ ص ١٣٢، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٢٢٤؛ تاريخ يعقوبى: ج ٢ ص ٢١٣ و فيه «أقام الحجّ للناس ... و فى سنة ٣٧ قُتَمَ بن العبّاس و قيل: عبد الله بن العبّاس».

(٦). تاريخ الطبرى: ج ٥ ص ١٣٢، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٢٢٤؛ تاريخ يعقوبى: ج ٢ ص ٢١٣ و فيه «أقام الحجّ للناس ... و فى سنة ٣٧ قُتَمَ بن العبّاس و قيل: عبد الله بن العبّاس».

(٧). الغارات: ج ٢ ص ٦٢١.

(٨). تاريخ يعقوبى: ج ٢ ص ٢١٢.

(٩). سمرقند: بلد معروف فى خراسان و هو الآن فى طاجيكستان.

(١٠). تاريخ يعقوبى: ج ٢ ص ٢٣٧؛ الطبقات الكبرى: ج ٧ ص ٣٦٧، أنساب الأشراف: ج ٤ ص ٨٦ و فيه «و يقال استشهد بها»، اسد الغابة: ج ٤ ص ٣٧٤ الرقم ٢٢٧٩ و فيه «مات بها شهيداً».

ص: ٥٦

فى الاستيعاب: كان قُتَمَ بن العبّاس والياً لعلّى بن أبى طالب على مكّة، و ذلك أنّ عليّاً لما ولى الخلافة عزل خالد بن العاصى بن هشام بن المغيرة المخزومى عن مكّة، و ولّاها أبا قتادة الأنصارى، ثم عزله، و ولّى قُتَمَ بن العبّاس، فلم يزل والياً عليها حتّى قُتِلَ علىّ رضى الله عنه «١».

و فى المستدرک على الصحيحين عن أبى إسحاق: سألت قُتَمَ بن العبّاس:

كيف ورث عليّ رسول الله صلى الله عليه وآله دونكم؟ قال: لأنّه كان أولنا به لحوقاً، و أشدنا به لزوقاً «٢».

و فى الطبقات الكبرى: غزا قُتَم خراسان، و كان عليها سعيد بن عثمان فقال له:

أضرب لك بألف سهم، فقال: لا، بل اخمّس، ثم أعطى الناس حقوقهم، ثم أعطنى بعد ما شئت. و كان قُتَم ورعاً فاضلاً، و توفى بسمرقند «٣».

١٣ كتابه عليه السلام إلى بعض عمّاله

«أما بعد، فإننى كنتُ أشركتُك فى أمانتى، وجعلتُك شِعارى وِطائتى، ولم يكنْ رَجُلٌ من أهلى أوثقَ منك فى نفسى؛ لمَواساتى، ومَوازرتى وأداء الأمانةِ إلىّ.

فلَمّا رأيتَ الزّمانَ على ابنِ عمِّك قد كَلِبَ، والعُدُوّ قد حَرِبَ، وأمانةُ الناسِ قدْ

(١). الاستيعاب: ج ٣ ص ٣٦٣ الرقم ٢١٩٠، تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٥٢.

(٢). المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ١٣٦ ح ٤٦٣٣، المعجم الكبير: ج ٩ ص ٠ ح ٨٦ و ح ٨٥ نحوه، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٢ ص ٣٩٣، اسد الغابة: ج ٤ ص ٣٧٣ الرقم ٤٢٧٩.

(٣). الطبقات الكبرى: ج ٧ ص ٣٦٧ و راجع أنساب الأشراف: ج ٤ ص ٨٦.

ص: ٥٧

خزيت، وهذه الأُمّة قد فنكت «١» وشغرت «٢»، قَلَبْتَ لَئِنْ عَمَّكَ ظَهَرَ الْمِجَنِّ، فَفَارَقْتَهُ مَعَ الْمُفَارِقِينَ، وَخَذَلْتَهُ مَعَ الْخَاذِلِينَ، وَخُنْتَهُ مَعَ الْخَائِنِينَ، فَلَا ابْنَ عَمِّكَ آسَيْتَ، وَلَا الْأَمَانَةَ أَدَيْتَ، وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ اللَّهُ تُرِيدُ بِجَهَادِكَ، وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ، وَكَأَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَنْ دُنْيَاهُمْ، وَتَتَوَى غِرَّتَهُمْ عَنْ فَيْئِهِمْ، فَلَمَّا أَمَكَّنْتَكَ الشَّدَّةَ فِي خِيَانَةِ الْأُمَّةِ أَسْرَعْتَ الْكَرَّةَ، وَعَاجَلْتَ الْوَيْبَةَ، وَاخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمُ الْمَصُونَةِ لِأَرْامِلِهِمْ وَأَيْتَامِهِمْ، اخْتَطَفَ الذُّنْبُ الْأَزْلَ دَامِيَةَ الْمُغْزَى الْكَسِيرَةَ، فَحَمَلْتَهُ إِلَى الْحِجَازِ رَحِيبَ الصَّدْرِ بِحَمْلِهِ، غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ مِنْ أَخْذِهِ، كَأَنَّكَ لَا أَبَا لِغَيْرِكَ حَدَرْتَ إِلَى أَهْلِكَ تُرَائِكَ مِنْ أَبِيكَ وَأُمِّكَ.

فَسُبْحَانَ اللَّهِ! أَمَا تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ؟! أَوْ مَا تَخَافُ نِقَاشَ الْحِسَابِ!؟

أَيُّهَا الْمَعْدُودُ كَانَ عِنْدَنَا مِنْ أَوْلَى الْأَلْبَابِ، كَيْفَ تُسَيِّغُ شَرَاباً وَطَعَاماً، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَاماً، وَتَشْرَبُ حَرَاماً، وَتَبْتَاعُ الْإِمَاءَ، وَتَنْكِحُ النِّسَاءَ مِنْ أَمْوَالِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ آفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْأَمْوَالُ، وَأَحْرَزَ بِهِمْ هَذِهِ الْبِلَادُ!

فَاتَّقِ اللَّهَ، وَارْذُذْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمَكَّنِي اللَّهُ مِنْكَ لَأُعْذِرَنَّ إِلَى اللَّهِ فِيكَ، وَلَأُضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِي الَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَدًا، إِلَّا دَخَلَ النَّارَ، وَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَعَلَا مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَّةٌ، وَلَا ظَفِيرًا مِنْي بِإِرَادَةٍ، حَتَّى آخِذَ الْحَقِّ مِنْهُمَا، وَأُزِيحَ الْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتَيْهِمَا.

(١) فَكَتَبْتَ: الْفَنَكَ الْكَذِبَ وَالتَّعَدَّى. (لسان العرب ج ١ ص ٤٧٩).

(٢) شَعَرْتُ: الْأَرْضُ وَ الْبَكَدُ أَيْ خَلَتْ مِنَ النَّاسِ، وَ لَمْ يَبْقَ بِهَا أَحَدٌ يَحْمِيهَا وَ يَضْبُطُهَا. (لسان العرب: ج ٤ ص ٤١٧).

ص: ٥٨

وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَا أَخَذْتَهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلَالٌ لِي أَتْرُكُهُ مِيرَاثًا لِمَنْ بَعْدِي.

فَضَحَّ رُوَيْدًا فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ الْمَدَى، وَدَفَنْتَ تَحْتَ الثَّرَى، وَعَرِضْتَ عَلَيْكَ أَعْمَالُكَ بِالْمَحَلِّ الَّذِي يُنَادِي الظَّالِمُ فِيهِ بِالْحَسْرَةِ، وَيَتَمَنَّى الْمُضْطَبُّ فِيهِ الرَّجْعَةَ، وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ!.

«١»

١٤ كتابه عليه السلام إلى معاوية

«أَمَّا بَعْدُ؛ يَا مُعَاوِيَةُ، فَإِنَّ اللَّهَ عَدْلٌ لَا يَجُورُ، وَعَزِيزٌ لَا يُغْلَبُ، يَجْرِي بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا، وَهُوَ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُ الْعِبَادُ، وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ لَمْ تُخْلَقْ لِلدُّنْيَا وَالْخُلُودِ فِيهَا، بَلْ أَنْتَ رَاجِعٌ إِلَى رَبِّكَ فَمُلَاقِيهِ، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا مُعَاوِيَةُ، وَأَنْصِفْ مِنْ نَفْسِكَ، وَلَا تُطْغِيَنَّكَ الْأَمَانِيُّ الْبَاطِلَةُ وَالْغُرُورُ، فَإِنِّي مُؤَلٌّ «٢» بِاللَّهِ أَلِيَّةَ صِدْقٍ، لِنِّ جَمْعَتْنِي وَأَيَّاكَ دَارَ الْأُرَايِلَنِّكَ أَبَدًا، أَوْ يَفْتَحُ اللَّهُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ، فَأُطْلِقُ مَنْ فِي يَدَيْكَ مِنْ إِخْوَانِنَا حَتَّى نُطْلِقَ مَنْ فِي أَيْدِينَا مِنْ أَصْحَابِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ فِي ذَلِكَ مَوْلَايَ سَعْدًا - وَالسَّلَامُ «٣»».

[أقول: قَالَ ابْنُ أَعْتَمٍ:] بَعَثَ مُعَاوِيَةُ أَيْضًا بَرَجِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ يَقَالُ لَهُ:

(١). نهج البلاغة: الكتاب ٤١ و راجع: رجال الكشي: ص ٦٠ الرقم ١١٠؛ نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ١٦٧، العقد الفريد: ج ٤ ص ٣٥٧، عيون الأخبار لابن قتيبة: ج ١ ص ٧٥ وج ٢ ص ٨٢، أنساب الأشراف:

ج ٢ ص ١٧٤.

(٢) الْأَلِيَّةُ: الْحَلْفُ، أَلَى إِيْلَاءٍ مِثْلَ آتَى إِيْتَاءً إِذَا حَلَفَ فَهُوَ مُؤَلٌّ. (المصباح المنير ص ٢٠).

(٣). الفتوح: ج ٤ ص ٢٢٥.

ص: ٥٩

الحارث بن نمر التَّنُوخِي، في ألف رجل من حماة أهل الشَّام، و أمره بالغارة على بلاد الجزيرة مِمَّنْ هُمْ في طاعةِ عليٍّ رضى الله عنه. قال: فأقبلتُ خَيْلُ أهل الشَّام حَتَّى بلغت تخوم صَفِّين و دارا «١»، فأغاروا على قوم من بنى تَغْلِبَ مِمَّنْ كانوا في طاعةِ عليٍّ رضى الله عنه، فأسروا منهم ثمانية نفر، و انصرفوا راجعين إلى الشَّام؛ و قام رجل من أهل الجزيرة يقال له عُتْبَةُ بن الوعل، فجمع قومه من بنى تَغْلِبَ، ثُمَّ صار إلى جسر منبج، فعبر الفرات و أغار على أوائل الشَّام، فغنم غنائم كثيرة و رجع إلى بلاد الجزيرة؛ و أنشأ يقول:

أَلَا أَبْلُغُ مُعَاوِيَةَ بْنَ صَخْرٍ	فَإِنِّي قَدْ أَغَرْتُ كَمَا تُغِيرُ
صَبَحْنَا مَنبِجاً بِالْخَيْلِ تُرْدَى	شَوَازِبُ فِي أَيَّاطِلِهَا «٢» ضَمِيرُ
بِكُلِّ سَمِيدٍ مَاضٍ جَسُورٍ	عَلَى الْأَهْوَالِ فِي ضَنْكِ يَسِيرُ
و كُلُّ مُجَرَّبٍ بَطَلٍ هُمَامٍ	لَدَى الْهَيْجَاءِ مَطْلَبُهُ عَسِيرُ
و فِتْيَانٍ يَرُونَ الصَّبْرَ مَجْدًا	بِأَيْدِيهِمْ مُهَنْدَةً ذُكُورُ

قال: ثُمَّ كَتَبَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ: أَمَّا بَعْدُ؛ ...

قال: فَلَمَّا وَصَلَ كِتَابُ عَلِيٍّ إِلَى مُعَاوِيَةَ، أَطْلَقَ مِنْ كَانَ فِي يَدَيْهِ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ، وَ أَطْلَقَ عَلِيٌّ أَيْضاً مَنْ كَانَ فِي يَدَيْهِ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاوِيَةَ.

قال: وَ ظَنَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ لَا يُغَيِّرُ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ شَهْرٍ - أَوْ أَقَلَّ أَوْ أَكْثَرَ - وَجَّهَ مُعَاوِيَةَ أَيْضاً بِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ الشَّامِ يُقَالُ لَهُ: سُفْيَانُ بْنُ عَوْفٍ الْغَامِذِيُّ فِي خَيْلٍ عَظِيمَةٍ، وَ أَمْرُهُ بِالْمَسِيرِ وَ الْغَارَةِ عَلَى أَدَانِي الْعِرَاقِ، وَ الْقَتْلَ لِمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ مِنْ شِيعَةِ عَلِيٍّ.

(١) دارا: بلدة من بلاد الجزيرة.

(٢) الأيطل: الخاصرة و الجمع أياطل. (المعجم الوسيط: ج ١ ص ٢٢).

ص: ٦٠

قال: فسارت خيل الشَّام حَتَّى انتهت إلى بلد يُقال له هَيْت، وَ به يومئذ رجل من قبل عليٍّ رضى الله عنه يُقال له كُمَيْلُ بْنُ زِيَادِ النَّخَعِيِّ؛ فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ خَيْلَ الشَّامِ قَدْ تَقَارَبَتْ مِنْ هَيْتٍ خَلَّفَ عَلَيْهَا رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي خَمْسِينَ فَارِسًا، وَ سَارَ يَرِيدُ خَيْلِ أَهْلِ الشَّامِ. قال: فَلَمَّا أَبْعَدَ كُمَيْلُ بْنُ زِيَادٍ عَنْ مَدِينَةِ هَيْتٍ، أَقْبَلَ صَاحِبُ مُعَاوِيَةَ وَ هُوَ سُفْيَانُ بْنُ عَوْفٍ الْغَامِذِيُّ عَلَى هَيْتٍ وَ أَغَارَ عَلَى أَطْرَافِهَا وَ لَمْ يَتَّبِعْهُ أَحَدٌ ...

قال: ثُمَّ كَتَبَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى كُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ يُلَوِّمُهُ عَلَى فِعْلِهِ، وَ تَضْيِيعِهِ مَدِينَةَ هَيْتٍ، وَ خُرُوجَهُ عَنْهَا. «١»

١٥ كتابه عليه السلام إلى معاوية

«إِنَّكَ زَعَمْتَ أَنَّ الَّذِي دَعَاكَ إِلَى مَا فَعَلْتَ الطَّلَبُ بِدَمِ عُثْمَانَ فَمَا أَبْعَدَ قَوْلُكَ مِنْ فِعْلِكَ وَيَحْكُ! وَمَا ذَنْبُ أَهْلِ الذِّمَّةِ فِي قَتْلِ ابْنِ عَقَّانَ؟ وَبِأَيِّ شَيْءٍ تَسْتَحِلُّ أَخْذَ فِي الْمُسْلِمِينَ؟! فَانْزِعْ وَلَا تَفْعَلْ؛ واحْذَرِ عَاقِبَةَ الْبَغْيِ وَالْجَوْرِ، وَإِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكَ كَمَا قَالَ بَلْعَاءُ لِدُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ:

مَهْلًا دُرَيْدُ عَنْ التَّسْرِعِ إِنِّي	ماضِي الْجَنَانِ بِمَنْ تَسْرَعُ مُوَلِّعُ
مَهْلًا دُرَيْدُ عَنْ السَّفَاهَةِ إِنِّي	ماضٍ عَلَى رَغَمِ الْعُدَاةِ سَمِيدُ
مَهْلًا دُرَيْدُ لَا تَكُنْ لَا قِيَّتِي	يَوْمًا دُرَيْدُ فَكُلْ هَذَا يُصْنَعُ
وَإِذَا أَهَانَكَ مَعْشَرُ أَكْرَمِهِمْ	فَتَكُونَ حَيْثُ تَرَى الْهَوَانَ وَتَسْمَعُ «٢»».

(١) راجع: الفتوح: ج ٤ ص ٢٢٤ و راجع: أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٢٣١، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٢٨.

(٢). الغارات: ج ٢ ص ٤٨٩.

ص: ٦١

١٦ كتابه عليه السلام إلى زياد ابن أبيه

من كتاب له عليه السلام إلى زياد ابن أبيه، وقد بلغه أن معاوية كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه:

«وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَزِلُّ لُبَّكَ، وَيَسْتَفِلُّ غَرْبَكَ، فَاحْذَرُهُ فَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ، يَأْتِي الْمَرْءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ، وَيَسْتَلْبِ غَرَّتَهُ.

وَقَدْ كَانَ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَلْتَةٌ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ، وَنَزْعَةٌ مِنْ نَزَعَاتِ الشَّيْطَانِ، لَا يَنْبُتُ بِهَا نَسَبٌ، وَلَا يُسْتَحَقُّ بِهَا إِرْثٌ، وَالْمُتَعَلِّقُ بِهَا كَالْوَاغِلِ الْمُدْفَعِ «١»، وَالنَّوْطِ الْمُذْبَذَبِ «٢»».

قال الرضى رحمه الله: فلما قرأ زياد الكتاب، قال: شهد بها ورب الكعبة، ولم تزل في نفسه حتى ادعاه معاوية.

«٣»

١٧ كتابه عليه السلام إلى قيس بن سعد بن عبادة

قال اليعقوبي: وكتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى قيس بن سعد بن عبادة، وهو على

(١) الواغل: الذى يدخل على القوم فى طعامهم و لم يُدْعَ (لسان العرب: ج ١١ ص ٧٣٣)، و المُدْفَع: المحقور الذى لا يُضَيَّف ان استضاف (لسان العرب: ج ٨ ص ٨٨).

(٢) ناط الشيء: علّقه، و النوط ما علّق لسان العرب: ج ٧ ص ٤١٨، و مذبذب: متردد بين أمرين، و التذبذب:

التحرك (لسان العرب: ج ١ ص ٣٨٤).

(٣). نهج البلاغة: الكتاب ٤٤ و راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ١٥ ص ١٨٢، أسد الغابة: ج ٢ ص ٢١٦، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٨ ص ١٧٢، الكامل لابن الأثير: ج ٣ ص ٤٤٤.

ص: ٦٢

أذريجان بعد أمر التَّهْرَوَان:

«أَمَّا بَعْدُ، فَأَقْبِلْ عَلَى خَرَاكِ بِالْحَقِّ، وَأَحْسِنْ إِلَى جُنْدِكَ بِالْإِنصَافِ، وَعَلِّمْ مَنْ قَبْلَكَ مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ، ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ شُبَيْلَ الْأَحْمَسِيِّ، سَأَلَنِي الْكِتَابَ إِلَيْكَ فِيهِ بَوَايِيتُكَ بِهِ خَيْرًا، فَقَدْ رَأَيْتُهُ وَادْعَا مُتَوَاضِعًا، فَأَلِنْ حِجَابَكَ، وَافْتَحْ بَابَكَ، وَاعْمَدْ إِلَى الْحَقِّ، فَإِنْ وَافَقَ الْحَقُّ مَا يَحِبُّو أَسْرَهُ، وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى، فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، «إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ» «١»»

. «٢»

و نقل البلاذرى هذا الكتاب بصورة أخرى، و هى:

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ الْعَالَمِينَ بِاللَّهِ الْعَامِلِينَ لَهُ، خِيَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ، وَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ لِغَيْرِ الرِّبَاءِ وَالسُّمْعَةِ، لَفَى أَجْرٌ عَظِيمٌ، وَفَضْلٌ مُبِينٌ. وَقَدْ سَأَلَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شُبَيْلِ الْأَحْمَسِيِّ الْكِتَابَ إِلَيْكَ فِي أَمْرِهِ، فَأَوْصِيكَ بِهِ خَيْرًا، فَإِنِّي رَأَيْتُهُ، وَادْعَا مُتَوَاضِعًا، حَسَنُ السَّمْتِ وَالْهَدَى، فَأَلِنْ حِجَابَكَ، وَاعْمَدْ لِلْحَقِّ، وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى، فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَالسَّلَامُ».

«٣»

(١) ص: ٢٦.

(٢). تاريخ يعقوبى: ج ٢ ص ٢٠٢.

(٣). أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٨٩.

ص: ٦٣

ص: ٦٥

غارة النُعمان بن بشير الأنصاريّ على عين التمر ومالك بن كعب الأرحبيّ:

عن مُحَمَّد بن يوسف بن ثابت: أَنَّ النُّعْمَانَ بن بشير قدم هو و أبو هريرة على عليّ عليه السلام من عند معاوية، بعد أبي مسلم الخولاني، يسألانه أن يدفع قتلة عثمان إلى معاوية ليقتلهم بعثمان، لعلّ الحرب أن تطفأ و يصطليح النَّاس، و إنّما أراد معاوية أن يرجع مثل النُّعْمَانَ و أبي هريرة من عند عليّ عليه السلام إلى النَّاس، و هم لمعاوية عاذرون و لعلّ لا ئمون، و قد علم معاوية أنّ عليّاً عليه السلام لا يدفع قتلة عثمان إليه، فأراد أن يكون هذان يشهدان له عند أهل الشَّام بذلك، و أن يُظهر عذره، فقال لهما: اتّيا عليّاً، فناشده الله و سلاه بالله لمّا دفع إلينا قتلة عثمان، فإنّه قد آواهم و منعهم، ثُمَّ لا حرب بيننا و بينه، فإنّ أبي فكونوا شهداء الله عليه، و أقبلّا إلى النَّاس فأعلماهم ذلك، فأتياه، فدخلا عليه فقال له أبو هريرة: يا أبا حسن، إنّ الله قد جعل لك في الإسلام فضلاً و شرفاً، أنت ابن عمّ مُحَمَّد رسول الله صلى الله عليه و آله، و قد بعثنا إليك ابن عمّك معاوية يسألك أمراً تهدأ به هذه الحرب، و يصلح الله به ذات البين، أن تدفع إليه قتلة عثمان ابن عمّه، فيقتلهم به، ثُمَّ يجمع الله به أمرك و أمره، و يصلح الله بينكم، و تسلم هذه الأُمّة من الفتنة و الفرقة. ثُمَّ تكلم النُّعْمَان بنحو من هذا.

ص: ٦٦

فقال عليه السلام لهما:

«دعا الكلام في هذا، حدّثني عنك يا نُعمان، أنت أهدى قومك سبيلاً؟»

« يعني الأنصار؟ قال: لا. فقال:

«كلُّ قومك قد اتبعني إلّا شذّاذاً منهم ثلاثة أو أربعة، أف تكون أنت من الشذّاذ؟»

فقال النُّعمان: أصلحك الله، إنّما جئت لأكون معك، و ألزمك، و قد كان معاوية سألني أن أوّدّي هذا الكلام، و قد كنت رجوت أن يكون لي موقفٌ أُجتمع فيه معك، و طمعت أن يجرى الله تعالى بينكما صلحاً، فإذا كان غير ذلك رأيك، فأنا ملازمك و كائن معك.

و أمّا أبو هريرة فلحق بالشَّام، فأتى معاوية و خبره الخبر، فأمره أن يخبر الناس بفعل، و أمّا النُّعمان، فأقام بعده أشهراً، ثُمَّ خرج فارّاً من عليّ عليه السلام، حتّى إذا مرّ بعين التمر، أخذه مالك بن كعب الأرحبيّ، و كان عامل عليّ عليه السلام عليها، فأراد حبسه، و قال له: ما مرّ بك هاهنا، قال: إنّما أنا رسولٌ بلّغت رسالة صاحبي، ثُمَّ انصرفت، فحبسه، ثُمَّ قال: كما أنت حتّى أكتب إلى عليّ عليه السلام فيك، فناشده، و عظم عليه أن يكتب إلى عليّ عليه السلام فيه، و قد كان قال لعلّ عليه السلام: إنّما جئت لأقيم، فأرسل النُّعمان إلى قرطبة بن كعب الأنصاريّ، و هو بجانب عين التمر يجبي خراجها لعلّ عليه السلام، فجاء مسرعاً حتّى وصل إلى مالك بن كعب، فقال له: خلّ سبيل هذا الرّجل - يرحمك الله -، فقال له: يا

قرظة، اتق الله، و لا تتكلم في هذا، فإن هذا لو كان من عبّاد الأنصار و نسأكهم ما هرب من أمير المؤمنين إلى أمير المنافقين، فلم يزل يقسم عليه حتى خلى سبيله، فقال له: يا هذا، لك الأمان اليوم و الليلة و غداً، ثم قال:

و الله لئن أدركتك بعدها لأضربن عنقك ...

[فلماً أغار النُعمان على عين التمر بعد غارة الضحّاك بن قيس ... استعان مالك بن كعب بقرظة بن كعب فقال: إنما أنا صاحب خراج، و ليس عندي من أعينه به، ثم استعان بمخنف بن سليم، و كان على الصدقة لعلّ عليه السلام، و كان

ص: ٦٧

على أرض الفرات، فأعانه بخمسين رجلاً، حتّى نصر الله مالكا، و رجع النُعمان عنه مخذولاً. «١»

فأعان لاتخاذ عدوّ علىّ عليه السلام، و خذل عامله مالك بن كعب، و يحتمل أن لا يكون ذلك خيانة؛ لعذر له في الواقع، و لعلّ عدم مؤاخذه أمير المؤمنين عليه السلام له ناشئة من كونه معذوراً، بل يتّضح ذلك من بقائه إلى جانب الإمام عليه السلام حتّى صلى عليه حين مات. فقد مات قرظة بالكوفة في خلافة علىّ عليه السلام، و صلى عليه علىّ عليه السلام كما نصّ على ذلك المؤرّخون. «٢»

و كانت معه راية الأنصار في صفّين، و لمّا رجع علىّ عليه السلام من حرب البصرة خرج قرظة من الناس، فدنوا منه يهنونه بالفتح، و إنّهُ ليمسح العرق عن جبهته، فقال له قرظة بن كعب: الحمد لله، يا أمير المؤمنين، أعزّ وليك، و أذلّ عدوك، و نصرک على القوم الظالمين. قال: و ولّاه فارس]. «٣»

١٨ كتابه عليه السلام إلى صنعاء و الجند

«مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَى مَنْ شاقَّ «٤» وَغَدَرَ «٥» مِنْ أَهْلِ الْجُنْدِ وَصَنَعَاءَ.

(١) راجع: الغارات: ج ٢ ص ٤٤٥ - ٤٥٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٣٠١ - ٣٠٥.

(٢) راجع: تهذيب التهذيب: ج ٤ ص ٥٢٧ الرقم ٦٥١١، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٤٤، أسد الغابة: ج ٤ ص ٣٨٠، الإستيعاب: ج ٣ ص ٣٦٥، فتوح البلدان: ص ٤٤٦.

(٣) راجع: الغارات: ج ٢ ص ٧٧٦ و ٧٧٧ (تعليقة: ٤١)، قاموس الرجال: ص ٨ ص ٥٢٠، سفينة البحار: ج ٧ ص ٢٧٨، تنقيح المقال: ج ٢ ص ٢٨، معجم رجال الحديث: ج ١٤ ص ٨٢.

(٤) الشقاق: المخالفة و العداوة، و كونك في شقّ غير شقّ صاحبك، أو من شقّ العصا بينك و بينه. (تاج العروس:

ج ١٣ ص ٢٥١).

(٥) الغدر: نقض العهد و الخيانة. (لسان العرب: ج ٥ ص ٨).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الَّذِي لَا يُعَقَّبُ لَهُ حُكْمٌ، وَلَا يُرَدُّ لَهُ قَضَاءٌ، وَلَا يُرَدُّ بِأَسْهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ.

وَقَدْ بَلَغَنِي تَجَرُّؤُكُمْ وَشِقَاقُكُمْ وَإِعْرَاضُكُمْ عَنْ دِينِكُمْ، بَعْدَ الطَّاعَةِ وَإِعْطَاءِ الْبَيْعَةِ، فَسَأَلْتُ أَهْلَ الدِّينِ الْخَالِصِ، وَالْوَرَعَ الصَّادِقِ، وَاللُّبَّ الرَّاجِحِ، عَنْ بَدْءِ مَحْرِكِكُمْ، وَمَا نَوَيْتُمْ بِهِ، وَمَا أَحْمَشَكُمُ لَهُ؛ فَحَدَّثْتُ عَنْ ذَلِكَ بِمَا لَمْ أَرَ لَكُمْ فِي شَيْءٍ مِنْهُ عَذْرًا مُبِينًا، وَلَا مَقَالًا جَمِيلًا، وَلَا حُجَّةً ظَاهِرَةً؛ فَإِذَا أَتَاكُمْ رَسُولِي فَتَفَرَّقُوا وَانصَرَفُوا إِلَى رِحَالِكُمْ أَغْفُ عَنْكُمْ، وَأَصْفَحْ عَنْ جَاهِلِكُمْ، وَأَحْفَظْ قَاصِيَكُمْ، وَأَعْمَلْ فِيكُمْ بِحُكْمِ الْكِتَابِ؛ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا، فَاسْتَعِدُّوا لِقُدُومِ جَيْشِ جَمِّ الْفُرْسَانِ، عَظِيمِ الْأَرْكَانِ، يَقْصِدُ لِمَنْ طَغَى وَعَصَى، فَتُطْحَنُوا كَطَحْنِ الرَّحَى؛ فَمَنْ أَحْسَنَ فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ».

«١»

[قال ابن أبي الحديد: كتب أمير المؤمنين عليه السلام هذا الكتاب بعد أن وصل كتاب عُبيد الله و سعيده إليه، و شاور يزيد بن قيس الأرحبيّ الهمدانيّ رحمه الله؛ و لعله المراد من قوله عليه السلام:

«فَسَأَلْتُ أَهْلَ الدِّينِ الْخَالِصِ، وَالْوَرَعَ الصَّادِقِ، وَاللُّبَّ الرَّاجِحِ»

، و يحتمل أيضاً أن يكون المراد بهذه النعوت الرسول الذي جاء بالكتاب.

و قد كانت صنعاء وقتئذٍ عاصمة اليمن، و ملوك اليمن كانوا يسكنون صنعاء و ما حولها من مخاليف اليمن، و إنما صارت عاصمة بعد سلطة الأجاش على اليمن، و كان الملك يجلس في قصر همدان؛ و قد كتبنا عن اليمن و مخاليفها في مكاتيب الرسول].

(١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٥؛ الفارات: ج ٢ ص ٥٩٥ و زاد في آخره «ألا، فلا يحمد حامد إلّا ربّه، و لا يلم لائم إلّا نفسه، السّلام عليكم»، بحار الأنوار: ج ٣٤ ص ٨ ح ٩٠١.

١٩ كتابه عليه السلام إلى جارية بن قدامة السعديّ

لَمَّا أَرْسَلَهُ لِدَفْعِ الطَّاعِيَةِ بُسْرَ بْنِ أَرْطَاةَ، لَمَّا شَنَّ الْغَارَةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ.

أَمَّا نَصُّ الْيَعْقُوبِيِّ: عَنْ غِيَاثٍ، عَنْ فِطْرِ بْنِ خَلِيفَةَ، عَنْ أَبِي خَالِدٍ الْوَالِبِيِّ، قَالَ:

قَرَأْتُ عَهْدَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَجَارِيَةِ بْنِ قُدَامَةَ السَّعْدِيِّ، وَ هَذِهِ صَوْرَتُهُ:

«أَوْصِيكَ يَا جَارِيَةُ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهَا جُمُوعُ الْخَيْرِ، وَسِرٌّ عَلَى عَوْنِ اللَّهِ، فَالِقِ عَدُوَّكَ الَّذِي وَجَّهْتُكَ لَهُ، وَلَا تُقَاتِلْ إِلَّا مَنْ قَاتَلَكَ، وَلَا تُجْهِزْ عَلَى جَرِيحٍ، وَلَا تُسَخِّرَنَّ دَابَّةً، وَإِنْ مَشَيْتَ وَمَشَى أَصْحَابُكَ، وَلَا تَسْتَأْثِرْ عَلَى أَهْلِ الْمِيَاهِ بِمِيَاهِهِمْ، وَلَا

تَشْرَبْنَ إِلَّا فُضِّلَهُمْ عَنْ طَيْبِ نُفُوسِهِمْ، وَلَا تَشْتَمَنَّ مُسْلِمًا وَلَا مُسْلِمَةً، فَتُوجِبُ عَلَى نَفْسِكَ مَا لَعَلَّكَ تُؤَدِّبُ غَيْرَكَ عَلَيْهِ؛ وَلَا تَظْلِمَنَّ مُعَاهِدًا وَلَا مُعَاهِدَةً. وَادْكُرِ اللَّهَ وَلَا تَفْتُرْ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا، وَاحْمِلُوا رِجَالَتَكُمْ، وَتَوَاسَوْا فِي ذَاتِ أَيْدِيكُمْ، وَأَجِدُوا السَّيْرَ، وَأَجَلِ الْعَدُوَّ مِنْ حَيْثُ كَانَ، وَاقْتُلْهُ مُقْبِلًا، وَارْدُدْهُ بِغَيْظِهِ صَاحِرًا، وَاسْفِكِ الدَّمَ فِي الْحَقِّ وَاحْقِنْهُ فِي الْحَقِّ، وَمَنْ تَابَ فَاقْبَلْ تَوْبَتَهُ، وَأَخْبَارُكَ فِي كُلِّ حِينٍ بِكُلِّ حَالٍ، وَالصَّدَقُ الصَّدَقُ فَلَا رَأْيَ لِكَذُوبٍ».

«١»

وَأَمَّا نَصُّ الْبَحَارِ عَنْ كِتَابِ الْغَارَاتِ، فَهُوَ:

لَمَّا وَرَدَ بُسْرُ بْنُ أَرْطَاةَ لَعْنَهُ اللَّهُ لِلْإِغَارَةِ عَلَى مَمْلَكَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

الْحِجَازَ، وَالْمَدِينَةَ، وَمَكَّةَ، وَالْيَمْنَ، بِأَمْرِ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، بَلَغَ ذَلِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَبَعَثَ فِي أَثَرِهِ جَارِيَةَ بِنَ قُدَامَةَ، وَأَوْصَاهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَا يُلْزِمُهُ أَنْ يَعْمَلَ فِي مَسِيرِهِ.

عَنِ الْحَارِثِ بْنِ حَصِيرَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُبَيْدٍ، قَالَ: لَمَّا بَلَغَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١). تَارِيخُ الْيَعْقُوبِيِّ: ج ٢ ص ٢٠٠.

ص: ٧٠

دَخَلَ بُسْرُ بْنُ أَرْطَاةَ الْحِجَازَ، وَقَتْلَهُ ابْنِي عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ، وَقَتْلَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الْمَدَانِ وَمَالِكَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، بَعَثَنِي بِكِتَابٍ فِي أَثَرِ جَارِيَةِ بِنَ قُدَامَةَ، قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَهُ أَنَّ بُسْرًا ظَهَرَ عَلَى صَنْعَاءَ، وَأَخْرَجَ عُبَيْدَ اللَّهِ مِنْهَا وَابْنَ نَمْرَانَ، فَخَرَجْتُ بِالْكِتَابِ حَتَّى لَحِقَ بِهِ جَارِيَةُ فَفَضَّهُ فَإِذَا فِيهِ:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي بَعَثْتُكَ فِي وَجْهِكَ الَّذِي وَجَّهْتَ لَهُ، وَقَدْ أَوْصَيْتُكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَتَقْوَى رَبِّنَا جَمَاعُ كُلِّ خَيْرٍ وَرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ، وَتَرَكْتُ أَنْ أَسْمِيَ لَكَ الْأَشْيَاءَ بِأَعْيَانِهَا، وَأَنِّي أَفْسَرُهَا حَتَّى تَعْرِفَهَا:

سِرٌّ عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ حَتَّى تَلْقَى عَدُوَّكَ، وَلَا تَحْتَقِرَنَّ مَنْ خَلَقَ اللَّهُ أَحَدًا، وَلَا تُسَخِّرَنَّ بَعِيرًا وَلَا حِمَارًا، وَإِنْ تَرَجَلْتَ وَحَفَيْتَ، وَلَا تَسْتَأْثِرَنَّ عَلَى أَهْلِ الْمِيَاهِ بِمِيَاهِهِمْ، وَلَا تَشْرَبَنَّ مِنْ مِيَاهِهِمْ إِلَّا بِطَيْبِ أَنْفُسِهِمْ، وَلَا تَسُبَّ مُسْلِمًا وَلَا مُسْلِمَةً، وَلَا تَظْلِمَنَّ مُعَاهِدًا وَلَا مُعَاهِدَةً، وَصَلِّ الصَّلَاةَ لَوْ قَتَلَتْهَا، وَادْكُرِ اللَّهَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَاحْمِلُوا رِجَالَكُمْ، وَتَوَاسَوْا عَلَى ذَاتِ أَيْدِيكُمْ، وَأَغِذِ السَّيْرَ حَتَّى تَلْحَقَ بِعَدُوَّكَ، فَتَجْلِيهِمْ عَنْ بِلَادِ الْيَمَنِ وَتَرُدَّهُمْ صَاحِرِينَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ».

«١»

[أَقُولُ: مَرَّ فِي ذِيلِ قِصَّةِ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ، أَنَّ جَارِيَةَ بِنَ قُدَامَةَ هِيَ الَّتِي قَتَلَ ابْنَ الْحَضْرَمِيِّ وَأَصْحَابَهُ بِالْبَصْرَةِ، وَأَرْسَلَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَهْلِ نَجْرَانَ عِنْدَ ارْتِدَادِهِمْ عَنِ الْإِسْلَامِ «٢»].

جارية بن قدامة التميمي السعدي. كان من صحابة النبي صلى الله عليه وآله «٣»، و من أنصار

(١). الغارات: ج ٢ ص ٦٢٨، بحار الأنوار: ج ٣٤ ص ١٥.

(٢) راجع: رجال الكشي: ج ١ ص ٣٢٢ الرقم ١٦٨، قاموس الرجال: ج ٢ ص ٥٥٧ الرقم ١٣٥٦.

(٣). الطبقات الكبرى: ج ٧ ص ٥٦، مختصر تاريخ مدينة دمشق: ج ٥ ص ٣٦٤، تقريب التهذيب: ج ١٣٧ ص ٨٨٥، تهذيب التهذيب: ج ١ ص ٤١٥ الرقم ١٠٤٥؛ رجال الطوسي: ص ٣٣ الرقم ١٥٧.

ص: ٧١

على عليه السلام الأبرار الشُّجعان «١». و كان فتى القلب، عميق الرؤية، ذا شخصية رفيعة جعلته و دوداً محبوباً. و كان ثابت القدم في حبٍّ على عليه السلام، شديداً على أعدائه «٢».

و لما تقلد الإمام الخلافة، أخذ له البيعة في البصرة «٣». و كان من جملة الهائمين بحبه، الذين عرفوا باسم شرطة الخميس. و قد شهد مشاهده كلها بجدٍّ و تفانٍ «٤».

و تولّى قيادة قبيلة سعد و رباب في صفين.

و كان خطيباً مفوهاً، و يشهد على لياقته و بلاغة لسانه محاوراته في صفين، و كلماته الجريئة، و عباراته القويّة الدامغة في قصر معاوية دفاعاً عن إمامه عليه السلام.

وجّهه على بن أبي طالب إلى أهل نجران عند ارتدادهم عن الإسلام «٥».

و وجّهه إلى بئر بن أرطاة في ألفين، و قال له:

أَنْتَ لَعْمَرَى لَمِيمُونَ النَّقِيبَةِ، حَسَنُ النَّيَّةِ، صَالِحُ الْعَشِيرَةِ

، و ندب معه ألفين، و قال بعضهم: ألقاً، و أمره أن يأتي البصرة، فيضمّ إليه مثلهم ...، ثم أخذ طريق الحجاز، حتّى قدم اليمن، لم يُغضبْ أحداً، و لم يقتل أحداً، إلّا قوماً ارتدّوا باليمن، فقتلهم و حرّقهم. «٦»

[و لما دخل مكّة - و كان دخوله بعد قتل أمير المؤمنين عليه السلام - قال لهم] بايعتم معاوية؟

قالوا: أكرهنا.

(١). تهذيب الكمال: ج ٤ ص ٤٨١ الرقم ٨٨٦، مختصر تاريخ مدينة دمشق: ج ٥ ص ٣٦٤، تهذيب التهذيب:

ج ١ ص ٤١٥ الرقم ١٠٤٥؛ الغارات: ج ٢ ص ٤٠١.

(٢). الغارات: ج ٢ ص ٤٠١.

(٣). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١١٢.

(٤). الاستيعاب: ج ١ ص ٢٩٩ الرقم ٣٠٦، اسد الغابة: ج ١ ص ٥٠٢ الرقم ٦٦٤، الإصابة: ج ١ ص ٥٥٦ الرقم ١٠٥٢، الوافي بالوفيات: ج ١١ ص ٣٧.

(٥). رجال الكشي: ج ١ ص ٣٢٢ الرقم ١٦٨.

(٦). الغارات: ج ٢ ص ٦٢٣ و ٦٢٤، قاموس الرجال: ج ٢ ص ٥٥٨، بحار الأنوار: ج ٣٤ ص ١٣.

ص: ٧٢

قال: أخاف أن تكونوا من الذين قال الله فيهم:

«وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ» «١»

، قوموا فبايعوا.

قالوا: لِمَنْ نبايع رحمة الله؟ و قد هلك أمير المؤمنين على عليه السلام و لا ندرى ما صنع الناس بعد.

قال: و ما عسى أن يصنعوا إلّا أن يبايعوا الحسن بن علي عليه السلام - إلى أن قال: - ثم دخل المدينة ... ثم قال: أيها الناس، إن علياً رحمه الله يوم ولد، و يوم توفاه الله، و يوم يبعث حياً، كان عبداً من عباد الله الصالحين - إلى أن قال: - هلك سيد المسلمين، و أفضل المهاجرين، و ابن عم النبي صلى الله عليه و آله، أمّا و الذي لا إله إلّا هو، لو أعلم الشامت منكم لتقرّبت إلى الله عز و جل بسفك دمه، و تعجيله إلى النار «٢».

[و لمّا رجع إلى الكوفة] دخل على الحسن بن علي عليه السلام، ف ضرب على يده فبايعه و عزّاه، و قال: ما يجلسك؟ سر يرحمك الله، سر بنا إلى عدوك قبل أن يسار إليك.

فقال عليه السلام:

«لو كان الناس كلهم مثلك سرت بهم»

«٣».

قال معاوية لجارية بن قدامة: ما كان أهونك على أهلك إذ سموك جارية!

قال: ما كان أهونك على أهلك إذ سموك معاوية! و هي الأنثى من الكلاب.

قال: لا أم لك!

قال: أمي ولدتنى للسيوف التي لقيناك بها في أيدينا.

(١) البقرة: ١٤.

(٢). الغارات: ج ٢ ص ٦٣٩، قاموس الرجال: ج ٢ ص ٥٦٠، بحار الأنوار: ج ٣٤ ص ١٧ و راجع: تاريخ البيهقي:

ج ٢ ص ١٩٩.

(٣). الغارات: ج ٢ ص ٦٤٣، قاموس الرجال: ج ٢ ص ٥٥٨، بحار الأنوار: ج ٣٤ ص ١٨.

ص: ٧٣

قال: إنك لتهددني.

قال: إنك لم تفتحنا قسراً، و لم تملكنا عنوةً، و لكنك أعطيتنا عهداً و ميثاقاً، و أعطيناك سمعاً و طاعةً، فإن وفيت لنا و قينا لك، و إن فرغت إلى غير ذلك، فإننا تركنا وراءنا رجالاً شديداً، و ألسنة حداداً.

قال له معاوية: لا كثر الله في الناس أمثالك.

قال جارية: قل معروفاً و راعياً، فإن شرَّ الدعاء المُحتطب «١».

و زاد ابن عساكر و السيوطي:

فقال له معاوية: أنت الساعي مع علي بن أبي طالب، و الموقد النار في شعلك، تجوس قري عربية بسفك دماهم؟

قال جارية: يا معاوية دع عنك علياً، فما أبغضنا علياً منذ أحببناه، و لا غششناه منذ صحبناه «٢». و قال نصر: كان رجلاً تميم بعد الأحنف «٣».

بدأت غارات معاوية الظالمة على أطراف العراق بعد معركة النهروان، و أشخص عبد الله بن عامر الحضرمي إلى البصرة، ليأخذ له البيعة من أهلها، ففعل ذلك و استولى على المدينة، فوجه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في البداية أعين بن ضبيعة لإخماد فتنة ابن الحضرمي، لكنه استشهد ليلاً في فراشه، فأرسل جارية،

(١). العقد الفريد: ج ٣ ص ٨٦، مختصر تاريخ مدينة دمشق: ج ٥ ص ٣٦٥، تهذيب الكمال: ج ٤ ص ٤٨٢، تاريخ الخلفاء: ص ٢٣٩ و الثلاثة الأخيرة نحوه.

الغدير: ج ١٠ ص ٢٤٤، قاموس الرجال: ج ٢ ص ٥٥٩ نحوه.

(٢). مختصر تاريخ مدينة دمشق: ج ٥ ص ٣٦٥، تهذيب الكمال: ج ٤ ص ٤٨٢، تاريخ الخلفاء: ص ٢٣٨ و ٢٣٩؛ الغدير: ج ١٠ ص ٢٣٤، قاموس الرجال: ج ٢ ص ٥٥٩ و راجع: الأمل للمفيد: ص ١٧٠ الرقم ٦، الأمل للطوسي: ص ١٩٢، بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ١٣٣ الرقم ٢٢؛ الإصابة: ج ١ ص ٥٥٥ الرقم ١٠٥٢، أسد الغابة:

ج ١ ص ٥٠٢ الرقم ٦٦٤، الاستيعاب: ج ١ ص ٢٩٩ الرقم ٣٠٦.

(٣). وقعة صفين: ص ٢٥.

ص: ٧٤

فاستعاضها بتدبير دقيق و شجاعة محمودة، فأثنى عليه الإمام عليه السلام «١».

و بعثه عليه السلام في الأيام الأخيرة من حياته لإطفاء فتنة بئر بن أوطاة الذي كان مثالا لا نظير له في الخبث و اللؤم، و بينا كان جارية في مهمته هذه استشهد الإمام عليه السلام. و أخذ جارية البيعة للإمام الحسن عليه السلام من أهل مكة و المدينة بخطي ثابتة، و وعى عميق للحق «٢».

و كان جارية ذا سريرة و ضيئة، و روح كبيرة. و لم يخش أحدا في إعلان الحق قط. و هكذا كان، فقد دافع عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام بحضور معاوية، و أكد ثباته على موقفه «٣». و توفي هذا الرجل الجليل بعد حكومة يزيد «٤».

٢٠ كتابه عليه السلام إلى شيعته

قال محمد بن يعقوب في كتاب الرسائل: عن علي بن إبراهيم بأسناده قال:

كتب أمير المؤمنين عليه السلام كتابا بعد منصرفه من النهروان، و أمر أن يقرأ على الناس، و ذلك أن الناس سألوه عن أبي بكر و عمر و عثمان، فغضب عليه السلام، و قال:

«قَدْ تَفَرَّغْتُمْ لِلسُّؤَالِ عَمَّا لَا يَعْنِيكُمْ، وَ هَذِهِ مِصْرُ قَدْ انْفَتَحَتْ، وَ قَتَلَ مُعَاوِيَةُ بْنُ خَدِيجٍ مُحَمَّدَ بْنَ

(١). أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٩٢، تهذيب الكمال: ج ٤ ص ٤٨١ الرقم ٨٨٦، مختصر تاريخ مدينة دمشق:

ج ٥ ص ٣٦٤ الرقم ٢٠١، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١١٢؛ الغارات: ج ٢ ص ٤٠٨.

(٢). أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٢١٥، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٤٠؛ الغارات: ج ٢ ص ٦٢٣ و ص ٦٤٠، تاريخ يعقوبى: ج ٢ ص ١٩٩.

(٣). تهذيب الكمال: ج ٤ ص ٤٨٢ الرقم ٨٨٦، مختصر تاريخ مدينة دمشق: ج ٥ ص ٣٦٥.

(٤). الثقات لابن حبان: ج ٣ ص ٦٠؛ أعيان الشيعة: ج ٤ ص ٥٨.

ص: ٧٥

أَبِي بَكْرٍ، فَيَا لَهَا مِنْ مُصِيبَةٍ مَا أَعْظَمَهَا، بِمُصِيبَتِي بِمُحَمَّدٍ، فَوَاللَّهِ مَا كَانَ إِلَّا كَبْعُضِ بَنِي سُبْحَانَ اللَّهِ بَيْنَا نَحْنُ نَرْجُو أَنْ نَغْلِبَ الْقَوْمَ عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ إِذْ غَلَبُونَا عَلَى مَا فِي أَيْدِينَا، وَأَنَا لَكْتُابُ لَكُمْ كِتَابًا فِيهِ تَصْرِيحُ مَا سَأَلْتُمْ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

فدعا [عليه السلام] كاتبه عبيد الله بن أبي رافع، فقال له:

«أَدْخِلْ عَلَى عَشْرَةٍ مِنْ ثِقَاتِي».

فقال: سَمِّهِمْ لِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

فقال عليه السلام:

«أَدْخِلْ أَصْبَغَ بْنَ نَبَاتَةَ، وَأَبَا الطُّفَيْلِ عَامِرَ بْنَ وَائِلَةَ الْكِنَانِيَّ، وَرَزِينَ بْنَ حُبَيْشِ الْأَسَدِيَّ، وَجُوَيْرِيَةَ بْنَ مُسَهَّرِ الْعَبْدِيِّ، وَخَنْدَفَ بْنَ زُهَيْرِ الْأَسَدِيَّ، وَحَارِثَةَ بْنَ مَضْرِبِ الْهَمْدَانِيَّ، وَالْحَارِثَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْوَرِ الْهَمْدَانِيَّ، وَمَصْبَاحَ النَّخَعِيِّ، وَعَلَقَمَةَ بْنَ قَيْسٍ، وَكُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍ، وَعَمِيرَ بْنَ زُرَّارَةَ».

فدخلوا عليه، فقال لهم:

«خُذُوا هَذَا الْكِتَابَ وَلْيَقْرَأْهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ وَأَنْتُمْ شُهُودٌ كُلُّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ، فَإِنْ شَغِبَ شَاغِبٌ عَلَيْكُمْ، فَأَنْصِفُوهُ بِكِتَابِ اللَّهِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ»:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَى شِيعَتِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: «وَإِنْ مِنْ شِيعَتِهِ لَأِبْرَاهِيمَ» «١»، وَهُوَ اسْمٌ شَرَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْكِتَابِ، وَأَنْتُمْ شِيعَةُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كَمَا أَنَّ مِنْ شِيعَتِهِ إِبْرَاهِيمَ، إِسْمٌ غَيْرُ مَخْتَصٍّ، وَأَمْرٌ غَيْرُ

مُبْتَدَع، وسلامُ الله عليكم، والله هو السَّلامُ المؤمنُ أوليائه هـ من العذابِ المهينِ، الحاكمُ عليكم بَعْدَهِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَنْتُمْ مَعَاشِرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ حَالٍ، يَغْذُو أَحَدُكُمْ كَلْبَهُ، وَيَقْتُلُ وَلَدَهُ، وَيُغَيِّرُ عَلَى غَيْرِهِ فَيَرْجِعُ وَقَدْ أُغْيِرَ عَلَيْهِ، تَأْكُلُونَ الْعِلْهَزَ «١» وَالْهَبِيدَ «٢»، وَالْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ، تُنَيِّخُونَ عَلَى أَحْجَارٍ خُشْنٍ، وَأَوْثَانٍ مُضِلَّةٍ، وَتَأْكُلُونَ الطَّعَامَ الْجَشِيبَ، وَتَشْرَبُونَ الْمَاءَ الْآجِنَ، تُسَافِكُونَ دِمَاءَ كَمْ، وَيَسْبِي بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَقَدْ خَصَّ اللَّهُ قُرَيْشًا بِثَلَاثِ آيَاتٍ، وَعَمَّ الْعَرَبَ بآيَةٍ، فَأَمَّا الْآيَاتُ اللَّوَاتِي فِي قُرَيْشٍ فَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخْطِفَكُمُ النَّاسُ فَأَوْكُمْ وَأَيْدِكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» «٣».

وَالثَّانِيَةُ: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن مَّ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» «٤».

وَالثَّالِثَةُ: قَوْلُ قُرَيْشٍ لِّنَبِيِّ اللَّهِ تَعَالَى حِينَ دَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْهَجْرَةِ، فَقَالُوا:

«إِنْ تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نَتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا» «٥»، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ

(١) الْعِلْهَزُ: وَبَرٌّ يُخْلَطُ بِدِمَاءِ الْحَلَمِ [وَهُوَ الْعُرَادُ الصَّغَارُ] كَانَتْ الْعَرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَأْكُلُهُ فِي الْجَدْبِ (لسان العرب:

ج ٥ ص ٣٨١ «علhez»).

(٢) الْهَبِيدُ: الْحَنْظَلُ، وَقِيلَ: حَبَّةٌ، وَاحِدَتُهُ: هَبِيدَةٌ. (لسان العرب: ج ٣ ص ٤٣١ «هبد»).

(٣) الْأَنْفَالُ: ٢٦.

(٤) النُّورُ: ٥٥.

(٥) الْقَصَصُ: ٥٧.

ص: ٧٧

حَرَمًا ءَامِنًا يُجَبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَتُ كُلِّ شَيْءٍ رَّزَقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَٰيْعَلْمُونَ» «١».

وَأَمَّا الْآيَةُ الَّتِي عَمَّ بِهَا الْعَرَبَ فَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» «٢».

فِيَالِهَا مِنْ نِعْمَةٍ مَا أَعْظَمَهَا إِنْ لَمْ تَخْرُجُوا مِنْهَا إِلَى غَيْرِهَا، وَيَالِهَا مِنْ مُصِيبَةٍ مَا أَعْظَمَهَا إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِهَا وَتَرْغَبُوا عَنْهَا.

فَمَضَى نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَدْ بَلَغَ مَا أُرْسِلَ بِهِ، فَبَالَهَا مُصِيبَةٌ خَصَّتْ الْأَقْرَبِينَ، وَعَمَّتْ الْمُؤْمِنِينَ، لَنْ تُصَابُوا بِمِثْلِهَا، وَلَنْ تُعَايِنُوا بَعْدَهَا مِثْلَهَا، فَمَضَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِسَبِيلِهِ، وَتَرَكَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ إِمَامِينَ لَا يَخْتَلِفَانِ، وَأَخَوَيْنِ لَا يَتَخَاذِلَانِ، وَمَجْتَمِعَيْنِ لَا يَتَفَرَّقَانِ.

وَلَقَدْ قَبَضَ اللَّهُ مُحَمَّدًا نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِهِ، مَنْنًى بِقَمِيصِي هَذَا، وَمَا أُلْقِيَ فِي رُوعِي، وَلَا عَرَضَ فِي رَأْيِي أَنْ وَجَّهَ النَّاسَ إِلَى غَيْرِي، فَلَمَّا أَبْطَأُوا عَنِّي بِالْوِلَايَةِ لَهُمِهِمْ، وَتَشَبَّطَ الْأَنْصَارُ - وَهُمْ أَنْصَارُ اللَّهِ، وَكُتِبَتِ الْإِسْلَامُ - وَقَالُوا: أَمَّا إِذَا لَمْ تُسَلِّمُوا لَعَلِّي فَصَاحِبُنَا أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِهِ.

فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي إِلَى مَنْ أَشْكُو؟ فَمَا أَنْ يَكُونَ الْأَنْصَارُ ظَلِمَتْ حَقَّهَا، وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونُوا ظَلَمُونِي حَقِّي، بَلْ حَقِّي الْمَأْخُودُ وَأَنَا الْمَظْلُومُ، فَقَالَ قَائِلٌ قَرِيشِي: الْأَيْمَةُ مِنْ قَرِيشٍ. فَدَفَعُوا الْأَنْصَارَ عَنْ دَعْوَتِهَا وَمَنْعُونِي حَقِّي مِنْهَا.

(١) القصص: ٥٧.

(٢) آل عمران: ١٠٣.

ص: ٧٨

فَأَتَانِي رَهْطٌ يَعْرِضُونَ عَلَيَّ النَّصْرَ، مِنْهُمْ ابْنَا سَعِيدٍ، وَالْمِقْدَادِيُّنُ الْأَسْوَدُ، وَأَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ، وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، وَسَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَالْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ، فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ عِنْدِي مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَهْدًا، وَلَهُ إِلَيَّ وَصِيَّةٌ، لَسْتُ أَخَالِفُهُ عَمَّا أَمَرَنِي بِهِ.

فَوَاللَّهِ لَوْ خَزَمُونِي بِأَنْفِي لِأَقْرَرْتُ لِلَّهِ تَعَالَى سَمْعًا وَطَاعَةً، فَلَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ قَدْ انْتَالُوا عَلَيَّ أَبِي بَكْرٍ لِلْبَيْعَةِ، أَمْسَكْتُ يَدِي وَظَنَنْتُ أَنِّي أَوْلَى وَأَحَقُّ بِمَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْهُ وَمِنْ غَيْرِهِ، وَقَدْ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ أَمْرَ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ عَلَى جَيْشٍ، وَجَعَلَهُمَا فِي جَيْشِهِ، وَمَا زَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى أَنْ فَاضَتْ نَفْسُهُ، يَقُولُ:

أَنْفِذُوا جَيْشَ أُسَامَةَ، أَنْفِذُوا جَيْشَ أُسَامَةَ، فَمَضَى جَيْشُهُ إِلَى الشَّامِ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى أَدْرُعَاتٍ فَلَقِيَ جَيْشًا مِنَ الرُّومِ فَهَزَمُوهُمْ، وَغَنِمَهُمُ اللَّهُ أَمْوَالَهُمْ.

فَلَمَّا رَأَيْتُ رَاجِعَةً مِنَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ تَدْعُو إِلَى مَحْوَ دِينِ مُحَمَّدٍ وَمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ (عليهما السلام)، خَشِيتُ أَنْ أَنَا لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، أَرَى فِيهِ ثَلَمًا وَهَدْمًا، تَكُونُ الْمَصِيبَةُ عَلَيَّ فِيهِ أَعْظَمُ مِنْ فَوْتِ وَلَايَةِ أُمُورِكُمْ، الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلِيلٍ، ثُمَّ تَزُولُ وَتَنْقَشُ كَمَا يَزُولُ وَيَنْقَشُ السَّحَابُ، فَهَضَمْتُ مَعَ الْقَوْمِ فِي تِلْكَ الْأَحْدَاثِ حَتَّى زَهَقَ الْبَاطِلُ، وَكَانَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَإِنْ رَغِمَ الْكَافِرُونَ.

وَلَقَدْ كَانَ سَعْدٌ لَمَّا رَأَى النَّاسَ يُبَايِعُونَ أَبَا بَكْرٍ، نَادَى أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُهَا حَتَّى رَأَيْتُكُمْ تَصْرَفُونَهَا عَنْ عَلِيٍّ، وَلَا أَبَايِعُكُمْ حَتَّى يُبَايِعَ عَلِيٌّ، وَلَعَلِّي لَا أَفْعَلُ وَإِنْ بَايَعَ.

ثُمَّ رَكِبَ دَابَّتَهُ وَاتَى حَوْرَانَ وَأَقَامَ فِي خَانٍ حَتَّى هَلَكَ وَلَمْ يُبَايِعَ.

وقام فَرَوَةُ بن عَمْرٍو الأنصاريُّ، وكان يَقُودُ مع رسول الله صلى الله عليه وآله فرَسَيْنِ، وَيَصْرِمُ

ص: ٧٩

أَلْفَ وَسَقٍ من تَمَرٍ فَيَتَصَدَّقُ به على المساكينَ، فنَادَى:

يا معشرَ قَرَيْشٍ، أَخْبِرُونِي هلْ فيكم رَجُلٌ تَحِلُّ له الْخِلَافَةُ وفيه ما في عليٍّ.

فقال: قَيْسُ بن مَخْرَمَةَ الزُّهْرِيُّ: لَيْسَ فِينَا مَنْ فِيهِ ما في عليٍّ.

فقال: صَدَقْتَ، فَهَلْ في عليٍّ ما لَيْسَ في أَحَدٍ منكم.

قال: نَعَمْ.

قال: فما صَدَّكُمْ عنه.

قال: اجْتِمَاعُ النَّاسِ على أَبِي بَكْرٍ.

قال: أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ أَصَبْتُمْ سُنَّتَكُمْ لَقَدْ أَخْطَأْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ جَعَلْتُمُوهَا في أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ لَأَكَلْتُمْ من فَوْقِكُمْ ومن تَحْتَ أَرْجُلِكُمْ.

فَوَلَّى أَبُو بَكْرٍ، فَقَارَبَ واقتَصَدَ، فَصَحِبْتُهُ مُنَاصِحاً، وَأَطَعْتُهُ فِيمَا أَطَاعَ اللَّهَ فِيهِ جَاهِداً، حَتَّى إِذَا احْتُضِرَ.

قلت في نَفْسِي لَيْسَ يَعْدِلُ بهذا الأمرُ عَنِّي، وَلَوْلَا خَاصَّةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَمْرٍ، وَأَمْرٌ كَانَا رَضِيَاهُ بَيْنَهُمَا، لَطَنَنْتُ أَنَّهُ لَا يَعْدِلُهُ عَنِّي، وَقَدْ سَمِعَ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْبُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيَّ - حِينَ بَعَثَنِي - وَخَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى الْيَمَنِ، وَقَالَ:

إِذَا افْتَرَقْتُمَا فَكُلُُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا على حِيَالِهِ، وَإِذَا اجْتَمَعْتُمَا فَعَلْيُ عَلَيْكُمْ جَمِيعاً.

فَعَزَّوْنَا وَأَصَبْنَا سَبِيئاً فِيهِمْ خَوَلَةُ بِنْتُ جَعْفَرٍ جَارِ الصَّفَا، فَأَخَذْتُ الْحَقِيقَةَ خَوَلَةَ، وَاعْتَنَمَهَا خَالِدٌ مَنِيَّ، وَبَعَثَ بُرَيْدَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُحَرِّشاً عَلَيَّ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَخْذِي خَوَلَةَ فَقَالَ:

يَا بُرَيْدَةَ حَظُّهُ في الْخُمْسِ أَكْثَرُ ممَّا أَخَذَ، إِنَّهُ وَلِيُّكُمْ بَعْدِي.

ص: ٨٠

سمعها أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٌ، وَهَذَا بُرَيْدَةُ حَتَّى لَمْ يَمُتْ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا مَقَالٌ لِقَائِلٍ.

فبائعَ عمرَ دُونَ المشُورَةِ، فكانَ مَرْضِيَّ السَّيرَةِ مِنَ النَّاسِ عِنْدَهُمْ، حَتَّى إِذَا احْتَضَرَ، قُلْتُ فِي نَفْسِي لَيْسَ يَعدِلُ بِهَذَا الأَمْرَ عَنِّي لِلَّذِي قَدْ رَأَى مِنِّي فِي المِوَاطِنِ، وَسمِعَ مِنْ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَجَعَلَنِي سَادِسَ سِتَّةٍ، وَأَمَرَ صُهْبِيًّا، أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، وَدَعَا أَبَا طَلْحَةَ زَيْدِ بْنِ سَعْدِ الأَنْصَارِيِّ، فَقَالَ لَهُ:

كُنْ فِي خَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِكَ فَاقْتُلْ مَنْ أَبِي أَنْ يَرْضَى مِنْ هَؤُلَاءِ السَّتَّةِ.

فَالعَجَبُ مِنْ اخْتِلاقِ القَوْمِ، إِذْ زَعَمُوا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ اسْتَخْلَفَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَلَوْ كَانَ هَذَا حَقًّا لَمْ يَخَفَ عَلَى الأَنْصَارِ، فَبَايَعَهُ النَّاسُ عَلَى شُورَى، ثُمَّ جَعَلَهَا أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ بِرَأْيِهِ خَاصَّةً، ثُمَّ جَعَلَهَا عُمَرُ بِرَأْيِهِ شُورَى بَيْنَ سِتَّةٍ، فَهَذَا العَجَبُ مِنْ اخْتِلَافِهِمْ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى مَا لَا أُحِبُّ أَنْ أَذْكُرَهُ قَوْلُهُ: هَؤُلَاءِ الرَّهْطُ الَّذِينَ قُبِضَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ.

فكَيْفَ يَأْمُرُ بِقَتْلِ قَوْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَسُولُهُ، إِنَّ هَذَا لأَمْرٌ عَجِيبٌ، وَلَمْ يَكُونُوا لِوَلَايَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَكْرَهَ مِنْهُمْ لَوْلَايَتِي، كَانُوا يَسْمَعُونَ وَأَنَا أُحَاجُّ أَبَا بَكْرٍ وَأَقُولُ:

يَا مَعْشَرَ قَرِيشَ أَنَا أَحَقُّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْكُمْ، مَا كَانَ مِنْكُمْ مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَيَعْرِفُ السُّنَّةَ، وَيَدِينُ بِدِينِ اللَّهِ الْحَقِّ، وَإِنَّمَا حَجَّتِي أَنِّي وَلِيُّ هَذَا الأَمْرِ مِنْ دُونَ قَرِيشَ، إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ:

الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ.

فَجَاءَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِعِتْقِ الرِّقَابِ مِنَ النَّارِ، وَأَعْتَقَهَا مِنَ الرِّقِّ، فَكَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَاءُ هَذِهِ الأُمَّةِ.

وَكَانَ لِي بَعْدَهُ مَا كَانَ لَهُ، فَمَا جَازَ لِقَرِيشَ مِنْ فَضْلِهَا عَلَيْهَا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جَازَ لِبَنِي هَاشِمٍ عَلَى قَرِيشَ، وَجَازَ لِي عَلَى بَنِي هَاشِمٍ بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ:

ص: ٨١

مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ.

إِلَّا أَنْ تَدْعِيَ قَرِيشَ فَضْلِهَا عَلَى الْعَرَبِ بغيرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَإِنْ شَاؤُوا فَلْيَقُولُوا ذَلِكَ.

فَخَشِيَ القَوْمُ إِنَّ أَنَا وَلِيتُ عَلَيْهِمْ أَنْ أَخْذَ بِأَنْفَاسِهِمْ، وَأَعْتَزَّضَ فِي حُلُوقِهِمْ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الأَمْرِ نَصِيبٌ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى إِجْمَاعِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، حَتَّى صَرَفُوا الْوَلَايَةَ عَنِّي إِلَى عِثْمَانَ، رَجَاءً أَنْ يَنَالُوهَا وَيَتَدَاوُلُوهَا فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَبَيْنَاهُمْ كَذَلِكَ إِذْ نَادَى مُنَادٍ لَا يُدْرِي مَنْ هُوَ، فَاسْمَعَ أَهْلَ المَدِينَةِ لَيْلَةً بَايَعُوا عِثْمَانَ، فَقَالَ:

يَا نَاعِيِ الإسلامِ قُمْ فَأَنعُهُ

قَدْ مَاتَ عُرْفٌ وَبَدَأَ مُنْكَرٌ

ما لقریش لا علی کعبها

من قدموا الیوم ومن آخروا

إن علیاً هو أولى به

منه فلوکه ولا تنکروا

فدعونی إلى بیعة عثمان، فبايعتُ مُستکرهاً وصبرتُ مُحْتَسِباً، وعَلِمْتُ أَهْلَ الْقُنُوطِ أَنْ يَقُولُوا:

اللَّهُمَّ لَكَ أَخْلَصَتِ الْقُلُوبُ، وَإِلَيْكَ شَخَصَتِ الْأَبْصَارُ، وَأَنْتَ دُعِيتَ بِالْأَلْسُنِ، وَإِلَيْكَ تُحَوِّمُ فِي الْأَعْمَالِ، فَافْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غِيْبَةَ نَبِيِّنَا وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا، وَقِلَّةَ عَدَدِنَا، وَهَوَانَنَا عَلَى النَّاسِ، وَشِدَّةَ الزَّمَانِ، وَوُقُوعَ الْفِتَنِ بِنَا. اللَّهُمَّ فَفَرِّجْ ذَلِكَ بَعْدَلٍ تُظْهِرُهُ، وَسُلْطَانٍ حَقٌّ تَعْرِفُهُ.

فقال عبد الرحمن بن عوف: يا بن أبي طالب إنك على هذا الأمر لحريصٌ.

فقلت: لستُ عليه حريصاً، وإنما أطلبُ ميراثَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وحقّه، وأنَّ ولاءَ أُمّته لى من بعده، وأنتم أحرصُ عليه منى إذ تحولون بينى وبينه، وتصرفون وجهى دونه بالسيف.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قَرِيشٍ، فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَأَضَاعُوا أَيَّامِي،

ص: ٨٢

وَدَفَعُوا حَقِّي، وَصَغَّرُوا قَدْرِي، وَعَظِيمَ مَنْزِلَتِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقّاً كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْهُمْ فَاسْتَلْبُونِيهِ، ثُمَّ قَالُوا: اصْبِرْ مَغْمُوماً أَوْ مَتَّ مُتَأَسِّفاً.

وَأَيْمُ اللَّهِ، لَوْ اسْتَطَاعُوا أَنْ يَدْفَعُوا قَرَابَتِي كَمَا قَطَعُوا سَبَبِي فَعَلُوا، وَلَكِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا.

وَأَنَا حَقِّي عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ كَرَجُلٍ لَهُ حَقٌّ عَلَى قَوْمٍ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ، فَإِنْ أَحْسَنُوا وَعَجَّلُوا لَهُ حَقَّهُ قَبْلَهُ حَامِداً، وَإِنْ آخَرُوهُ إِلَى أَجَلِهِ أَخَذَهُ غَيْرَ حَامِدٍ، وَلَيْسَ يُعَابُ الْمَرْءُ بِتَأْخِيرِ حَقِّهِ، إِنَّمَا يُعَابُ مَنْ أَخَذَ مَا لَيْسَ لَهُ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَهْدٌ إِلَى عَهْدٍ، فَقَالَ:

يا بن أبي طالب، لك ولاءُ أُمّتي، فإنَّ وَلَوْكَ فِي عَافِيَةٍ وَأَجْمَعُوا عَلَيْكَ بِالرِّضَا، فَقُمْ بِأَمْرِهِمْ، وَإِنْ اخْتَلَفُوا عَلَيْكَ فَدَعُهُمْ وَمَا هُمْ فِيهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَجْعَلُ لَكَ مَخْرَجاً.

فَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ، وَلَا مَعِيَ مُسَاعِدٌ، إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي، فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْهَلَاكِ، وَلَوْ كَانَ لِي بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَمَى حِمْزَةٌ وَأَخِي جَعْفَرٌ لَمْ أَبَايِعْ كُرْهاً، وَلَكِنِّي بُلِيتُ بَرَجَلَيْنِ - حَدِيثِي عَهْدٍ بِالْإِسْلَامِ - الْعَبَّاسَ وَعَقِيلَ، فَضَنَنْتُ بِأَهْلِ بَيْتِي عَنِ الْهَلَاكِ، فَأَغْضَيْتُ عَيْنِي عَلَى الْقَذَى، وَتَجَرَّعْتُ رِيْقِي عَلَى الشَّجِي، وَصَبَرْتُ عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْعَلَقَمِ، وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ حَزِّ الشَّفَارِ.

وَأَمَّا أَمْرُ عَثْمَانَ فَكَأَنَّهُ عِلْمٌ مِنَ الْقُرُونِ الْأُولَى «عَلِمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى» «١»، خَذَلَهُ أَهْلُ بَدْرٍ. وَقَتَلَهُ أَهْلُ مِصْرَ، وَاللَّهُ، مَا أَمَرْتُ وَلَا نَهَيْتُ، وَلَوْ أَنَّي أَمَرْتُ كُنْتُ قَاتِلًا، وَلَوْ أَنَّي نَهَيْتُ كُنْتُ نَاصِرًا، وَكَانَ الْأَمْرُ لَا يَنْفَعُ فِيهِ الْعِيَانُ، وَلَا يَشْفِي مِنْهُ الْخَبَرُ، غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ هُوَ: خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ. وَلَا يَسْتَطِيعُ مَنْ خَذَلَهُ أَنْ يَقُولَ:

(١) طه: ٥٢.

ص: ٨٣

نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي.

وَأَنَا جَامِعُ أَمْرِهِ: إِسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الْأَثَرَةَ، وَجَزَعْتُمْ فَأَسَأْتُمْ الْجَزَعَ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ.

وَاللَّهُ، مَا يَلْزُمُنِي فِي دَمِ عَثْمَانَ تَهْمَةً، مَا كُنْتُ إِلَّا رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُهَاجِرِينَ فِي بَيْتِي، فَلَمَّا قَتَلْتُمُوهُ أَتَيْتُمُونِي تُبَايِعُونِي، فَأَبَيْتُ عَلَيْكُمْ وَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ، فَقَبَضْتُ يَدِي فَبَسَطْتُموها، وَبَسَطْتُهَا فَمَدَدْتُموها، ثُمَّ تَدَاكَتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَ الْإِبِلِ الْهَيْمِ عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وَرُودِهَا، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّكُمْ قَاتِلِي، وَأَنَّ بَعْضَكُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ، حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ، وَسَقَطَ الرِّدَاءُ، وَوُطِئَ الضَّعِيفُ، وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بَبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنْ حُمِلَ إِلَيْهَا الصَّغِيرُ، وَهَدَجَ إِلَيْهَا الْكَبِيرُ، وَتَحَامَلَ إِلَيْهَا الْعَلِيلُ، وَحَسَرَتْ لَهَا الْكَعَابُ.

فَقَالُوا: بَايَعْنَا عَلَى مَا بُوِيعَ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٌ، فَإِنَّا لَا نَجِدُ غَيْرَكَ وَلَا نَرْضَى إِلَّا بِكَ، بَايَعْنَا لَا نَفْتَرِقُ وَلَا نَخْتَلِفُ، فَبَايَعْتُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دَعَوْتُ النَّاسَ إِلَى يَبْعَتِي، فَمَنْ بَايَعَنِي طَائِعًا قَبِلْتُ مِنْهُ، وَمَنْ أَبَى تَرَكْتُهُ.

فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَنِي طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ، فَقَالَا: نُبَايِعُكَ عَلَى أَنَّا شُرَكَاءُكَ فِي الْأَمْرِ.

فَقُلْتُ: لَا وَلَكِنَّكُمَا شُرَكَائِي فِي الْقُوَّةِ وَعَوْنَايَ فِي الْعِزِّ، فَبَايَعَانِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ، وَلَوْ أَبَيَا لَمْ أَكْرِهُهُمَا كَمَا لَمْ أَكْرِهْ غَيْرَهُمَا.

وَكَانَ طَلْحَةُ يَرْجُو الْيَمْنَ، وَالزُّبَيْرُ يَرْجُو الْعِرَاقَ، فَلَمَّا عَلِمَا أَنِّي غَيْرُ مَوْلِيَهُمَا اسْتَأْذَنَانِي لِلْعُمْرَةِ، يُرِيدَانِ الْغَدْرَ، فَأَتَيْتَا عَائِشَةَ وَاسْتَخَفَّاهَا - مَعَ كُلِّ شَيْءٍ فِي نَفْسِهَا عَلَى - وَالنِّسَاءُ نَوَاقِصُ الْإِيمَانِ، نَوَاقِصُ الْعُقُولِ، نَوَاقِصُ الْحُطُوطِ، فَأَمَّا نَقْصَانُ إِيْمَانِهِنَّ: فَفُتُودُهُنَّ عَنِ الصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ، وَأَمَّا نَقْصَانُ عَقُولِهِنَّ فَلَا شَهَادَةَ لَهُنَّ إِلَّا فِي الدِّينِ، وَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ بِرَجُلٍ، وَأَمَّا نَقْصَانُ حُطُوطِهِنَّ

ص: ٨٤

فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرِّجَالِ.

وَقَادَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ إِلَى الْبَصْرَةِ، وَضَمِنَ لَهُمَا الْأَمْوَالَ وَالرِّجَالَ، فَبَيْنَا هُمَا يَقُودَانِهَا إِذْ هِيَ تَقُودُهُمَا، فَاتَّخَذَاهَا فِتْنَةً يَقَاتِلَانِ دُونَهَا، فَأَيُّ خَطِيئَةٍ أَعْظَمُ مِمَّا أَتَيَا، أَخْرَجَا زَوْجَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ بَيْتِهَا، فَكَشَفَا عَنْهَا حِجَابًا سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا، وَصَانَا حَلَائِلَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا، وَلَا أَنْصَافَ اللَّهِ وَلَا رَسُولَهُ مِنْ أَنْفُسِهِمَا، بِثَلَاثِ خِصَالٍ مَرْجِعُهَا عَلَى النَّاسِ (فِي كِتَابِ اللَّهِ: الْبَغْيُ وَالْمَكْرُ وَالنَّكَثُ)، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ» «١»، وَقَالَ: «فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ

عَلَى نَفْسِهِ «٢»، وقال: «وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ» «٣»، فَقَدْ بَغَا عَلَى، وَنَكْنَا بَيْعَتِي، وَمَكْرَا بِي، فَمُنِيتْ بِأَطْوَعِ النَّاسِ فِي النَّاسِ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، وَبِأَشْجَعِ النَّاسِ الزُّبَيْرُ، وَبِأَخْصَمِ النَّاسِ طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى يَعْلَى بْنُ مُنِيَّةٍ بِأَصْوَعِ الدَّنَانِيرِ، وَاللَّهُ، لئن استقامَ أَمْرِي لَأَجْعَلَنَّ مَالَهُ فَيْئًا لِلْمُسْلِمِينَ.

ثُمَّ أَتَوْا الْبَصْرَةَ، وَأَهْلُهَا مَجْتَمِعُونَ عَلَى بَيْعَتِي وَطَاعَتِي، وَبِهَا شَيْعَتِي: خُزَّانُ بَيْتِ مَالِ اللَّهِ وَمَالِ الْمُسْلِمِينَ، فَدَعَا النَّاسَ إِلَى مَعْصِيَتِي، وَإِلَى نَقْضِ بَيْعَتِي وَطَاعَتِي، فَمَنْ أَطَاعَهُمْ أَكْفَرُوهُ، وَمَنْ عَصَاهُمْ قَتَلُوهُ؛ فَنَاجَزَهُمْ حَكِيمُ بْنُ جَبَلَةَ، فَقَتَلُوهُ فِي سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ عُبَادِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَمُخْبِتِيهِمْ، يُسَمُّونَ الْمُتَفِينِينَ، كَأَنَّ رَاحَ أَكْفَهُمْ ثَفَنَاتُ الْإِبِلِ.

وَأَبَى أَنْ يُبَايِعَهُمْ يَزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ الْيَشْكِرِيُّ، فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ، إِنَّ أَوْلَكُمْ قَادَنَا إِلَى الْجَنَّةِ فَلَا يَقُودُنَا آخِرُكُمْ إِلَى النَّارِ، فَلَا تُكَلِّفُونَا أَنْ نُصَدِّقَ الْمُدَّعَى وَنَقْضِيَ عَلَى

(١) يونس: ٢٣.

(٢) الفتح: ١٠.

(٣) فاطر: ٤٣.

ص: ٨٥

الغائبِ، أَمَّا يَمِينِي فَشَغَلَهَا عَلَىُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بَيْعَتِي إِيَّاهُ، وَهَذِهِ شِمَالِي فَارِغَةٌ فَخُذَاهَا إِنْ شِئْتُمَا. فَخُنِقَ حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَكِيمٍ التَّمِيمِيُّ فَقَالَ: يَا طَلْحَةُ، هَلْ تَعْرِفُ هَذَا الْكِتَابَ؟

قَالَ: نَعَمْ هَذَا كِتَابِي إِلَيْكَ.

قَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا فِيهِ؟

قَالَ: أَقْرَأَهُ عَلَىٌّ.

(فَقَرَأَهُ) فَإِذَا فِيهِ عَيْبُ عَثْمَانَ، وَدُعَاؤُهُ إِلَى قَتْلِهِ، فَسَيَرُوهُ مِنَ الْبَصْرَةِ، وَأَخَذُوا عَامِلِي عَثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ الْأَنْصَارِيَّ غَدْرًا، فَمَثَّلُوا بِهِ كُلَّ الْمُثَلَّةِ، وَنَتَفَوْا كُلَّ شَعْرَةٍ فِي رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ.

وَقَتَلُوا شَيْعَتِي طَائِفَةً صَبْرًا، وَطَائِفَةً غَدْرًا، وَطَائِفَةً عَضُّوا بِأَسْيَافِهِمْ حَتَّى لَقُوا اللَّهَ، فَوَاللَّهِ، لَوْ لَمْ يَقْتُلُوا مِنْهُمْ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا لَحَلَّ لِي بِهِ دِمَاؤُهُمْ، وَدِمَاءُ ذَلِكَ الْجَيْشِ، لِرِضَاهُمْ بِقَتْلِ مَنْ قُتِلَ، مَعَ أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا أَكْثَرَ مِنَ الْعِدَّةِ الَّتِي قَدْ دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ، وَقَدْ آدَالَ اللَّهُ مِنْهُمْ فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ:

فَأَمَّا طَلْحَةُ فَرَمَاهُ مِرْوَانُ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ وَأَمَّا الزُّبَيْرُ فَذَكَرَتْهُ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنَّكَ تُقَاتِلُ عَلِيًّا وَأَنْتَ ظَالِمٌ لَهُ.

وَأَمَّا عَائِشَةُ فَإِنَّهَا كَانَتْ نَهَاها رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ مَسِيرِها، فَعَضَّتْ يَدَيْها نَادِمَةً عَلَى مَا كَانَ مِنْها.

وقد كان طَلْحَةُ لَمَّا نَزَلَ ذَا قَارَ قامَ خَطِيباً، فقال: أَيُّها النَّاسُ إِنَّا أَخْطَأْنَا فِي عِثْمَانَ خَطِيبَةً ما يُخْرِجُنا مِنْها إِلَّا الطَّلَبُ بِدَمِهِ، وَعَلَى قَاتِلِهِ وَعَلَيْهِ دَمُهُ، وقد نَزَلَ داراً مَعَ شُكَّاكِ الْيَمَنِ، وَنَصَارَى رِبِيعَةَ، وَمَنَافِقَى مُضَرَ.

ص: ٨٦

فَلَمَّا بَلَغَنِي قَوْلُهُ وَقَوْلُ كانَ عَنِ الزُّبَيْرِ قَبِيحٌ، بَعَثْتُ إِلَيْهِمَا أَنْشِدَهُمَا بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ: أَمَا أُتَيْتُمَانِي وَأَهْلُ مِصْرٍ مُحَاصِرُونَ عِثْمَانَ فَقُلْتُمَا: إِذْهَبْ بِنَا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فَإِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ قَتْلَهُ إِلَّا بِكَ. لَمَّا تَعَلَّمْتُ أَنَّهُ سَيَّرَ أَبَا ذَرٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَفَتَقَ عَمَّاراً، وَأَوَى الْحَكَمَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ - وَقَدْ طَرَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ - وَاسْتَعْمَلَ الْفَاسِقَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ، وَسَلَّطَ خَالِدَ بْنَ عُرْفَةَ الْعَذْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ يُمَزِّقُهُ وَيُحْرِقُهُ؟

فَقُلْتُ: كُلُّ هَذَا قَدْ عَلِمْتُ وَلَا أَرَى قَتْلَهُ يَوْمِي هَذَا، وَأَوْشَكَ سِقَاؤُهُ أَنْ يُخْرِجَ الْمَخْضُ زُبْدَتَهُ فَأَقْرَأَ بِمَا قُلْتُ.

وَأَمَّا قَوْلُكُمَا، إِنَّكُمَا تَطْلُبَانِ بَدَمَ عِثْمَانَ، فَهَذَانِ ابْنَاهُ عَمْرُو وَسَعِيدٌ فَخَلُّوا عَنْهُمَا يَطْلُبَانِ دَمَ أَبِيهِمَا، مَتَى كَانَ أَسَدٌ وَتَيْمٌ أَوْلِيَاءَ بَنِي أُمَيَّةَ، فَانْقَطَعَا عِنْدَ ذَلِكَ.

فَقَامَ عَمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ الْخُزَاعِيُّ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَقَالَ: يَا هَذَانِ لَا تُخْرِجَانَا بِيَعْتِكُمَا مِنْ طَاعَةِ عَلِيٍّ، وَلَا تَحْمِلَانَا عَلَى نَقْضِ بَيْعَتِهِ، فَإِنَّهَا لِلَّهِ رِضَى، أَمَا وَسِعَتْكُمَا بَيُّوتُكُمَا حَتَّى أُتَيْتُمَا بِأَمِّ الْمُؤْمِنِينَ، فَالْعَجَبُ لاختلافِها إِيَّاكُمَا، وَمَسِيرِها مَعَكُمَا، فَكُفَّا عَنَّا أَنْفُسَكُمَا وَارْجِعَا مِنْ حَيْثُ جِئْتُمَا، فَلَسْنَا عِبِيدَ مَنْ غَلَبَ، وَلَا أَوَّلَ مَنْ سَبَقَ؛ فَهَمَّا بِهِ ثُمَّ كَفَّا عَنْهُ.

وَكَانَتْ عَائِشَةُ قَدْ شَكَّتْ فِي مَسِيرِها، وَتَعَاظَمَتِ الْقِتَالُ، فَدَعَتْ كَاتِبَهَا عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبٍ النُّمَيْرِيَّ فَقَالَتْ: اكْتُبْ مِنْ عَائِشَةَ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

فَقَالَ: هَذَا أَمْرٌ لَا يَجْرِي بِهِ الْقَلَمُ.

قَالَتْ: وَلِمَ؟

قَالَ: لِأَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي الْإِسْلَامِ أَوَّلٌ، وَلَهُ بِذَلِكَ الْبَدْءُ فِي الْكِتَابِ.

ص: ٨٧

فَقَالَتْ: اكْتُبْ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مِنْ عَائِشَةَ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، أَمَّا بَعْدُ.

فَإِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ قَرَابَتِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، وَلَا قَدَمَكَ فِي الْإِسْلَامِ، وَلَا غَنَاءَكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، وَإِنَّمَا خَرَجْتُ مُصْلِحَةً بَيْنَ بَنِي، لَا أُرِيدُ حَرْبَكَ إِنْ كَفَفْتَ عَنْ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ. فِي كَلَامٍ لَهَا كَثِيرٍ، فَلَمْ أَجِبْهَا بِحَرْفٍ، وَأَخَّرْتُ جَوَابَهَا لِقِتَالِها.

فَلَمَّا قَضَى اللَّهُ لِي الْحُسْنَى سِرْتُ إِلَى الْكُوفَةِ، وَاسْتَخَلَفْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ عَلَى الْبَصْرَةِ؛ فَقَدِمْتُ الْكُوفَةَ وَقَدْ اتَّسَقَتْ لِي الْوُجُوهُ كُلُّهَا إِلَّا الشَّامَ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَّخِذَ الْحُجَّةَ وَأَقْضِيَ الْعُدْرَ، أَخَذْتُ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: «وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَمِّنْهُمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ» (١).

فَبَعَثْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى مَعَاوِيَةَ مُعْذِرًا إِلَيْهِ، مَتَّخِذًا لِلْحُجَّةِ عَلَيْهِ، فَرَدَّ كِتَابِي وَجَحَدَ حَقِّي وَدَفَعَ بِيَعْتِي، وَبَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَبْعَثُ إِلَى قَتَلَةِ عُثْمَانَ، فَبَعَثْتُ إِلَيْهِ: مَا أَنْتَ وَقَتَلْتَ عُثْمَانَ، أَوْلَادُهُ أَوْلَى بِهِ، فَادْخُلْ أَنْتَ وَهُمْ فِي طَاعَتِي، ثُمَّ خَاصِمُوا الْقَوْمَ لِأَحْمِلْكُمْ وَإِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَإِلَّا فَهَذِهِ خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنْ رِضَاعِ الْمَلِكِ، فَلَمَّا بَيَّسَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ، بَعَثَ إِلَيَّ: أَنْ أَجْعَلَ الشَّامَ لِي حَيَاتِكَ، فَإِنْ حَدَثَ بِكَ حَدِيثٌ مِنَ الْمَوْتِ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ عَلَيَّ طَاعَةٌ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِذَلِكَ أَنْ يَخْلَعَ طَاعَتِي مِنْ عُنُقِهِ، فَأَبَيْتُ عَلَيْهِ.

فَبَعَثَ إِلَيَّ: أَنْ أَهْلَ الْحِجَازِ كَانُوا الْحُكَّامَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ، فَلَمَّا قَتَلُوا عُثْمَانَ صَارَ أَهْلُ الشَّامِ الْحُكَّامَ عَلَى أَهْلِ الْحِجَازِ. فَبَعَثْتُ إِلَيْهِ: إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَسَمِّ لِي رَجُلًا مِنْ قُرَيْشِ الشَّامِ تَحِلُّ لَهُ الْخِلَافَةُ، وَيُقْبَلُ فِي الشُّورَى، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ سَمِّتْ لَكَ مِنْ قُرَيْشِ الْحِجَازِ مَنْ يَحِلُّ لَهُ الْخِلَافَةُ وَيُقْبَلُ فِي الشُّورَى.

وَنَظَرْتُ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ، فَإِذَا هُمْ بَقِيَّةُ الْأَحْزَابِ فَرَّاشُ نَارٍ، وَذِئَابُ طَمَعٍ تَجَمَّعَ

(١) الأنفال: ٥٨.

ص: ٨٨

مِنْ كُلِّ أَوْبٍ (١)، مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُودَّبَ وَيُحْمَلَ عَلَى السُّنَّةِ، لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَلَا الْأَنْصَارِ، وَلَا التَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ، فَدَعَوْتُهُمْ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ فَأَبَوْا إِلَّا الْفِرَاقِي وَشِقَاقِي، ثُمَّ نَهَضُوا فِي وَجْهِ الْمُسْلِمِينَ، يَنْضَحُونَهُمْ بِالْأَنْبِلِ، وَيَشْجِرُونَهُمْ بِالرَّمَاكِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ نَهَضْتُ إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا عَصَّتْهُمْ السَّلَاحُ، وَوَجَدُوا أَلَمَ الْجِرَاحِ، رَفَعُوا الْمَصَاحِفَ فَدَعَوْهُمْ إِلَى مَا فِيهَا، فَانْبَأَتْكُمْ أَنَّكُمْ لَيْسُوا بِأَهْلِ دِينٍ وَلَا قُرْآنٍ، وَإِنَّمَا رَفَعُوا مَكِيدَةً وَخَدِيعَةً فَامْضُوا لِقِتَالِهِمْ، فَقُلْتُمْ إَقْبَلْ مِنْهُمْ، وَاكْفُفْ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ إِنْ أَجَابُوا إِلَيَّ مَا فِي الْقُرْآنِ، جَامِعُونَا عَلَى مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ، فَقَبِلْتُ مِنْهُمْ وَكَفَفْتُ عَنْهُمْ، فَكَانَ الصَّلَاحُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ عَلَى رَجُلَيْنِ حَكَمَيْنِ، يُحْيِيَانِ مَا أَحْيَاهُ الْقُرْآنُ، وَيُمِيتَانِ مَا أَمَاتَهُ الْقُرْآنُ، فَاخْتَلَفَ رَأْيُهُمَا، وَاخْتَلَفَ حُكْمُهُمَا، فَتَبَدَّدَا مَا فِي الْكِتَابِ، وَخَالَفَا مَا فِي الْقُرْآنِ، وَكَانَا أَهْلَهُ.

ثُمَّ إِنَّ طَائِفَةً اغْتَزَلَتْ فَتَرَكَنَاهُمْ مَا تَرَكَنَا، حَتَّى إِذَا عَاثُوا فِي الْأَرْضِ يَفْسِدُونَ وَيَقْتُلُونَ، وَكَانَ فِيمَنْ قَتَلُوهُ أَهْلُ مِيرَةَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، وَخَبَابَا وَابْنُهُ وَأُمُّ وَلَدِهِ، وَالْحَارِثُ بْنُ مُرَّةِ الْعُبْدِيِّ، فَبَعَثْتُ إِلَيْهِمْ، دَاعِيًا فَقُلْتُ: اذْفَعُوا إِلَيْنَا قَتْلَةَ إِخْوَانِنَا.

فَقَالُوا: كُلُّنَا قَتَلْتَهُمْ، ثُمَّ شَدَّتْ عَلَيْنَا خِيْلُهُمْ وَرَجَالُهُمْ فَصَرَعَهُمُ اللَّهُ مَصَارِعَ الظَّالِمِينَ، فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِهِمْ أَمَرْتُكُمْ أَنْ تَمْضُوا مِنْ فَوْرِكُمْ ذَلِكَ إِلَى عَدُوِّكُمْ فَقُلْتُمْ: كَلَّتْ سَيْوفُنَا، وَنَصَلَتْ أَسْنَنُ رِمَاحِنَا، وَعَادَ أَكْثَرُهَا قَصِيدًا، فَادْزَنَ لَنَا فَلَنَرْجِعَ وَلَنَسْتَعِدَّ بِأَحْسَنِ عُدَّتِنَا، وَإِذَا نَحْنُ رَجَعْنَا زِدْنَا فِي مِقَاتِلِنَا عِدَّةً مَن قُتِلَ مِنَّا، حَتَّى إِذَا أَظْلَلْتُمْ عَلَى النُّخَيْلَةِ، أَمَرْتُكُمْ أَنْ تَلْزِمُوا مُعَسَّكَرَكُمْ، وَأَنْ تَضْمُوا إِلَيْهِ نَوَاصِيَكُمْ، وَأَنْ تُوْطِنُوا عَلَى الْجِهَادِ نَفُوسَكُمْ، وَلَا تُكْثِرُوا زِيَارَةَ أَبْنَائِكُمْ وَنِسَائِكُمْ، فَإِنَّ أَصْحَابَ الْحَرْبِ مُصَابِرُوهَا، وَأَهْلُ التَّشْمِيرِ فِيهَا، وَالَّذِينَ لَا يَتَوَجَّدُونَ مِنْ سَهَرٍ لِيْلِهِمْ

(١) من كُلِّ أَوْبٍ أَى: من كلِّ طريقٍ و وجهٍ و ناحية. (السان العرب: ج ١ ص ٢٢٠ «أوب»).

ص: ٨٩

ولا ظمأ نهارهم، ولا فقدان أولادهم، ولا نسائهم.

فَأَقَامَتْ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ مَعِدَّةً، وَطَائِفَةٌ دَخَلَتِ الْمِصْرَ عَاصِيَةً، فَلَا مَنْ دَخَلَ الْمِصْرَ عَادَ إِلَيَّ، وَلَا مَنْ أَقَامَ مِنْكُمْ ثَبَتَ مَعِيَ وَلَا صَبَرَ، فَلَقَدْ رَأَيْتَنِي وَمَا فِي عَسْكَرِي مِنْكُمْ خَمْسُونَ رَجُلًا، فَلَمَّا رَأَيْتُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ، دَخَلْتُ عَلَيْكُمْ، فَمَا قُدِّرَ لَكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ إِلَى يَوْمِكُمْ هَذَا.

لِلَّهِ أُنُوكُمْ أ لَا تَرَوْنَ إِلَى مِصْرَ قَدْ افْتُسِحَتْ، وَإِلَى أَطْرَافِكُمْ قَدْ انْتَقَصَتْ، وَإِلَى مَصَالِحِكُمْ تَرْقَى وَإِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى وَأَنْتُمْ ذَوُو عَدَدٍ جَمٍّ، وَشَوْكَةٍ شَدِيدَةٍ، وَأُولُوا بِأَسٍ قَدْ كَانَ مَخُوفًا، لِلَّهِ أَنْتُمْ أَئِنَّ تَذْهَبُونَ، وَأَنْتَى تُؤْفَكُونَ.

أَلَا وَإِنَّ الْقَوْمَ قَدْ جَدُّوا وَتَأَسَّوْا وَتَنَاصَرُوا وَتَنَاصَحُوا، وَإِنَّكُمْ قَدْ أُبَيِّتُمْ وَوَبَّيْتُمْ وَتَخَاذَلْتُمْ وَتَغَاشَسْتُمْ، مَا أَنْتُمْ إِنْ بَقِيْتُمْ عَلَى ذَلِكَ سَعْدَاءُ، فَنَبَّهُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ نَائِمَكُمْ، وَتَجَرَّدُوا وَتَحَرَّوْا لِحَرْبٍ عَدُوَّكُمْ، فَقَدْ أَبَدَتِ الرَّغْوَةَ عَنِ الصَّرِيحِ، وَأَضَاءَ الصُّبْحِ لِذِي عَيْنَيْنِ، فَاتَّبَعُوا، إِنَّمَا تُقَاتِلُونَ الطُّلُقَاءَ وَأَبْنَاءَ الطُّلُقَاءِ، وَأَهْلَ الْجَفَاءِ، وَمَنْ أَسْلَمَ كُرْهًا، وَكَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ أَنْفَاءً، وَلِلْإِسْلَامِ كُلَّهُ حَرْبًا، أَعْدَاءُ السُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ، وَأَهْلَ الْبَدْعِ وَالْأَحْدَاثِ، وَمَنْ كَانَتْ نِكَايَتُهُ تُتَّقَى، وَكَانَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ مَخُوفًا، وَآكِلَةَ الرُّشَاءِ، وَعَبِيدَ الدُّنْيَا، وَلَقَدْ أَتْنِي إِلَى أَنْ ابْنَ النَّابِغَةِ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ لَهُ أَنْ يُؤْتِيَهُ أَتِيَّةٌ هِيَ أَعْظَمُ مِمَّا فِي يَدَيْهِ مِنْ سُلْطَانِهِ، فَصَفَرْتُ يَدُ هَذَا الْبَائِعِ دَيْنَهُ بِالْدُّنْيَا، وَخَزَيْتُ أَمَانَتَهُ هَذَا الْمَشْتَرَى بُصْرَةَ فَاسِقٍ غَادِرٍ بِأَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَيُّ سَهْمٍ لِهَذَا الْمَشْتَرَى بُصْرَةَ فَاسِقٍ غَادِرٍ، وَقَدْ شَرِبَ الْخَمْرَ، وَضُرِبَ حَدًّا فِي الْإِسْلَامِ، وَكُلُّكُمْ يَعْرِفُهُ بِالْفُسَادِ فِي الدِّينِ، وَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَدْخُلْ فِي الْإِسْلَامِ وَأَهْلُهُ حَتَّى رَضِيَخَ لَهُ وَعَلَيْهِ رَضِيخَةٌ.

فَهَؤُلَاءِ قَادَةُ الْقَوْمِ، وَمَنْ تَرَكْتُ لَكُمْ ذِكْرَ مَسَاوِيهِ أَكْثَرُ وَأَبْوَرُ، وَأَنْتُمْ تَعْرِفُونَهُمْ

ص: ٩٠

بَأَعْيَانِهِمْ وَأَسْمَائِهِمْ، كَانُوا عَلَى الْإِسْلَامِ ضِدًّا، وَلَنَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَرْبًا، وَلِلشَّيْطَانِ حِزْبًا، لَمْ يَقْدُمْ إِيْمَانُهُمْ وَلَمْ يَحْدُثْ نِفَاقُهُمْ، وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَوْ وُلُّوا عَلَيْكُمْ لَأُظْهِرُوا فِيكُمْ الْفَخْرَ وَالتَّكَبُّرَ وَالتَّسْلُطَ بِالْجَبَرِيَّةِ وَالْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ.

وَأَنْتُمْ عَلَى مَا كَانَ مِنْكُمْ مِنْ تَوَاضُلٍ خَيْرٌ مِنْهُمْ وَأَهْدَى سَبِيلًا، مِنْكُمْ الْفُقَهَاءُ وَالْعُلَمَاءُ وَالْفُهَمَاءُ وَحَمَلَةُ الْكِتَابِ وَالْمَتَهَجِّدُونَ بِالْأَسْحَارِ، أ لَا تَسْخَطُونَ وَتَنْقِمُونَ أَنْ يُنَازِعَكُمْ الْوَلَايَةَ السُّفَهَاءُ الْبُطَاةُ عَنِ الْإِسْلَامِ الْجَفَاءُ فِيهِ، اسْمَعُوا قَوْلِي - يَهْدِيكُمُ اللَّهُ - إِذَا قُلْتُ، وَأَطِيعُوا أَمْرِي إِذَا أَمَرْتُ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ أَطَعْتُمُونِي لَا تَغْوُونَ، وَإِنْ عَصَيْتُمُونِي لَا تَرْشُدُونَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

«فَأَمَّنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» «١»، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» «٢»، فَالْهَادِي بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هَادٍ لِأُمَّتِهِ عَلَى مَا كَانَ مِنْ

رسول الله صلى الله عليه وآله، فمن عسى أن يكون الهادي إلّا الذي دعاكم إلى الحقّ، وقادكم إلى الهدى، خذوا للحرب أهبتها، وأعدّوا لها عدتها، فقد شُبت ووقدت، وتجرد لكم الفاسقون، لكيما يُطفئوا نور الله بأفواههم ويغرّوا عباد الله.

ألا إنه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع والجفاء أولى بالحقّ من أهل البرّ والإحسان، في طاعة ربهم ومناصحة إمامهم، إني والله لو لقيتهم وحدي وهم أهل الأرض ما استوحشت منهم ولا باليت، ولكن أسفّ يرييني، وجزع يعتريني من أن يلي هذه الأمة فجّارها وسفهاؤها، فيتخذون مال الله ذولاً، وكتاب الله دخلاً، والفاسقين حزباً، والصالحين حرباً، وإثم الله لولا ذلك ما أكرت تأنيبكم

(١) يونس: ٣٥.

(٢) الرعد: ٧.

ص: ٩١

وتحريضكم، ولترككم إذ أبيئتم حتى حم لي لقاءهم.

فوالله إني لعلّى الحقّ، وإني للشهادة لمحبّ، وإني إلى لقاء الله - ربّي - لمشتاق، ولحسن ثوابه لمنتظر، إني نافر بكم ف «انفروا خفافاً وثقالاً وجهدوا بأموالكم وأنفُسكم في سبيل الله» (١)، ولا تتأقلّوا في الأرض فتعمّوا بالذلّ، وتقرّوا بالخسف، ويكون نصيبكم الأخسر، إنّ أبا الحرب اليقظان الأرقّ إنّ نام لم تنم عينه، ومن ضعف أودى، ومن كره الجهاد في سبيل الله كان المعبون المهين.

إني لكم اليوم على ما كنتم عليه أمس، ولستم لي على ما كنتم عليه، من تكونوا ناصريه أخذ بالسهم الأخيبي، والله لو نصرتم الله لنصركم وثبت أقدامكم، إنه حقّ على الله أن ينصر من نصره، ويخذل من خذله، أترون الغلبة لمن صبر بغير نصر، وقد يكون الصبر جُبناً ويكون حميّة، وإنما النصر بالصبر، والورود بالصدور، والبرق بالمطر.

اللهمّ اجمعنا وإياهم على الهدى، وزهّدنا وإياهم في الدنيا، واجعل الآخرة خيراً لنا من الأولى.

«٢»

حكيم بن جبلة

حكيم بن جبلة بن حصين العبدى، و يقال ابن جبل. من أصحاب على عليه السلام «٣»، و من الثابتين على طاعته، و العارفين بحقه في الخلافة. أثنى عليه

(١) التوبة: ٤١.

(٢). كشف المحجّة: ص ٢٣٥ - ٢٦٩ و راجع: بحار الأنوار: ج ٣٠ ص ٧ - ٣٧ و ج ٨ ص ٦١٥؛ الإمامة و السياسة:

ص ١٥٤، أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٧٢، المسترشد: ص ٤٠٩.

(٣). رجال الطوسي: ص ٦١ الرقم ٥٣٠.

ص: ٩٢

أصحاب التراجم بعبارات متنوعة، منها: كان مُطاعاً في قومه «١»، و منها: أحد أشراف الأبطال «٢»، و منها: و ما سُمع بأشجع منه «٣». تولّى قيادة البصريين في الثورة على عثمان «٤».

و عند ما نقض مساعير فتنة الجمل طُلْحَة و الزُبَيْر، و من معهما الهدنة مع عثمان بن حنيف، و حملوا على الناس، و همّوا باحتلال البصرة، قاتلهم حَكِيم و أصحابه بشجاعة و بصيرة. و ارتفعت كلمته الرائعة عند القتال: إنّي لستُ في شكٍّ من قتال هؤلاء ... «٥» فكانت آية و دليلاً على معرفته الدّقيقة و اعتقاده العميق بالحقّ. و قد رزقه الله الشّهادة في ذلك القتال «٦».

و ذكر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّ مقتل حَكِيم كان أحد الأسباب الّتي دفعته إلى مقاتلة أصحاب الجمل، و مواجهة فتنهم و فسادهم «٧».

في تاريخ الطبريّ عن الجارود بن أبي سبرة: لما كانت اللّيلة الّتي اخذ فيها عثمان بن حنيف، و في رحبة مدينة الرّزق طعام يرتزقه النّاس، فأراد عبد الله

(١). الاستيعاب: ج ١ ص ٤٢١ الرقم ٥٥٨، اسد الغابة: ج ٢ ص ٥٧ الرقم ١٢٣٣.

(٢). سِير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٥٣١ الرقم ١٣٦.

(٣). سِير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٥٣٢ الرقم ١٣٦، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٤٩٥، اسد الغابة: ج ٢ ص ٥٨ الرقم ١٢٣٣ و فيهما «ما رُئي أشجع منه»، أنساب الأشراف: ج ٥ ص ١٣٠ و فيه «أشجع أهل زمانه».

(٤). تاريخ الطبريّ: ج ٤ ص ٣٧٨، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٤٩٥ و فيه «إنّه أحد من سار إلى الفتنة»، سِير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٥٣١ الرقم ١٣٦ و فيه «كان أحد من ثار في فتنة عثمان»، مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٥٢.

(٥). راجع: تاريخ الطبريّ: ج ٤ ص ٤٧٥، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٢٠، الاستيعاب: ج ١ ص ٤٢٣ الرقم ٥٥٨، سِير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٥٣١ الرقم ١٣٦ نحوه.

(٦). راجع: تاريخ الطبريّ: ج ٤ ص ٤٦٦ - ٤٧١، الاستيعاب: ج ١ ص ٤٢١ الرقم ٥٥٨، اسد الغابة: ج ٢ ص ٥٧ الرقم ١٢٣٣، سِير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٥٣٢ الرقم ١٣٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٩ ص ٣٢٢.

(٧). الإرشاد: ج ١ ص ٢٥٢، الجمل: ص ٣٣٤؛ تاريخ الطبريّ: ج ٤ ص ٤٨١.

أن يرزقه أصحابه، وبلغ حَكِيمُ بْنُ جَبَلَةَ ما صُنِعَ بعثمان، فقال: لست أخاف الله إن لم أنصره. فجاء في جماعة من عبد القيس، و بكر بن وائل، وأكثرهم عبد القيس، فأتى ابن الزُبَيْرُ مدينة الرُّزْق، فقال: ما لك يا حَكِيمُ؟ قال: نريد أن نرتزق من هذا الطَّعام، و أن تخلُّوا عثمان فيقيم في دار الإمارة على ما كتبتم بينكم حتَّى يقدم علىّ، و الله لو أجد أعواناً عليكم أخطبكم بهم ما رضيت بهذه منكم، حتَّى أقتلكم بمن قتلتم، و لقد أصبحتم، و إنّ دماءكم لنا لحلال بمن قتلتم من إخواننا، أ ما تخافون الله عز و جل! بم تستحلّون سفك الدِّماء؟ قال: بدم عثمان بن عفّان. قال: فالَّذين قتلتموهم قتلوا عثمان؟ أ ما تخافون مقت الله؟

فقال له عبد الله بن الزُّبَيْر: لا نرزقكم من هذا الطَّعام، و لا نُخلّي سبيل عثمان بن حنيف حتَّى يخلع عليّاً، قال حَكِيمُ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ حكم عدل فاشهد.

و قال لأصحابه: إنّي لست في شكٍّ من قتال هؤلاء؛ فمن كان في شكٍّ فليصرف.

و قاتلهم فاقتتلوا قتالاً شديداً، و ضرب رجلٌ ساقَ حَكِيمٍ، فأخذ حَكِيمُ ساقه فرماه بها، فأصاب عنقه فصرعه و وقذه «١» ثمّ حبا إليه فقتله و اتكأ عليه، فمرّ به رجل فقال: مَنْ قتلَكَ؟ قال: وِسادتي! و قُتل سبعون رجلاً من عبد القيس. قال الهذلي: قال حَكِيمُ حين قطعت رجله:

أَقُولُ لِمَا جَدَّ بِي زِمَاعِي «٢»
لِلرَّجُلِ يَا رَجُلِي لَنْ تُرَاعِي

إِنْ مَعِيَ مِنْ نَجْدَةٍ ذِرَاعِي

قال عامر و مَسْلَمَةُ: قُتل مع حَكِيمٍ، ابنه الأشرف، و أخوه الرعل بن جَبَلَةَ «٣»

(١) و وقذه: ضربه حتَّى استرخى و أشرف على الموت (لسان العرب: ج ٣ ص ٥١٩).

(٢) الزِّمَاع: المضاء في الأمر و العزم عليه (لسان العرب: ج ٨ ص ١٤٣).

(٣). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٧٤ و راجع الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٢٠ و الإستيعاب: ج ١ ص ٤.

فِي سَبِيلِ أَعْلَامِ النَّبَاءِ: لم يزل يُقاتل يوم الجمل حتَّى قُطعت رِجلُهُ، فأخذها و ضرب بها الَّذي قطعها فقتله بها، و بقي يُقاتل على رجلٍ واحدة، و يرتجز، و يقول:

يَا سَاقُ لَنْ تُرَاعِي
إِنْ مَعِيَ ذِرَاعِي

أَحْمَىٰ بِهَا كُرَاعِي «١» فنزف منه دم كثير، فجلس متكئاً على المقتول الذي قطع ساقه، فمرَّ به فارس، فقال: من قطع رجليك؟

قال: وسادتي! فما سَمِعَ بأشجع منه. ثمَّ شدَّ عليه سَحِيمَ الحُدَّانِي فقتله «٢».

قال الإمام عليّ عليه السلام- من كلامه حين دخل البصرة-: عبادَ اللَّهِ! انهدوا «٣» إلى هؤلاء القومِ مُنْشَرِحَةً صُدُورُكُمْ بِقِتَالِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ نَكثُوا بَيْعَتِي، وَأَخْرَجُوا ابْنَ حُنَيْفٍ عَامِلِي، بَعْدَ الضَّرْبِ الْمُبْرَحِ وَالْعُقُوبَةِ الشَّدِيدَةِ، وَقَتَلُوا السِّيَابِجَةَ «٤»، وَقَتَلُوا حَكِيمَ بْنَ جَبَلَةَ الْعَبْدِي.

عامرُ بنُ واثلة

عامر بن واثلة بن عبد الله الكِنَانِي اللَّيْثِي، أَبُو الطُّفَيْلِ وَهُوَ بِكَنْيَتِهِ أَشْهَرُ. وَلَدَ فِي السَّنَةِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا غَزْوَةُ أَحَدٍ. أَدْرَكَ ثَمَانِي سِنِينَ مِنْ حَيَاةٍ

(١) الكُرَاعُ مِنَ الْإِنْسَانِ: مَادُونِ الرِّكْبَةِ إِلَى الْكَعْبِ (لسان العرب: ج ٨ ص ٣٠٦).

(٢) سِيرَ أَعْلَامُ النَّبَلَاءِ: ج ٣ ص ٥٣١ الرقم ١٣٦، تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٧١، اسد الغابة: ج ٢ ص ٥٧ الرقم ١٢٣٣ كلاهما نحوه و راجع الإستيعاب: ج ١ ص ٤٢١ الرقم ٥٥٨.

(٣) نهد القوم لعدوهم: إذا صمدوا له و شرعوا في قتاله (النهاية: ج ٥ ص ١٣٤).

(٤) قوم من السند كانوا بالبصرة جلاوزة و حُرَّاسَ السِجْنِ (الصَّحاح: ج ١ ص ٣٢١).

ص: ٩٥

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ «١»، وَرَأَاهُ «٢»، وَهُوَ آخِرُ مَنْ مَاتَ مِنَ الصَّحَابَةِ «٣».

وَكَانَ يَقُولُ: أَنَا آخِرُ مَنْ بَقِيَ مِمَّنْ كَانَ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ «٤». تَوَفَّى سَنَةَ ١٠٠ هـ «٥».

كَانَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ «٦» وَثِقَاتِهِ «٧» وَمُجِبِّهِ «٨» وَشِيعَتِهِ «٩» وَشَهِدَ مَعَهُ جَمِيعَ حُرُوبِهِ «١٠»

(١). مسند ابن حنبل: ج ٩ ص ٢٠٩ ح ٢٣٨٦٠، المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ٧ ح ٦٥٩٢، التاريخ الكبير:

ج ٦ ص ٤٤٦ ح ٢٩٤٧، سِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ: ج ٣ ص ٤٦٩ الرقم ٩٧؛ رجال الطوسي: ص ٧٠ الرقم ٦٤٦.

(٢). مسند ابن حنبل: ج ٩ ص ٢٠٩ ح ٢٣٨٥٧، سِير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٦٨ الرقم ٩٧، تاريخ بغداد: ج ١ ص ١٩٨ الرقم ٣٧، المعارف لابن قتيبة: ص ٣٤١، الاستيعاب: ج ٢ ص ٣٤٧ الرقم ١٣٥٢؛ رجال الكشي: ج ١ ص ٣٠٩ الرقم ١٤٩.

(٣). المستدرک علی الصحيحين: ج ٣ ص ٧١٧ ح ٦٥٩٢، تهذيب الكمال: ج ١٤ ص ٨١ الرقم ٣٠٦٤، الطبقات لخليفة بن خياط: ص ٦٨ الرقم ١٧٦، تاريخ بغداد: ج ١ ص ١٩٨ الرقم ٣٧، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٦ ص ١١٣، تهذيب التهذيب: ج ٣ ص ٥٥ الرقم ٣٦١٣؛ وقعة صفين: ص ٣٥٩.

(٤). مسند ابن حنبل: ج ٩ ص ٢٠٩ الرقم ٢٣٨٥٧، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٦ ص ١١٤.

(٥). المستدرک علی الصحيحين: ج ٣ ص ٧١٧ ح ٦٥٩٤، تهذيب الكمال: ج ١٤ ص ٨١ الرقم ٣٠٦٤، الطبقات لخليفة بن خياط: ص ٦٨ الرقم ١٧٦، الاستيعاب: ج ٢ ص ٣٤٧ الرقم ١٣٥٢.

(٦). رجال الطوسي: ص ٧٠ الرقم ٦٤٦، تاريخ يعقوبی: ج ٢ ص ٣٠٧؛ سِير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٦٨ الرقم ٩٧.

(٧). كشف المحجّة: ص ٢٣٦.

(٨). سِير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٦٩ الرقم ٩٧، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٦ ص ١١٦، الاستيعاب: ج ٢ ص ٣٤٧ الرقم ١٣٥٢.

(٩). تهذيب الكمال: ج ١٤ ص ٧٩ الرقم ٣٠٦٤، سِير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٦٨ الرقم ٩٧، تاريخ مدينة دمشق:

ج ٢٦ ص ١١٣.

(١٠). سِير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٧٠ الرقم ٩٧، المعارف لابن قتيبة: ص ٣٤١، الاستيعاب: ج ٢ ص ٣٤٧ الرقم ١٣٥٢، الوافي بالوفيات: ج ١٦ ص ٥٨٤ الرقم ٦٢٣.

ص: ٩٦

كان له حظّ وافر من الخطابة، و كان ينشد الشّعْر الجميل. كما كان مقاتلاً بأسلاً في الحروب. خطب في صفين كثيراً، و ذهب إلى العسكر و مدح عليّاً عليه السلام بشعره النابع من شعوره الفياض. و افتخر بصمود أصحاب الإمام، و قدح في أصحاب الفضائح من الامويين و أخزاهم «١». و ذكره نصر بن مزاحم بأنّه من مخلصي الشيعة، و أخبر عن مواقفه الرائعة «٢».

كان عامر بن واثلة حامل لواء المختار، عند ما نهض للثأر بدم الإمام الحسين «٣». و قيل عليه السلام: إنّ كان كيسانيّاً «٤»، و اختلف فيه «٥». و الصحيح أنّه رجع إنّ كان كيسانيّاً «٦». ساعدته مهارته في الكلام و استيعابه لمعارف الحقّ و إمامه بكتاب الله على أن يتحدّث بصلابة، دفاعاً عن الحقّ، و تقريباً لغير الكفوئين «٧».

لقد كان شخصيّة عظيمة، ذكره أصحاب الرجال بإجلال وإكبار. وقال الذهبي في حقّه: كان ثقةً فيما ينقله، صادقاً، عالماً، شاعراً، فارساً، عمراً دهنراً طويلاً «٨».

في وقعة صفّين عن جابر الجعفي: سمعت تميم بن حذيم الناجي يقول: لما

(١). وقعة صفّين: ص ٣٠٩ - ٣١٣ و ص ٥٥٤.

(٢). وقعة صفّين: ص ٣٥٩.

(٣). سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٦٩ الرقم ٩٧، المعارف لابن قتيبة: ص ٤٣١، الوافي بالوفيات: ج ١٦ ص ٥٨٤ الرقم ٦٢٣ وفيه «خرج مع المختار طالباً بدم الحسين عليه السلام».

(٤). رجال الكشي: ج ١ ص ٣٠٩ الرقم ١٤٩.

(٥). قاموس الرجال: ج ٥ ص ٦٣٣ الرقم ٣٨٣٧.

(٦). معجم رجال الحديث: ج ٩ ص ٢٠٥ الرقم ٦١٠٨.

(٧). تنقيح المقال: ج ٢ ص ١١٩ الرقم ٦٠٦٤ نقلًا عن المناقب لابن شهر آشوب، قاموس الرجال: ج ٥ ص ٦٢٩ وج ٦٣٠ ص ٣٨٣٧.

(٨). سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٧٠ الرقم ٩٧.

ص: ٩٧

استقام لمعاوية أمره، لم يكن شيء أحبّ إليه من لقاء عامر بن واثلة، فلم يزل يكاتبه و يلطف حتّى أتاه، فلمّا قدم سأله عن عرب الجاهليّة. قال: و دخل عليه عمرو بن العاص و نفرٌ معه، فقال لهم معاوية: تعرفون هذا؟ هذا فارس صفّين و شاعرها، هذا خليل أبي الحسن. قال:

ثمّ قال: يا أبا الطفيل، ما بلغ من حبّك عليّاً؟

قال: حبّ أمّ موسى لموسى.

قال: فما بلغ من بكائك عليه؟

قال: بكاء العجوز المقلات، و الشيخ الرقوب «١» إلى الله أشكو تقصيري.

فقال معاوية: و لكنّ أصحابي هؤلاء، لو كانوا سُئلوا عنّي ما قالوا فيّ ما قلت في صاحبك.

قال: إنا و الله لا نقول الباطل.

فقال لهم معاوية: لا و الله و لا الحقّ «٢».

و فى سِيرِ أعلامِ النبلاء عن عبد الرحمن الهمدانيّ: دخل أبو الطُّفَيْل على معاوية، فقال: ما أبقي لك الدهر من تُكلِّك عليّ؟

قال: تُكل العجوز المُقلات و الشيخ الرقوب.

قال: فكيف حبّك له؟

قال: حبّ أم موسى لموسى، و إلى الله أشكو التّقصير «٣»

(١) أى الرجل و المرأة إذا لم يعيش لهما ولد (لسان العرب: ج ١ ص ٤٢٧).

(٢). وقعة صفّين: ص ٥٥٤؛ الوافى بالوفيات: ج ١٦ ص ٥٨٤ الرقم ٦٢٣.

(٣). سِيرِ أعلامِ النبلاء: ج ٣ ص ٤٦٩ الرقم ٩٧، أنساب الأشراف: ج ٥ ص ١٠١، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٦ ص ١١٦.

ص: ٩٨

و فى الاستيعاب: قدم أبو الطُّفَيْل يوماً على معاوية فقال له: كيف وجدك على خليلك أبى الحسن؟

قال: كوجد أم موسى على موسى، و أشكو إلى الله التّقصير «١».

و فى تاريخ اليعقوبى: أتاه (عمر بن عبد العزيز) أبو الطُّفَيْل عامر بن واثلة، و كان من أصحاب عليّ، فقال له: يا أمير المؤمنين! لِمَ منعنى عطائى؟

فقال له: بلغنى أنّك صقلت سيفك، و شحذت سنانك، و نصّلت سهمك، و غلّفت قوسك، تنتظر الإمام القائم حتّى يخرج، فإذا خرج وفّاك عطاء ك.

فقال: إنّ الله سائلك عن هذا.

فاستحيا عمر من هذا و أعطاه «٢».

و فى تاريخ مدينة دمشق عن أبى عبد الله الحافظ: سمعت أبا عبد الله - يعنى محمّد بن يعقوب الأخرم - يقول: و سُئِلَ لِمَ ترك البخارى حديث أبى الطُّفَيْل عامر بن واثلة؟

قال: لأنّه كان يفرط فى التّشيع «٣».

عَلْقَمَةُ بْنُ قَيْسٍ

عَلْقَمَةُ بْنُ قَيْسٍ بن عبد الله النَّخَعِيُّ الكُوفِيُّ، أَبُو شَيْلٍ، أحد فقهاء الكوفة و محدّثيها و قرّائها الكبار، و يعدّ من رجال مدرسة ابن مسعود في الفقه

(١). الاستيعاب: ج ٤ ص ٢٦٠ الرقم ٣٠٨٤، اسد الغابة: ج ٦ ص ١٧٧ الرقم ٦٠٣٥.

(٢). تاريخ يعقوبى: ج ٢ ص ٣٠٧.

(٣). تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٦ ص ١٢٨.

ص: ٩٩

و الحديث «١»، و من الرواة الذين روى عنهم رجال كثير. «٢»

شهد معركة صفين «٣»، و فقد فيها إحدى رجليه «٤». و كان مع الإمام عليّ عليه السلام في النهروان أيضاً «٥». أمضى سنتين في خوارزم، و توجه إلى خراسان للقتال.

اختلف في سنة وفاته بين سنة ٦١ و ٦٥ هـ «٦».

استشهد أخوه في صفين أيضاً «٧».

في وقعة صفين: إنّ النّخع قاتلت قتالاً شديداً، فاصيب منهم يومئذٍ ... ابى بن قيس أخو علقمة بن قيس الفقيه، و قطعت رجل علقمة بن قيس فكان يقول:

ما أحبّ أن رجلى أصحّ ما كانت؛ لما أرجو بها من حسن الثّواب من ربّي «٨».

المِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو

المِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو بن ثعلبة البُهْرَاوِيُّ الكِنْدِيُّ، المعروف بالمِقْدَادُ بن الأسود.

(١). تهذيب الكمال: ج ٢٠ ص ٣٠٣ و ج ٣٠٤ ص ٤٠١٧، تاريخ بغداد: ج ١٢ ص ٢٩٩ الرقم ٦٧٤٣، سير أعلام النبلاء: ج ٤ ص ٥٣ و ج ٥٤ ص ١٤.

(٢). تهذيب الكمال: ج ٢٠ ص ٣٠٢ الرقم ٤٠١٧، سير أعلام النبلاء: ج ٤ ص ٥٤ الرقم ١٤.

(٣). الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٨٧، تهذيب الكمال: ج ٢٠ ص ٣٠٥ الرقم ٤٠١٧، تاريخ بغداد: ج ١٢ ص ٢٩٧ الرقم ٦٧٤٣، المعارف لابن قتيبة: ص ٥٨٣.

(٤). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٣٢، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٧٩، الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٨٨؛ رجال الكشي:

ج ١ ص ٣١٧ الرقم ١٥٩ وفيهما «عرجت رجله»، وقعة صفين: ص ٢٨٧.

(٥). تاريخ بغداد: ج ١٢ ص ٢٩٧ الرقم ٦٧٤٣.

(٦). تهذيب الكمال: ج ٢٠ ص ٣٠٧ الرقم ٤٠١٧، سير أعلام النبلاء: ج ٤ ص ٦١ الرقم ١٤.

(٧). وقعة صفين: ص ٢٨٧، رجال الكشي: ج ١ ص ٣١٧ الرقم ١٥٩؛ الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٨٨، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٣٢، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٧٩.

(٨). وقعة صفين: ص ٢٨٧، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٣٢، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٧٩.

ص: ١٠٠

طويل القامة، أسمر الوجه «١». كان من شجعان الصحابة و أبطالهم و نجبا لهم «٢». شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه و آله «٣». و صفوه بأنه مجمع الفضائل و المناقب، و كان أحد الأركان الأربعة «٤». و عدّه رسول الله صلى الله عليه و آله أحد الأربعة الذين تشاق إليهم الجنة «٥».

ثبت على الصراط المستقيم بعد رسول الله صلى الله عليه و آله، و حفظ حقّ الولاية العلوية، و أعلن مخالفته للذين بدّلوا، في مسجد النبي صلى الله عليه و آله «٦».

و عدّ المقداد في بعض الروايات أطوع أصحاب الإمام عليه السلام «٧». و كان من الصفوة الذين صلّوا على الجثمان الطاهر لسيدة النساء فاطمة صلوات الله عليها «٨».

عارض المقداد حكومة عثمان، و أعلن عن معارضته لها من خلال خطبة ألقاها في مسجد المدينة «٩». و قال: إنّي لأعجب من قريش، أنّهم تركوا رجلاً ما أقول إنّ أحداً أعلم و لا أقضى منه بالعدل .. أما و الله، لو أجد عليه أعواناً

(١). المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ٣٩٢ ح ٥٤٨٤، الإصابة: ج ٦ ص ١٦٠ الرقم ٨٢٠١.

(٢). حلية الأولياء: ج ١ ص ١٧٢.

(٣). المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ٣٩٢ ح ٥٤٨٤، الطبقات الكبرى: ج ٣ ص ١٦٢، تهذيب الكمال: ج ٢٨ ص ٤٥٣ الرقم ٦١٦٢.

(٤). الاختصاص: ص ٦.

(٥). المعجم الكبير: ج ٦ ص ٢١٥ ح ٦٠٤٥، حلية الأولياء: ج ١ ص ١٤٢ و ص ١٩٠ وفيه «إنَّ الله تعالى يحبُّ أربعة من أصحابي»؛ الخصال: ص ٣٠٣ ح ٨٠.

(٦). الخصال: ص ٤٦٣ ح ٤، الاحتجاج: ج ١ ص ١٩٤ ح ٣٧، رجال البرقي: ص ٦٤.

(٧). رجال الكشي: ج ١ ص ٤٦ الرقم ٢٢.

(٨). الخصال: ص ٣٦١ ح ٥٠، رجال الكشي: ج ١ ص ٣٤ الرقم ١٣، الاختصاص: ص ٥، تفسير فرات: ج ٥٧٠ ص ٧٣٣.

(٩). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٢٣٢ و ٢٣٣، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٢٢١-٢٢٤؛ تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٦٣.

ص: ١٠١

توفى المقداد سنة ٣٣ هـ وهو في السبعين من عمره «١».

و كان له نصيب من مال الدنيا منذ البداية، فأوصى للحسن و الحسين عليهما السلام بستّة و ثلاثين ألف درهم منه «٢». و هذه الوصية دليل على حبه لأهل البيت عليهم السلام و تكريمه و احترامه لهم عليهم السلام.

في الأمالي للطوسي عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه: لما بويع عثمان، سمعت المقداد بن الأسود الكندي يقول لعبد الرحمن بن عوف: و الله، يا عبد الرحمن، ما رأيت مثل ما اتى إلى أهل هذا البيت بعد نبيهم.

فقال له عبد الرحمن: و ما أنت و ذاك يا مقداد؟

قال: إنني و الله، أحبهم لحب رسول الله صلى الله عليه و آله و يعتريني و الله، وجد لا أبته بثّة، لتشرف قريش على الناس بشرفهم، و اجتماعهم على نزع سلطان رسول الله صلى الله عليه و آله من أيديهم.

فقال له عبد الرحمن: ويحك! و الله، لقد اجتهدت نفسي لكم.

فقال له المقداد: و الله، لقد تركت رجلاً من الذين يأمرون بالحقّ و به يعدلون، أما و الله، لو أنّ لي على قريش أعواناً لقاتلتهم قتالي إياهم يوم بدر و أحد.

فقال له عبد الرحمن: ثكلتك أمك يا مقداد! لا يسمعن هذا الكلام منك الناس، أما و الله، إنني لخائف أن تكون صاحب فرقة و فتنة.

قال جندب: فأتيته بعد ما انصرف من مقامه، فقلت له: يا مقداد أنا من أعوانك.

(١). المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ٣٩٢ ح ٥٤٨٤، الطبقات الكبرى: ج ٣ ص ١٦٣، تهذيب الكمال: ج ٢٨ ص ٤٥٦ وج ٤٥٧ ص ١٦٢، الاستيعاب: ج ٤ ص ٤٣ الرقم ٢٥٩٠، اسد الغابة: ج ٥ ص ٢٤٤ الرقم ٥٠٧٦.

(٢). تهذيب الكمال: ج ٢٨ ص ٤٥٦ الرقم ١٦٢.

ص: ١٠٢

فقال: رحمک اللہ، إنَّ الَّذی نرید لا یغنی فیہ الرَّجُلان و الثَّلَاثَة، فخرجت من عنده و أتیت علیَّ بن أبی طالب علیه السلام، فذکرت له ما قال و قلت، قال: فدعا لنا بخیر «١».

فی تاریخ یعقوبی - فی ذکر أحداث ما بعد استخلاف عثمان -: مال قوم مع علیَّ بن أبی طالب، و تحاملوا فی القول علی عثمان.

فروی بعضهم قال: دخلت مسجد رسول اللہ، فرأیت رجلاً جائئاً علی ركبتيه، يتلهف تلهف من كأنَّ الدُّنْيَا كانت له فسلبها، و هو يقول: وا عجباً لقريش! و دفعهم هذا الأمر علی أهل بيت نبيهم، و فيهم أوّل المؤمنين، و ابن عمّ رسول اللہ، أعلم الناس و أفقهم فی دين اللہ، و أعظمهم غناءً فی الإسلام، و أبصرهم بالطريق، و أهداهم للصراط المستقيم.

و اللہ، لقد زوَّها عن الهادی المهتدی الطَّاهر النَّقیّ، و ما أرادوا إصلاحاً لِلأُمَّة و لا صواباً فی المذهب، و لكنَّهم آثروا الدُّنْيَا علی الآخرة، فُبُعِدُوا و سُحِقُوا للقوم الظَّالِمين. فدنوت منه فقلت: من أنت یرحمک اللہ؟ و من هذا الرَّجُل؟

فقال: أنا المقداد بن عمرو، و هذا الرَّجُل علیَّ بن أبی طالب.

قال: فقلت: أ لا تقوم بهذا الأمر فاعینک علیہ؟

فقال: یا ابن أخی! إنَّ هذا الأمر لا یجرى فیہ الرَّجُل و لا الرَّجُلان.

ثمَّ خرجت فلقیت أبا ذرٍّ، فذکرت له ذلك، فقال: صدق أخی المقداد. ثمَّ أتیت عبد اللہ بن مسعود، فذکرت ذلك له، فقال: لقد اخبرنا فلم نألُ «٢»

(١). الأمالی للطوسی: ص ١٩١ ح ٣٢٣.

(٢). تاریخ یعقوبی: ج ٢ ص ١٦٣.

ص: ١٠٣

أَصْبَغُ بنُ نُباتَة

أصبع بن نباتة التميمي الحنظلي المجاشعي. كان من خاصّة الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، و من الوجوه البارزة بين أصحابه «١»، و أحد ثقاته عليه السلام «٢»، و هو مشهور بثباته و استقامته على حبّه عليه السلام.

وصفته النصوص التاريخية القديمة بأنّه شيعيّ «٣»، و أنّه مشهور بحبّ عليّ عليه السلام.

و كان من شرطة الخميس «٤»، و من امرائهم «٥». عاهد الإمام عليّ عليه السلام التّضحية و الفداء و الاستشهاد شهيد «٦».

و شهد معه الجمل، و صفّين «٧». و كان معدوداً في أنصاره الأوفياء المخلصين.

و هو الذي روى عهده إلى مالك الأشتر؛ «٨» ذلك العهد العظيم الخالد!

و كان من القلائل الذين اذن لهم بالحضور عند الإمام عليه السلام بعد ضربته «٩». و عدّ الأصبع في أصحاب الإمام الحسن عليه السلام أيضاً. «١٠»

في وقعة صفّين عن عمر بن سعد الأسديّ- في ذكر وقعة صفّين:- حرّض

(١). رجال النجاشي: ج ١ ص ٦٩ الرقم ٤، الفهرست: ص ٨٥ الرقم ١١٩، وقعة صفّين: ص ٤٠٦ و راجع ميزان الاعتدال: ج ١ ص ٢٧١ الرقم ١٠١٤.

(٢). كشف المحجّة: ص ٢٣٦، وقعة صفّين: ص ٤٠٦.

(٣). الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٢٢٥.

(٤). الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٢٢٥؛ الاختصاص: ص ٦٥.

(٥). وقعة صفّين: ص ٤٠٦.

(٦). رجال الكشي: ج ١ ص ٣٢١ الرقم ١٦٥.

(٧). وقعة صفّين: ص ٤٠٦.

(٨). رجال النجاشي: ج ١ ص ٧٠ الرقم ٤، الفهرست: ص ٨٥ الرقم ١١٩.

(٩). الأملالي للطوسي: ص ١٢٣ ح ١٩١.

(١٠). رجال الطوسي: ص ٩٣ الرقم ٩١٩ و راجع تهذيب المقال: ج ١ ص ١٩٨- ج ٢ ص ٢٠٤ ص ٥.

على بن أبي طالب أصحابه، فقام إليه الأصبع بن نباتة فقال: يا أمير المؤمنين! قدّمني في البقيّة من النّاس؛ فإنّك لا تفقد لي اليوم صبراً ولا نصراً. أمّا أهل الشّام فقد أصبنا منهم، و أمّا نحن ففيها بعض البقيّة، ائذن لي فأتقدّم؟ فقال على: تقدّم باسم الله و البركة، فتقدّم وأخذ رايته، فمضى و هو يقول:

حَتَّى مَتَى تَرْجُو الْبَقَايَا أَصْبَعُ
إِنَّ الرَّجَاءَ بِالْقُنُوطِ يُدْمَعُ
أَمَا تَرَى أَحْدَاثَ دَهْرٍ تَنْبَعُ
فَادْبُغْ هَوَاكَ، وَ الْأَدِيمُ يُدْبَغُ
وَ الرَّفْقُ فِيمَا قَدْ تُرِيدُ أَبْلَغُ
الْيَوْمَ شُغْلٌ وَ غَدًا لَا تَفْرُغُ

فرجع الأصبع و قد خضّب سيفه دمّاً و رُمحه، و كان شيخاً ناسكاً عابداً، و كان إذا لقي القوم بعضهم بعضاً يغمد سيفه، و كان من ذخائر علىّ ممّن قد بايعه على الموت، و كان من فرسان أهل العراق، و كان علىّ عليه السلام يرضى به على الحرب و القتال «١».

جُوَيْرِيَّةُ بْنُ مُسْهَرٍ

جُوَيْرِيَّةُ بْنُ مُسْهَرٍ الْعَبْدِيُّ. من أصحاب الإمام عليه السلام «٢» السّابقيين المقربين «٣»، و من ثقاته «٤».

كان عبداً صالحاً، و صديقاً للإمام عليه السلام، و كان الإمام يحبّه «٥»

(١). وقعة صفين: ص ٤٤٢.

(٢). رجال الطوسي: ص ٥٩ الرقم ٤٩٩، رجال البرقي: ص ٥.

(٣). الاختصاص: ص ٧.

(٤). كشف المحجّة: ص ٢٣٦.

(٥). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٩٠.

استشهد جُوَيْرِيَّةُ في أيّام خلافة معاوية، حيث قطع زياد يده و رجله ثمّ صلبه «١».

فى الإرشاد: إنَّ جُوَيْرِيَّةَ بنَ مُسْهَرٍ وقف على باب القصر فقال: أين أمير المؤمنين؟ فقبل له: نائم، فنادى: أيُّها النَّائم! استيقظ، فوالَّذى نفسى بيده، لَتَضْرِبَنَّ ضَرْبَةً على رأسك تُخْضَبُ منها لحيّتك، كما أخبرتنا بذلك من قبل. فسمعه أمير المؤمنين عليه السلام فنادى:

أقبل يا جُوَيْرِيَّةُ حتّى احدثَكَ بِحديثِكَ.

فأقبل، فقال:

وأنت- والَّذى نفسى بيده- لَتُعْتَلَنَّ إلى العُتْلِ الزَّئِيمِ «٢»، وَلَيَقْطَعَنَّ يَدَكَ وَرِجْلَكَ، ثُمَّ لَيَصْلِبَنَّكَ تَحْتَ جِذْعِ كَافِرٍ.

فمضى على ذلك الدهر حتّى ولى زياد فى أيام معاوية، فقطع يده ورجله، ثمّ صلبه إلى جذع ابن مكعب، و كان جذعاً طويلاً، فكان تحته «٣».

و فى شرح نهج البلاغة عن حَبَّةِ العُرْنَى: سرنا مع علىّ عليه السلام يوماً، فالتفت فإذا جُوَيْرِيَّةٌ خلفه بعيداً، فناداه:

يا جُوَيْرِيَّةُ! الحق بي لا أباً لك! أ لا تعلمُ أنّى أهواكَ واحِيكَ؟

قال: فركض نحوه، فقال له: إنّى محدّثك بامور فاحفظها، ثمّ اشتركا فى الحديث سرّاً، فقال له جُوَيْرِيَّةُ: يا أمير المؤمنين، إنّى رجل نسيّ، فقال له: إنّى اعيد عليك الحديث لتحفظه.

ثمّ قال له فى آخر ما حدّثه إيّاه:

يا جُوَيْرِيَّةُ، أَحِبِّ حَبِيبَنَا ما أَحَبَّنَا، فَإِذَا أَبْغَضْنَا فابْغَضُهُ،

(١). الإرشاد: ج ١ ص ٣٢٣، إعلام الورى: ج ١ ص ٣٤١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ٢ ص ٢٩١.

(٢) عَتَلَهُ فَانْعَتَلَ: جرّه جرّاً عنيفاً و جذبه فحملهُ. و العُتْلُ: الشَّدِيدُ الجافى و الفظُّ الغليظ من الناس. و الزَّئِيمُ: الدَّعَى المُلصَق بالقوم و ليس منهم. و قيل: الذى يُعرَف بالشرِّ و اللؤم (لسان العرب: ج ١١ ص ٤٢٣ و ج ١٢ ص ٢٧٧).

(٣). الإرشاد: ج ١ ص ٣٢٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ٢ ص ٢٩١ نحوه و راجع إعلام الورى: ج ١ ص ٣٤١ و الخرائج و الجرائح: ج ١ ص ٢٠٢ الرقم ٤٤.

ص: ١٠٦

وَابْغَضْ بَغِيضَنَا ما أَبْغَضْنَا، فَإِذَا أَحَبَّنَا فَأَحِبَّهُ «١».

زُرُّ بنُ حُبَيْشٍ

زَرَّ بن حُبَيْش بن حُبَاشَةَ الأَسَدِيِّ من الفضلاء و العلماء و القراء المُطَّلَعين على معارف القرآن، و أحد عيون التَّابعين «٢»، و من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الأجلَّاء «٣». و قد شهد الإمام عليه السلام بوثاقته. و بلغ حبه و ودّه للإمام عليه السلام درجة، أن أصحاب الرِّجال عدّوه علويًا «٤».

كان بارعاً في أدب العرب. و وصفته كتب التراجم بأنّه أعرب النَّاس، و ذكرت أنَّ عبد الله بن مسعود كان يسأله عن العربيّة «٥». قرأ زَرَّ القرآن كلّهُ على أمير المؤمنين عليه السلام «٦»، و قرأه عاصم عليه، «٧» و كان عاصم من القراء السبعة، و كبار علماء الكوفة في القرن الثَّاني.

(١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٩٠.

(٢). الاستيعاب: ج ٢ ص ١٣١ الرقم ٨٧٣، اسد الغابة: ج ٢ ص ٣١٢ الرقم ١٧٣٥، الإصابة: ج ٢ ص ٥٢٢ الرقم ٢٩٧٨؛ رجال الطوسي: ص ٦٤ الرقم ٥٦٩ ..

(٣). تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ٢٤، تهذيب التهذيب: ج ٢ ص ١٩٤ الرقم ٢٣٥٠؛ رجال الطوسي: ص ٦٤ الرقم ٥٦٩.

(٤). تهذيب الكمال: ج ٩ ص ٣٣٧ الرقم ١٩٧٦، سِير أعلام النبلاء: ج ٤ ص ١٦٨ الرقم ٦٠، تاريخ مدينة دمشق:

ج ١٩ ص ٢٩، الإصابة: ج ٢ ص ٥٢٣ الرقم ٢٩٧٨.

(٥). الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ١٠٥، تهذيب الكمال: ج ٩ ص ٣٣٧ الرقم ١٩٧٦، سِير أعلام النبلاء: ج ٤ ص ١٦٧ الرقم ٦٠، المعارف لابن قتيبة: ص ٤٢٧، الإصابة: ج ٢ ص ٥٢٢ الرقم ٢٩٧٨.

(٦). ميزان الاعتدال: ج ٢ ص ٧٣ الرقم ٢٨٧٨، المناقب للخوارزمي: ج ٨٦ ص ٧٦.

(٧). سِير أعلام النبلاء: ج ٤ ص ١٦٧ الرقم ٦٠، المعارف لابن قتيبة: ص ٥٣٠، وفيات الأعيان: ج ٣ ص ٩، تذكرة الحفاظ: ج ١ ص ٥٧ الرقم ٤٠.

ص: ١٠٧

عُمَرُ زَرَّ طويلاً، و توفّي حوالي سنة ٨٠ هـ «١»، و هو ابن مائة و عشرين سنة «٢».

في ميزان الاعتدال عن زَرَّ بن حُبَيْش: قرأت القرآن كلّهُ على عليّ عليه السلام فلمّا بلغت:

«وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ» «٣»

بكي حتّى ارتفع نحيبه «٤».

إبراهيم التَّقْفِيّ في كتابه: دعا سعيد بن قيس الهمدانيّ فبعثه من النخيلة بثمانية آلاف، و ذلك أنّه أخبر أنّ القوم جاءوا في جمع كثيف فقال له: إني قد بعثتك في ثمانية آلاف فاتبع هذا الجيش حتّى تخرجه من أرض العراق، فخرج على شاطئ الفرات في طلبه، حتّى إذا بلغ عانات، سرّح أمامه هاني بن الخطّاب الهمدانيّ فاتبع آثارهم حتّى إذا بلغ أداني قنسرين - و قد فاتوه - ثمّ انصرف. قال فلبث علىّ عليه السلام ترى فيه الكآبة و الحزن حتّى قدم عليه سعيد بن قيس، فكتب كتاباً و كان في تلك الأيام عليّاً فلم يطق على القيام في الناس بكلّ ما أراد من القول، فجلس بباب السّدة الّتي تصل إلى المسجد، و معه الحسن و الحسين عليهما السلام و عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فدعا سعداً مولاه فدفع الكتاب إليه، فأمره أن يقرأه على الناس فقام سعد بحيث يسمع علىّ قراءته، و ما يردّ عليه الناس، ثمّ قرأ الكتاب:

(١). تاريخ خليفة بن خياط: ص ٢٢٢، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ٢٥.

(٢). تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ٢٥، سير أعلام النبلاء: ج ٤ ص ١٦٨ الرقم ٦٠، الاستيعاب: ج ٢ ص ١٣١ الرقم ٨٧٣، اسد الغابة: ج ٢ ص ٣١٢ الرقم ١٧٣٥.

(٣) الشورى: ٢٢.

(٤). ميزان الاعتدال: ج ٢ ص ٧٣ الرقم ٢٨٧٨، المناقب للخوارزمي: ج ٨٦ ص ٧٦ نحوه.

ص: ١٠٨

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؛

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ، إِلَى مَنْ قُرِئَ عَلَيْهِ كِتَابِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ: سَلامٌ عَلَيْكُمْ، أَمَّا بَعْدُ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَلَا شَرِيكَ لِلَّهِ الْأَحَدِ الْقَيُّومِ، وَصَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَالسَّلامُ عَلَيْهِ فِي الْعَالَمِينَ أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي قَدْ عَاتَبْتُكُمْ فِي رُشْدِكُمْ حَتَّى سَيِّمْتُ، أَرْجِعْتُمُونِي بِالْهَزْءِ مِنْ قَوْلِكُمْ، حَتَّى بَرِمْتُ. هُزْءٌ مِنَ الْقَوْلِ لَا يُعَادِيهِ وَخَطْلٌ لَا يُعَزُّ أَهْلُهُ، وَلَوْ وَجَدْتُ بُدْأً مِنْ خِطَابِكُمْ وَالْعِتَابِ إِلَيْكُمْ، مَا فَعَلْتُ، وَهَذَا كِتَابِي يُقْرَأُ عَلَيْكُمْ، فَرُدُّوا خَيْراً وَافْعَلُوهُ، وَمَا أَظُنُّ أَنْ تَفْعَلُوا فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ، وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى وَدِرْعُ اللَّهِ الْحَصِينَةِ وَجَنَّتُهُ الْوَيْفَقَةُ، فَمَنْ تَرَكَ الْجِهَادَ فِي اللَّهِ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ ذِلَّةٍ، وَشَمَلَهُ الْبَلَاءُ، وَضَرَبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالشُّبُهَاتِ، وَدَيْثَ بِالصَّغَارِ وَالْقَمَاءِ، وَأَدِيلَ الْحَقِّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ، وَسِيمَ الْخَسْفِ، وَمُنِعَ النَّصْفِ، أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَادِ عَدُوِّكُمْ لَيْلاً وَنَهَاراً، وَسِرّاً وَجَهراً، وَقُلْتُ لَكُمْ: اغْزَوْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزَوْكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا غَزَى قَوْمٌ قَطُّ فِي عُرِّ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخَاذَلْتُمْ، وَثَقُلَ عَلَيْكُمْ قَوْلِي فَعَصَيْتُمْ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيّاً حَتَّى شُنْتُ عَلَيْكُمْ الْغَارَاتِ فِي بِلَادِكُمْ، وَمَلِكْتُ عَلَيْكُمْ الْأَوْطَانَ.

وهذا أخو غامدٍ قد وردت خيلُهُ الأنبار، فقتلَ بها أشرسَ بنَ حَسَّان، فأزالَ مسالحكمُ عَنْ مواضعها، وقتلَ مِنْكُمْ رجالًا صالحينَ، وقد بلغني أَنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَعْدائِكُمْ كانَ يَدْخُلُ بَيْتَ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْمُعَاهِدَةِ فَيَنْتَرِعُ خَلخالها مِنْ ساقها، ورُعْتها مِنْ أذنها فلا تمتنعُ مِنْهُ، ثُمَّ انصَرَفُوا وإِيرينَ، لَمْ يَكَلَمْ مِنْهُمُ رَجُلٌ كَلِمًا.

فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِمًا ماتَ مِنْ دُونَ هذا أَسَفًا، ما كانَ عِنْدِي مَلُومًا، بل كانَ عِنْدِي بِهِ جَدِيرًا.

ص: ١٠٩

فيا عَجَبًا عَجَبًا، واللَّهِ، يُمِيتُ الْقَلْبَ، وَيَجْلِبُ الْهَمَّ، وَيُسَعِّرُ الْأَحْزَانَ، مِنْ اجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ عَلَى باطلهم وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ، فَقُبْحًا لَكُمْ وَتَرَحًا، لَقَدْ صَيَّرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ غَرَضًا يُرْمَى، يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيِّرُونَ، وَتُغْزَوْنَ وَلَا تَغْزُونَ، وَيُعْصِي اللَّهُ وَتَرْضَوْنَ، وَيُقْضَى إِلَيْكُمْ فَلَا تَأْنِفُونَ، قَدْ نَدَبْتَكُمْ إِلَى جِهَادِ عَدُوِّكُمْ فِي الصَّيْفِ فَقُلْتُمْ: هَذِهِ حِمَارَةُ الْقَيْظِ، أَمَهَلْنَا حَتَّى يَنْسَلِخَ عَنَّا الْحَرُّ، وَإِذَا أَمَرْتَكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ: هَذِهِ صَبَّارَةُ الْقَرِّ؛ أَمَهَلْنَا يَنْسَلِخَ عَنَّا الْبَرْدُ، فَكُلُّ هَذَا فِرَارًا مِنَ الْحَرِّ وَالصَّرِّ؟

فإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ تَفِرُّونَ فَأَنْتُمْ وَاللَّهِ مِنْ حَرِّ السُّيُوفِ أَقْرُ لَا وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ عَنِ السَّيْفِ تَحِيدُونَ؟ فَحَتَّى مَتَى؟ وَإِلَى مَتَى؟

يا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالٍ، وَيَا طَعَامَ الْأَحْلَامِ، أَحْلَامُ الْأَطْفَالِ وَعُقُولُ رِبَّاتِ الْحِجَالِ، اللَّهُ يَعْلَمُ لَقَدْ سَمِمْتُ الْحَيَاةَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، وَلَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ يَقْبِضُنِي إِلَى رَحْمَتِهِ مِنْ بَيْنِكُمْ، وَلَيْتَنِي لَمْ أَرْكُمُ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ، مَعْرِفَةُ اللَّهِ جَرَتْ نَدَمًا، وَأَعْقَبَتْ سَدَمًا «١»، أَوْغَرْتُمْ - يَعْلَمُ اللَّهُ - صَدْرِي غَيْظًا، وَجَرَعْتُمُونِي جُرْعَ التَّهْمَامِ «٢»، أَنْفَاسًا وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي وَخَرَصِي بِالْعَصِيانِ وَالْخِذْلَانِ، حَتَّى قَالَتْ قَرِيشٌ وَغَيْرُهَا: إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شَجَاعٌ وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ. لِلَّهِ أَبُوهُمْ! وَهَلْ كَانَ مِنْهُمْ رَجُلٌ أَشَدَّ مُقَاسَاةً وَتَجَرِبَةً وَلَا أَطُولُ لَهَا مِرَاسًا مِنِّي، فَوَاللَّهِ لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ، فَهَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَفْتُ «٣» عَلَى السَّيْنَيْنِ، وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ».

«٤»

(١) السَّدَمُ - مُحَرَّكَةً -: الْهَمُّ مَعَ أَسْفٍ وَغَيْظٍ، وَفِعْلُهُ كَفَرَحَ.

(٢) التَّهْمَامُ - بِالْفَتْحِ - الْهَمُّ. أَنْفَاسًا: أَيُ جُرْعَةٍ بَعْدَ جُرْعَةٍ، وَالْمُرَادُ أَنَّ أَنْفَاسَهُ أَمَسَتْ هَمًّا يَتَجَرَّعُهُ.

(٣) فِي الْمَصْدَرِ: «زَرَفْتُ» وَ مَا أَثْبَتْنَاهُ هُوَ الصَّحِيحُ.

(٤). الْغَارَاتُ: ج ٢ ص ٤٧٠ وَ الْكَافِي: ج ٥ ص ٤ ح ٦، نَهْجُ الْبَلَاغَةِ: الْخُطْبَةُ ٢٧، نثر الدر: ج ١ ص ٢٩٧، بحار الأنوار: ج ٣٤ ص ٥٥ ح ٩٣١؛ أَنْسَابُ الْأَشْرَافِ: ج ٣ ص ٢٠١، الْكَامِلُ لِلْمَبْرَدِ: ج ١ ص ٣٠، الْعَقْدُ الْفَرِيدُ: ج ٣ ص ١٢١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٧٤ فِي كُلِّهَا «انَّ الْجِهَادَ ... الْخ» مَعَ اخْتِلَافٍ.

ص: ١١٠

إبراهيم التَّقَفَى في كتابه: سُفْيَان بن عَوْف الغامدى قال: دعانى معاوية فقال:

إنى باعشك فى جيش كئيف، ذى أداة و جلادة، فالزم لى جانب الفرات، حتّى تمرّ بهيت فتقطعها، فإن وجدت بها جنداً فأغر عليهم، و إلّا فامض حتّى تغير على الأنبار، فإن لم تجد بها جنداً فامض حتّى تغير على المدائن، ثمّ أقبل إلىّ و اتق أن تقرب الكوفة، و اعلم أنّك إن أغرت على أهل الأنبار و أهل المدائن، فكأنّك أغرت على الكوفة، إنّ هذه الغارات - يا سُفْيَان - على أهل العراق ترهب قلوبهم، و تجرئ كلّ من كان له فينا هوى منهم، و يرى فراقهم، و تدعو إلينا كلّ من كان يخاف الدوائر.

و خرب كلّ ما مررت به من القرى و اقتل كلّ من لقيت ممّن ليس هو على رأيك، و أحرب الأموال فإنّه شبيهه بالقتل، و هو أوجع للقلوب ...

قال: فو الله الذى لا إله إلّا هو، ما مرّت بى ثلاثة حتّى خرجت فى ستة آلاف، ثمّ لزمت شاطئ الفرات فأغذت السّير حتّى أمرّ بهيت، فبلغهم أنّى قد غشيتهم فقطعوا الفرات، فمررت بها و ما بها عريب ... فمضيت حتّى أفتتح الأنبار و قد أنذروا بى فخرج إلىّ صاحبُ المسلحة فوقف لى، فلم أقدم عليه حتّى أخذتُ غلماناً من أهل القرية، فقلت لهم: خبرونى، كم بالأنبار من أصحاب علىّ عليه السلام؟

قالوا: عدّة رجالِ المسلحةِ خمسمائة، و لكنّهم قد تبدّدوا و رجعوا إلى الكوفة، و لا ندرى الذى يكون فيها، قد يكون مائتى رجل.

قال: فنزلت فكتبت أصحابى كتاب، ثمّ أخذت أبعثهم إليه كتيبة بعد كتيبة فيقاتلونهم، و الله و يصبرون لهم، و يطاردونهم فى الأزقة، فلمّا رأيت ذلك أنزلت إليهم نحواً من مائتين، ثمّ أتبعتهم الخيل، فلمّا مشى إليهم الرّجال و حملت عليهم الخيل فلم يكن إلّا قليلاً حتّى تفرّقوا و قتل صاحبهم فى رجال من أصحابه، و أتيناها

ص: ١١١

فى نيف و ثلاثين رجلاً، فحملنا ما كان فى الأنبار من أموال أهلها ثمّ انصرفت ...

عن مُحَمَّد بن مِخْنَف: أنّ سُفْيَان بن عَوْف لما أغار على الأنبار، قدم عالج من أهلها على علىّ عليه السلام فأخبره الخبر، فصعد المنبر فقال:

أيّها النّاس، إنّ أحاكم البكرى قد أصيب بالأنبار، وهو مُعْتَرٍ لا يخاف ما كان، فاختار ما عند الله على الدّنيا، فانتدبوا إليهم حتّى تلاقوهم فإن أصبتم منهم طرفاً أنكلتموهم عن العراق أبداً ما بقوا،

ثمّ سكّت عنهم رجاء أن يُجيبوه أو يتكلّموا، أو يتكلّموا متكلّم منهم بخير. فلمّ ينبس أحدٌ منهم بكلمة، فلمّا رأى صمتهم على ما فى أنفسهم نزل فخرج يمشى راجلاً حتّى أتى النّخيلة، و النّاس يمشون خلفه حتّى أحاط به قوم من أشرافهم فقالوا: ارجع يا أمير المؤمنين نحن نكفيك، فقال عليه السلام:

«ما تكفوننى ولا تكفون أنفسكم»

فلم يزالوا به حتّى صرفوه إلى منزله، فرجع و هو واجم كئيب.

و دعا سعيد بن قيس الهمدانيّ، فبعثه من النخيلة بشمانية آلاف، و ذلك أنّه أخبر أن القوم جاء وا في جمع كئيف، فقال له:

«إني قد بعثتك في ثمانية آلاف، فاتّبع هذا الجيش حتّى تُخرجه من أرض العراق»

فخرج على شاطئ الفرات في طلبه إذا بلغ عانات سرّح أمامه هاني بن الخطّاب الهمدانيّ فاتّبع آثارهم، حتّى إذا بلغ أداني قنسرين، و قد فاتوه ثمّ انصرف.

قال: فلبث عليّ عليه السلام ترى فيه الكآبة و الحزن، حتّى قدم عليه سعيد بن قيس، فكتب كتاباً و كان في تلك الأيام عليلًا، فلم يطق على القيام في الناس بكلّ ما أراد من القول، فجلس بباب السّدة التي تصل إلى المسجد، و معه الحسن و الحسين عليهما السلام و عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فدعا سعدا مولاه، فدفع الكتاب إليه فأمره أن يقرأه على الناس، فقام سعد بحيث يسمع على قراءته و ما يردّ

ص: ١١٢

عليه الناس ثمّ قرأ الكتاب: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ... «١»

قال ابن أبي الحديد: هذه الخطبة من مشاهير خطبه عليه السلام، قد ذكرها كثير من الناس و رواها أبو العباس المبرّد في أوّل الكامل. «٢» و قال المبرّد: أنه خطبها بالنخيلة على رباوة من الأرض. «٣» و قال الجاحظ: أغار سُفيان بن عوف الأزدي ثمّ الغامدي على الأنبار، زمان عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه و عليها حسّان أو ابن حسّان البكري فقتله، و أزال تلك الخيل عن مسالحتها، فخرج عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه حتى جلس على باب السّدة، فحمد الله و أثنى عليه، و صلّى على نبيّه ثمّ قال ... «٤»

و في معاني الأخبار: إنّ عليّا انتهى إليه أنّ خيلًا لمعاوية وردت الأنبار، فقتلوا عاملاً له يقال له: حسّان بن حسّان، فخرج مُغضباً يجرّ ثوبه حتّى أتى النخيلة، و اتّبعه فرقي رباوة من الأرض ... «٥»

و الأمر سهل، و قد نقل نظره المصنف رحمه الله «٦»: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام أمر فكتب في كتاب، و قرئ على النّاس فاختلف النّاس في أنّه عليه السلام خطب أو كتب فقرأ. «٧»

صورة أخرى على رواية المفيد رحمه الله:

(١). الغارات: ج ٢ ص ٤٦٥؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٨٨ نحوه.

(٢). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٧٥.

(٣). الكامل للمبرّد: ج ١ ص ٢٩.

(٤). البيان و التبيين: ج ٢ ص ٥٣.

(٥). معاني الأخبار: ص ٣٠٩ ح ١، و نقله أيضاً عيون الأخبار لابن قتيبة: ج ٢ ص ٢٣٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٨٨ و بحار الأنوار: ج ٣٤ ص ٦٤ ح ٩٣١ نقلاً عنه.

(٦). شرح نهج البلاغة: ج ٢ ص ٨٨.

(٧) راجع: شرح نهج البلاغة للبحراني: ج ٢ ص ٣١، الأخبار الطوال: ص ٢١١، الأغاني: ج ١٦ ص ٢٨٦، مقاتل الطالبين: ص ٤١، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٤٢٧.

ص: ١١٣

و من كلامه عليه السلام في مقام آخر:

«يُيْهَا النَّاسُ، إِنِّي اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِجِهَادِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فَلَمْ تَنْفَرُوا، وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تُجِيبُوا، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا، شُهِدْتُ كَالْغَيْبِ، أَتَلَوْ عَلَىكُمْ الْحِكْمَةَ فَتُعْرِضُونَ عَنْهَا، وَأَعْظَمْتُ بِالْمَوْعِظَةِ الْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا، كَأَنَّكُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفَرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ؛ وَأَحْشُكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْجَوْرِ، فَمَا آتَى عَلَى آخِرِ قَوْلِي حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيْدَى سَبَأٍ، تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ تَتَرَبَّعُونَ حَلَقًا، تَضْرِبُونَ الْأَمْثَالَ، وَتَنَاشِدُونَ الْأَشْعَارَ، وَتَجَسَّسُونَ الْأَخْبَارَ، إِذَا تَفَرَّقْتُمْ تَسْأَلُونَ عَنِ الْأَسْعَارِ، جَهْلَةً مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ، وَغَفْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ، وَتَتَّبَعًا فِي غَيْرِ خَوْفٍ، نَسِيتُمْ الْحَرْبَ وَالِاسْتِعْدَادَ لَهَا، فَأَصْبَحَتْ قُلُوبُكُمْ فَارِغَةً مِنْ ذِكْرِهَا، شَغَلَتْموها بِالْأَعَالِيلِ وَالْأَبَاطِيلِ.

فَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ! وَمَا لِي لَا أَعْجَبُ مِنْ اجْتِمَاعِ قَوْمٍ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَخَاذُلِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ!

يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، أَنْتُمْ كَأَمْ مُجَالِدٍ، حَمَلْتُمْ فَأَمْلَصْتُمْ، فَمَاتَ قِيَمُهَا، وَطَالَ تَأْيُمُهَا، وَوَرِثَهَا أَبْعَدُهَا.

وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ لِلْأَعْوَرِ الْأَدْبَرِ، جَهَنَّمَ الدُّنْيَا لَا يُبْقَى وَلَا يَذَرُ، وَمَنْ بَعْدَهُ النَّهَاسُ الْفَرَّاسُ الْجَمْعُ الْمَنُوعُ، ثُمَّ لِيَتَوَارَثَنَّكُمْ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ عِدَّةٌ، مَا الْآخِرُ بِأَرَأْفَ بِكُمْ مِنَ الْأَوَّلِ، مَا خَلَا رَجُلًا وَاحِدًا، بِلَاءٌ قَضَاهُ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ لَا مَحَالَةَ كَائِنْ، يَقْتُلُونَ خِيَارَكُمْ، وَيَسْتَعِيدُونَ أَرَادِلَكُمْ، وَيَسْتَخْرِجُونَ كُنُوزَكُمْ وَذَخَائِرَكُمْ مِنْ جَوْفِ حِجَالِكُمْ، نَقْمَةً بِمَا ضَيَعْتُمْ مِنْ أُمُورِكُمْ وَصَلَاحِ أَنْفُسِكُمْ وَدِينِكُمْ.

يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، أُخْبِرُكُمْ بِمَا يَكُونُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ، لِتَكُونُوا مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ، وَلِتُنذِرُوا بِهِ مَنْ اتَّعَظَ وَاعْتَبَرَ، كَأَنِّي بِكُمْ تَقُولُونَ: إِنَّ عَلِيًّا يَكْذِبُ، كَمَا قَالَتْ قُرَيْشٌ

ص: ١١٤

لِنَبِيِّهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَسَيِّدِهَا نَبِيَّ الرَّحْمَةِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ حَبِيبِ اللَّهِ، فَيَا وَيْلَكُمْ، أَفَعَلَى مَنْ أَكْذَبُ؟! أَعَلَى اللَّهِ، فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ عَبَدَهُ وَوَحَدَهُ، أَمْ عَلَى رَسُولِهِ، فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ وَنَصَرَهُ! كُلَّا وَلَكِنَّهَا لَهْجَةٌ خُدْعَةٌ كُنْتُمْ عَنْهَا أَغْيَاءَ.

وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ، وَذَلِكَ إِذَا صِيرَكُمْ إِلَيْهَا جَهْلُكُمْ، وَلَا يَنْفَعُكُمْ عِنْدَهَا عِلْمُكُمْ، فَقُبْحًا لَكُمْ يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالًا، حُلُومُ الْأَطْفَالِ وَعُقُولُ رِبَّاتِ الْحِجَالِ، أَمْ وَاللَّهِ أَتِيهَا الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، مَا أَعَزَّ اللَّهَ نَصْرَ مَنْ دَعَاكُمْ، وَلَا اسْتَرَاخَ قَلْبَ مَنْ قَاسَاكُمْ، وَلَا قَرَّتْ عَيْنُ مَنْ آوَاكُمْ، كَلَامُكُمْ يُوهِي الصَّمَّ الصَّلَابَ، وَفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فَيْكُمْ عَدُوَّكُمْ الْمُرْتَابَ.

يَا وَيْحَكُمْ، أَيُّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ! وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ! الْمَغْرُورُ - وَاللَّهِ - مَنْ غَرَّرْتُمُوهُ، مَنْ فَازَ بِكُمْ فَازَ بِالسَّهْمِ الْأَخِيبِ، أَصَبَحْتُ لَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ، وَلَا أَصَدِّقُ قَوْلَكُمْ، فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَأَعَقَبَنِي بِكُمْ مَنْ هُوَ خَيْرٌ لِي مِنْكُمْ، وَأَعَقَبَكُمْ مَنْ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ مِنِّي.

إِمَامُكُمْ يُطِيعُ اللَّهَ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَ، وَإِمَامُ أَهْلِ الشَّامِ يَعِصِي اللَّهَ وَهُمْ يُطِيعُونَهُ، وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرْفَ الدِّينَارِ بِالذَّرْهِمِ، فَأَخَذْتُ مِنِّي عَشْرَةَ مِنْكُمْ وَأَعْطَانِي وَاحِدًا مِنْهُمْ،

وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ وَلَمْ تَعْرِفُونِي، فَإِنَّهَا مَعْرِفَةٌ جَرَتْ نَدْمًا.

لَقَدْ وَرَيْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ أَمْرِي بِالْخِذْلَانِ وَالْعِصْيَانِ، حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ قَرِيشٌ: إِنَّ عَلِيًّا رَجُلٌ شَجَاعٌ، لَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحُرُوبِ، لِلَّهِ دَرُؤُهُمْ، هَلْ كَانَ فِيهِمْ أَحَدٌ أَطْوَلُ لَهَا مِرَاسًا مِنِّي! وَأَشَدُّ لَهَا مُقَاسَاةً! لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ، ثُمَّهَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَفْتُ عَلَى السَّيِّئِينَ، لَكِنْ لَا أَمْرَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ.

ص: ١١٥

أَمْ وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ رَبِّي قَدْ أَخْرَجَنِي مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ إِلَى رِضْوَانِهِ، وَإِنَّ الْمَنِيَّةَ لَتَرُصِدُنِي، فَمَا يَمْنَعُ أَشْقَاهَا أَنْ يَخْضِبَهَا؟ - وَتَرَكَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ وَلِحْيَتَيْهِ - عَهْدٌ عَهْدُهُ إِلَى النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى، وَنَجَا مَنْ اتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى.

يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَادٍ هَؤُلَاءِ لَيْلًا وَنَهَارًا وَسِرًّا وَإِعْلَانًا، وَقُلْتُ لَكُمْ:

اغْزَوْهُمْ، فَإِنَّهُ مَا غَزَى قَوْمٌ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا، فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخَاذَلْتُمْ، وَثَقُلَ عَلَيْكُمْ قَوْلِي، وَاسْتَصْعَبَ عَلَيْكُمْ أَمْرِي، وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا، حَتَّى شَنَنْتُ عَلَيْكُمْ الْغَارَاتُ، وَظَهَرَتْ فِيكُمْ الْقَوَاحِشُ وَالْمَنْكَرَاتُ، تُمَسِّيكُمْ وَتُصَبِّحُكُمْ، كَمَا فَعَلَ بِأَهْلِ الْمَثَلَاتِ مِنْ قَبْلِكُمْ، حَيْثُ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْجَبَابِرَةِ وَالْعَتَاةِ الطُّغَاةِ، وَالْمُسْتَضْعَفِينَ الْغَوَاةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَمُسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ» (١)، أَمْ وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَقَدْ حَلَّ بِكُمْ الَّذِي تُوعَدُونَ.

عَاتِبْتُكُمْ - يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ - بِمَوَاعِظِ الْقُرْآنِ، فَلَمْ أَنْتَفِعْ بِكُمْ، وَأَدْبَتُكُمْ بِالذِّرَّةِ فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا، وَعَاقَبْتُكُمْ بِالسَّوْطِ الَّذِي يُقَامُ بِهِ الْحُدُودُ فَلَمْ تَرَعُوا، وَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الَّذِي يُصْلِحُكُمْ هُوَ السَّيْفُ، وَمَا كُنْتُ مَتَحَرِّيًا صَلَاحَكُمْ بِفَسَادِ نَفْسِي، وَلَكِنْ سَيَّسَلْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي سُلْطَانٌ صَعْبٌ، لَا يُوقِرُ كَبِيرَكُمْ وَلَا يَرْحَمُ صَغِيرَكُمْ، وَلَا يُكْرِمُ عَالِمَكُمْ وَلَا يَقْسِمُ الْفَيْءَ بِالسَّوِيَّةِ بَيْنَكُمْ، وَلَيَضْرِبَنَّكُمْ وَيُدَلِّنَنَّكُمْ وَيُجَمِّرَنَّكُمْ فِي الْمَعَارِزِ، وَيَقْطَعَنَّ سَبِيلَكُمْ، وَلَيَحْجُبَنَّكُمْ عَلَى بَابِهِ، حَتَّى يَأْكُلَ قُوَّتَكُمْ ضَعِيفَكُمْ، ثُمَّ لَا يُبْعِدُ اللَّهُ إِلَّا مَنَ ظَلَمَ مِنْكُمْ، وَلَقَلَّمَا أَدْبَرَ شَيْءٌ ثُمَّ أَقْبَلَ، وَإِنِّي لِأُظَنُّكُمْ فِي قَتْرَةٍ وَمَا عَلَى إِلَّا النَّصْحُ لَكُمْ.

يا أهل الكوفة، مُنيتُ منكم بثلاثِ واثنين صُمُّ ذُوو أَسْمَاعٍ، وَبُكْمُ ذُوو أَلْسُنٍ،

(١١) البقرة: ٤٩.

ص: ١١٦

وَعُمِّي ذُوو أَبْصَارٍ لَا إِخْوَانُ صِدْقٍ عِنْدَ اللَّقَاءِ، وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ الْبَلَاءِ.

اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلَلْتُهُمْ وَمَلُونِي، وَسَمَّيْتُهُمْ وَسَمَّيْتَنِي.

اللَّهُمَّ لَا تُرَضِّ عَنْهُمْ أَمِيرًا، وَلَا تُرَضِّهِمْ عَنْ أَمِيرٍ، وَأَمِثْ قُلُوبَهُمْ كَمَا يُمِثُّ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ.

أَمَ وَاللَّهِ، لَوْ أَجِدُ بُدْءًا مِنْ كَلَامِكُمْ وَمُرَاسَلَتِكُمْ مَا فَعَلْتُ، وَلَقَدْ عَاتَبْتُكُمْ فِي رُشْدِكُمْ حَتَّى لَقَدْ سَمِيتُ الْحَيَاةَ؛ كُلَّ ذَلِكَ تُرَاجِعُونَ بِالْهَزْءِ مِنَ الْقَوْلِ فِرَارًا مِنَ الْحَقِّ، وَإِلْحَادًا إِلَى الْبَاطِلِ الَّذِي لَا يُعِزُّ اللَّهُ بِأَهْلِهِ الدِّينَ، وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَنْكُمْ لَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ، كُلَّمَا أَمَرْتُكُمْ بِجِهَادٍ عَدُوَّكُمْ أَثَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ، وَسَأَلْتُمُونِي التَّأْخِيرَ دِفَاعَ ذِي الدِّينِ الْمَطُولِ.

إِنْ قُلْتُ لَكُمْ فِي الْقَيْظِ: سِيرُوا، قُلْتُ: الْحَرُّ شَدِيدٌ، وَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ فِي الْبَرْدِ: سِيرُوا، قُلْتُ: الْقُرُّ شَدِيدٌ، كُلُّ ذَلِكَ فِرَارًا عَنِ الْجَنَّةِ، إِذَا كُنْتُمْ عَنِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ تَعْجِزُونَ، فَانْتُمْ عَنْ حَرَارَةِ السَّيْفِ أَعْجَزُ وَأَعْجَزُ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

يا أهل الكوفة، قد أتاني الصَّرِيخُ يُخْبِرُنِي أَنَّ أَخَا غَامِدٍ قَدْ نَزَلَ الْأَنْبَارَ عَلَى أَهْلِهَا لَيْلًا، فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ، فَأَغَارَ عَلَيْهِمْ كَمَا يُغَارُ عَلَى الرُّومِ وَالْخَزَرِ، فَقَتَلَ بِهَا عَامِلِي ابْنَ حَسَّانَ، وَقَتَلَ مَعَهُ رَجُلًا صَالِحِينَ ذَوِي فَضْلٍ وَعِبَادَةٍ وَنَجْدَةٍ، بَوًّا لِلَّهِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ، وَأَنَّهُ أَبَاحَهَا، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الْعُصْبَةَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ كَانُوا يَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْأُخْرَى الْمَعَاهِدَةَ، فِيهِتَكُونَ سِتْرَهَا، وَيَأْخُذُونَ الْقِنَاعَ مِنْ رَأْسِهَا، وَالْخُرْصَ مِنْ أُذُنِهَا، وَالْأَوْضَاحَ مِنْ يَدَيْهَا، وَرَجْلَيْهَا وَعَضْدِيهَا، وَالْخَلْخَالَ وَالْمِزْرَ مِنْ سَوْقِهَا، فَمَا تَمْتَنِعُ إِلَّا بِالْإِسْتِرْجَاعِ وَالنَّدَاءِ: يَا لِلْمُسْلِمِينَ، فَلَا يُغِيثُهَا مُغِيثٌ، وَلَا يَنْصُرُهَا نَاصِرٌ؛ فَلَوْ أَنَّ مُؤْمِنًا مَاتَ مِنْ دُونِ هَذَا أَسْفًا مَا كَانَ عِنْدِي مُلُومًا، بَلْ كَانَ عِنْدِي بَارًّا مُحْسِنًا.

ص: ١١٧

وَأَعْجَبًا كُلَّ الْعَجَبِ، مِنْ تَظَافُرِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَفَسَلِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ! قَدْ صِرْتُمْ غَرَضًا يُرْمَى وَلَا تَرْمُونَ، وَتُغَزَوْنَ وَلَا تُغَزُونَ، وَيُعَصَى اللَّهُ وَتَرْضَوْنَ، تَرَبَّتْ أَيْدِيكُمْ يَا أَشْبَاهَ الْإِبِلِ، غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهَا، كُلَّمَا اجْتَمَعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ جَانِبٍ»

«١»

«٢»

أقول: لا بدَّ من هنا ذكر أمور:

الأوّل: اختلف فى اسم عامله عليه السلام على الأنبار، فقليل أنّه حَسَّان بن حَسَّان البَكْرِىّ، كما فى نفس هذا الكتاب على نقل نهج البلاغة «٣» و الكامل «٤» و الكافى «٥» و معانى الأخبار «٦» و فى الإصابة، فى ترجمة سُفْيَان بن عَوْف الغامدى «٧» و فى العقد: حَسَّان البَكْرِى «٨» و فى البيان و التبيين: حَسَّان أو ابن حَسَّان «٩» و فى الأغانى: حَسَّان بن حَسَّان «١٠» و كذا فى شرح البحرانى «١١»

(١). الإرشاد: ج ١ ص ٢٧٨، الاحتجاج: ج ١ ص ٤٠٩ ح ٨٩، الغارات: ج ٢ ص ٤٩٤، بحار الأنوار: ج ٣٤ ص ١٣ ح ٩٥٦ و راجع: نهج البلاغة: الخطبة ٩٧.

(٢) و من المحتمل أنّ السيّد الرضى رضى الله عنه اختار ما نقله فى نهج البلاغة عمّا رواه شيخنا الأعظم المفيد؛ كما هو دأبه و الاختلاف بين الروايات كثيرة و الخطبة مشهورة بين العامة و الخاصة.

(٣). نهج البلاغة: الخطبة ٢٧.

(٤). الكامل للمبرّد: ج ١ ص ٢٩.

(٥). الكافى: ج ٥ ص ٥ ح ٦.

(٦). معانى الأخبار: ص ٣٠٩ ح ١.

(٧). الإصابة: ج ٣ ص ١٠٦ الرقم ٣٣٣٤.

(٨). العقد الفريد: ج ٣ ص ١٢١.

(٩). البيان و التبيين: ج ٢ ص ٥٣.

(١٠). الأغانى: ج ١٦ ص ٢٨٧.

(١١). شرح نهج البلاغة للبحراني: ج ٢ ص ٣١.

ص: ١١٨

و قيل: أشرس بن حَسَّان كما فى الغارات «١» و ابن أبى الحديد ناقلًا عنه «٢» و الطبرى «٣» و ابن الأثير فى الكامل «٤» و أنساب الأشراف «٥» و اليعقوبى «٦».

و عنوانه العلّامة الشُّوشترى، و لم يرجح أحدهما، و اكتفى بنقل الأقوال «٧»، و قال نصر بن مزاحم فى وقعة صفين: و بعث أبا حَسَّان البَكْرِىّ على استان العالى «٨».

و فى معجم البلدان: الاستان العال: كورة فى غربى بغداد من السّواد، تشتمل على أربعة طساسيج و هى: الأنبار و بادرويا و قطربل و مسكن. «٩»

فيحتمل أن يكون اسمه أشرس و كنيته أبا حَسَّان، فوقع السَّهْو من الرُّواة فقالوا:

حَسَّان بن حَسَّان، بدل أبو حَسَّان بن حَسَّان.

الأمر الثَّانى: سند الكتاب أو الخطبة:

رواها الكليني رحمه الله بهذا الإسناد: أحمد بن مُحَمَّد بن سعيد، عن جعفر بن عبد الله العلوى، و أحمد بن مُحَمَّد الكوفى، عن على بن العبَّاس، عن

(١). الغارات: ج ٢ ص ٤٦٩.

(٢). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ٢ ص ٨٧.

(٣). تاريخ الطبرى: ج ٥ ص ١٣٤.

(٤). الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٤٢٥.

(٥). أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٢٠١.

(٦). تاريخ يعقوبى: ج ٢ ص ١٩٦.

(٧). قاموس الرجال: ج ٣ ص ١٧٦.

(٨). وقعة صفين: ص ١١.

(٩). معجم البلدان: ج ١ ص ١٧٤.

ص: ١١٩

إسماعيل بن إسحاق، جميعاً عن أبى روح فرج بن قُرَّة عن مَسْعَدَةَ بن صَدَقَةَ عن ابن أبى ليلى عن أبى عبد الله السَّلمى قال

قال: أمير المؤمنين عليه السلام أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ الْجِهَادَ ...

«١»

و رواه الشيخ الصدوق رحمه الله في معاني الأخبار قال: حدثنا أبو العباس محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني رضي الله عنه، قال: حدثنا عبد العزيز بن يحيى الجلودى، قال:

حدثنا هشام بن عليّ و محمد بن زكريّا الجوهريّ قالوا: حدثنا ابن عائشة بإسناد ذكره، أنّ عليّاً عليه السلام انتهى إليه ...
«٢»

و قال أبو الفرج الأصفهاني في كتابه: حدثني بها العباس بن عليّ النسائي و غيره، قالوا: حدثنا محمد بن حسن الأزرق قال: حدثنا شبابة بن سوار قال: حدثنا قيس بن الربيع عن عمرو بن قيس الملائي عن أبي صادق: أنّه عليه السلام خطب الناس ... «٣»

الأمر الثالث: قال ابن أبي الحديد في شرح هذه الخطبة:

و اعلم أنّ التّريض على الجهاد و الحضّ عليه، قد قال فيه الناس فأكثرُوا، و كلّهم أخذوا من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، فمن جيّد ذلك ما قاله ابن نباتة الخطيب:

أيّها الناس ... هذا آخر خطبة ابن نباتة، فانظر إليها و إلى خطبته عليه السلام بعين الإنصاف، تجدها بالنسبة إليها كمخنت بالنسبة إلى فحل، أو كسيف من رصاص بالإضافة إلى سيف من حديد.

(١). الكافي: ج ٥ ص ٤ ح ٦، و راجع: الغارات: ج ٢ ص ٨٢٠.

(٢). معاني الأخبار: ص ٣٠٩ ح ١.

(٣). مقاتل الطالبين: ص ٤١.

ص: ١٢٠

و انظر ما عليها من أثر التّوليد و شين التّكلّف و فجاجة كثير من الألفاظ، أ لا ترى إلى فجاجة قوله:

«كَأَنَّ أَسْمَاعَكُمْ تَمُجُّ وَدَائِعَ الْوَعْظِ، وَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ بِهَا اسْتِكْبَارٌ عَنِ الْحِفْظِ»

و كذلك ليس يخفى نزول قوله:

«تَتَدُونُ مِنْ عَدُوِّكُمْ نَدِيدَ الْإِبْلِ، وَتَدْرَعُونَ لَهُ مَدَارِعَ الْعَجْزِ وَالْفَشْلِ»

و فيها كثير من هذا الجنس إذا تأملّه الخبير عرفه، و مع هذا فهي مسروقة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ...

- ثمّ ذكر قسماً من سرقاته، و تكلم على تمييز الفصيح عن غيره فقال:- «١» فإن شئت أن تزداد استبصاراً، فانظر القرآن العزيز، و اعلم أنّ الناس قد اتفقوا على أنّه في أعلى طبقات الفصاحة، و تأملّه تأمّلاً شافياً، و انظر إلى ما خصّ به من مزيّة

الفصاحة و البعد عن التّعير و التّعيب و الكلام الوحشى الغريب، و انظر كلام أمير المؤمنين عليه السلام فإنّك تجده مُستقاً من ألفاظه، و مقتضياً من معانيه و مذاهبه، و محدّواً به حذوه، و مسلوکاً به فى منهاجه، فهو و إن لم يكن نظيراً و لا ندّاً، يصلح أن يقال: إنّه ليس بعده كلامٌ أفصح منه و لا أجزل، و لا أعلى و لا أفخم و لا أنبل، إلّا أن يكون كلامُ ابن عمّه عليه السلام و هذا أمر لا يعلمه إلّا من ثبتت له قدم راسخة فى علم هذه الصّناعة، و ليس كلّ النّاس يصلح لانتقاد الجواهر، بل و لا لانتقاد الذّهب، و لِكُلِّ صناعة أهل، و لِكُلِّ عمل رجال ... «٢»

٢٢ كتابه عليه السلام إلى سهّل بن حنيفة الأنصارى

و من كتاب له عليه السلام إلى سهّل بن حنيفة الأنصارى، و هو عامله على المدينة، فى

(١) ما بين الشارحتين ليس من المصدر.

(٢). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ٢ ص ٨٠.

ص: ١٢١

معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية:

«أما بعد، فقد بلغنى أن رجلاً ممن قبلك يتسلّلون إلى معاوية، فلا تأسف على ما يؤتوك من عددهم، ويذهب عنك من مددهم، فكفى لهم غيًّا، ولك منهم شافياً، فرأهم من الهدى والحق، وإيضاعهم إلى العمى والجهل، فإنما هم أهل دنيا مقبلون عليها، ومهطعون إليها، وقد عرفوا العدل ورأوه وسمعوه ووعوه، وعلموا أن الناس عندنا فى الحق أسوة، فهربوا إلى الأثرة فبعداً لهم وسحقاً! إنهم والله، لم ينفروا من جور، ولم يلحقوا بعدل، وإنا لنطمع فى هذا الأمر أن يدلّ الله لنا صعبه، ويسهل لنا حزنه، إن شاء الله، والسلام».

«١»

٢٣ كتابه عليه السلام إلى كميل بن زياد

و هو عامله على هيت، ينكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدو طالباً الغارة.

إلى كميل بن زياد النخعى.

«أما بعد؛ فإنّ تضييع المرء ما ولى وتكلّفه ما كفى، لعجز حاضِر ورأى مُتبرّ وإنّ تعاطيك الغارة على أهل قرقيسيا، وتعطيلك مسالحك الثنى ولئناك ليس بها من يمنعه، ولا يردّ الجيش عنها، لرأى شعاع، فقد صرت جسراً لمن أراد الغارة من أعدائك على أوليائك، غير شديد المنكب ولا مهيب الجانب ولا سادّ ثغرة، ولا كاسرٍ لعدوّ شوكة، ولا مغنٍ عن أهل مصره، ولا مجزٍ عن أميره».

(١). نهج البلاغة: الكتاب ٧٠، تاريخ يعقوبى: ج ٢ ص ١٩٢؛ أنساب الأشراف: ج ٢ ص ١٥٧، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٦٠٤.

(٢). نهج البلاغة: الكتاب ٦١، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٥٢٢ ح ٧١٥؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٧ ص ١٤٩، وراجع: أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٢٣١.

ص: ١٢٢

قال ابن أعثم: فلمّا كان بعد ذلك بأيّام، وجّه معاوية أيضاً برجل من أهل الشّام يقال له عبد الرّحمن بن أشيم في خيل من أهل الشّام إلى بلاد الجزيرة، فأقبل عبد الرّحمن بن أشيم هذا في خيله من أهل الشّام يريد الجزيرة، و بالجزيرة يومئذ رجل يقال له شبيب بن عامر. قال: و شبيب هذا هو جدّ الكرمانى «١» الذى كان بخراسان، و كان بينه و بين نصر بن سيار ما كان، و كان هذا شبيب مقيماً بنصيبين فى ستمائة رجل من أصحاب علىّ رضى الله عنه، فكتب إلى كميل بن زياد:

أمّا بعد؛ فإنّى أخبرك أنّ عبد الرّحمن بن أشيم قد وصل إلى من الشّام فى خيل عظيمة، و لست أدري أين يريد، فكن على حذر، و السّلام.

قال: فكتب إليه كميل: أمّا بعد؛ فقد فهمت كتابك و أنا سائر إليك بمنّ معى من الخيل، و السّلام.

قال: ثمّ استخلف كميل بن زياد رجلاً يقال له: عبد الله بن وهب الرّأسبى، و خرج من هيت فى أربعمائة فارس كلّهم أصحاب بيض و دروع، حتّى صار إلى شبيب بنصيبين، و خرج شبيب من نصيبين فى ستمائة رجل، فساروا جميعاً فى ألف فارس يريدون عبد الرّحمن، و عبد الرّحمن يومئذ بمدينة يقال لها:

كفرتوثا «٢» فى جيش لجب من أهل الشّام، فأشرفت خيل أهل العراق على خيل أهل الشّام. قال: و جعل كميل بن زياد يرتجز و يقول:

يا خيرَ منْ جرَّ له خيرُ القدرِ فاللهُ ذو الآلاءِ أعلَى و أبرُّ

يخذلُ منْ شاءَ و منْ شاءَ نصرُ

... قال: و اختلط القوم فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل من أصحاب كميل:

(١) الكرمانى: هو علىّ بن جديع بن شبيب بن عامر الأزدى.

(٢) كفرتوثا: قرية كبيرة من أعمال الجزيرة، بينها و بين دارا خمسة فراسخ.

رجلان عبد الله بن قيس القابسي، و مُدرك بن بشر الغنوي، و من أصحاب شبيب أربعة نفر؛ و وقعت الهزيمة على أهل الشام فقتل منهم بشر كثير، فولّوا الأدبار منهزمين نحو الشام ...

فقال: ثم رجع شبيب بن عامر إلى نصيبين؛ و رجع كميل بن زياد إلى هيت، و بلغ ذلك علياً رضي الله عنه، فكتب إلى كميل بن زياد:

كتابه عليه السلام إلى كميل بن زياد

«أما بعد؛ فالحمد لله الذي يصنع للمرء كيف يشاء، ويُنزل النصر على من يشاء إذا شاء، فنعم المولى ربنا ونعم النصير، وقد أحسنت النظر للمسلمين ونصحت إمامك، وقدماً كان ظني بك ذلك، فجريت والعصاة التي نهضت بهم إلى حرب عدوك خير ما جرى الصابرون والمجاهدون، فانظر لا تغزون غزوة ولا تجلنوا إلى حرب عدوك خطوة بعد هذا حتى تستأذني في ذلك - كفانا الله وإياك تظاهر الظالمين، إنه عزيز حكيم، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته -». «١»

كتابه عليه السلام إلى ابن عباس

«بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عباس، أما بعد؛ فانظر ما اجتمع عندك من غلات المسلمين وفيهم، فاقسمه من قبلك حتى تغنيهم، وابعث إلينا بما فضل نقسمه فيمن قبلنا، والسلام».

«٢»

(١). الفتوح: ج ٤ ص ٢٢٨، و راجع: أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٢٣١.

(٢). وقعة صفين: ص ١٠٦، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٤٠٢.

كميل بن زياد

هو كميل بن زياد بن نهيك النخعي الكوفي، من أصحاب الإمامين أمير المؤمنين عليّ عليه السلام «١»، و أبي محمد الحسن عليه السلام «٢».

عُدَّ من ثقات أصحاب الإمام عليّ عليه السلام «٣»، و قيل في حقه: كان شجاعاً فاتكاً، و زاهداً عابداً «٤».

كان في مقدّمة الكوفيّين التّأثرين على عثمان «٥»، فأقصاه عثمان مع عدّة إلى الشام «٦». و لما كانت حرب صفّين شارك فيها مع أهل الكوفة. «٧»

ولّاه الإمام على هيت «٨»، فلم يتحمّل عبّأها، بل كان ضعيفاً في ولايته، فعاتبه الإمام على ذلك «٩». روى عن أمير المؤمنين عليه السلام «١٠»، لم يرد ذكره في واقعة كربلاء، و لا في ثورة التّوّابين و المختار.

استشهد كُمَيْل - و أذى كان من جملة العباد الثّمانية المشهورين في

(١). رجال الطوسي: ص ٨٠ الرقم ٧٩٢، رجال البرقي: ص ٦؛ تهذيب الكمال: ج ٢٤ ص ٢١٩ الرقم ٤٩٩٦.

(٢). رجال الطوسي: ص ٩٥ الرقم ٩٤٦.

(٣). كشف المحجّة: ص ٢٣٦؛ تهذيب الكمال: ج ٢٤ ص ٢١٩ الرقم ٤٩٩٦، الإصابة: ج ٥ ص ٤٨٦ الرقم ٧٥١٦.

(٤). البداية و النهاية: ج ٩ ص ٤٦.

(٥). أنساب الأشراف: ج ٦ ص ١٣٩، تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٣٢٦.

(٦). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٣٢٣ و ص ٣٢٦.

(٧). الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ١٧٩، الإصابة: ج ٥ ص ٤٨٦ الرقم ٧٥١٦، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٠ ص ٢٤٩.

(٨). هيت: بلدة في العراق على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار (معجم البلدان: ج ٥ ص ٤٢١).

(٩). نهج البلاغة: الكتاب ٦١؛ أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٢٣١.

(١٠). نهج البلاغة: الحكمة ١٤٧، تاريخ البعقوبي: ج ٢ ص ٢٠٥؛ تهذيب الكمال: ج ٢٤ ص ٢٢٠ الرقم ٤٩٩٦، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٠ ص ٢٥١ الرقم ٥٨٢٩.

ص: ١٢٥

الكوفة «١» - في سنة ٨٢ هـ «٢» على يد الحجاج لعنه الله «٣».

في شرح نهج البلاغة: كان كُمَيْل بن زياد عامل علىّ عليه السلام على هيت، و كان ضعيفاً، يمرّ عليه سرايا معاوية تنهب أطراف العراق و لا يردّها، و يحاول أن يجبر ما عنده من الضّعف بأن يُغيّر على أطراف أعمال معاوية، مثل قرقيسيا «٤» و ما يجري مجراها من القرى التي على الفرات.

فأنكر عليه السلام ذلك من فعله، و قال:

إِنَّ مِنَ الْعَجْزِ الْحَاضِرِ أَنْ يُهْمِلَ الْوَالِي مَا وَلَّيْهُ، وَيَتَكَلَّفَ مَا لَيْسَ مِنْ تَكْلِيفِهِ «٥».

و في الإرشاد عن المُعِيرَةِ: لَمَّا وُلِّيَ الْحَجَّاجُ طَلَبَ كُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍ، فَهَرَبَ مِنْهُ، فَحَرَّمَ قَوْمَهُ عَطَاءَهُمْ، فَلَمَّا رَأَى كُمَيْلٌ ذَلِكَ قَالَ: أَنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ قَدْ نَفَدَ عُمُرِي؛ لَا يَنْبَغِي أَنْ أَحْرِمَ قَوْمِي عَطِيَّاتِهِمْ، فَخَرَجَ فَدَفَعَ بِيَدِهِ إِلَى الْحَجَّاجِ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ لَهُ: لَقَدْ كُنْتُ أَحَبَّ أَنْ أَجِدَ عَلَيْكَ سَبِيلًا!

فَقَالَ لَهُ كُمَيْلٌ: لَا تَصْرِفْ «٦» عَلَيَّ أَنْيَابَكَ، وَلَا تَهْدَمْ «٧» عَلَيَّ، فَوَ اللَّهِ، مَا بَقِيَ مِنْ

(١). تهذيب الكمال: ج ٢٤ ص ٢١٩ الرقم ٤٩٩٦، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٠ ص ٢٥٠.

(٢). الطبقات لـخليفة بن خياط: ص ٢٤٩ الرقم ١٠٥٨، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٠ ص ٢٥٧، تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٣٦٥ وفيه «سنة ٨٣ هـ».

(٣). الإرشاد: ج ١ ص ٣٢٧؛ تهذيب الكمال: ج ٢٤ ص ٢١٩ الرقم ٤٩٩٦، الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ١٧٩، الطبقات لـخليفة بن خياط: ص ٢٤٩ الرقم ١٠٥٨، الإصابة: ج ٥ ص ٤٨٦ الرقم ٧٥١٦، البداية والنهاية: ج ٩ ص ٤٦.

(٤). قَرْقِيسِيَاءُ: بَلَدٌ فِي الْعِرَاقِ عَلَى نَهْرِ الْخَابُورِ قَرِبَ صَفِّينَ وَ الرَّقَّةِ، وَ عِنْدَهَا مَصَبُّ الْخَابُورِ فِي الْفِرَاتِ (رَاجِعْ مَعْجَمَ الْبُلْدَانِ: ج ٤ ص ٣٢٨).

(٥). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٧ ص ١٤٩.

(٦). الصَّرِيفُ: صَوْتُ الْأَنْيَابِ. وَ صَرَفَ نَابَهُ وَ بَنَابَهُ: حَرَقَهُ: (حَكَّهُ) فَسَمِعْتَ لَهُ صَوْتًا (لِسَانُ الْعَرَبِ: ج ٩ ص ١٩١).

(٧). مِنَ الْمَجَازِ: تَهْدَمْ عَلَيْهِ غَضَبًا؛ إِذَا تَوَعَّدَهُ. وَ فِي الصَّحَاحِ: اشْتَدَّ غَضَبُهُ (تَاجُ الْعُرُوسِ: ج ١٧ ص ٧٤٤).

ص: ١٢٦

عُمَرَى إِلَّا مِثْلَ «١» كَوَاسِلِ الْغُبَارِ، فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ، فَإِنَّ الْمَوْعِدَ اللَّهَ، وَ بَعْدَ الْقَتْلِ الْحِسَابَ، وَ لَقَدْ خَبَّرَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّكَ قَاتِلِي.

فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ: الْحِجَّةُ عَلَيْكَ إِذَا!

فَقَالَ كُمَيْلٌ: ذَاكَ إِنْ كَانَ الْقَضَاءُ إِلَيْكَ!

قَالَ: بَلَى، قَدْ كُنْتَ فِيمَنْ قَتَلَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ! اضْرِبُوا عُنُقَهُ. فَضْرَبَتْ عُنُقَهُ «٢».

و كان كُمَيْلٌ مَمَّنْ ثارَ على سَعِيدٍ عاملِ عثمان، و ضربوا عنده رجلاً يدفع عن سعيد، و كان من المسيرين من الكوفة إلى الشَّامِ بأمرِ عثمان، و بينهم و بين معاوية هناك مجادلات و مناظرات، ثُمَّ سَيَّرُوا إلى حِمَص، ثُمَّ أَرْجَعُوا إلى الكوفة، كل ذلك بأمر من عثمان. «٣»

و قد روى كُمَيْلٌ عن عليٍّ عليه السلام دعاء الخضر المعروف بدعاء كُمَيْلٍ، كما في الإقبال، و في المصباح روى أن كُمَيْلاً رأى أمير المؤمنين عليه السلام يدعو بهذا الدعاء في ليلة النصف من شعبان ساجداً، قال عليه السلام له بعد تعليمه هذا الدعاء، أوجب لك طول الصُّحبة لنا أن نجود لك بما سألت (كما في الإقبال). «٤»

قال سعيد بن زَيْد بن أَرْطاة: لقيت كُمَيْلَ بن زياد و سألته عن فضل أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال: أ لا أخبرك بوصيَّة أوصاني بها يوماً

(١) كأنَّها بقايا الغبار الَّتِي كَسَلَتْ عن أوائله.

(٢). الإرشاد: ج ١ ص ٣٢٧؛ الإصابة: ج ٥ ص ٤٨٦ الرقم ٧٥١٦ نحوه و راجع: تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٠٤ و تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٠ ص ٢٥٦.

(٣). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٣١٨ و ٣٢٣.

(٤). الإقبال: ج ٣ ص ٣٣١.

ص: ١٢٧

هي خير لك من الدنيا بما فيها؟ فقلت: بلى، قال: قال لي عليٌّ عليه السلام:

«يا كُمَيْلُ بن زياد، سَمِّ كُلَّ يَوْمٍ باسمِ اللَّهِ، وَقُلْ لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، وَادْكُرْنَا وَاسْمَ بِأَسْمائِنَا، وَصَلِّ عَلَيْنَا وَاسْتَغْذِ بِاللَّهِ رَبَّنَا، وَادْرَأْ بِذَلِكَ عَنْ نَفْسِكَ، وَما تَحَوَّطُهُ عِنَايَتُكَ، تُكْفَشْ شَرُّ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

يا كُمَيْلُ إِنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه و آله أَدَبَهُ اللَّهُ عز و جل، وَهُوَ أَدَبُنِي، وَأَنَا أُؤَدِّبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَأُورِثُ الْأَدَبَ الْمُكْرَمِينَ.

يا كُمَيْلُ ما مِنْ عِلْمٍ إِلَّا وَأَنَا أَفْتَحُهُ، وَما مِنْ سِرٍّ إِلَّا وَالْقائِمُ عَلَيْهِ السَّلامُ يَخْتِمُهُ.

يا كُمَيْلُ ذُرِّيَّةُ بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.

يا كُمَيْلُ لا تَأْخُذْ إِلَّا عَنَّا، تَكُنْ مِنَّا.

يا كُمَيْلُ ما مِنْ حَرَكَةٍ إِلَّا وَأَنْتَ مُحْتَاجٌ فِيها إلى مَعُونَةٍ فِيها إلى مَعْرِفَةٍ»

... الحديث. «١»

قال كُمَيْلُ بن زياد: (أخذ بيدي على بن أبي طالب عليه السلام، فخرج بي إلى ناحية الجبَّانة، فلَمَّا أصر، تنفَّس الصُّعداء ثمَّ قال:

«إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَّةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا، احْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ:

النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: عَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمَتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ النِّجَاةِ، وَهَمَّجٌ رُعَاغٌ، أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ فَيَهْتَدُوا وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ فَيَنْجُوا.

يَا كُمَيْلُ، الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ، وَالْمَالُ تُفْنِيهِ النَّفَقَةُ، وَالْعِلْمُ يَرْكُوْ عَلَى الْإِنْفَاقِ، الْعِلْمُ حَاكِمٌ، وَالْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ.

يَا كُمَيْلُ بن زياد، مَحَبَّةُ الْعَالِمِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ، بِهِ يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ، وَجَمِيلَ الْأَحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَمَنْفَعَةَ الْمَالِ تَزُولُ بِزَوَالِهِ، مَاتَ خَزَانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءُ، وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا

(١). بشارة المصطفى: ص ٢٥، تحف العقول: ص ١٧١، بحار الأنوار: ج ٧٧ ص ٢٦٦.

ص: ١٢٨

بَقِيَ الدَّهْرُ، أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ، وَأَمَلَتْهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ.

ها، إِنَّ هَاهُنَا لَعِلْمًا جَمًّا - وأشار إلى صدره - لَمْ أَصِبْ لَهُ خَزَنَةً، بَلَى أَصِيبُ لَقْنًا غَيْرَ مَأْمُونٍ، مُسْتَعْمِلًا آلَةَ الدِّينِ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا، يَسْتَظْهَرُ بِحُجَجِ اللَّهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى مَعَاصِيهِ، أَوْ مُنْقَادًا لِحِمْلَةِ الْحَقِّ لَا بِصِيرَةٍ لَهُ فِي أَحْنَائِهِ، يَنْقَدِحُ الشَّكُّ فِي قَلْبِهِ بِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ، اللَّهُمَّ لَا ذَا وَلَا ذَاكَ، أَوْ مِنْهُوْمًا بِاللَّذَّةِ سَلَسَ الْقِيَادَ لِلشَّهْوَةِ، أَوْ مُغْرَمًا بِالْجَمْعِ وَالْإِدْخَارِ، لَيْسَا مِنْ رُعَاةِ الدِّينِ، وَلَا مِنْ ذَوِي الْبَصَائِرِ وَالْيَقِينِ، أَقْرَبُ شَبْهًا بِهِمَا الْأَنْعَامُ السَّائِمَةُ، كَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَمَلَتِهِ.

اللَّهُمَّ بَلَى لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ، إِمَّا ظَاهِرًا مَشْهُورًا، أَوْ خَائِفًا مَغْمُورًا، لَيْلًا تَبْطُلُ حُجَجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ، وَرُوَاةُ كِتَابِهِ، وَأَيْنَ أَوْلَيْكَ؟ هُمْ الْأَقْلُونَ عَدَدًا، الْأَعْظَمُونَ قَدْرًا، بِهِمْ يَحْفَظُ اللَّهُ حُجَجَهُ حَتَّى يُودِعَهُ نُظْرَاءَ هُمْ، وَيَزْرَعَهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ، هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقَائِقِ الْإِيمَانِ، فَبَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ، وَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَ مِنْهُ الْمُتَرَفُّونَ، وَاسْتَأْنَسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ، صَحَبُوا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مَعْلُوقَةٌ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى.

يَا كُمَيْلُ أَوْلَيْكَ أَمْنَاءُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، وَخَلْفَاؤُهُ فِي أَرْضِهِ، وَسُرُجُهُ فِي بِلَادِهِ، وَالدُّعَاةُ إِلَى دِينِهِ، وَاشْوَاقُهُ إِلَى رُؤْيَيْهِمْ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكَ»

. «١»

و فى الإصابة: كُمَيْل بن زياد ... النَّخَعِيُّ التَّابَعِيُّ الشَّهِيرُ، له إدراكٌ ... مات سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَ ثَمَانِينَ وَ هُوَ ابْنُ سَبْعِينَ سَنَةً، فَيَكُونُ قَدْ أَدْرَكَ مِنَ الْحَيَاةِ النَّبَوِيَّةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، وَ قَالَ ابْنُ سَعْدٍ: شَهِدَ مَعَ عَلِيِّ صَفِّينَ، وَ كَانَ شَرِيفاً مُطَاعاً ثَقَّةً، قَلِيلُ الْحَدِيثِ.

«٢»

(١). تحف العقول: ص ١٦٩ و راجع: نهج البلاغة: الحكمة ١٤٧، الخصال: ص ١٨٦ ح ٢٥٧، الأملى للطوسى:

ص ٢١ ح ٢٣، تاريخ يعقوبى: ج ٢ ص ١٩٤، شرح الأخبار: ج ٢ ص ٣٧١، بحار الأنوار: ج ١ ص ١٨٨ ح ٤؛ العقد الفريد: ج ٢ ص ٢١٢، المناقب للخوارزمى: ص ٣٦٧.

(٢). الإصابة: ج ٥ ص ٤٨٥ الرقم ٧٥١٦، الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ١٢٤.

ص: ١٢٩

٢٤ كتابه عليه السلام إلى بعض عمّاله

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ رَبَّكَ، وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ، وَأُخْزِيتَ أَمَاتَكَ، بَلَغَنِي أَنَّكَ جَرَدْتَ الْأَرْضَ فَأَخَذْتَ مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ، وَأَكَلْتَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ فَارْفَعْ إِلَى حِسَابِكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ حِسَابَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ، وَالسَّلَامُ.

«١»

[أقول: نقله السيّد رحمه الله كما ذكرنا من دون إيعاز إلى المكتوب إليه، و لكن ابن عبد ربه، و البلاذرى صرّحوا بأنّه عبد الله بن عبّاس، ابن عمّه و الوالى على البصرة من قبله.

و لا بأس بذكر جميع ما يتعلّق بقصّة ابن عبّاس فى بيت مال البصرة، قال الطبرى: مرّ عبد الله بن عبّاس على أبى الأسود، فقال: لو كنت من البهائم كنت جملاً، و لو كنت راعياً ما بلغت المرعى، و لا أحسنت مهنته فى المشى «٢»].

قال ابن أعثم: ثمّ بعث علىّ إلى عبد الله بن العبّاس، و هو عامله على البصرة، يأمره أن يخرج إلى الموسم فيقيم الحجّ للنّاس.

قال: فدعا عبد الله بن عبّاس بأبى الأسود الدؤلى فاستخلفه على صلاة البصرة، و دعا بزياد بن أبيه فجعله على الخراج، و تجهّز عبد الله بن عبّاس، و خرج إلى الموسم.

(١). نهج البلاغة: الكتاب ٤٠، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٥١٥؛ أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٩٧، العقد الفريد: ج ٣ ص ٣٤٦، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ١٦ ص ١٦٤، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٥١٥ الرقم ٥٣٧.

(٢). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٤١ و راجع: الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٣٢، أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٩٦، العقد الفريد: ج ٣ ص ٣٤٦.

ص: ١٣٠

قال: و جرت بين أبي الأسود و زياد بن أبيه منافرة، فهجاه أبو الأسود، و قال فيه هذه الأبيات:

أَلَا بَلَّغَا عَنِّي زِيَادًا رِسَالَةً	يُحِثُّ إِلَيْهِ حَيْثُ كَانَ مِنَ الْأَرْضِ
فَمَا لَكَ مِنْ وَرْدٍ إِذَا مَا لَقَيْتَنِي	يُقَطِّعُ دُونِي طَرْفُ عَيْنِي كَالْمُعْضَى
و مَا لِي إِذَا مَا أَخْلَفَ الْوَدَّ بَيْنَنَا	أُمِرُّ الْقَوَى مِنْهُ وَ تَعْمَلُ فِي النَّقْضِ
أَلَمْ تَرَ أَنِّي لَا أَكُونُ شَيْمَتِي	يُكُونُ غَوْلُ الْأَرْضِ فِي الطُّولِ وَ الْعَرْضِ

قال: ثُمَّ بلغ أبا الأسود بعد ذلك أَنَّ زياداً يشتمه، و يقول فيه القبيح، فأنشأ يقول:

نُبِّئْتُ أَنَّ زِيَادًا ظَلَّ يَشْتِمُنِي	و الْقَوْلُ يُكْتَبُ عِنْدَ اللَّهِ وَ الْعَمَلُ
لَقَدْ «١» لَقَيْتُ زِيَادًا ثُمَّ قُلْتُ لَهُ	مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ
حَتَّامَ تَذْكُرُنِي فِي كُلِّ مُجْتَمَعٍ	عَرَضًا وَ أَنْتَ إِذَا مَا شِئْتَ تَنْتَقِلُ
حَتَّامَ تَشْتِمُنِي حَتَّامَ تَذْكُرُنِي	و قَدْ ظَلَمْتَ وَ تَسْتَعْفِي وَ تَنْتَصِلُ
ثُمَّ تَعُودُ وَ تَنْسِي مَا يُوَافِقُنِي	و الْعُذْرُ يُنْدِمُ وَ النَّسيَانُ وَ الْعَجَلُ

قال: و قدم عبدُ اللَّهِ بنُ العباسِ مِنَ الْحَجِّ، فأقبلَ إليه زيادُ بنُ أبيه، فشكى إليه أبا الأسودَ الدُّؤْلِيَّ، و ذكرَ أَنَّهُ قَدْ هَجَاهُ، فأرسلَ إليه ابنُ عباسٍ فدعاهُ، فقال: أَمَا وَاللَّهِ، لو كُنْتَ مِنَ الْبَهَائِمِ ...

فكتب - أبو الأسود - إلى علي بن أبي طالب:

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى قَدْ جَعَلَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْيَا مُؤْتَمَنًا، وَ رَاعِيًا

(١) في المصدر «قد» و الصحيح «و لقد».

ص: ١٣١

مُسْئُولًا، وَ لَقَدْ بَلَوْنَاكَ فَوْجِدْنَاكَ عَظِيمَ الْأَمَانَةِ، نَاصِحًا لِلرَّعِيَّةِ، تُوفِّرُ عَلَيْهِمْ حَقُوقَهُمْ، وَ تَزْجُرُ نَفْسَكَ عَنْ دُنْيَاهُمْ، وَ لَا تَأْكُلُ أَمْوَالَهُمْ وَ لَا تَرْتَشِي فِي أَمْوَالِهِمْ، وَ إِنَّ ابْنَ عَمِّكَ هَذَا قَدْ أَكَلَ مَالَ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَمْ يَسْعَنِ كِتْمَانِكَ ذَلِكَ، فَانْظُرْ رَحِمَكَ اللَّهُ فِيْمَا هَاهُنَا، وَ اكْتُبْ إِلَى بَرِّائِكَ فِيْمَا أَحْبَبْتَ مِنْ ذَلِكَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ -.

[فَلَمَّا وَصَلَ كِتَابُ أَبِي الْأَسْوَدِ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ قَرَأَهُ] فَكُتِبَ إِلَيْهِ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ:

كِتَابُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤْلِيِّ

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَمِثْلُكَ نَصَحَ الْإِمَامَ وَالْأُمَّةَ، وَدَلَّ عَلَى الْحَقِّ، وَقَدْ كَتَبْتُ إِلَى صَاحِبِكَ فِيْمَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِهِ وَلَمْ أُعْلِمْهُ بِكِتَابِكَ إِلَيَّ، فَلَا تَدْعَنْ إِعْلَامِي بِمَا يَكُونُ بِحَضْرَتِكَ مَا فِيهِ النَّظَرُ لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، فَإِنَّهُ وَاجِبٌ عَلَيْكَ فِي دِينِكَ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ»

«١».

[أَقُولُ: كُتِبَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ الْكِتَابَ الْمُتَقَدِّمَ، وَ قَالَ ابْنُ أَعْتَمٍ: كُتِبَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ:]

صورة أخرى من كتابه إلى ابن عباس:

«أَمَّا بَعْدُ؛ يَا ابْنَ الْعَبَّاسِ فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِهَا، فَإِنْ تَكُنْ حَقًّا فَلَسْتُ أَرْضَاهَا لَكَ، وَإِنْ تَكُنْ بَاطِلًا فَإِثْمُهَا عَلَى مَنْ اقْتَرَفَهَا، فَإِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ كِتَابِي هَذَا فَأَعْلِمْنِي فِي جَوَابِهِ مَا أَخَذْتَ مِنْ مَالِ الْبَصْرَةِ، مِنْ أَيْنَ أَخَذْتَهُ، وَفِيمَ وَضَعْتَهُ» «٢».

(١). الفتوح: ج ٤ ص ٢٤٠ و راجع: تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٤١، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٣٣، العقد الفريد:

ج ٣ ص ٣٤٦، أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٩٧.

(٢). الفتوح: ج ٤ ص ٢٤٢.

ص: ١٣٢

[فَلَمَّا وَصَلَ الْكِتَابُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ كُتِبَ إِلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ]

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ كُلَّ الَّذِي بَلَغَكَ بَاطِلٌ، وَ أَنَا لِمَا تَحْتَ يَدَيَّ ضَاطِبٌ، وَ عَلَيْهِ حَافِظٌ، فَلَا تُصَدِّقْ عَلَى الظَّنِّينَ. «١»

[صورة أخرى على رواية ابن أعتم:]

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ عَلِمْتُ الَّذِي بَلَغَكَ عَنِّي، وَ أَنَّ الَّذِي أَبْلَغَكَ الْبَاطِلَ، وَ إِنِّي لِمَا تَحْتَ يَدَيَّ لَضَاطِبٌ وَ حَافِظٌ، فَلَا تُصَدِّقْ أَقْوَالَ الْوُشَاةِ مَا لَمْ يَكُنْ، وَ أَمَّا تَعْظِيمُكَ مَرْزَأَةَ مَا رَزَاكَ «٢» مِنْ هَذِهِ الْبَلَدَةِ، فَوَاللَّهِ لَتُنِ الْقَى اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ

لُجِبْنِهَا وَعَقِيَانِهَا، وَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ طِلَاعِهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَاهُ وَ قَدْ أَرَقْتُ دِمَاءَ الْأُمَّةِ؛ فَابْعَثْ إِلَى عَمَلِكَ مَنْ أَحَبَبْتَ
فَإِنِّي مُعْتَزِلٌ عَنْهُ، وَ السَّلَامُ «٣». «٤»

فكتب علي عليه السلام:

كتابه عليه السلام إلى ابن عباس

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّهُ لَا يَسْعُنِي تَرْكُكَ حَتَّى تُعَلِّمَنِي مَا أَخَذْتَ مِنَ الْجَزِيَّةِ مِنْ أَيْنَ أَخَذْتَهُ، وَمَا وَضَعْتَ مِنْهَا أَيْنَ وَضَعْتَهُ.

فَاتَّقِ اللَّهَ، فِيمَا ائْتَمَنْتَكَ عَلَيْهِ، وَاسْتَرْعَيْتَكَ إِيَّاهُ، فَإِنَّ الْمَتَاعَ بِمَا أَنْتَ رَازِمُهُ «٥»

(١). العقد الفريد: ج ٣ ص ٣٤٦ و راجع: تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٤١، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٣٣، أنساب
الأشراف: ج ٢ ص ٣٩٧.

(٢) رزأ المال: إذا أصاب منه شيئاً.

(٣). الفتوح: ج ٤ ص ٢٤٢.

(٤) و خلط ابن أعثم بين هذا الكتاب و الكتاب الذي تقدّم عن العقد الفريد و أنساب الأشراف و تاريخ الطبري، و بين ما
يأتى.

(٥) رازمه: أى جامع.

ص: ١٣٣

قَلِيلٌ، وَتَبَعَاتُهُ وَبَيْلَتُهُ لَا تَبِيدُ. وَالسَّلَامُ».

فلما رأى أنَّ علياً غير مُقلع عنه، كتب إليه:

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي تَعْظِيمُكَ عَلَيَّ مَرْزِيَّةَ مَا بَلَغَكَ أَنِّي رَزَّائِي «١» أَهْلَ هَذِهِ الْبِلَادِ، وَابِمِ اللَّهِ، لِأَنَّ أَلْقَى اللَّهَ بِمَا فِي بَطْنِ
هَذِهِ الْأَرْضِ مِنْ عَقِيَانِهَا «٢» وَمُخْبِنِهَا، وَبِمَا عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ طِلَاعِهَا ذَهَباً، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَقَدْ سَفَكَتُ دِمَاءَ هَذِهِ
الْأُمَّةِ لِأَنَالَ بِذَلِكَ الْمُلْكَ وَالْإِمْرَةَ. ابْعَثْ إِلَى عَمَلِكَ مَنْ أَحَبَبْتَ، فَإِنِّي ظَاعِنٌ. وَالسَّلَامُ. «٣»

فلما أراد عبد الله - بن عباس - المسير من البصرة دعا أخواله من بنى هلال بن عامر بن صَعَصَعَةَ لِيَمْنَعُوهُ، فَجَاءَ الضَّحَّاكُ
بن عبد الله الهلالي، فَأَجَارَهُ، وَمَعَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: عَبْدُ اللَّهِ بن رَزِينَ وَكَانَ شَجَاعاً بَتَيْساً، فَقَالَتْ بَنُو هِلَالٍ:

لَا غَنَى بِنَا عَنْ هَوَازَنَ، فَقَالَتْ هَوَازَانُ: لَا غَنَى بِنَا عَنْ بَنِي سُلَيْمٍ.

ثُمَّ أُتَتْهِمْ قَيْسٌ، فَلَمَّا رَأَى اجْتِمَاعَهُمْ لَهُ حَمَلَ مَا كَانَ فِي بَيْتِ مَالِ الْبَصْرَةِ، وَكَانَ فِيهَا زَعَمُوا سِتَّةَ آلَافٍ أَلْفٍ، فَجَعَلَهُ فِي الْغُرَائِرِ.

قال: فحدَّثني الأزرق اليشكري، قال: سمعنا أشياخنا من أهل البصرة قالوا: لَمَّا وَضَعَ الْمَالُ فِي الْغُرَائِرِ ثُمَّ مَضَى بِهِ، تَبِعَتْهُ الْأَخْمَاسُ كُلُّهَا بِالطَّفِّ، عَلَى أَرْبَعِ فَرَاسِخٍ مِنَ الْبَصْرَةِ، فَوَافَقُوهُ.

فَقَالَتْ لَهُمْ قَيْسٌ: وَاللَّهِ، لَا تَصْلُوا إِلَيْهِ وَمِنَّا عَيْنٌ تَطُرُّ.

(١) يقال: رزأ المال رزاء ومرزئة، إذا أصاب منه شيئاً.

(٢) العقيان: الذهب.

(٣) العبد الفريد: ج ٣ ص ٣٤٦ وراجع: تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٤١، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٣٣، أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٨٩٩؛ رجال الكشي: ج ١ ص ٢٨٠.

ص: ١٣٤

فَقَالَ ضَمْرَةٌ، وَكَانَ رَأْسَ الْأَزْدِ: وَاللَّهِ إِنَّ قَيْسًا لِأَخَوْتَنَا فِي الْإِسْلَامِ، وَجِيرَانُنَا فِي الدَّارِ، وَأَعْوَانُنَا عَلَى الْعَدُوِّ، إِنَّ الَّذِي تَذْهَبُونَ بِهِ الْمَالَ، لَوْ رُدَّ عَلَيْكُمْ لَكَانَ نَصِيْبُكُمْ مِنْهُ الْأَقْلَ، وَهُمْ خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الْمَالِ.

قالوا: فما ترى؟

قال: انصرفوا عنهم.

فَقَالَتْ بَكْرُ بْنُ وائِلٍ، وَعَبْدُ الْقَيْسِ: نِعَمَ الرَّأْيِ رَأَى ضَمْرَةٌ، وَاعْتَزَلُوهُمْ.

فَقَالَتْ بَنُو تَمِيمٍ: وَاللَّهِ، لَا نُفَارِقُهُمْ حَتَّى لُنْقَاتِلَهُمْ عَلَيْهِ.

فَقَالَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ: أَنْتُمْ وَاللَّهِ، أَحَقُّ إِلَّا تُقَاتِلُوهُمْ عَلَيْهِ، وَقَدْ تَرَكَ قِتَالَهُمْ مَنْ هُوَ أَبْعَدُ مِنْكُمْ رَحِمًا.

قالوا: وَاللَّهِ لُنْقَاتِلَنَّهُمْ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا نَعَاوَنُكُمْ عَلَى قِتَالِهِمْ، وَانصرفت عنهم فقدم عليهم ابنُ المُجاعة، فقاتلهم.

فَحَمَلَ عَلَيْهِ الضَّحَّاكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَطَعَنَهُ فِي كَتِفِهِ فَصَرَعَهُ، فَسَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ بِغَيْرِ قَتْلِ، وَحَمَلَ سَلَمَةُ بْنُ دُوَيْبِ السَّعْدِيِّ عَلَى الضَّحَّاكِ فَصَرَعَهُ أَيْضًا، وَكَثُرَتْ بَيْنَهُمُ الْجِرَاحُ مِنْ غَيْرِ قَتْلِ.

فَقَالَ الْأَخْمَاسُ الَّذِينَ اعْتَزَلُوا: وَاللَّهِ مَا صَنَعْتُمْ شَيْئًا. اعترلتهم قتالهم وتركتموهم يتشاجرون. فجاءوا حتى صرفوا وجوه بعضهم عن بعض، وقالوا لِبَنِي تَمِيمٍ:

والله، إِنَّ هَذَا اللُّؤْمَ قَبِيحٌ، لَنَحْنُ أَسْخَى أَنْفُساً مِنْكُمْ حِينَ تَرَكْنَا أَمْوَالَنَا لِبَنِي عَمَّكُمْ، وَأَنْتُمْ تُقَاتِلُونَهُمْ عَلَيْهَا، خَلُّوا عَنْهُمْ وَأُرْوَاحَهُمْ، فَإِنَّ الْقَوْمَ فُدُّهُوا.

فانصرفوا عنهم، وَمَضَى مَعَهُ نَاسٌ مِنْ قَيْسٍ، فِيهِمُ الضَّحَّاكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَزِينٍ، حَتَّى قَدِمُوا الْحِجَازَ، فَنَزَلَ مَكَّةَ، فَجَعَلَ رَاجِزٌ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ يَسُوقُ لَهُ فِي الطَّرِيقِ وَيَقُولُ:

ص: ١٣٥

صَبَّحْتُ مِنْ كَاطِمَةِ الْقَصْرِ الْخَرِبِ
مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ

وجعل ابن عباس يرتجز، ويقول:

أَوَى إِلَى أَهْلِكَ يَا رَبَّابُ
أَوَى فَقَدْ حَانَ لَكَ الْإِيَابُ

وجعل أيضاً يرتجز، ويقول:

وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيْسًا
إِنْ يَصْدُقِ الطَّيْرُ نَبِيكَ لَمِيْسًا

فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا الْعَبَّاسِ، أَمْثَلُكَ يَرَفْتُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ؟

قَالَ: إِنَّمَا الرَّفْتُ مَا يُقَالُ عِنْدَ النِّسَاءِ.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: فَلَمَّا نَزَلَ مَكَّةَ اشْتَرَى مِنْ عَطَاءِ بْنِ جُبَيْرٍ مَوْلَى بَنِي كَعْبٍ، مِنْ جَوَارِيهِ ثَلَاثَ مُوَلَّدَاتٍ حِجَازِيَّاتٍ، يُقَالُ لَهُنَّ: شَاذِنٌ، وَحَوْرَاءٌ، وَفُتُونٌ. بِثَلَاثَةِ آلَافٍ دِينَارٍ.

وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي رَاشِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ أَبِي الْكَنُودِ، قَالَ:

كَنتُ مِنْ أَعْوَانِ عَبْدِ اللَّهِ بِالْبَصْرَةِ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ أَتَيْتُ عَلِيًّا فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ:

«وَاتْلُ عَلَيْنَا نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ عَائِتِنَا فَنَسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ» «١».

ثُمَّ كَتَبَ مَعَهُ إِلَيْهِ: أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي كُنْتُ أَشْرَكْتُكَ فِي أَمَانَتِي ... إِلَى آخِرِ مَا نَقَلَهُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَعَادِنِ الْحِكْمَةِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ مَا نَقَلَهُ الْمُصَنِّفُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا نَقَلَهُ الْمُصَنِّفُ. «٢»

(٢). العقد الفريد: ج ٣ ص ٣٤٧-٣٤٩ و راجع: تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٤٢، الكامل في التاريخ: ج ٣ ص ٤٣٣، أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٨٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ١٦٧؛ نهج البلاغة: الكتاب ٤١، تذكرة الخواص: ص ١٥١، رجال الكشي: ج ١ ص ٢٧٩، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٤٩٩ ح ٧٠٥، معادن الحكمة:

ج ١ ص ٢٣٥-٢٣٨.

ص: ١٣٦

قال ابن عبد ربه، بعد نقل ما ذكرنا من الكتب: فكتب إليه ابن عباس في جوابه:

و الله، لئن لم تدعني من أساطيرك لأحملته إلى معاوية يُقاتلك به، فكف عنه عليّ. «١»

الأقوال في القصة و ما يتلوها:

قال الطبري: و حدثني أبو زيد، قال: زعم أبو عبيدة و لم أسمعه منه، أن ابن عباس لم يبرح من البصرة حتى قُتل عليّ عليه السلام، فشخص إلى الحسن، فشهد الصلح بينه و بين معاوية، ثم رجع إلى البصرة، و ثقله بها، فحمله و مالاً من بيت المال قليلاً، و قال: هي أرزاقى.

قال أبو زيد: ذكرت ذلك لأبي الحسن فأنكره و زعم أن علياً قُتل و ابن عباس بمكة، و أن الذي شهد الصلح بين الحسن و معاوية عبيد الله بن عباس. «٢»

قال العلامة في خلاصته: عبد الله بن العباس، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله، كان محباً لعليّ عليه السلام، و تلميذه، حاله في الجلالة و الإخلاص لأمر المؤمنين عليه السلام أشهر من أن يخفى، و قد ذكر الكشي أحاديثاً تتضمن قَدْحاً فيه، و هو أجل من ذلك، و قد ذكرناها في كتابنا الكبير، و أجبنها عنها. «٣»

و قال العلامة المجلسي رحمه الله في شرح حديث: و يحتمل أن يكون كناية عن ابن عباس فإنه قد انحرف عن أمير المؤمنين عليه السلام، و ذهب بأموال البصرة إلى الحجاز،

(١). العقد الفريد: ج ٣ ص ٣٤٩، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٥٢٠.

(٢). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٤٣ و راجع: أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٤٠٢.

(٣). خلاصة الأقوال: ص ١٩٠ الرقم ٥٨٦، جامع الرواة: ج ١ ص ٤٤٩.

ص: ١٣٧

و وقع بينه عليه السلام و بينه مكاتبات تدلّ على شقاوته و ارتداده. «١»

و قال وكيع فى أخبار القضاة: قال أبو بكر: و لما خرج أمير المؤمنين عليه السلام إلى البصرة استخلف عبد الله بن عباس ... فولّى عبد الله بن عباس على القضاء عبد الرحمن بن يزيد الحُدّانى ... و قيل استقضى ابن عباس أبا الأسود الدؤلى ... عزله و استقضى الضحّاك بن عبد الله الهلّالى ... و قال أبو عبيدة: كان ابن عباس يفتى النَّاس و يحكم بينهم، و إنّه خرج إلى علىّ، و معه أبو الأسود الدؤلى و غيره من أهل البصرة، فاستقضى الحارث بن عبد عوف بن أصرم بن عمرو الهلّالى، ثمّ قدم ابن عباس فأقر الحارث، و ابن عباس يتولّى عامّة الأحكام بالبصرة، ثمّ كان بعد ذلك كلّما شخص عن البصرة استخلف أبا الأسود، فكان هو المفتى، و القاضى يومئذٍ يدعى المفتى، فلم يزل كذلك حتّى قتل علىّ عليه السلام فى سنة أربعين ... و قال أبو عبيدة: لم ينزح ابن عباس من البصرة حتّى قتل علىّ عليه السلام، فشخص إلى الحسن بن علىّ، و شهد الصلح بينه و بين معاوية، ثمّ رجع إلى البصرة و ثقله بها، فحمله و مالاً من مالها، و قال: هى أرزاقى اجتمعت.

و أنكر المدائنى ذلك، و زعم أن عليّاً عليه السلام قتل، و ابن عباس بمكة، و أن الذى شهد الصلح عُبيدُ الله بن عباس. «٢»

عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ

عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشى الهاشمى أخو عبد الله بن عباس، ابن عمّ النبىّ صلى الله عليه و آله و الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. وُلِدَ على عهد النبىّ صلى الله عليه و آله. «٣»

(١). بحار الأنوار: ج ٦٩ ص ٢٢٥.

(٢). أخبار القضاة: ج ١ ص ٢٨٧ - ٢٨٩.

(٣). سِير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٥١٢ الرقم ١٢١.

ص: ١٣٨

و قيل: إنّه سمع الحديث عن رسول الله صلى الله عليه و آله فى صغره، و حَفِظَهُ، و حدّث به، و كان مشهوراً بالسَّخاء. «١»

ولاه الإمام عليه السلام على اليمن «٢»، و فرّ بعد غارة بُسر بن أُرطاة عليها «٣»، و عثر بُسر على طفليّه الصغيرين فذبحهما «٤». و عاد عبيد الله إليها بعد أن غادرها بُسر. «٥»

جعله الإمام الحسن عليه السلام على مقدّمة الجيش الذى أنفذه إلى معاوية، و لكنّه خان، و انخدع بمال معاوية، و من ثمّ التحق به. «٦»

و توفّى بالمدينة فى أيام معاوية و يقال: إنّه كفّ بصره. «٧»

فى الغارات عن أبى روق: كان الذى هاج معاوية على تسريح بسر بن أبى أُرطاة إلى الحجاز و اليمن، أن قوماً بصنعاء كانوا من شيعة عثمان يعظّمون قتله لم يكن لهم نظام و لا رأس، فبايعوا علىّ عليه السلام على ما فى أنفسهم، و عامل علىّ عليه

السلام يومئذ على صنعاء عبيد الله بن العباس، و عامله على الجند «أ» سعيد بن نمران، فلما اختلف الناس على علي عليه السلام بالعراق، و قتل محمد بن أبي بكر بمصر،

(١). ذخائر العقبى: ص ٣٩٤؛ الدرجات الرفيعة: ص ١٤٤.

(٢). أنساب الأشراف: ج ٤ ص ٧٩، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٩٢ و ص ١٥٥، تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٥١؛ تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٧٩، الغارات: ج ٢ ص ٦٢١.

(٣). الغارات: ج ٢ ص ٦٢؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٣٩، سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٥١٣ الرقم ١٢١، اسد الغابة:

ج ٣ ص ٥٢ الرقم ٣٤٧٠، تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٥١.

(٤). الغارات: ج ٢ ص ٦٢١؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٤٠، سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٥١٣ الرقم ١٢١، اسد الغابة: ج ٣ ص ٥٢٠ الرقم ٣٤٧٠.

(٥). اسد الغابة: ج ٣ ص ٥٢٠ الرقم ٣٤٧٠، تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٥١.

(٦). رجال الكشي: ج ١ ص ٣٣٠ الرقم ١٧٩، مقاتل الطالبين: ص ٧٣.

(٧). أنساب الأشراف: ج ٤ ص ٧٩، سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٥١٤ الرقم ١٢١، تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٧١.

(٨) الجند: شمالي تعز، و هي عن صنعاء ثمانية و أربعون فرسخاً. (تقويم البلدان: ص ٩١).

ص: ١٣٩

و كثرت غارات أهل الشام تكلموا، ودعوا إلى الطلب بدم عثمان، و منعوا الصدقات و أظهروا الخلاف، فبلغ ذلك عبيد الله بن العباس فأرسل إلى ناس من وجوههم فقال: ما هذا الذي بلغني عنكم؟

قالوا: إنا لم نزل ننكر قتل عثمان و نرى مجاهدة من سعى عليه، فحبسهم، فكتبوا إلى من بالجند من أصحابهم فتأروا بسعيد بن نمران فأخرجوه من الجند و أظهروا أمرهم، و خرج إليهم من كان بصنعاء، و انضم إليهم كل من كان على رأيهم، و لحق بهم قوم لم يكونوا على رأيهم إرادة أن يمنعوا الصدقة.

فذكر من حديث أبي روق قال: و التقى عبيد الله و سعيد بن نمران و معهما شيعة علي، فقال ابن عباس لابن نمران: و الله، لقد اجتمع هؤلاء و إنهم لنا لمقاربون و لئن قاتلناهم لا نعلم على من تكون الدائرة، فهل فلنكتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام بخبرهم و عددهم و بمنزلهم الذي هم به، فكتبنا إلى علي عليه السلام:

أما بعد، فإننا نخبر أمير المؤمنين أن شيعة عثمان وثبوا بنا و أظهروا أن معاوية قد شيد أمره، و اتسق له أكثر الناس، و إنا سرنا إليهم بشيعة أمير المؤمنين و من كان على طاعته، و إن ذلك أحملهم و ألهم، فتعبوا لنا و تداعوا علينا من كل أوب،

و نصرهم علينا من لم يكن له رأى فيهم، ممّن سعى إلينا إرادة أن يمنع حقّ الله المفروض عليه، و قد كانوا لا يمنعون حقاً عليهم و لا يؤخذ منهم إلّا الحقّ فاستحوذ عليهم الشيطان، فنحن فى خير، و هم منك فى قفزة، و ليس يمنعنا من مناجزتهم إلّا انتظار الأمر من مولانا أمير المؤمنين أدام الله عزّه و أيّده و قضى بالأقدار الصّالحة فى جميع اموره، و السّلام.

فلما وصل كتابهما ساء عليّاً عليه السلام و أغضبه فكتب إليهما:

«من عبد الله علىّ أمير المؤمنين إلى عبيد الله بن العباس و سعيد بن نمران،

ص: ١٤٠

سلام عليكم، فإننى أحمّد إليكما الله الذى لا إله إلّا هو، أمّا بعد، فإنّه أتانى كتابكما تذكّران فيه خروج هذه الخارجة، و تعظّمان من شأنها صغيراً، و تُكثّران من عددها قليلاً، و قد علمتُ أنّ نخبَ أفئدتكما و صِغَر أنفسكما و شتات رأيكما، و سوء تدبيركما، هو الذى أفسد عليكم من لم يكن عنكما نائماً، و جرّاً عليكم من كان عن لقاءكما جباناً، فإذا قدم رسولى عليكم، فامضيا إلى القوم حتّى تقرأ عليهم كتابى إليهم، و تدعواهم إلى حظّهم و تقوى ربّهم؛ فإنّ أجابوا حمّداً لله و قبلنا منهم، و إنّ حاربوا استعنا عليهم بالله، و نبذناهم على سواء

«إِنَّ اللَّهَ لَإِيْحِبُّ الْخَائِنِينَ» «١».

و السّلام عليكم» «٢».

و عن أبى الودّاك: كنت عند علىّ عليه السلام حين قدم عليه سعيد بن نمران الكوفة فعتب عليه و علىّ عبيد الله ألا يكونا قاتلا بسراً، فقال سعيد: و الله قاتلت، و لكنّ ابن عبّاس خذلنى و أبى أن يقاتل، و لقد خلوت به حين دنا منّا بسر، فقلت: إنّ ابن عمّك لا يرضى منّى و لا منك إلّا بالجدّ فى قتالهم، و ما نعذر.

قال ابن أعثم: ثمّ اعتزل ابن عبّاس عمل البصرة، و قعد فى منزله، فكتب إليه علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بكتاب يعذله فيه علىّ غضبه، و يكذب من سعى به إليه، و أعاده إلى عمله. «٣»

و روى الكشّى عن الزُّهرى، عن الحارث يقول: استعمل علىّ عليه السلام علىّ البصرة عبد الله بن عبّاس، فحمل كلّ مال فى بيت المال بالبصرة، و لحق بمكّة، و ترك عليّاً عليه السلام، و كان مبلغه ألفى ألف درهم. فصعد علىّ عليه السلام المنبر حين بلغه ذلك فبكى،

(١) الأنفال: ٥٨.

(٢). الغارات: ج ٢ ص ٥٩٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ٢ ص ٣.

(٣). الفتوح: ج ٤ ص ٢٤٢.

فقال:

«هذا ابنُ عمِّ رسولِ الله صلى الله عليه وآله في علمه وقدره يفعلُ مثلَ هذا، فكيف يُؤمنُ مَنْ كانَ دُونَهُ، اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلَّتُهُمْ فَأَرْحَنِي مِنْهُمْ، واقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ عاجِزٍ ولا مُلُولٍ.

«١»

و قال اليعقوبى: و كتب أبو الأسود الدؤلى، و كان خليفة عبد الله بن عباس بالبصرة، إلى على عليه السلام يعلمه أن عبد الله أخذ من بيت المال عشرة آلاف درهم، فكتب إليه يأمره بردها، فامتنع، فكتب يقسم له بالله لتردنها، فلما ردها عبد الله بن عباس، أو رد أكثرها، كتب إليه على عليه السلام:

«أما بعد، فإنَّ المرءَ يسره دُرْكُ ما لم يكن ليفوته، ويسوؤه قُوتُ ما لم يكن ليُدْرِكُهُ، فما أتاك من الدنيا فلا تُكثِرْ به فرحاً، وما فاتك منها فلا تُكثِرْ عليه جزعاً، واجعل همك لما بعد الموت. والسلام» «٢».

و قال المأمون فى رسالته إلى بنى هاشم فى أمير المؤمنين عليه السلام: ... ثم لم يزل الأمور تتراقى به إلى أن ولى أمور المسلمين، فلم يعن بأحد من بنى هاشم إلّا بعبد الله بن عباس تعظيماً لحقه، و صلةً لرحمه، و ثقةً به، فكان من أمره الذى يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ. «٣»

و قال ابن الزبير فى خطبته بمكة على المنبر و ابن عباس جالس مع الناس تحت المنبر: إن هاهنا رجلاً قد أعمى الله قلبه كما أعمى بصره، يزعم أن متعة النساء

(١). رجال الكشي: ج ١ ص ٢٧٩ الرقم ١٠٩، بحار الأنوار: ج ٤٢ ص ١٥٢ ح ٢١.

(٢). تاريخ اليعقوبى: ج ٢ ص ٢٠٥ و راجع: نهج البلاغة: الكتاب ٢٢، خصائص الأئمة عليهم السلام: ص ٩٥، تحف العقول:

ص ٢٠٠، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٤٩٥؛ تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٢ ص ٥٠٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ١٤٠.

(٣). الطرائف: ص ٢٧٨، بحار الأنوار: ج ٤٩ ص ٢١٠.

حلالٌ من الله و رسوله، و يفتى فى القملة و النملة و قد احتمل بيت مال البصرة بالأمس، و ترك المسلمين بها يرتضخون التوى، و كيف ألومُهُ فى ذلك و قد قاتل أم المؤمنين، و حوارى رسول الله صلى الله عليه وآله، و من وقاه يديه.

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِقَائِهِ سَعْدُ بْنُ جُبَيْرٍ بْنُ هِشَامٍ مَوْلَى بَنِي أَسَدٍ بْنِ خُزَيْمَةَ:

استقبل بي وجه ابن الزبير و ارفع من صدري، و كان ابن عباس قد كف بصره، فاستقبل به قائده وجه ابن الزبير، و اقام قامته، فحسر عن ذراعيه، ثم قال: يا ابن الزبير، ... أمّا حملى المال، فإنه كان مالاً جبيناه فأعطينا كل ذي حق حقه، و بقيت بقية هي دون حقا في كتاب الله، فأخذناها بحقنا. «١»

و حينما فر عبید الله بن العباس إلى معاوية فخرج أمير الجند بعده قيس بن سعد بن عبادة، و صلى بالناس و خطب، فقال: ... و إن أخاه ولأه عليّ أمير المؤمنين على البصرة، فسرقت مال الله و مال المسلمين، فاشترى به الجوارى، و زعم أن ذلك له حلال. «٢»

و اختار الأكثر كما صرح به ابن أبي الحديد، أنه أخذ بيت مال البصرة، و فارق علياً عليه السلام، و مال إليه ابن الأثير في الكامل في التاريخ، و أسد الغابة، و البلاذري في أنساب الأشراف. «٣»

و قال ابن أبي الحديد في شرح الكتاب المتقدم - فأني كنت أشركتكم في أمانتي -: و قد اختلف الناس في المكتوب إليه هذا الكتاب، فقال الأكثرون: إنه

(١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢٠ ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٢). مقاتل الطالبين: ص ٧٣.

(٣) راجع: الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٣٢، أسد الغابة: ج ٣ ص ٢٩٣ الرقم ٣٠٣٧ في ترجمة عبد الله، أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٩٠٣.

ص: ١٤٣

عبدُ الله بنُ العباس رحمه الله، و رووا في ذلك روايات، و استدلوا عليه بألفاظٍ من ألفاظِ الكتاب، كقوله

«أشركتكم في أمانتي، وجعلتكم بطائتي، وشعاري، وأنه لم يكن في أهلي رجل أوثق منك»

، و قوله:

«على ابن عمك قد كلب»

، ثم قال ثانياً:

«قلبت لابن عمك ظهر المجن»

، ثم قال ثالثاً:

«ولابن عمك آسيت»

، و قوله:

«لا أباً لغيرك»

، وهذه كلمة لا تقال إلّا لمثله، فأما غيره من أفناء الناس، فإنّ عليّاً عليه السلام كان يقول:

«لا أباً لك»

. و قوله:

«أيّها المَعْدُودُ كانَ عِنْدَنَا مِنْ أَوْلَى الْأَلْبَابِ»

، و قوله:

«لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ»

، وهذا يدلّ على أنّ المكتوب إليه هذا الكتاب قريب من أن يجري مجراهما عنده.

و قد رَوَى أرباب هذا القول أنّ عبد الله بن عباس كتب إلى عليّ عليه السلام جواباً من هذا الكتاب، قالوا: و كان جوابه:-
فنقل الكتب المتقدمة-.

و قال آخرونَ و هم الأقْلون: هذا لم يكن، و لا فارق عبد الله بن عباس عليّاً عليه السلام، و لا باينه و لا خالفه، و لم يزل أميراً على البصرة إلى أن قتل عليّ عليه السلام.

قالوا: و يدلّ على ذلك ما رواه أبو الفرج عليّ بن الحسين الأصفهانيّ من كتابه الذي كتبه إلى معاوية من البصرة لما قتل عليّ عليه السلام، و قد ذكرناه من قبل، قالوا:

و كيف يكون ذلك و لم يخدعه معاوية، و يجرّه إلى جهته، فقد علمتم كيف اختدع كثيراً من عمّال أمير المؤمنين عليه السلام و استمالهم إليه بالأموال، فمالوا و تركوا أمير المؤمنين عليه السلام، فما باله و قد عَلِمَ النُّبُوَّةَ الَّتِي حَدَثَتْ بَيْنَهُمَا، لم يستعمل ابن عباس، و لا اجتذبه إلى نفسه؛ و كل مَنْ قرأ السِّير، و عرف التَّوَارِيخَ يعرف مشاقّة ابن عباس لمعاوية بعد وفاة عليّ عليه السلام، و ما كان يلقاه به من قوارع الكلام، و شديد الخصام، و ما كان يثني به عليّ أمير المؤمنين عليه السلام، و يذكر خصائصه و فضائله،

ص: ١٤٤

و يصدع به من مناقبه و مآثره، فلو كان بينهما غبار أو كدر لما كان الأمر كذلك، بل كانت الحال تكون بالضدّ لما اشتهر من أمرهما.

و هذا عندي هو الأمثل والأصوب.

و قد قال الراوندي: المكتوب إليه هذا الكتاب هو عبيد الله بن عباس، لا عبد الله؛ و ليس ذلك بصحيح، فإنَّ عبيد الله كان عامل على عليه السلام على اليمن، و قد ذكرت قصته مع بسر بن أرطاة فيما تقدّم، و لم ينقل عنه أنّه أخذ مالاً، و لا فارق طاعة.

و قد أشكل على أمر هذا الكتاب، فإنَّ أنا كذّبت النّقل، و قلت: هذا كلام موضوع على أمير المؤمنين عليه السلام، خالفتُ الرواة، فإنّهم قد أطبقوا على رواية هذا الكلام عنه، و قد ذكر في أكثر كتب السّير.

و إن صرفته إلى عبد الله بن عباس صدّني عنه ما أعلمه من ملازمته، لطاعة أمير المؤمنين عليه السلام في حياته و بعد وفاته.

و إن صرفته إلى غيره لم أعلم إلى من أصرفه من أهل أمير المؤمنين عليه السلام، و الكلام يشعر بأنَّ الرّجل المخاطب من أهله و بنى عمّه، فأنا في هذا الموضع من المتوقّفين. «١»

و قال ابن ميثم في الشّرح: المشهور أنَّ هذا الكتاب إلى عبد الله بن عباس حين كان والياً له على البصرة، و ألفاظ الكتاب

«فَإِنِّي كُنْتُ أَشْرَكَتْكَ فِي أَمَانَتِي ...»

، تنبه على ذلك - ثمَّ بعد نقله ما تقدّم نقله في المعادن قال: - و أنكر قوم ذلك، و قالوا: إنَّ عبد الله بن عباس لم يفارق عليّاً عليه السلام، و لا يجوز أن يقول في حقّه

(١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ١٦٩-١٧٢، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٥٠٠-٥٠٣.

ص: ١٤٥

ما قال القطب الراوندي رحمه الله، يكون المكتوب إليه هو عبيد الله، و حمله على ذلك أشبه، و هو به أليق.

و اعلم أنَّ هذين القولين لا مستند لهما: أمّا الأوّل فهو مجرد استبعاد أن يفعل ابن عباس ما نسب إليه، و معلوم أنَّ ابن عباس لم يكن معصوماً، و علىّ عليه السلام لم يكن ليراقب في الحقّ أحداً، و لو كان أعزّ أولاده كما تمثّل بالحسن و الحسين عليهما السلام في ذلك، فكيف بابن عمّه، بل يجب أن يكون الغلظة على الأقرباء في هذا الأمر أشدّ.

ثمَّ إنَّ غلظته عليه و عتابه له لا يوجب مفارقتة إيّاه، لأنّه كان إذا فعل أحد من أصحابه ما يستحق به المؤاخذه أخذه به، سواء كان عزيزاً أو ذليلاً، قريباً منه أو بعيداً، فإذا استوفى حقّ الله منه، أو تاب إليه ممّا فعل عاد في حقّه إلى ما كان عليه ... و أمّا القول الثّاني، فإنَّ عبيد الله كان عاملاً له عليه السلام باليمن و لم ينقل عنه مثل ذلك. «١»

أبو الأسود الدّؤليّ

هو ظالم بن عمرو «٢»، المعروف بأبي الأسود الدؤلي «٣». أحد الوجوه البارزة و الصحابة المشهورين للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. «٤» أسلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، لكنه لم يحظَ برؤيته «٥». و هو من المتحققين بمحبة علي

(١). شرح نهج البلاغة لابن ميشم: ج ٥ ص ٨٩ - ٩٠.

(٢) قد اختلف في اسمه كما اختلف في اسم أبيه و جدّه، و المشهور ما ورد في المتن، و الذي يسهل الأمر أنّه مشهور بكنيته و لقبه، و لم يختلف في كنيته أحد.

(٣). الطبقات الكبرى: ج ٧ ص ٩٩، المعارف لابن قتيبة: ص ٤٣٤، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٥ ص ١٧٦ و فيه «ديلي» بدل «دؤلي».

(٤). تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٥ ص ١٩٥، اسد الغابة: ج ٣ ص ١٠٢ الرقم ٢٦٥٢.

(٥). تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٥ ص ١٨٤، سير أعلام النبلاء: ج ٤ ص ٨٢ الرقم ٢٨، البداية و النهاية: ج ٨ ص ٣١٢.

ص: ١٤٦

و محبة ولده «١». و يمكن أن نستشف هذا الحب من أشعاره الحسان «٢».

الذين ترجموا له ذكره عناوين متنوعة منها: علوي «٣»، شاعر متشيع «٤»، من وجوه الشيعة «٥».

شهد أبو الأسود حروب الإمام عليه السلام ضدّ مساعير الفتنة في الجمل «٦»، و صفين «٧». و عيّنه الإمام عليه السلام قاضياً على البصرة عند ما ولي عليها ابن عباس «٨».

و كان ابن عباس يقدّره، و حينما كان يخرج من البصرة، يُفوّض إليه أعمالها «٩»، و كان ذلك يحظى بتأييد الإمام عليه السلام أيضاً «١٠». و وسّع أبو الأسود علم النحو بأمر الإمام عليه السلام الذي كان قد وضع أسسه و قواعده «١١»، و أقامه و رسّخ دعائمه «١٢»، و هو

(١). تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٥ ص ١٨٨.

(٢). تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٥ ص ١٨٨ و ص ٢٠٠، الأغاني: ج ١٢ ص ٣٧٢، الكامل للمبرّد: ج ٣ ص ١١٢٥.

(٣). تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٥ ص ١٨٤.

(٤). الطبقات الكبرى: ج ٧ ص ٩٩.

(٥). سِير أعلام النبلاء: ج ٤ ص ٨٢ الرقم ٢٨، الأغاني: ج ١٢ ص ٣٤٦.

(٦). سِير أعلام النبلاء: ج ٤ ص ٨٢ الرقم ٢٨، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٥ ص ٢٧٨ الرقم ١٢٤، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٥ ص ١٨٤.

(٧). المعارف لابن قتيبة: ص ٤٣٤، وفيات الأعيان: ج ٢ ص ٥٣٥ الرقم ٣١٣.

(٨). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٩٣، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٥ ص ٢٧٦ الرقم ١٢٤.

(٩). الطبقات الكبرى: ج ٧ ص ٩٩، المعارف لابن قتيبة: ص ٤٣٤؛ وقعة صفين: ص ١١٧، تاريخ يعقوبى: ج ٢ ص ٢٠٥.

(١٠). الطبقات الكبرى: ج ٧ ص ٩٩.

(١١). سِير أعلام النبلاء: ج ٤ ص ٨٢ الرقم ٢٨، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٥ ص ٢٧٨ الرقم ١٢٤، الأغاني: ج ١٢ ص ٣٤٧، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٥ ص ١٨٩، البداية والنهاية: ج ٨ ص ٣١٢.

(١٢) يدور كلام كثير حول إرساء دعائم علم النحو: فالاول لم يترددوا فى دور الإمام عليه السلام و أبى الأسود فيه. أما المتأخرون من الدارسين و الباحثين العرب فقد تأثر بعضهم بآراء بعض المستشرقين الذين تردّدوا فيه. راجع:

دائرة المعارف بزرگ اسلامى (بالفارسيّة): ج ٥ ص ١٨٠ - ١٩١، و توفّر بعض الكتاب على انتقاد آراء اخرى فى سياق تثبيتهم دور الإمام عليه السلام و أبى الأسود فيه.

ص: ١٤٧

أول من أعجم القرآن الكريم و أشكله «١».

و له فى الأدب العربى منزلة رفيعة؛ فقد عُدّ من أفصح النَّاس «٢». و تبلور نموذج من هذه الفصاحة فى شعره الجميل الذى رثى به الإمام عليه السلام، و هو آية على محبّته للإمام، و بغضه لأعدائه.

و لم يدّخر وسعاً فى وضع الحقّ موضعه، و الدفاع عن علىّ عليه السلام، و مناظراته مع معاوية «٣» دليل على صراحته و شجاعته و ثباته و استقامته فى معرفة «خلافة الحقّ» و «حقّ الخلافة» و مكانة علىّ عليه السلام العليّة السّامقة.

و خطب بعد استشهاد الإمام عليه السلام خطبة حماسيّة من وحي الألم و الحرقه، و أخذ البيعة من النَّاس للإمام الحسن عليه السلام بالخلافة «٤».

فارق أبو الأسود الحياة سنة ٦٩ هـ «٥».

فى ربيع الأبرار: سأل زياد بن أبيه أبا الأسود عن حبّ علىّ فقال: إنّ حبّ علىّ يزيد فى قلبى حِدّة، كما يزداد حبّ معاوية فى قلبك؛ فإنّى أريد الله و الدّار الآخرة بحبّى علىّاً، و تريد الدُّنيا بزيتها بحبّك معاوية، و مثلى و مثلك كما قال أخو مدحج:

(١). الأغاني: ج ١٢ ص ٣٤٧، الإصابة: ج ٣ ص ٤٥٥ الرقم ٤٣٤٨، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٥ ص ١٩٢ و ١٩٣، وفيات الأعيان: ج ٢ ص ٥٣٧.

(٢). تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٥ ص ١٩٠.

(٣). تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٥ ص ١٧٧.

(٤). الأغاني: ج ١٢ ص ٣٨٠.

(٥). سير أعلام النبلاء: ج ٤ ص ٨٦ الرقم ٢٨، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٥ ص ٢١٠، الأغاني: ج ١٢ ص ٣٨٦.

ص: ١٤٨

أريدُ العلاء و يهوى اليمَنُ

خَلِيلانِ مُخْتَلِفٌ شَانِنًا

و راقَ المُعلَى بياضُ اللَّبنِ «١»

أحبُّ دِمَاءَ بَنِي مَالِكٍ

و فى العقد الفريد: لمّا قَدِمَ أبو الأسود الدُّؤلى على معاوية عام الجماعة «٢»، قال له معاوية: بلغنى يا أبا الأسود أنّ علىّ بن أبى طالب أراد أن يجعلك أحد الحكمين، فما كنت تحكم به؟

قال: لو جعلنى أحدهما لجمعت ألفاً من المهاجرين و أبناء المهاجرين، و ألفاً من الأنصار و أبناء الأنصار، ثمّ ناشدُهم الله: المهاجرين و أبناء المهاجرين أولى بهذا الأمر أم الطُّلقاء؟

قال له معاوية: لله أبوك! أىّ حَكَمٍ كُنْتَ تَكُونُ لو حُكِّمْتَ! «٣» و فى تاريخ مدينة دمشق: كان أبو الأسود ممّن صحب عليّاً، و كان من المتحقّقين بمحبّته و محبّة ولده، و فى ذلك يقول:

طَوَالَ الدَّهْرَ لَا يَنْسَى عَلِيًّا

يَقُولُ الْأَرْدَلُونَ بَنُو قُشَيْرٍ

و عَبَّاساً و حَمْزَةً و الوَصِيًّا

أحبُّ مُحَمَّدًا حُبًّا شَدِيدًا

و لَيْسَ بِمُخْطِئٍ إِنْ كَانَ غِيًّا

فَإِنْ يَكُ حُبُّهُمْ رُشْدًا أَصِيَّهُ

و كان نازلاً في بني قُشَيْرَ بالبصرة، و كانوا يرمونه بالليل لمحبتته لعلّ و ولده، فإذا أصبح فذكر رجمهم، قالوا: الله يرمك، فيقول لهم: تكذبون، لو رجمني

(١). ربيع الأبرار: ج ٣ ص ٤٧٩.

(٢) عام الجماعة: هو العام الذي سلّم فيه الإمام الحسن عليه السلام الأمر لمعاوية، و ذلك في جُمادى الاولى سنة (٤١ هـ) (جواهر المطالب: ج ٢ ص ١٩٩).

(٣). العقد الفريد: ج ٣ ص ٣٤٢، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٥ ص ١٨٠ عن سعيد عن بعض أصحابه نحوه و ليس فيه سؤال معاوية.

ص: ١٤٩

الله لأصابني، و أنتم ترجمون فلا تُصيبون «١».

و في سِيرِ أعلام النبلاء عن أبي الأسود: دخلتُ على عليٍّ، فرأيتَه مطرقاً، فقلت:

فيم تتفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: سمعت ببلدكم لحناً، فأردت أن أضع كتاباً في أصول العريّة.

فقلت: إن فعلت هذا أحيينا! فأتيته بعد أيام، فألقى إليّ صحيفة فيها: الكلام كله: اسمٌ، و فعلٌ، و حرفٌ؛ فالاسم ما أنبأ عن المُسمّى، و الفعل ما أنبأ عن حركة المُسمّى، و الحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم و لا فعلٍ. ثمّ قال لي: زده و تتبّعهُ، فجمعت أشياء ثمّ عرضتها عليه «٢».

و في الأغاني: قيل لأبي الأسود: من أين لك هذا العلم - يعنون به النحو -؟

فقال: أخذت حدوده عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام «٣».

و في: «الأربعون حديثاً» عن عليّ بن محمّد: رأيت ابنة أبي الأسود الدؤليّ و بين يديّ أبيها خبيص «٤»، فقالت: يا أبة، أطعمني، فقال: افتحي فاك. قال: ففتحت، فوضع فيه مثل اللوزة، ثمّ قال لها: عليك بالتمر؛ فهو أنفع و أشبع.

فقلت: هذا أنفع و أنجع؟

(١). تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٥ ص ١٨٨، الكامل للمبرّد: ج ٣ ص ١١٢٥، الأغاني: ج ١٢ ص ٣٧١ عن ابن عائشة عن أبيه و كلاهما نحوه مع زيادة في الأبيات، وفيات الأعيان: ج ٢ ص ٥٣٥ و ليس فيه الأبيات.

(٢). سِيرِ أعلام النبلاء: ج ٤ ص ٨٤ الرقم ٢٨، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٥ ص ٢٧٩ و راجع الأغاني: ج ١٢ ص ٣٤٧ و وفيات الأعيان: ج ٢ ص ٥٣٥، و شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ٢٠.

(٣). الأغاني: ج ١٢ ص ٣٤٨، وفيات الأعيان: ج ٢ ص ٥٣٧ وفيه «لَقَنْت» بدل «أخذت».

(٤) الخَبِصُ: حَلَوَاءٌ معمول من التمر و السَّمْن، يُخَبَّصُ [أى يُخَلَطُ] بعضه فى بعض (راجع: تاج العروس: ج ٩ ص ٢٦٥).

ص: ١٥٠

فقال: هذا الطَّعام بعث به إلينا معاوية يخدعنا به عن حبّ عليّ بن أبى طالب عليه السلام.

فقالت: قَبَّحه الله! يخدعنا عن السيّد المطهّر بالشَّهيد المُزَعَفَر؟ تَبّاً لمرسله و آكله! ثمّ عالجت نفسها و قاءت ما أكلت منه، و أنشأت تقول باكية:

أ بالشَّهيد المُزَعَفَرِ يا بنَ هِنْدٍ
نَبِّيعُ إِلَيْكَ إِسلاماً و دِيناً
فلا و الله لَيْسَ يَكُونُ هذا
و مولانا أميرُ الْمُؤْمِنِينَ «١»

عبدُ اللهِ بنُ عَبَّاسٍ

عبد الله بن عباس بن عبد المطلب أبو العباس القُرَشِيُّ الهاشميُّ، من المفسرين و المحدثين المشهورين فى التاريخ الإسلامى «٢» وُلِدَ بمكّة فى الشَّعب قبل الهجرة بثلاث سنين «٣». و ذهب إلى المدينة سنة ٨ هـ، عام الفتح «٤». كان عمر يستشيرَه فى أيام خلافته «٥». و عند ما ثار النَّاس على عثمان، كان مندوبه فى الحجّ. «٦» و لما آلت الخلافة إلى الإمام أمير المؤمنين علىّ عليه السلام كان صاحبه، و نصيره، و مستشاره، و أحد ولاته و أمرائه العسكريين.

كان على مقدّمة الجيش فى معركة الجمل «٧»، ثمّ ولى البصرة «٨» بعدها. و قبل

(١). الأربعون حديثاً لمنتجب الدين بن بابويه: ٨١.

(٢). أنساب الأشراف: ج ٤ ص ٣٩، حلية الأولياء: ج ١ ص ٣١٤، سِير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٣٣١ الرقم ٥١.

(٣). المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ٦١٥ ح ٦٢٧٧، تاريخ بغداد: ج ١ ص ١٧٣ الرقم ١٤، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٩ ص ٢٨٩، سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٣٣٢ الرقم ٥١.

(٤). سِير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٣٣٣ الرقم ٥١.

(٥). تاريخ بغداد: ج ١ ص ١٧٣ الرقم ١٤.

(٦). أنساب الأشراف: ج ٤ ص ٣٩، تاريخ الطبرى: ج ٤ ص ٤٤٨، سِير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٣٤٩ الرقم ٥١.

(٧). الجمل: ص ٣١٩؛ العقد الفريد: ج ٣ ص ٣١٤، الإمامة و السياسة: ج ١ ص ٩٠.

(٨). أنساب الأشراف: ج ٤ ص ٣٩، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٩٣، سِير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٣٥٣ الرقم ٥١؛ الجمل: ص ٤٢٠.

ص: ١٥١

أن تبدأ حرب صفين، استخلف أبا الأسود الدؤليّ على البصرة و توجه مع الإمام عليه السلام لحرب معاوية «١».

كان أحد امراء الجيش في الأيام السبعة الاولى من الحرب «٢». و لازم الإمام عليه السلام بثبات على طول الحرب.

اختاره الإمام عليه السلام ممثلاً عنه في التحكيم، بيّد أن الخوارج والأشعث عارضوا ذلك قائلين: لا فرق بينه وبين عليّ عليه السلام «٣».

حاور الخوارج مندوباً عن الإمام عليه السلام في النهروان مراراً. و أظهر في مناظراته الواعية عدم استقامتهم، و تزعزع موقفهم، كما أبان منزلة الإمام الرفيعة السامية.

كان والياً على البصرة عند استشهاد الإمام عليه السلام «٤».

بايع الإمام الحسن المجتبي عليه السلام «٥»، و توجه إلى البصرة من قبله «٦». و لم يشترك مع الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء. و علل البعض ذلك بعماء.

لم يبايع عبد الله بن الزبير حين استولى على الحجاز، و البصرة، و العراق.

و محمد بن الحنفية لم يبايعه أيضاً، فكبر ذلك على ابن الزبير حتى همّ بإحراقهما «٧»

(١). أنساب الأشراف: ج ٤ ص ٣٩، تاريخ بغداد: ج ١ ص ١٧٣ الرقم ١٤، سِير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٣٥٣ الرقم ٥١؛ الجمل: ص ٤٢١، وقعة صفين: ص ١١٧.

(٢). وقعة صفين: ص ٢٢١؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٣، مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٨٨.

(٣). وقعة صفين: ص ٤٩٩؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٥١، الأخبار الطوال: ص ١٩٢، الفتوح: ج ٤ ص ١٩٨.

(٤). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٥٥؛ الإرشاد: ج ٢ ص ٩.

(٥). الإرشاد: ج ٢ ص ٨؛ الفتوح: ج ٤ ص ٢٨٣.

(٦). الإرشاد: ج ٢ ص ٩.

(٧). الطبقات الكبرى: ج ٥ ص ١٠٠ و ١٠١، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٤ ص ٣٣٨ و ٣٣٩، سِير أعلام النبلاء:

ج ٣ ص ٣٥٦ الرقم ٥١، البداية و النهاية: ج ٨ ص ٣٠٦.

ص: ١٥٢

كان ابن عباس عالماً له منزلته الرفيعة العالية في التفسير، و الحديث، و الفقه.

و كان تلميذ الإمام عليه السلام في العلم «١» مفتخراً بذلك أعظم افتخار.

توفي ابن عباس في مناه بالطائف سنة ٦٨ هـ و هو ابن إحدى و سبعين «٢»، و هو يكثر من قوله: اللهم إني أتقرب إليك بمحمد و آله، اللهم إني أتقرب إليك بولاية الشيخ علي بن أبي طالب «٣» و في رواية: لما حضرت عبد الله بن عباس الوفاة قال: اللهم إني أتقرب إليك بولاية علي بن أبي طالب «٤».

خلفاء بني العباس من ذريته و أخبر الإمام عليه السلام بهذا في خطابه لابن عباس أبا الأملك.

في المستدرک علی الصحيحین عن الزهري: قال المهاجرون لعمر بن الخطاب:

ادع أبناءنا كما تدعو ابن عباس.

قال: ذاكم فتى الكهول، إن له لساناً سؤلًا، و قلباً عقولاً «٥».

و في أنساب الأشراف: إن ابن عباس خلا بعلي حين أراد أن يبعث أبا موسى فقال: إني أخاف أن يخدع معاوية و عمرو أبا موسى فابعثني حكماً و لا تبعثه

(١). رجال العلامة الحلي: ص ١٠٣؛ مختصر تاريخ مدينة دمشق: ج ١٢ ص ٣٠١ الرقم ١٥٤، البداية و النهاية: ج ٨ ص ٢٩٨.

(٢). المستدرک علی الصحيحین: ج ٣ ص ٦٢٦ ح ٦٣٠٩ و ص ج ٦١٥ ص ٦٢٧، التاريخ الكبير: ج ٥ ص ٣ ح ٥، أنساب الأشراف: ج ٤ ص ٧١، مروج الذهب: ج ٣ ص ١٠٨، سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٣٥٩ الرقم ٥١.

(٣). كفاية الأثر: ص ٢٢، بشارة المصطفى: ص ٢٣٩، المناقب لابن شهر آشوب: ج ٣ ص ٢٠٠؛ فضائل الصحابة لابن حنبل: ج ٢ ص ٦٦٢ الرقم ١١٢٩ و ليس في الثلاثة الأخيرة «اللهم إني أتقرب إليك بمحمد و آله».

(٤). فضائل الصحابة لابن حنبل: ج ٢ ص ٦٦٢ الرقم ١١٢٩؛ بشارة المصطفى: ص ٢٣٩، العمدة: ج ٢٧٢ ص ٤٢٩، المناقب لابن شهر آشوب: ج ٣ ص ٢٠٠، نهج الحق: ص ٢٢١.

(٥). المستدرک علی الصحيحین: ج ٣ ص ٦٢١ ح ٦٢٩٨، مختصر تاريخ مدينة دمشق: ج ١٢ ص ٣٠٤، سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٣٤٥ الرقم ٥١.

و لا تلتفت إلى قول الأشعث و غيره مِمَّن اختاره فأبى، فلما كان من أمر أبى موسى و خديعة عمرو له ما كان، قال على:

«للهِ درُ ابنِ عباسٍ إنْ كانَ لِيَنْظُرُ إلى الغَيْبِ مِنْ سِتْرِ رَقِيقٍ»

«١».

و فى مختصر تاريخ مدينة دمشق عن المدائني: قال على بن أبى طالب فى عبد الله بن عباس:

«إِنَّهُ يَنْظُرُ إلى الغَيْبِ مِنْ سِتْرِ رَقِيقٍ لِعَقْلِهِ وَفِطْنَتِهِ بِالْأُمُورِ»

«٢».

و عن أبى نصر بن أبى ربيعة: ورد صَعَصَعَةُ بن صُوحان على على بن أبى طالب رضى الله عنه من البصرة، فسأله عن عبد الله بن عباس، و كان على خلافته بها، فقال صَعَصَعَةُ: يا أمير المؤمنين، إنه أخذ بثلاث و تارك لثلاث: أخذ بقلوب الرجال إذا حدث، و بحسن الاستماع إذا حدث، و بأيسر الأمور إذا خولف. تارك للمراء، و تارك لمُقاربة اللئيم، و تارك لما يُعْتَذَرُ منه. «٣»

و فى رجال الكشي عن الشَّعْبِيِّ: لما احتمل عبدُ الله بنُ عباسٍ بيتَ مالِ البَصْرَةِ و ذهبَ بهِ إلى الحِجَازِ، كَتَبَ إليه علىُّ بنُ أبى طالبٍ:

«مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلَىَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ كُنْتُ أَشْرَكْتُكَ فِي أَمَانَتِي، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فِي نَفْسِي أَوْثَقُ مِنْكَ لِمُؤَاسَاةِي وَمُؤَازَرَتِي وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَيَّ، فَلَمَّا رَأَيْتَ الزَّمَانَ عَلَى ابْنِ عَمِّكَ قَدْ كَلَبَ، وَالْعَدُوَّ عَلَيْهِ قَدْ حَرَبَ، وَأَمَانَةُ النَّاسِ قَدْ خَرِبَتْ، وَهَذِهِ الْأُمُورُ قَدْ قَسَتْ، قَلْبَتْ لَابْنِ عَمِّكَ

(١). أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٢١.

(٢). مختصر تاريخ مدينة دمشق: ج ١٢ ص ٣٠٥، عيون الأخبار لابن قتيبة: ج ١ ص ٣٥، المناقب للخوارزمي:

ج ١٩٧ ص ٢٣٨ و ليس فيهما «لعقله و فطنته بالامور».

(٣). شعب الإيمان: ج ٦ ص ٣٥٢ ح ٨٤٨٣، البداية و النهاية: ج ٨ ص ٣٠٠.

ظَهَرَ الْمَجَنِّ «١»، وَفَارَقَتْهُ مَعَ الْمُفَارِقِينَ، وَخَذَلَتْهُ أَسْوَأُ خِذْلَانِ الْخَاذِلِينَ.

فَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ تُرِيدُ اللَّهَ بِجِهَادِكَ، وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ، وَكَأَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى دُنْيَاهُمْ، وَتَتَوَى غِرَّتَهُمْ «٢»، فَلَمَّا أَمَكَّنْتَ الشَّدَّةَ فِي خِيَانَةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ أَسْرَعْتَ الْوُثْبَةَ وَعَجَلْتَ الْعَدُوَّةَ، فَاخْتَطَفْتَ مَا قَدِرْتَ عَلَيْهِ اخْتِطَافَ الذَّنْبِ الْأَزَلِ «٣» رَمِيَّةَ الْمِعْزَى الْكَسِيرِ.

كَأَنَّكَ - لَا أَبَا لَكَ - إِنَّمَا جَرَرْتَ إِلَى أَهْلِكَ تَرَاتُكَ مِنْ أَبِيكَ وَأُمِّكَ، سُبْحَانَ اللَّهِ! أَمَا تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ؟! أَوْ مَا تَخَافُ مِنْ سُوءِ الْحِسَابِ؟! أَوْ مَا يَكْبُرُ عَلَيْكَ أَنْ تَشْتَرِيَ الْإِمَاءَ، وَتَتَكَبَّرَ النِّسَاءُ بِأَمْوَالِ الْأَرَامِلِ وَالْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْبِلَادُ؟!

ارْدُدْ إِلَى الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمَكَّنَنِي اللَّهُ مِنْكَ لَاعَذِرَنَّ اللَّهُ فِيكَ، فَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّ حَسَنًا وَحُسَيْنًا فَعَلَا مِثْلَ مَا فَعَلْتَ، لَمَا كَانَ لَهُمَا عِنْدِي فِي ذَلِكَ هَوَادَةٌ، وَلَا لِوَاحِدٍ مِنْهُمَا عِنْدِي فِيهِ رُخْصَةٌ، حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ، وَازِيحَ الْجَوْرَ عَنْ مَظْلُومِهَا، وَالسَّلَامُ»

. قال: فكتب إليه عبد الله بن عباس: أما بعد، فقد أتاني كتابك، تعظم عليَّ إصابة المال الذي أخذته من بيت مال البصرة، و لعمري إن لي في بيت مال الله أكثر مما أخذت، و السَّلَام.

قال: فكتب إليه علي بن أبي طالب عليه السلام:

(١) ظهر المِجَنّ: هذه كلمة تُضرب مثلاً لمن كان لصاحبه على مَوْدَّةٍ أو رعاية ثمَّ حالَّ عن ذلك (النهاية: ج ١ ص ٣٠٨).

(٢) الغِرَّة: الغفلة (النهاية: ج ٣ ص ٣٥٤).

(٣) الأزل: بتشديد اللام: السريع الجرى.

ص: ١٥٥

«أما بعد، فالعجبُ كُلُّ العجبِ من تزيينِ نَفْسِكَ، أَنَّ لَكَ فِي بَيْتِ مالِ اللَّهِ أَكْثَرَ مِمَّا أَخَذْتَ، وَأَكْثَرَ مِمَّا لِرَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَدْ أَفْلَحْتَ إِنْ كَانَ تَمَنِيكَ الْبَاطِلَ، وَادِّعَاؤُكَ مَا لَا يَكُونُ يُنْجِيكَ مِنَ الْإِثْمِ، وَيَحِلُّ لَكَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ، عَمَرَكَ اللَّهُ أَنَّكَ لَأَنْتَ الْعَبْدُ الْمُهْتَدِي إِذَا.

فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ اتَّخَذْتَ مَكَّةَ وَطَنًا وَضَرَبْتَ بِهَا عَطَنًا «١»، تَشْتَرِي مُوَلَّدَاتِ مَكَّةَ وَالطَائِفِ، تَخْتَارُهُنَّ عَلَى عَيْنِكَ، وَتُعْطِي فِيهِنَّ مَالَ غَيْرِكَ، وَإِنِّي لَأَقْسِمُ بِاللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ، مَا يَسْرُنِي أَنْ مَا أَخَذْتَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ لِي حَلَالٌ أَدْعُهُ لِعَقْبِي مِيرَاثًا، فَلَا غَرَوْ، وَأَشَدُّ بَاغْتِبَاطِكَ تَأْكُلُهُ رُويْدًا رُويْدًا، فَكَأَنَّ قَدْ بَلَغْتَ الْمَدَى، وَعُرِضْتَ عَلَى رَبِّكَ، وَالْمَحَلُّ الَّذِي يَتَمَنَّى الرَّجْعَةَ، وَالْمُضِيعُ لِلتَّوْبَةِ كَذَلِكَ وَمَا ذَلِكَ، وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ! وَالسَّلَامُ».

قال: فكتب إليه عبد الله بن عباس: أما بعد، فقد أكثرت عليَّ، فوالله لأن ألقى الله بجميع ما في الأرض من ذهبها و عقبانها، أحبَّ إليَّ أن ألقى الله بدم رجل مسلم «٢».

و فى تاريخ الطبرى: خرج عبد الله بن العباس من البصرة، و لحق مكّة فى قول عامّة أهل السّير، و قد أنكر ذلك بعضهم، و زعم أنّه لم يزل بالبصرة عاملاً عليها من قبل أمير المؤمنين علىّ عليه السلام حتّى قُتل، و بعد مقتل علىّ حتّى صالح الحسن معاوية، ثمّ خرج حينئذٍ إلى مكّة «٣»

(١) العطن: مبرك الإبل، المراح (النهاية: ج ٣ ص ٢٥٨).

(٢). رجال الكشّى: ج ١ ص ٢٧٩ الرقم ١١٠؛ أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٤٠٠، العقد الفريد: ج ٣ ص ٣٤٨ عن أبى الكنود، الأوائل لأبى هلال: ١٩٦ كلّها نحوه.

(٣). تاريخ الطبرى: ج ٥ ص ١٤١، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٤٣٢.

ص: ١٥٦

تحقيقات و ملاحظات:

لا نجد بعد التّحقيق و التّدقيق فى حياة عبد الله بن العباس فى زمان خلافة أمير المؤمنين عليه السلام، مدّة فارق فيها عبد الله عليّاً عليه السلام و ذهب إلى مكّة، على ما نقل فى هذه القصّة:

لأنّ بيعة أمير المؤمنين عليه السلام بعد مقتل عثمان وقعت سنة ٣٥ هـ. ق، و كان ابن عباس وقتئذٍ بالمدينة، و هو عنده عليه السلام ليلاً و نهاراً، يخدمه و يناصحه، و كان من الذين كانوا يتفانون فيه. «١»

و لمّا خرج علىّ عليه السلام إلى البصرة خرج ابن عباس معه، و لمّا بلغ ذا قار بعثه علىّ عليه السلام إلى الكوفة لاستنفار النّاس إلى حرب الجمل مع محمّد بن أبى بكر أو مع الأشتر «٢»، و رجع إلى علىّ عليه السلام بذى قار، و ارتحل معه حتّى نزل البصرة «٣»، و أرسله أمير المؤمنين عليه السلام إلى عائشة و طلحة و الزّبير. «٤»

فلمّا انتهت الحرب جعله أمير المؤمنين عليه السلام عاملاً على البصرة، و كان ذلك سنة ستّ و ثلاثين. «٥» و حجّ فى تلك السّنة بالناس لأمر المؤمنين عليه السلام. «٦»

(١) راجع: تاريخ الطبرى: ج ٤ ص ٤٢٧ - ٤٤١، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٣٠٢ - ٣٠٧، الإصابة: ج ٤ ص ٤٦٨، أسد الغابة: ج ٤ ص ١٠٦، مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٥٨.

(٢) راجع: تاريخ الطبرى: ج ٤ ص ٤٨٢ - ٤٨٧، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٣٢٧، أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٢٩ و ٣١، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ١٤ ص ١٠ و ١٨ و ١٩؛ بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٨٦ و ٨٧.

(٣) راجع: أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٣١، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ١٤ ص ١٨ و ١٩، البداية و النهاية:

ج ٧ ص ٢٣٧.

(٤) راجع: العقد الفريد: ج ٣ ص ٣١٤، الفتوح: ج ٢ ص ٤٨٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٥ و ١٦٩؛ الجمل: ص ٣١٤ و ٣١٦ و ٣١٧، رجال الكشي: ج ١ ص ٢٧٧.

(٥) راجع: تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٤٣، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٤٧، أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٦٢، مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٨١.

(٦) راجع: تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢١٣.

ص: ١٥٧

و لما أراد عليه السلام المسير إلى صفين، كتب إلى ابن عباس كتاباً يأمره فيه بالشُّخوص إليه مع المؤمنين المسلمين من أهل البصرة، و كان سنة ست و ثلاثين.

و جمع الطبري بينهما بأن ابتداء الحرب كان سنة ست و ثلاثين و آخرها كان سنة سبع و ثلاثين، و على كل حال كان ابن عباس في تلك المدة و حتى انقضاء الحرب عند عليّ عليه السلام، و له مواقف كريمة مشكورة و خطب جليلة فيها. إلّا ما كان من حجة للناس من قبل أمير المؤمنين عليه السلام. «١»

فلما انقضت الحرب بمكر ابن النّابغة، و ابن هند، و جهالة قرأء العراق، و فتنة الأشعث و تدبيره، و كذا سائر مخالفى عليّ عليه السلام الموجودين بين أهل العراق من عيون معاوية و جواسيسه، حتّى انتهى الأمر إلى التّحكيم، و اختار معاوية و أهل الشام عمرو بن العاص لعنه الله تعالى، و اختلف أهل العراق، و قال لهم عليّ عليه السلام:

«اختاروا أحد الرجلين، عبد الله بن عباس أو الأشتر»

، و ذلك لوثوقه بهما و اعتماده عليهما، و لكن القرأء أبوا ذلك، و مالوا إلى أبي موسى الأشعريّ المخالف لعليّ عليه السلام. «٢»

و كان ذلك سنة سبع و ثلاثين، لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر، كما تقدّم. «٣»

و قال الواقديّ، و المسعوديّ، و اليعقوبيّ: أنّه كان سنة ثمان و ثلاثين. «٤»

(١) راجع: وقعة صفين: ص ١١٦؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٧٨، مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٨٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ١٨٧، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٤٠٤ الرقم ٤٢٩.

(٢) راجع: تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٥١ و ٦٧، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٨٧، مروج الذهب: ج ٢ ص ٤٠٢، الفتوح: ج ٤ ص ١٩٨، البداية و النهاية: ج ٧ ص ٢٧٦؛ وقعة صفين: ص ٤٩٩، تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٨٩.

(٣) راجع: تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٥٧، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٧٦ - ٣٩٨، أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١١١.

(٤) راجع: تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٧١، مروج الذهب: ج ٢ ص ٤٠٦ و ٤٠٧؛ تاريخ يعقوبى: ج ٢ ص ١٩٠.

ص: ١٥٨

فلما خرج الحكمان إلى دومة الجندل بعث عليّ عليه السلام شريح بن هانئ على أربعمائة إلى دومة الجندل، و بعث معهم عبد الله بن العباس ليصليّ بهم، و معهم أبو موسى، فكان ابن عباس هناك يصليّ بهم و يراقب الأمور، و يلتقى مع أبي موسى و يحذره، و له في ذلك مواقف مشرفة و كريمة، حتّى انقضى أمر الحكمين بانخداع الأشعرى و شقائه، بخداع عمرو بن العاص لعنهما الله تعالى. «١»

قال البلاذري: لما أهلّ (هلال) شهر رمضان سنة سبع و ثلاثين، خرج معاوية من دمشق في أربعمائة حتّى نزل دومة الجندل، و سرح يزيد بن الحرّ العبسيّ إلى عليّ يعلمه نزوله دومة الجندل، و يسأله الوفاء، فأتى عليّا، فحثّه على الشّخص، و قال: إنّ في حضورك هذا الأمر صلاحاً و وضعاً للحرب و إطفاءً للنائرة.

فقال عليّ: «يا بن الحرّ، إنّى آخذ بأنفاس هؤلاء، فإن تركتهم و غبت عنهم كانت الفتنة في هذا المصر أعظم من الحرب بينهم و بين أهل الشّام، و لكننى أسرح أبا موسى، فقد رضيه النّاس، و أسرح ابن عبّاس، فهو يقوم مقامى، و لن أغيب عمّا حضره، ففعل ذلك فبعث إلى ابن عبّاس، فأقدمه من البصرة. «٢»

كان ابن عبّاس بعد كتابة كتاب الصّلح و إلى حضوره في دومة الجندل في البصرة، كما صرح به البلاذري في كلامه المتقدّم، بأنّه: «بعث إلى ابن عبّاس فأقدمه من البصرة»، فهو رجع من الشّام إلى عمله بالبصرة، و بقى فيها إلى أن كتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام، و استقدمه.

(١) راجع: تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٦٧، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٩٤ و ٣٩٥، مروج الذهب: ج ٢ ص ٤٠٢، أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٢٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٤٤؛ وقعة صفّين: ص ٥٣٣، تاريخ يعقوبى: ج ٢ ص ١٩٠.

(٢). أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٢٠.

ص: ١٥٩

و قال ابن الأثير: فلما خرجت الخوارج و هرب أبو موسى إلى مكّة و ردّ عليّ ابن عبّاس إلى البصرة، قام في الكوفة فخطبهم فقال: ... «١»

و لما رجع أمير المؤمنين عن الشّام إلى الكوفة، و فارقه الخوارج و لم يدخلوا الكوفة، و أتوا قرية يقال لها حروراء، فنزلوا بها و هم اثنا عشر ألفاً، و قالت الشيعة:

فِي أَعْنَاقِنَا بَيْعَةً ثَانِيَةً، نَحْنُ أَوْلِيَاءُ مَنْ وَالَيْتَ، وَ أَعْدَاءُ مَنْ عَادَيْتَ.

فَقَالَتِ الْخَوَارِجُ: اسْتَبَقْتُمْ أَنْتُمْ وَأَهْلُ الشَّامِ إِلَى الْكُفْرِ كَفَرَسَى رِهَانٍ، بَايَعَ أَهْلُ الشَّامِ مَعَاوِيَةَ عَلَى مَا أَحْبَبُوا وَ كَرِهُوا، وَ بَايَعْتُمْ أَنْتُمْ عَلِيًّا عَلَى أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ مَنْ وَ إِلَى وَ أَعْدَاءُ مَنْ عَادَى.

فَقَالَ لَهُمْ زِيَادُ بْنُ النَّضْرِ: وَاللَّهِ، مَا بَسَطَ عَلَيَّ يَدَهُ فَبَايَعَنَاهُ قَطُّ، إِلَّا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَ سُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، وَ لَكُنْكُمْ لَمَّا خَالَفْتُمُوهُ جَاءَتْهُ شَبِيعَتُهُ، فَقَالُوا: نَحْنُ أَوْلِيَاءُ مَنْ وَالَيْتَ، وَ أَعْدَاءُ مَنْ عَادَيْتَ، وَ نَحْنُ كَذَلِكَ، وَ هُوَ عَلَى الْحَقِّ وَ الْهَدَى، وَ مِنْ خَالَفَهُ ضَالٌّ مُضِلٌّ، وَ بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ عَبَّاسٍ إِلَيْهِمْ. «٢»

٢٥ كتابه عليه السلام إلى قدامة بن عجلان

[قُدَامَةُ - بَضْمُ الْقَافِ كُثْمَامَةٌ - بَنُ عَجْلَانَ - بَفَتْحِ الْعَيْنِ كَشَعْبَانٍ - لَمْ أَجِدْ تَرْجُمَتَهُ فِي الْكُتُبِ الْمَوْجُودَةِ عِنْدِي إِلَّا أَنَّ الطَّبْرِيَّ فَقَدْ ذَكَرَ قُدَامَةَ بَنَ عَجْلَانَ الْأَزْدِيَّ فَيَمُنُ شَهِدَ حُجْرُ بْنُ عَدَى رَحِمَهُ اللَّهُ «٣»].

(١) راجع: تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٧٧، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٠٠، أنساب الأشراف: ج ٢ ص ١٤٠.

(٢). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٦٤ و ٧٣ راجع: الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٩٣، الطبقات الكبرى: ج ٣ ص ٣٢؛ تاريخ البيهقي: ج ٢ ص ١٩١.

(٣) راجع: تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٢٧٠.

ص: ١٦٠

فِي أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ: كُتِبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى قُدَامَةَ بَنِ عَجْلَانَ، عَامِلِهِ عَلَى كَسْكَرَ:

«أَمَّا بَعْدُ، فَاحْمِلْ مَا قَبْلَكَ مِنْ مَالِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ فِيءٌ لِلْمُسْلِمِينَ، لَسْتُ بِأَوْفَرَ حَظًّا فِيهِ مِنْ رَجُلٍ مِنْهُمْ، وَلَا تَحْسَبَنَّ يَا بَنُ أُمِّ قُدَامَةَ أَنَّ مَالَ كَسْكَرٍ مُبَاحٌ لَكَ كَمَالٍ وَرِثَتُهُ عَنْ أَبِيكَ وَأُمِّكَ، فَتَعَجَّلَ حَمْلُهُ، وَأَعَجَلَ فِي الْإِقْبَالِ إِلَيْنَا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

«١»

قُدَامَةُ بْنُ عَجْلَانَ الْأَزْدِيَّ

كَانَ مِنْ وَلَاةِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مَنَاطِقَةِ كَسْكَرَ «٢». وَ يُسْتَشَفُّ مِنْ كِتَابِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِ «٣» أَنَّهُ كَانَ قَدْ أَفْرَطَ فِي التَّصَرُّفِ بِبَيْتِ الْمَالِ، فَانْتَقَدَهُ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى ذَلِكَ. وَ لَمْ نَحْصِلْ عَلَى مَعْلُومَاتٍ أَكْثَرَ حَوْلَ حَيَاتِهِ.

فِي أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ: قُدَامَةُ بْنُ عَجْلَانَ عَامِلُهُ (أَيَّ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَلَى كَسْكَرَ «٤».

٢٦ كتابه عليه السلام إلى سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدِ الْخُرَاعِيِّ

قال البلاذري: وكتب عليه السلام إلى سُلَيْمَانَ بْنِ صُرْدٍ، وَهُوَ بِالْجَبَلِ:

ذَكَرْتُ مَا صَارَ فِي يَدَيْكَ مِنْ حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّ مَنْ قَبْلَكَ وَقَبْلُنَا فِي الْحَقِّ سَوَاءٌ، فَأَعْلِمْنِي مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ ذَلِكَ، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَابْعَثْ إِلَيْنَا بِمَا

(١). أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٨٨.

(٢) كَسَكَّرَ: كورة واسعة...، و قصبته اليوم واسط التي بين الكوفة و البصرة...، و يقال: إنَّ حدَّ كورة كسكر من الجانب الشرقي في آخر سقى النُّهْران إلى أن تصبَّ دجلة في البحر (معجم البلدان: ج ٤ ص ٤٦١).

(٣). أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٨٨.

(٤). أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٨٨، الأخبار الطوال: ص ١٥٣، تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٥١ و فيه «البحران» بدل «كسكر»، وقعة صفين: ص ١١ و فيه «قدامة بن مطعون» و هو مخالف لبقية المصادر.

ص: ١٦١

سِوَى ذَلِكَ لَنَقْسِمَهُ فِيمَنْ قَبْلَنَا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

«١»

سُلَيْمَانُ بْنُ صُرْدِ الْخُزَاعِيِّ

إِسْلِيمَان، هُوَ ابْنُ صُرْدِ بْنِ الْجَوْنِ الْخُزَاعِيِّ، كَانَ اسْمُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَسَارًا، فَسَمَّاهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سُلَيْمَانُ، يُكْنَى أَبَا الْمُطَّرَفِ، وَكَانَ خَيْرًا فَاضِلًا، لَهُ دِينٌ وَعِبَادَةٌ، سَكَنَ الْكُوفَةَ، أَوَّلَ مَا نَزَلَهَا الْمُسْلِمُونَ، وَكَانَ لَهُ قَدْرٌ وَشَرَفٌ فِي قَوْمِهِ، وَشَهِدَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَشَاهِدَهُ كُلَّهَا، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ حَوْشِبَا «٢» ذَا ظُلَيْمِ الْأَلْهَانِي بِصَفِينِ مَبَارِزَةٍ، وَكَانَ فِيمَنْ كَتَبَ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ مَوْتِ مُعَاوِيَةَ، يَسْأَلُهُ الْقُدُومَ إِلَى الْكُوفَةِ، فَلَمَّا قَدِمَهَا تَرَكَ الْقِتَالَ مَعَهُ، فَلَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنِ نَدِمَ هُوَ وَالْمُسَيَّبُ بْنُ نَجْبَةَ الْفَزَارِيُّ، وَجَمِيعُ مَنْ خَذَلَهُ وَلَمْ يُقَاتِلْ مَعَهُ، وَقَالُوا: مَا لَنَا تَوْبَةُ إِلَّا أَنْ نَطْلُبَ بَدْمَهُ، فَخَرَجُوا مِنَ الْكُوفَةِ مُسْتَهْلًا رُبِيعَ الْآخِرِ، مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِينَ، وَلَوْ أَنَّ أَمْرَهُمْ سُلَيْمَانُ بْنُ صُرْدٍ، وَاسْمُهُ أَمِيرُ التَّوَابِينَ، وَسَارُوا إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، وَكَانَ قَدْ سَارَ مِنَ الشَّامِ فِي جَيْشٍ كَبِيرٍ يَرِيدُ الْعِرَاقَ، فَالْتَقَوْا بِعَيْنِ الْوَرْدَةِ مِنْ أَرْضِ الْجَزِيرَةِ، وَهِيَ رَأْسُ عَيْنٍ، فَقَتَلَ سُلَيْمَانُ بْنُ صُرْدٍ وَالْمُسَيَّبُ بْنُ نَجْبَةَ مِمَّنْ مَعَهُمَا، وَحُمِلَ رَأْسُ سُلَيْمَانَ وَالمُسَيَّبِ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بِالشَّامِ، وَكَانَ عُمَرُ سُلَيْمَانَ حِينَ قُتِلَ ثَلَاثًا وَتِسْعِينَ سَنَةً. هَذَا مَا وَرَدَ فِي أَسَدِ الْغَابَةِ، وَالإصابة والإستيعاب، إِلَّا أَنَّ ابْنَ الْأَثِيرِ وَهُمْ فِي قَوْلِهِ: وَشَهِدَ مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَشَاهِدَهُ كُلَّهَا؛ لِأَنَّ سُلَيْمَانَ لَمْ يَشْهَدْ الْجَمْلَ، كَمَا يَسْتَفَادُ مِنْ كَلَامِ ابْنِ حَجَرٍ وَأَبِي عَمْرٍ.

وَعَدَهُ الْكَشِيُّ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ، وَعن الشيخ: أَنَّهُ عَدَّهُ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَ يُؤَيِّدُهُ سَنَّهُ

(١). أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٩٣.

(٢) حوشبا: يعنى حوشب بن القباعى الألهانى.

ص: ١٦٢

عند وفاته، و هو من خزاعة «١»].

قال نصر: إنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ صُرْدِ الْخَزَاعِيِّ دخل على على بن أبى طالب بعد رجعتَه من البصرة، فعاتبَه و عدَّله، و قال له:

«ارتبّت وتربّصت وراوغت، وقد كنتَ من أوثق النَّاسِ فى نفسى وأسرعهم - فيما أظنُّ - إلى نصرتى، فما قعد بك عن أهل بيت نبيك، وما زهدك فى نصرهم»

. فقال: يا أمير المؤمنين، لا تردنَّ الأمور على أعقابها، و لا تؤنِّبنى بما مضى منها، و استبقِ مودَّتى يخلص لك نصيحتى، و قد بقيتُ أمورٌ تعرف فيها وليك من عدوِّك.

فسكت عنه و جلس سُلَيْمَانٌ قليلاً ثمَّ نهَضَ، فخرَجَ إلى الحسن بن علىّ و هو قاعد فى المسجد، فقال: أ لا أعجِّبك من أمير المؤمنين، و ما لقيتُ منه من التَّبَكُّيتِ و التَّوْبِيخِ؟

فقال له الحسن:

«إِنَّمَا يُعَاتَبُ مَنْ تُرْجَى مودَّتُهُ ونصيحتُهُ»

. فقال: «إنَّه بقيتُ أمورٌ سيستوسقُ فيها القنا، و يُنتَضَى فيها السيوف، و يحتاج فيها إلى أشباهى، فلا تَسْتَغْشُوا عَتْبَى، و لا تَتَّهِمُوا نصيحتى.

فقال له الحسن:

«رَحِمَكَ اللَّهُ، ما أنتَ عِنْدَنَا بِالظَّنِّينِ»

. «٢»

و كان سُلَيْمَانٌ على رجالة الميمنة فى صفِّين «٣»، فكتب عُقْبَةُ بْنُ مَسْعُودٍ عامل

(١) راجع: الاستيعاب: ج ٢ ص ٢١٠ الرقم ١٠٦١، الإصابة: ج ٣ ص ١٤٤ الرقم ٣٤٧٠، أسد الغابة: ج ٢ ص ٥٤٨ الرقم ٢٢٣١؛ رجال الكشي: ج ١ ص ٢٨٦ الرقم ١٢٤، رجال الطوسي: ص ٤٠ الرقم ٢٥٥ و ص ٦٦ الرقم ٥٩٧ و ص ٩٤ الرقم ٩٣٦.

(٢). وقعة صفين: ص ٤، قاموس الرجال: ج ٥ ص ٢٧٩ و راجع: الفتوح: ج ٢ ص ٤٩٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ١٠٥.

(٣). وقعة صفين: ص ٢٠٥.

ص: ١٤٣

على على الكوفة إلى سليمان بن صرد الخزاعي:

أما بعد فإنهم

«إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا» «١»

فعليك بالجهاد و الصبر مع أمير المؤمنين، و السلام عليك. «٢»

قال نصر: عن عمر بن سعد، عن الصقعب بن زهير، عن عون بن أبي جحيفة، قال: أتى سليمان بن صرد علياً أمير المؤمنين بعد الصحيفة، و وجهه مضروب بالسيف فلما نظر إليه على، قال:

«فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبَدُّلاً» «٣»

، فأنت ممن ينتظر، و ممن لم يبدل.

فقال: يا أمير المؤمنين، أما لو وجدت أعواناً ما كتبت هذه الصحيفة أبداً، أما و الله لقد مشيت في الناس ليعودوا إلى أمرهم الأول، فما وجدت أحداً عنده خير إلا قليلاً. «٤»

و في تنزيه الأنبياء: روى عباس بن هشام، عن أبيه، عن أبي مخنف، عن أبي الكنود عبد الرحمن بن عبيد، قال: لما بايع الحسن عليه السلام معاوية، أقبلت الشيعة تتلاقى بإظهار الأسف و الحسرة على ترك القتال، فخرجوا إليه بعد سنتين من يوم بايع معاوية، فقال له عليه السلام سليمان بن صرد الخزاعي:

ما ينقضى تعجبنا من بيعتك معاوية و معك أربعون ألف مقاتل من أهل الكوفة! كلهم يأخذ العطاء، و هم على أبواب منازلهم، و معهم مثلهم من أبنائهم و أتباعهم،

(١) الكهف: ٢٠.

(٢). وقعة صفين: ص ٣١٣؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٥ ص ٢٤٧.

(٣) الأحزاب: ٢٣.

(٤). وقعة صفين: ص ٥١٩، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٥٤٥ ح ٤٥٦ و راجع: المعيار و الموازنة: ص ١٨١.

ص: ١٦٤

سوى شيعتك من أهل البصرة و الحجاز، ثم لم تأخذ لنفسك ثقة في العقد، و لا حظاً من العطيّة، فلو كنت إذ فعلت ما فعلت أشهدت على معاوية وجوه أهل المشرق و المغرب، و كتبت عليه كتاباً بأن الأمر لك بعده، كان الأمر علينا أيسر، و لكنّه أعطاك شيئاً بينك و بينه لم يف به، ثم لم يلبث أن قال على رءوس الأشهاد:

إنّي كنتُ شرطت شروطاً، و وعدتُ عادة إرادة لإطفاء نار الحرب، و مداراة لقطع الفتنة، فأما إذا جمع الله لنا الكلمة و الألفة فإن ذلك تحت قدمي.

و الله، ما عني بذلك غيرك، و لا أراد بذلك إلّا ما كان بينه و بينك، و قد نقض.

فإذا شئت فأعدّ للحرب عدّة، و أذن لي في تقدّمك إلى الكوفة، فأخرج عنها عاملها، و أظهر خلعه، و نبذه إليه على سواء،

«إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ» «١».

و تكلمّ الباقر بمثل كلام سُلَيْمَانَ، فقال الحسن عليه السلام:

«أَنْتُمْ شِيعَتُنَا، وَأَهْلُ مَوَدَّتِنَا، وَلَوْ كُنْتُ بِالْحَزْمِ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا أَعْمَلُ، وَلِسُلْطَانِهَا أَرْبُضُ وَأَنْصَبُ، مَا كَانَ مُعَاوِيَةُ بِأَشَدَّ مِنِّي بِأَسَاءً، وَلَا أَشَدَّ شَكِيمَةً، وَلَا أَمْضَى عَزِيمَةً، وَلَكِنِّي أَرَى غَيْرَ مَا رَأَيْتُمْ، وَمَا أَرَدْتُ بِمَا فَعَلْتُ إِلَّا حَقَّنَ الدِّمَاءَ، فَارْضُوا بِقَضَاءِ اللَّهِ، وَسَلِّمُوا لِأَمْرِهِ، وَالزُّمُوا بِبُيُوتِكُمْ، وَأَمْسِكُوا»

. أو قال:

«كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ أَوْ يُسْتَرَاخَ مِنْ فَاجِرٍ»

. «٢»

[و بقي الشيعة، و من رؤسائهم سُلَيْمَانُ عَلَى هَذِهِ الْعَقِيدَةِ كَاطْمِينَ الْغَيْظِ، صَابِرِينَ عَلَى الْبَلَايَا، إِلَى أَنْ مَاتَ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَاجْتَمَعُوا أَيْضاً وَ كَتَبُوا إِلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَسْتَنْهَضُونَهُ لِلْخُرُوجِ عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَأَجَابَهُمْ بِالْأَمْرِ بِالسُّكُوتِ إِلَى أَنْ مَاتَ مُعَاوِيَةَ، وَ صَلَّى نَاراً حَامِيَةً].

فاجتمعت الشيعة بالكوفة في منزل سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ الْخَزَاعِيِّ، فَذَكَرُوا هَلَاكَ

(١) الأنفال: ٥٨.

(٢). تنزيه الأنبياء: ص ١٧١ و ١٧٢، بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٢٩ و ٣٠.

معاوية، فحمدوا الله وأثنوا عليه، فقال سليمان:

إِنَّ معاوية قد هلك، و إِنَّ حَسِيناً قد تَقَبَّضَ على القوم ببيعته، و قد خرج إلى مَكَّةَ، و أنتم شيعته و شيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه و مجاهدو عدوه، فأعلموه، و إن خفتم الفشل و الوهن فلا تغرؤا الرجل في نفسه.

قالوا: لا، بل نقاتل عدوه و نقتل أنفسنا دونه «١».

قال هشام بن محمد، حدَّثنا أبو مخنف، قال: حدَّثني يوسف بن يزيد، عن عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدي، قال: لما قتل الحسين بن عليّ و رجع ابن زياد من مُعَسَّكَرِهِ بِالنُّخَيْلَةِ، فدخل الكوفة، تلاقت الشَّيعة بالتَّلَاوُمِ و التَّنَدُّمِ، و رأت أنها قد أخطأت خطأ كبيراً بدعائهم الحسين إلى النُّصْرَةِ و تركهم إجابته، و مقتله إلى جانبهم لم ينصروه، و رأوا أنه لا يُغسل عارهم، و الإثم عنهم في مقتله إلّا بقتل مَنْ قَتَلَهُ، أو القتل فيه، ففزعوا بالكوفة إلى خمسة نفر من رءوس الشَّيعة إلى سُلَيْمَانَ بن صُرْدِ الخُزَاعِيِّ، و كانت له صُحْبَةٌ مع النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، و إلى المُسَيَّبِ بن نَجْبَةَ الْفَزَارِيِّ، و كان من أصحاب عليّ و خيارهم، و إلى عبد الله بن سَعْدِ بن نَفِيلِ الْأَزْدِيِّ، و إلى عبد الله بن وال التَّيْمِيِّ، و إلى رُفَاعَةَ بن شَدَّادِ الْبَجَلِيِّ.

ثُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ النَّفَرَ الْخَمْسَةَ اجتمعوا في منزل سُلَيْمَانَ بن صُرْدٍ ... [فتكلّم المُسَيَّبُ بن نَجْبَةَ، ثُمَّ عبد الله بن وال، و عبد الله بن سَعْدٍ بكلام يطول ذكره، ثُمَّ تكلّم سُلَيْمَانُ].

(١). الإرشاد: ج ٢ ص ٣٦ و راجع: إعلام الوري: ج ١ ص ٤٣٦، روضة الواعظين: ص ١٩٠، بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٣٣١ و ٣٣٢؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٣٥٢، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٥٣٣، أخبار الطوال: ص ٢٢٩، تذكرة الخواص: ص ٢٤٣، الملهوف: ص ١٠٢.

قال حميد بن مسلم: و الله، إِنِّي لَشَاهِدٌ بهذا اليوم، يوم وَلَّوْا سُلَيْمَانَ بن صُرْدَ، و إِنَّا يَوْمُنْذٍ لَأَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ رَجُلٍ مِنْ فُرْسَانَ الشَّيعة و وجوههم في داره.

قال: فتكلّم سُلَيْمَانُ بن صُرْدَ فَشَدَّدَ، و ما زال يردّد ذلك القول في كل جمعة حتّى حفظته، بدأ فقال:

أُتِنِي على اللَّهِ خَيْرًا، و أحمَدُ آلاءَهُ و بلاءَهُ، و أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، و أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي و اللَّهُ، لَخَائِفٌ أَلَّا يَكُونَ آخِرُنَا إِلَى هَذَا الدَّهْرِ الَّذِي نَكُودُ فِيهِ الْمَعِيشَةَ، و عَظُمْتَ فِيهِ الرَّزِيَّةُ، و شَمِلَ فِيهِ الْجَوْرُ أُولَى الْفَضْلِ مِنْ هَذِهِ الشَّيعة، لِمَا هُوَ خَيْرٌ؛ إِنَّا كُنَّا نَمُدُّ أَعْنَاقَنَا إِلَى قُدُومِ آلِ نَبِيِّنَا، و نَمْنِيهِمُ النَّصْرَ، و نَحْتَمُّ عَلَى الْقُدُومِ، فَلَمَّا قَدِمُوا وَنَبْنَا و عَجَزْنَا، و اذْهَنَّا، و تَرَبَّصْنَا، و أَنْتَظَرْنَا مَا يَكُونُ حَتَّى قُتِلَ فِيْنَا وَلَدُ نَبِيِّنَا، و سَلَّاتُهُ، و عُصَارَتُهُ، و بَضْعَةٌ مِنْ لَحْمِهِ وَ دَمِهِ، إِذْ جَعَلَ يَسْتَصْرِخُ فَلَا يُصْرَخُ، و يَسْأَلُ النَّصْفَ فَلَا يُعْطَاهُ، أَتَاخِذُهُ الْفَاسِقُونَ غَرَضًا لِلنَّبْلِ، وَ دَرِيَّةً لِلرَّمَاكِ حَتَّى أَقْصِدُوهُ، وَ عَدُوًّا عَلَيْهِ فَسَلْبُوهُ.

ألا أنهضوا فقد سخط ربكم، و لا ترجعوا إلى الحلائل و الأبناء حتّى يَرْضَى الله، و الله، ما أظنّه راضيًا دون أن تتاجزوا من قتله، أو تُبَيروا.

ألا لا تهابوا الموت، فو الله، ما هابه امرؤ قطُّ إلّا ذلّ، كونوا كالألى من بنى إسرائيل، إذ قال لهم نبيهم

«إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ» «١»

، فما فعل القوم؟ جثوا على الركب و الله، و مدّوا الأعناق، و رضوا بالقضاء حتّى حين علموا أنّه لا ينجيهم من عظيم الذنب إلّا الصبر على القتل، فكيف بكم لو قد دُعيتم إلى مثل ما دعى القوم إليه!

(١) البقرة: ٥٤.

ص: ١٦٧

اشحذوا السيوف، و ركبوا الأسنة،

«و أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ» «١»

، حتّى تدعوا حين تدعون و تستنفرون.

[فأجابته الشيعة بإعطاء المال و النفس فى سبيل الله، فكتب إلى سعد بن حذيفة بالمداين:]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من سليمان بن صرد، إلى سعد بن حذيفة و من قبله من المؤمنين.

سلام عليكم؛ أمّا بعد، فإنّ الدنيا دارٌّ قد أدبر منها ما كان معروفاً، و أقبل منها ما كان منكراً، و أصبحت قد تشنّأت إلى ذوى الألباب، و أزمع بالترحال منها عبادة الله الأخيار، و باعوا قليلاً من الدنيا لا يبقى بجزيّل مُتوبة عند الله لا تَفنى.

إنّ أولياء من إخوانكم، و شيعة آل نبيكم نظروا لأنفسهم فيما ابتلوا به من أمر ابن بنت نبيهم الذى دعى فأجاب، و دعا فلم يُجب، و أراد الرجعة فحبس، و سأل الأمان فمنع، و ترك الناس فلم يتركوه، و عدّوا عليه فقتلوه، ثمّ سلبوه و جرّدوه ظلماً و غدواناً و غرّة بالله و جهلاً، و بعين الله ما يعملون، و إلى الله ما يرجعون

«و سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» «٢».

فلما نظروا إخوانكم، و تدبّروا عواقب ما استقبلوا، رأوا أن قد خطئوا بخذلان الزكى الطيب و إسلامه و ترك مواساته، و النصر له خطأ كبيراً ليس لهم منه مخرجٌ و لا توبة، دون قتل قاتليه أو قتلهم حتّى تَفنى على ذلك أرواحهم، فقد جدّ إخوانكم فجذّوا، و أعدّوا و استعدّوا، و قد ضربنا لإخواننا أجلاً يوافوننا إليه، و موطيناً يلقوننا فيه.

فَأَمَّا الْأَجَلُ، فُغْرَةُ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ، سَنَةِ خَمْسٍ وَ سَتِينَ، وَأَمَّا الْمَوْطِنُ الَّذِي

(١) الأنفال: ٦٠.

(٢) الشعراء: ٢٢٧.

ص: ١٦٨

يَلْقَوْنَنَا فِيهِ فَالْخَيْلَةُ. أَنْتُمْ الَّذِينَ لَمْ تَزَالُوا لَنَا شِيعَةً وَ إِخْوَانًا، وَ إِلَّا وَ قَدْ رَأَيْنَا أَنْ نَدْعُوَكُمْ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ بِهِ إِخْوَانَكُمْ فِيمَا يَزْعُمُونَ، وَ يُظْهِرُونَ لَنَا أَنَّهُمْ يَتُوبُونَ، وَ إِنَّكُمْ جُذُرَاءُ بَطْطَلَابِ الْفَضْلِ ... «١»

وَلَّاهُ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مَنْطَقَةِ الْجَبَلِ «٢»، وَ مَدَحَ صَلَابَتَهُ فِي الدِّينِ «٣».

وَ فِي أَيَّامِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ الْمَجْتَبَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ «٤».

لَمَّا هَلَكَ يَزِيدُ، جُمِعَ شِيعَةُ الْكُوفَةِ وَ نَظُمَ ثَوْرَةُ التَّوَائِبِينَ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ رَافِعًا شَعَارَهُ الْمَعْرُوفَ يَا لَنَارَاتِ الْحُسَيْنِ «٥». وَ كَانَتْ هَذِهِ الثَّوْرَةُ حِمَاسِيَّةً عَاطِفِيَّةً.

وَ انْهَزَمَ سُلَيْمَانُ أَمَامَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ بَعْدَ قِتَالٍ شَدِيدٍ، وَ رَزَقَهُ اللَّهُ الشَّهَادَةَ سَنَةَ ٦٥ هـ، وَ لَهُ «٦» مِنَ الْعُمُرِ ٩٣ سَنَةً «٧».

٢٧ كتابه عليه السلام إلى النُّعْمَانِ بْنِ عَجْلَانَ

قَالَ الْيَعْقُوبِيُّ: بَلَغَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ النُّعْمَانَ بْنَ عَجْلَانَ قَدْ ذَهَبَ بِمَالِ الْبَحْرَيْنِ،

(١). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٥٥٢-٥٥٦ و راجع: الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٦٢٤-٦٢٦، الغارات: ج ٢ ص ٧٧٤.

(٢). أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٩٣.

(٣). وقعة صفين: ص ٥١٩.

(٤). رجال الطوسي: ص ٩٤ الرقم ٩٣٦.

(٥). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٥٨٣، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٦٣٥؛ تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢٥٨.

(٦). الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٢٩٢ و ٢٩٣، تهذيب الكمال: ج ١١ ص ٤٥٦ الرقم ٢٥٣١، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٥٨٣-٥٩٩، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٦٣٥-٦٤١، اسد الغابة: ج ٢ ص ٥٤٨ الرقم ٢٢٣١؛ تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢٥٨ و فيه «سنة ٦٦ هـ».

(٧). الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٢٩٣، تهذيب الكمال: ج ١١ ص ٤٥٦ الرقم ٢٥٣١، الاستيعاب: ج ٢ ص ٢١١ الرقم ١٠٦١، اسد الغابة: ج ٢ ص ٥٤٩ الرقم ٢٢٣١.

ص: ١٦٩

فكتب إليه:

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّهُ مِنْ اسْتِهَانٍ بِالْأَمَانَةِ، وَرَعْبٍ فِي الْخِيَانَةِ، وَلَمْ يُنْزَهُ نَفْسَهُ وَدِينَهُ، أَحَلَّ بِنَفْسِهِ فِي الدُّنْيَا، وَمَا يُشْفَى عَلَيْهِ بَعْدُ أَمْرٌ وَأَبْقَى وَأَشْقَى وَأَطْوَلُ، فَخَفِيَ اللَّهُ! إِنَّكَ مِنْ عَشِيرَةِ ذَاتِ صَلَاحٍ، فَكُنْ عِنْدَ صَالِحِ الظَّنِّ بِكَ، وَرَاجِعْ إِنْ كَانَ حَقًّا مَا بَلَغَنِي عَنْكَ، وَلَا تَقْلِبَنَّ رَأْيِي فِيكَ، وَاسْتَنْظِفْ خَرَجَكَ، ثُمَّ أَكْتُبْ إِلَيَّ لِیَأْتِيكَ رَأْيِي أَمْرِي، إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

«١»

صورة ثانية للكتاب:

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ مَنْ أَدَّى الْأَمَانَةَ، وَحَفِظَ حَقَّ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَنَزَهَ نَفْسَهُ وَدِينَهُ مِنَ الْخِيَانَةِ، كَانَ جَدِيرًا بِأَنْ يَرْفَعَ اللَّهُ دَرَجَتَهُ فِي الصَّالِحِينَ، وَيُؤْتِيَهُ أَفْضَلَ ثَوَابِ الْمُحْسِنِينَ، وَمَنْ لَمْ يُنْزَهُ نَفْسَهُ وَدِينَهُ عَنْ ذَلِكَ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ فِي الدُّنْيَا وَأَوْبَقَهَا فِي الْآخِرَةِ، فَخَفِيَ اللَّهُ فِي سِرِّكَ وَجَهْرِكَ، وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ عَنْ أَمْرِ مَعَادِكَ، فَإِنَّكَ مِنْ عَشِيرَةِ صَالِحَةٍ، ذَاتِ تَقْوَى وَعِفَّةٍ وَأَمَانَةٍ، فَكُنْ عِنْدَ صَالِحِ ظَنِّي بِكَ، وَالسَّلَامُ».

«٢»

[أقول: قال اليعقوبي: لَمَّا جَاءَهُ كِتَابُ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَ عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ عَرَفَ بِأَمْرِهِ حَمْلَ الْمَالِ وَ لِحَقِّ مَعَاوِيَةَ.

و قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي **أُسْدِ الْغَابَةِ**: وَ اسْتَعْمَلَهُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى الْبَحْرَيْنِ، فَجَعَلَ وَ يُعْطَى كُلُّ مَنْ جَاءَهُ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ، فَقَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ:

فَدَدَلَا زُرَيْقَ الْمَالِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

يُبَدِّدُ مَالَ اللَّهِ فَعَلَ الْمُنَاهِبِ

أَرَى فِتْنَةً قَدْ أَلْهَتِ النَّاسَ عَنْكُمْ

فَإِنَّ ابْنَ عَجْلَانَ الَّذِي قَدْ عَلِمْتُمْ

(١). تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢٠١.

(٢). أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٨٨.

ص: ١٧٠

يَمْرُونُ بِالذَّهْنِ خِفَافاً عَيَاهُمْ

وَيَخْرُجْنَ مِنْ دَارَيْنِ بُجْرَ الْحَقَائِبِ «١»

وكان عمر بن أبي سلمة والياً على البحرين، فعزله أمير المؤمنين عليه السلام بلا ذم له، بل للحضور في حرب صفين، وبعث مكانه النعمان بن عجلان، فغره مال الدنيا فزلت به قدمه، ففر إلى ابن حرب لعنه الله تعالى، وكان شاعراً ذا لسان و فصاحة، سيّداً في قومه، و بصيراً في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، كما تحكى عنه أشعاره. «٢»

و نقل نصر له أشعاراً يفتخر فيها بحرب صفين، و ظاهرها حضوره في الواقعة، و هو بعيد. «٣» و جعله أيضاً من شهود كتاب الصلح من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، و هو أيضاً بعيد].

٢٨ كتابه عليه السلام إلى بعض عمّاله

قال اليعقوبي: وجّه (أمير المؤمنين عليه السلام) رجلاً من أصحابه إلى بعض عمّاله مستحثاً، فاستخفّ به، فكتب إليه:

«أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنَّكَ شَتَمْتَ رَسُولِي وَزَجَرْتَهُ، وَبَلَّغَنِي أَنَّكَ تُبَخِّرُ وَتُكْثِرُ مِنَ الدَّهَانِ وَالْوَانِ الطَّعَامِ، وَتَتَكَلَّمُ عَلَى الْمِنْبَرِ بِكَلَامِ الصَّدِيقِينَ، وَتَفْعَلُ، إِذَا نَزَلْتَ، أَفْعَالِ الْمُحَلِّينَ، فَإِنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَنَفْسُكَ ضَرَرَتْ وَأَدَبِي تَعَرَّضَتْ.

وَيَحْكُ أَنْ تَقُولَ: الْعِظْمَةُ وَالْكَبِيرَاءُ رِدَائِي فَمَنْ نَازَعَنِيهِمَا سَخَطْتُ عَلَيْهِ، بَلْ مَا

(١). أسد الغابة: ج ٥ ص ٣١٧ الرقم ٥٢٥٤، الإصابة: ج ٣ ص ٥٦٢، قاموس الرجال: ج ٩ ص ٢٢٠.

(٢) راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ١٧٤.

(٣) راجع: وقعة صفين: ص ٣٨٠.

ص: ١٧١

عَلَيْكَ أَنْ تَذْهِنَ رَفِيهَاً، فَقَدْ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِذَلِكَ، وَمَا حَمَلَكَ أَنْ تُشْهَدَ النَّاسَ عَلَيْكَ بِخِلَافِ مَا تَقُولُ ثُمَّ عَلَى الْمِنْبَرِ، حَيْثُ يَكْثُرُ عَلَيْكَ الشَّاهِدُ، وَيَعْظُمُ مَقْتُ اللَّهِ لَكَ، بَلْ كَيْفَ تَرْجُو، وَأَنْتَ مُتَهَوِّعٌ فِي النَّعِيمِ جَمْعَتُهُ مِنَ الْأَرْمَلَةِ وَالْيَتِيمِ، أَنْ يُوجِبَ اللَّهُ لَكَ أَجْرَ الصَّالِحِينَ، بَلْ مَا عَلَيْكَ تَكَلُّكَ أُمِّكَ، لَوْ صُمْتَ لِلَّهِ أَيَّاماً، وَتَصَدَّقْتَ بِطَائِفَةٍ مِنْ طَعَامِكَ، فَإِنَّهَا سِيرَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَدَبُ الصَّالِحِينَ.

أَصْلِحْ نَفْسَكَ، وَتُبْ مِنْ ذَنْبِكَ، وَأَدِّ حَقَّ اللَّهِ عَلَيْكَ، وَالسَّلَامُ».

«١»

و قال ابن أبي الحديد: فأما أوّل ما ارتفع به زياد فهو استخلاف ابن عباس له على البصرة في خلافة عليّ عليه السلام، و بلغت عليّا عنه هنات، فكتب إليه يلومه و يؤنبه، فمنها الكتاب الذي ذكر الرضى رحمه الله بعضه، و قد شرحنا فيما تقدّم ما ذكر الرضى منه، و كان عليّ عليه السلام أخرج إليه سعداً موله يحثّه على حمل مال البصرة إلى الكوفة، و كان بين سعد و زياد ملاحاة و منازعة، و عاد سعد و شكاه إلى عليّ عليه السلام و عابه، فكتب عليّ عليه السلام إليه:

«أما بعد؛ فإنّ سعداً ذكر أنّك شتمته ظلماً، وهدّته وجهته تجبراً و تكبراً، فما دعاك إلى التّكبر؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه و آله:

الكبر رداء الله فمن نازع الله رداءه قصمه.

وقد أخبرني أنّك تكثر من الألوان المختلفة في الطعام في اليوم الواحد، وتدهن كل يوم، فما عليك لو صمت لله أياماً، و تصدّقت ببعض ما عندك محتسباً، و أكلت طعامك مراراً قفاراً، فإنّ ذلك شعار الصّالحين! أفتطمع و أنت متمرّع في النّعيم، تستأثر به على الجار و المسكين و الضّعيف و الفقير و الأرملة و اليتيم، أن يحسب لك

(١). تاريخ يعقوبى: ج ٢ ص ٢٠٢.

ص: ١٧٢

أجر المتصدّقين، و أخبرني أنّك تتكلّم بكلام الأبرار، و تعمل عمل الخاطئين، فإن كنت تفعل ذلك فنفسك ظلمت، و عملك أحبطت، فتبّ إلى ربّك يصلح لك عملك، و اقتصد في أمرك، و قدّم إلى ربّك الفضل ليوم حاجتك، و ادهن غيًّا «١»، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:

ادهنوا غيًّا ولا تدهنوا رفهاً «٢».

«٣»

فكتب إليه زياد:

أما بعد؛ يا أمير المؤمنين، فإنّ سعداً قدّم عليّ، فأساء القول و العمل، فانتهرته و زجرته، و كان أهلاً لأكثر من ذلك.

و أمّا ما ذكرت من الإسراف و اتّخاذ الألوان من الطعام و النّعم، فإنّ كان صادقاً فأثابه الله ثواب الصّالحين، و إن كان كاذباً فوقاه الله أشدّ عقوبة الكاذبين.

و أمّا قوله: إنّي أصفّ العدل و أخالفه إلى غيره، فإنّي إذن من الأخسرين.

فخذ يا أمير المؤمنين، بمقال قلته في مقام قمته؛ الدّعوى بلا بينة، كالسهم بلا نصل، فإن أتاك بشاهد عدل، و إلّا تبين لك كذبه و ظلمه. «٤»

[و يظهر من كلام ابن أبي الحديد أنَّ الذي ذكره الرضى رحمه الله ليس مختصراً من هذا الكتاب، بل هو كتاب مستقل كتبه لمَّا بلغه عن زياد هُتات.]

كتابه عليه السلام إلى زياد بن عبيد

قال اليعقوبى: و كتب إلى زياد و كان عامله على فارس:

(١) الغب: الإتيان فى اليومين، و قال الحسن: فى كل أسبوع (لسان العرب: ج ١ ص ٦٣٥ و ٦٣٦).

(٢) الرقة: كثرة التدنُّن و التَّعَمُّ (النهاية: ج ٢ ص ٢٤٧).

(٣). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ١٦ ص ١٩٦ و راجع: نثر الدر: ج ١ ص ٣٢١.

(٤). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ١٦ ص ١٩٧.

ص: ١٧٣

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ رَسُولِي أَخْبَرَنِي بِعُجْبٍ، زَعَمَ أَنَّكَ قُلْتَ لَهُ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ: أَنَّ الْأَكْرَادَ هَاجَتْ بِكَ، فَكَسَرْتَ عَلَيْكَ كَثِيرًا مِنْ الْخَرَجِ، وَقُلْتَ لَهُ: لَا تَعْلَمُ بِذَلِكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، يَا زِيَادُ، وَأَقْسِمُ بِاللَّهِ، إِنَّكَ لَكَاذِبٌ، وَلَئِنْ لَمْ تَبْعَثْ بِخَرَجِكَ لِأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شِدَّةً تَدْعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ، فَقِيلَ الظَّهْرُ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ لَمَّا كَسَرْتَ مِنَ الْخَرَجِ مُحْتَمِلًا» «١».

[قلت: زياد و ما أدراك ما زياد، الدعى اللعين الفاجر السفاك، هو ابن عبيد، و ابن سميّة دعى أبى سُفْيَانَ، كان يكنى أبا المُعِيرَةَ، و سُمِّيَةَ هى جارية الحارث بن كعدة، و كان يطؤها بملك اليمين. و العجب من الشّارح الآملى حيث قال: هو زياد بن أبى سُفْيَانَ تبعاً لأبى عمر فى الاستيعاب، و ابن سعد فى الطبقات فى مواضع كثيرة، و ليس منهما بعجب، و فى أسد الغابة: زياد بن سُمِّيَةَ، و فى القاموس:

زياد بن عبيد، و الأمر سهل.]

قال ابن أبى الحديد: و الأكثرون يقولون: إِنَّ عبيداً كان عبداً، و إِنَّه بقى إلى أيام زياد، فابتاعه و أعتقه، و سنذكر ما ورد فى ذلك، و نسبة زياد لغير أبيه لخمولى أبيه، و الدعوة التى استلحق بها، فقبل تارة زياد بن سُمِّيَةَ، و هى أمّه، و كانت أمة للحارث بن كعدة بن عمرو بن علاج الثَّقَفِيّ، طبيب العرب، و كانت تحت عبيد.

و قيل تارة زياد ابن أبيه، و قيل تارة زياد بن أمّه، و لمّا استلحق قال له أكثر الناس زياد بن أبى سُفْيَانَ، لأنّ النَّاسَ مع الملوك الَّذِينَ هم مظنّة الرّهبة و الرّغبة، و ليس أتباع الدّين بالنّسبة إلى أتباع الملوك، إلّا كالقطرة فى البحر المحيط، فأماً ما كان يدعى به قبل الاستلحاق فزياد بن عبيد، و لا يشكّ فى ذلك أحد. «٢»

(١). تاريخ يعقوبى: ج ٢ ص ٢٠٤

(٢). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ١٦ ص ١٨٠.

ص: ١٧٤

و قد ولد عام الهجرة، أو قبلها، و ليست له صحبة و لا رواية (أسد الغابة و الاستيعاب)، و قال فى الإصابة: ذكره أبو عمر فى الصحابة، و لم يذكر ما يدل على صحبته، و يزعم آل زياد أنه دخل على عمرو، له سبع عشرة سنة. و أخبرنى زياد بن عثمان أنه كان له فى الهجرة عشر سنين، و قيل ولد عام الفتح، و قيل ولد عام الهجرة، و قيل قبل الهجرة. «١»

كانت أمّه من البغايا بالطائف «٢»، و كان زياد كاتباً لسعد بن أبى وقاص فى قرب القادسيّة، «٣» و قاسماً فى فتح الأبلّة، و كان له أربع عشرة سنة، «٤» استعمله عمر على بعض أعمال البصرة أو صدقاتها، و قيل استخلفه أبو موسى الأشعريّ، و كان كاتباً له. «٥» و كان أحد الشهود على المغيرة بن شعبه، فلم يشهد، و كان عاقلاً فى دنياه، داهية خطيباً، له قدر و جلاله عند أهل الدنيا. «٦»

و بعث عمر زياداً لإصلاح فساد وقع باليمن، فرجع من وجهه، و خطب خطبة لم يسمع الناس مثلاً، فقال عمرو بن العاص: أما و الله، لو كان هذا الغلام قرشياً لساق العرب بعصاه، فقال أبو سفيان: و الله، إننى لأعرف الذى وضعه فى رحم أمّه.

فقال على بن أبى طالب:

«ومن هو يا أبا سفيان؟»

. قال: أنا.

(١) راجع: الاستيعاب: ج ٢ ص ١٠٠ الرقم ٨٢٩.

(٢) راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ١٦ ص ١٨٧، مروج الذهب: ج ٣ ص ١٥؛ سفينة البحار: ج ١ ص ٥٨٠، الغدير: ج ١٠ ص ٣١٩ و تاريخ يعقوبى و الإصابة.

(٣). تاريخ الطبرى: ج ٣ ص ٤٨٩.

(٤). تاريخ الطبرى: ج ٣ ص ٥٩٧.

(٥). تاريخ الطبرى: ج ٤ ص ١٨٤ و الإصابة، أسد الغابة، الاستيعاب.

(٦) راجع: الطبرى: ج ٤ ص ٦٩، فتوح البلدان: ص ٤٨١ و الإصابة و أسد الغابة و الاستيعاب.

قال:

«مهلاً يا أبا سُفْيَانِ»

. فقال أبو سُفْيَانِ:

أما والله لو لا خوفُ شخصٍ
لأظهرَ أمره صخرُ بنُ حربٍ
وقد طالتُ مجامِلَتِي تقيفاً
يراني يا عليُّ من الأعدى
ولم يخفِ المقالةَ في زيادٍ
وتركِي فيهمُ تمرَ الفؤادِ»^١

و قيل: قدم زياد من تُستَر من عند أبي موسى على عمر، فأمر أن يتكلم و يخبر الناس بفتح تُستَر، فقام و تكلم فأبلغ، فعجب الناس، و قالوا: إن ابن عبيد لخطيب، فقال أبو سُفْيَانِ، ما أقره في رحم أمه غيري. «٢»

و قد اعتزل زياد حرب الجمل، و لم يشهدها، فجاء عبد الرحمن بن أبي بكره إلى أمير المؤمنين عليه السلام في المستأمنين، فقال عليه السلام:

«وَعَمَّكَ الْقَاعِدُ الْمُتَرَبِّصُ بِي وَعَمَّكَ الْمُتَرَبِّصُ الْمُتَقَاعِدُ بِي»

. فقال: و الله يا أمير المؤمنين، إنه لك لواد، و أنه على مسرّتك لحريص، و لكنّه بلغني أنّه يشتكي، فلمّا مشى إليه علىّ و دخل عليه، قال:

«تقاعدت عني، وتربّصت بي»

، و وضع يده على صدره، و قال:

«هذا وجع بين»

. فاعتذر إليه زياد، فقبل عذره، و استشاره، و أرادَه علىّ على البصرة، فقال:

(١) راجع: العقد الفريد: ج ٥ ص ١٠٦، مروج الذهب: ج ٣ ص ١٦، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ١٧٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ١٨٠ و ١٨١ و ج ١ ص ١٧٣، أسد الغابة، الاستيعاب؛ الغارات: ج ٢ ص ٩٢٦، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٥١٨، الغدير: ج ١٠ ص ٢١٦-٢٢٧.

(٢) راجع: قاموس الرجال: ج ٤ ص ٥٠٦ الرقم ٣٠٠٤، و أسد الغابة.

رجل من أهل بيتك يسكن إليه الناس، فإنه أجدر أن يطمئنوا أو ينقادوا، و سأفكيكه و أشيرُ عليه، فافترقا على ابن عباس، و رجع عليٌّ إلى منزله. «١» و زاد الطُّبري أنه عليه السلام وُلِّيَ زياداً الخَراج، و أمر ابن عباس أن يسمع منه، مع أن الطُّبري صرَّح «٢» بأن ابن عباس لمَّا شَخَّص إلى الكوفة استعمل زياداً على الخَراج، و صرَّح «٣» بأنَّ الصَّدقات و الجند و المعادن كانت لابن عباس أيام ولايته، و أَلْذَى أَظَنَّ أَنَّ هذه الزيادة التي اختصَّ بها الطُّبري، قد وردت في ذيل رواية سيف بالسند المعروف، و لم يذكر ذلك ابن أبي الحديد، و لا ابن حجر، و لا ابن الأثير، و لا أبو عمر، و أوَّل عمل عمل لأُمير المؤمنين عليه السلام هو ما كان باستخلاف ابن عباس له على البصرة، لمَّا قتل محمَّد بن أبي بكر، و خرج ابن عباس إلى الكوفة معزياً، و وقعت فتنة ابن الحَضْرَمِيِّ وقتلُها كما تقدَّم. «٤»

و في أنساب الأشراف: إنَّ عليّاً عليه السلام ضمَّ زياداً إلى ابن عباس كاتِباً، و أنَّ ابن عباس ولَّاه على الخَراج. «٥»

و لمَّا قتل عليٌّ عليه السلام أهل النَّهروان خالفه قوم كثير، و منهم بنو ناجية، و انتقضت عليه أطرافه، و انتقض أهل الأهواز، و طمِع أهل الخَراج في كسره، ثُمَّ أخرجوا سهل بن حُنَيْف من فارس، و كان عامل عليٍّ عليها، فقال: ابن عباس لعليٍّ أنا أكفيك فارسَ بزياد، فأمره عليٌّ أن يوجَّه إليها فقدم ابن عباس البصرة،

(١) راجع: تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٤٣، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ١٧١، الإمامة و السياسة: ج ١ ص ٧٩.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٣٦.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٥٥.

(٤) راجع: تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١١٠؛ سفينة البحار: ج ٨ ص ٥٧٩.

(٥) أنساب الأشراف: ج ١ ص ٢٧١ و ٢٩٣.

و وجَّهه إلى فارس في جمع كثير، فوطئ بهم أهل فارس، فأدَّوا الخَراج. «١»

و كان ذلك سنة ٣٩ هـ. ق كما في تاريخ الطُّبري. «٢» فكتب عليٌّ عليه السلام إليه هذا الكتاب يتهدِّده و يتوعَّده.

و لمَّا قدم زياد فارس، بعث إلى رؤسائها، فوعد من نصره و منَّاه، و خوَّف قوماً و توعَّدهم، و ضرب بعضهم ببعض، و دلَّ بعضهم على عورة بعض، و هربت طائفة، و أقامت طائفة، فقتل بعضهم بعضاً، و صفت له فارس، فلم يَلْقَ فيها جمعاً و لا حرباً، و فعل مثل ذلك بكرمان، ثُمَّ رجع إلى فارس، فسار في كُورِها و منَّاهم، فسكَّن النَّاس إلى ذلك، فاستقامت له البلاد، و أتى إصطخر فنزلها، و حصَّن بها قلعةً تُسمَّى قلعة زياد. «٣» و قد قتل عليٌّ عليه السلام و هو بها. «٤»

و فى تلكم المدّة كتب معاوية إلى زياد بالتهديد إن لم يطعه، فلمّا وصل الكتاب إليه خطب فقال: العجب من ابن آكلة الأكباد، و رأس النّفاق يهدّدنى، و بينى و بينه ابنُ عمِّ رسول الله صلى الله عليه و آله، و زوج سيّدة نساء العالمين، و أبو السّبطين، و صاحب الولاية و المنزلة و الإخاء، فى مائة ألف من المهاجرين و الأنصار و التّابعين لهم بإحسان.

أما و الله، لو تخطّى هؤلاء أجمعين إلىّ لوجدنى أحمرّ مخشاً ضرباً بالسيف، ثمّ كتب إلى علىّ عليه السلام و بعث بكتاب معاوية إليه.

فلمّا وقف علىّ عليه السلام على الكتاب كتب إليه ... «٥»

(١). تاريخ الطبرى: ج ٥ ص ١٢٢، الإصابة: ج ١ ص ٥٦٣، أسد الغابة: ج ١ ص ٢١٥.

(٢). تاريخ الطبرى: ج ٥ ص ١٣٦، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ١٦ ص ١٨١.

(٣). تاريخ الطبرى: ج ٥ ص ١٣٨، مروج الذهب: ج ٣ ص ٦.

(٤). تاريخ الطبرى: ج ٥ ص ١٥٥، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ١٦ ص ١٨٢ و أسد الغابة.

(٥) راجع: أسد الغابة: ج ٢ ص ٣٣٧ الرقم ١٨٠٠، الإصابة: ج ٢ ص ٥٦٩، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد:

ج ٨ ص ٤٣ و ج ١٦ ص ١٨١؛ وقعة صفّين: ص ٣٦٦، تاريخ اليعقوبى: ج ٢ ص ٢٠٧.

ص: ١٧٨

فلمّا قرأ زياد كتاب أمير المؤمنين عليه السلام و فيه

«وإنما كانت من أبى سفيان فلتة زمن عمر، لا تستحق بها نسباً ولا ميراثاً، وإن معاوية يأتى المرء من بين يديه وخلفه فاحذره، والسلام»

؛ قال: شهد لى أبو حسن و ربّ الكعبة. «١»

و لمّا قتل أمير المؤمنين عليه السلام بايع زياد الحسن عليه السلام، و لكنّه ما لبث أن نكث حيث كان شقيّاً و فاسقاً متعديّاً طاغياً مهتكمّاً، لا دين له و لا تقوى، و لذلك صدر منه فى زمن أمير المؤمنين عليه السلام بفارس و البصرة، ما أوجب أن يكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام.

و إنّما كان يتّقى غضب أمير المؤمنين عليه السلام و مؤاخذته، و لم يكن يرجو من معاوية إجابة أو عطفاً إليه لو أنّه خرج إليه، إذ لم يكن لعبيد و لا لبنيه فى المجتمع شأن يذكر حتّى يميل إلى معاوية، و يترك عليّاً عليه السلام، فلمّا قتل أمير المؤمنين عليه السلام، و استماله معاوية، مال إليه رجوعاً إلى أصله و ميلاً إلى سنخه، و الناس معادن كمعادن الذهب و الفضة،

«ثُمَّ كَانَ عَقِبَهُ الَّذِينَ أَسُوا السُّوَى أَنْ كَذَبُوا بِآيَةِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ» «٢».

استماله معاوية واستلحقه بأبي سُفْيَانَ فِي قِصَّةٍ مَشْهُورَةٍ، ذَكَرَهَا الْمُؤَرِّخُونَ. «٣»

وكان ذلك في سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ، رَغْمًا لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

«الْوَلَدُ لِلْفَرَّاشِ، وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ»

، و لذلك هجره أخوه أبو بكر و لم يكلمه، و صار ذلك سبّةً على معاوية، و زياد عند المسلمين، و هجاه الشعراء بحيث اضطرَّ زياد إلى تأليف كتاب المثلّاب، و دفعه إلى ولده حتّى يدافعوا به عن حسبهم.

(١). أسد الغابة: ج ٢ ص ٣٣٧ الرقم ١٨٠٠ و راجع: الإصابة، الاستيعاب.

(٢) الروم: ١٠.

(٣) راجع: العقد الفريد: ج ٥ ص ١٠٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ١٨٧، مروج الذهب: ج ٣ ص ٦، الإصابة: ج ١ ص ٥٦٣، الاستيعاب: ج ١ ص ٥٧٠؛ تاريخ يعقوبي: ج ٢ ص ٢٠٨، سفينة البحار: ج ١ ص ٥٨٠، الغدير: ج ١٠ ص ٢١٦ و ...

ص: ١٧٩

و ردّه معاوية إلى عمله إلى سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ، ثُمَّ بَعَثَهُ عَامِلًا عَلَى الْبَصْرَةِ وَخُرَاسَانَ وَ سَجِسْتَانَ، ثُمَّ جَمَعَ لَهُ الْهِنْدَ وَ الْبَحْرَيْنِ. «١» وَ قَتَلَ حِينَ وَرَدَ الْبَصْرَةَ سَبْعِمِائَةَ إِنْسَانٍ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ أَخَذَ فِي قَتْلِ الشَّيْعَةِ، وَ مُحِبِّي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَحْتَ كُلِّ حَجَرٍ وَ مَدَرٍ، بِكُلِّ ظَنٍّ وَ تَهْمَةٍ، ثُمَّ جَمَعَ لَهُ الْكُوفَةَ أَيْضًا، وَ جَعَلَ عَلَى الْبَصْرَةِ سَمْرَةَ بْنَ جُنْدُبٍ، فَكَانَ يَقِيمُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ بِالْكُوفَةِ، وَ سِتَّةَ بِالْبَصْرَةِ، وَ قَتَلَ سَمْرَةَ إِلَى أَنْ عَادَ زِيَادُ ثَمَانِيَةَ آلَافٍ. «٢»

قال ابن أبي الحديد، و نعم ما قال: قلت: قَبِّحَ اللَّهُ زِيَادًا، فَإِنَّهُ كَافَأَ إِنْغَامَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِ، وَ اصْطَنَاعَهُ لَهُ بِمَا لَا حَاجَةَ إِلَى شَرْحِهِ مِنْ أَعْمَالِهِ الْقَبِيحَةِ بِشِيعَتِهِ وَ مُحِبِّيهِ، وَ الْإِسْرَافِ فِي لَعْنِهِ، وَ تَهْجِينِ أَفْعَالِهِ، وَ الْمُبَالَغَةِ فِي ذَلِكَ بِمَا قَدْ كَانَ مُعَاوِيَةَ يَرْضَى بِالْيُسِيرِ مِنْهُ، وَ لَمْ يَكُنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَطَلْبِ رِضَا مُعَاوِيَةَ، كَلَّا بَلْ يَفْعَلُهُ بِطَبْعِهِ، وَ يَعَادِيهِ بِبَاطِنِهِ وَ ظَاهِرِهِ، وَ أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أُمِّهِ، وَ يَصَحِّحَ نَسَبَهُ، وَ كُلَّ إِنَاءٍ يَنْضَحُ بِمَا فِيهِ، ثُمَّ جَاءَ ابْنُهُ بَعْدَ، فَخَتَمَ تِلْكَ الْأَعْمَالَ السَّيِّئَةَ بِمَا خَتَمَ، وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ. «٣»

و هو الَّذِي فَعَلَ بِحُجْرِ بْنِ عَدِيٍّ وَ أَصْحَابِهِ رِضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ، مِنْ أَخْذِهِمْ وَ تَقْيِيدِهِمْ وَ إِسْرَافِهِمْ إِلَى مُعَاوِيَةَ مَعَ شَهَادَةِ مَزُورَةٍ، وَ هُوَ الَّذِي كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ فِي حَقِّ الْحَضَرَمِيِّينَ، أَنَّهُمْ عَلَى دِينِ عَلِيٍّ وَ عَلَى رَأْيِهِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةَ اقْتُلْ كُلَّ مَنْ كَانَ عَلَى دِينِ عَلِيٍّ وَ رَأْيِهِ، فَقَتَلَهُمْ وَ مَثَّلَ بِهِمْ. «٤»

(١). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٢١٧.

(٢) راجع: العقد الفريد: ج ٤ ص ٧، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٢١٦-٢٢٦، مروج الذهب: ج ٣ ص ٣٥؛ تاريخ يعقوبى: ج ٢ ص ٢١٨-٢٢٤، الغدير: ج ١١ ص ٢٩-٣٢.

(٣). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ١٣٩.

(٤). بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ١٢٦، الغدير: ج ١١ ص ٣٧-٥٧ و ٤١.

ص: ١٨٠

و قال زياد فى خطبته البتراء: و إِنِّى أَقْسَمُ اللّٰهَ لَأَخْذَنَّ الْوَلِيَّ بِالْوَلِيِّ، و المقيم بالطَّاعِنِ، و المقبل بالمَدْبِرِ، و الصَّحِيح منكم بالسَّقيم. و لقد عمل بما قال، و زاد ثُمَّ زاد، زاده اللّٰه من عذابه الأليم.

و قد أخذ ليلةً أعرابياً، فأدخل عليه، فقال له زياد: هل سمعتَ النداء؟

قال: لا و اللّٰه، قدمتُ بحلوبة «١» لى، و غشيتُ اللَّيْلُ، فاضطرتها إلى موضع، فأقمتُ لأُصْبِحَ، و لا علم لى بما كان من الأمير.

قال: أَظْنَكِ و اللّٰه صادقاً، و لكنَّ فى قتلِكَ صلاحَ هذه الأُمَّة، ثُمَّ أمر به فُضِرَتْ عُنُقُهُ. «٢»

روى ابن الكلبي: أَنَّ عَبَّاداً استلحقه زياد، كما استلحق معاوية زياداً. «٣»

فكتب الحسنُ بن عليٍّ عليه السلام إلى زياد:

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّكَ عَمَدْتَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَهُ مَا لَهُمْ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ، فَهَدَمْتَ دَارَهُ، وَأَخَذْتَ مَالَهُ، وَحَبَسْتَ أَهْلَهُ وَعِيَالَهُ، فَإِنْ أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا فابْنِ لَهُ دَارَهُ، وَارْدُدْ عَلَيْهِ عِيَالَهُ وَمَالَهُ، وَشَفِّعْنِي فِيهِ، فَقَدْ أَجَرْتُهُ، وَالسَّلَامُ».

فكتب إليه زياد:

من زياد بن أبى سُفْيَانَ إلى الحسن بن فاطمة، أمّا بعدُ، فقد أتاني كتابك تبدأ فيه بنفسك قبلى، و أنت طالب حاجة، و أنا سلطان و أنت سُوقَة، و تأمرنى فيه بأمرِ المطاعِ المسلَّطِ على رعيتِهِ. كتبتُ إلىَّ فى فاسق آويته، إقامةً منك على سوء

(١) ناقة حلوب: أى هى ممّا يحلب، و الحلوب و الحلوبة سواء (النهاية: ج ١ ص ٤٢٢).

(٢). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١١٩ و ٢٢٢ و راجع: الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٤٧٤، أنساب الأشراف: ج ٥ ص ٢١٩ و ص ٢٠٦ و ٢٢٥.

(٣). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ١٩٣.

ص: ١٨١

الرَّأى، وَ رِضًا مِنْكَ بِذَلِكَ، وَ أَيْمُ اللَّهِ لَا تَسْبِقُنِي بِهِ، وَ لَوْ كَانَ بَيْنَ جِلْدِكَ وَ لَحْمِكَ، وَ إِنْ نَلْتِ بَعْضُكَ غَيْرَ رَفِيقٍ بِكَ وَ لَا مُرْعَ عَلَيْكَ، فَإِنْ أَحَبَّ لَحْمٌ عَلَيَّ أَنْ أَكْلَهُ لِلْحِمِّ الَّذِي أَنْتَ مِنْهُ، فَسَلَّمَهُ بِجَرِيرَتِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَوْلَى بِهِ مِنْكَ، فَإِنْ عَفَوْتُ عَنْهُ لَمْ أَكُنْ شَفَعْتُكَ فِيهِ، وَ إِنْ قَتَلْتُهُ لَمْ أَقْتُلْهُ إِلَّا لِحُبِّهِ أَبَاكَ الْفَاسِقَ، وَ السَّلَامَ.

فلما ورد الكتاب على الحسن عليه السلام، قرأه و تبسّم، و كتب بذلك إلى معاوية، و جعل كتاب زياد عطفه، و بعث به إلى الشام، و كتب جواب كتابه كلمتين لا ثالثَ لهُما:

«مِنَ الْحَسَنِ بْنِ فَاطِمَةَ إِلَى زِيَادِ بْنِ سُمَيَّةَ، أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلَهُ قَالَ: الْوَلَدُ لِلْفَرَّاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ، وَالسَّلَامُ».

فلما قرأ معاوية كتاب زياد إلى الحسن ضاقت به الشام، و كتب إلى زياد:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ بَعَثَ إِلَيَّ بِكِتَابِكَ إِلَيْهِ جَوَابًا عَنْ كِتَابِ كُتِبَ إِلَيْكَ فِي ابْنِ سَرْحٍ، فَأَكْثَرْتُ الْعَجَبَ مِنْكَ، وَ عَلِمْتُ أَنَّ لَكَ رَأْيَيْنِ: أَحَدُهُمَا مِنْ أَبِي سُفْيَانَ، وَ الْآخَرُ مِنْ سُمَيَّةَ. فَأَمَّا الَّذِي مِنْ أَبِي سُفْيَانَ فَحِلْمٌ وَ حَزْمٌ، وَ أَمَّا الَّذِي مِنْ سُمَيَّةَ فَمَا يَكُونُ مِنْ رَأْيٍ مِثْلِهَا! مِنْ ذَلِكَ كِتَابُكَ إِلَى الْحَسَنِ تَشْتُمُ أَبَاهُ، وَ تُعَرِّضُ لَهُ بِالْفُسْقِ، وَ لَعَمْرِي إِنَّكَ الْأَوَّلَى بِالْفُسْقِ مِنْ أَبِيهِ.

فَأَمَّا أَنَّ الْحَسَنَ بَدَأَ بِنَفْسِهِ ارْتِفَاعًا عَلَيْكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَضَعُكَ لَوْ عَقَلْتَ، وَ أَمَّا تَسَلُّطُهُ عَلَيْكَ بِالْأَمْرِ فَحَقٌّ لِمِثْلِ الْحَسَنِ أَنْ يَتَسَلَّطَ، وَ أَمَّا تَرْكُكَ تَشْفِيعَهُ فِيمَا شَفَعَ فِيهِ إِلَيْكَ، فَحِظْ! دَفَعْتَهُ عَنْ نَفْسِكَ إِلَى مَنْ هُوَ أَوْلَى بِهِ مِنْكَ.

فإذا ورد عليك كتابي فخلّ ما في يديك لسعيد بن أبي سرح، و ابن له داره، و اردّد عليه ماله، و لا تعرض له، فقد كتبت إلى الحسن أن يخيّره إن شاء أقام عنده، و إن شاء رجع إلى بلده، و لا سلطان لك عليه، لا بيدٍ و لا لسان.

ص: ١٨٢

وَ أَمَّا كِتَابُكَ إِلَى الْحَسَنِ، بِاسْمِهِ وَ اسْمِ أُمِّهِ، وَ لَا تَنْسُبْهُ إِلَى أَبِيهِ، فَإِنَّ الْحَسَنَ وَيْحَكَ! مِنْ لَا يُرْمَى بِهِ الرَّجَوَانُ، وَ إِلَى أَيِّ أُمٍّ وَكَلْتِهِ لَا أُمَّ لَكَ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهَا فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، فَذَاكَ أَفْخَرُ لَهُ لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُهُ وَ تَعْقِلُهُ! وَ كَتَبْتُ فِي أَسْفَلِ الْكِتَابِ شِعْرًا، مِنْ جَمَلَتِهِ:

إِذَا سَارَ سَارَ الْمَوْتُ حَيْثُ يَسِيرُ

أَمَّا حَسَنٌ فَابْنُ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ

وَ ذَا حَسَنٌ شَبِيهُ لَهُ وَ نَظِيرُهُ

وَ هَلْ يَلِدُ الرِّبَالُ إِلَّا نَظِيرَهُ

بِأَمْرِ لِقَالُوا يَذْبُلُ وَ ثَبِيرُ»^(١)

وَ لَكِنَّهُ لَوْ يُوزَنُ الْجِلْمُ وَ الْحِجَابُ

و فى سَنَة ثلاث و خمسين، هلك زياد بن أبيه بالكوفة فى شهر رمضان، و كان يَكْنَى أبا المَغِيرَة، و قد كان كتب إلى معاوية أَنَّهُ قد ضبط العراق بيمينه و شماله فارغة، فجمع له الحجاز مع العراقيين، و اتصل خبر ولايته بأهل المدينة فاجتمع الصَّغِير و الكبير بمسجد رسول الله صلى الله عليه و آله، و ضَجُّوا إلى الله، و لاذوا بقبر النَّبِيِّ صلى الله عليه و آله ثلاثة أَيَّام لعلمهم بما هو عليه من الظُّلْم و العسف، فخرجت فى كَفِّه بثرة فحكَّها فسرت و اسودَّت، فصارت آكلة سوداء، فهلك بذلك، و هو ابن خمس و خمسين سنة، و قيل اثنتين و أربعين، و دفن بالثَّوَيَّة من أرض الكوفة.

و قد كان زياد جمع النَّاس بالكوفة بباب القصر يحرضهم على لعن علىَّ عليه السلام، فمن أبى ذلك عرضه على السَّيف، فذكر عبد الرَّحْمَنِ بن السَّائب، قال: حضرت فصرت إلى الرَّحْبة و معى جَماعة من الأنصار، فرأيت شيئاً فى منامى و أنا جالس فى الجماعة، و قد خفقتُ، و هو أَنى رأيت شيئاً طويلاً قد أقبل، فقلت: ما هذا؟

فقال: أنا الثَّقاد ذو الرِّقبة بعثت إلى صاحب هذا القصر، فانتبهت فزعاً فما كان إلّا

(١). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ١٦ ص ١٩٤، الغدير: ج ١١ ص ٣١.

ص: ١٨٣

مقدار ساعة، حتَّى خرج خارج من القصر، فقال: انصرفوا فَإِنَّ الأمير مشغول عنكم، و إذا به قد أصابه ما ذكرنا من البلاء.

«١»

و كتب الحسين عليه السلام كتاباً إلى معاوية و فيه:

«أو لست المدعى زياداً فى الإسلام، فزعمت أَنَّهُ ابن أبى سفيان، وقد قضى رسولُ الله صلى الله عليه و آله أن الولد للفراس، وللعاير الحجر. ثُمَّ سَلَطْتُهُ على أهل الإسلام، يقتلهم و يقطع أيديهم وأرجلهم، من خلاف، و يصلُّبُهُم على جُدُوع النَّخل، سبحان الله يامعاوية، لَكَانَكَ لَسْتَ من هذه الأمة، و ليسوا مِنكَ، أو لست قاتِلَ الحضرمي الذى كتب إليك فيه زياد أَنَّهُ على دينِ علىٍّ».

«٢»

بقى الكلام حول سرِّ توليته عليه السلام زياداً مع عزله عليه السلام معاوية، و ابن عامر و نظراء هما من الظَّالِمين الفاسقين، حسماً لمادَّة الفساد، و قطعاً لأيدى الظَّالِمين، حتَّى لا يتحكَّموا بالنَّاس، و يتسلَّطوا على الأُمَّة، و لكنَّ حقيقة الأمر هى أَنَّهُ لم يظهر من زياد إلى تلكم الآونة عمل سيِّئ يوجب حرمانه عن الولاية من قبله، بل لم نعثر فى تاريخ حياته فى زمن عمر و عثمان، مع أَنَّهُ كان كاتباً أو محاسباً فى فتح جلولاء و تُسْتَر، و كان كاتباً لأبى موسى، ثُمَّ لعبد الله بن عامر، ثُمَّ لابن عَبَّاس، بل كان كاتباً للمَغِيرَة أيضاً. «٣» بل جعل أبو موسى زياداً يلى أمور البصرة، و شكوا إلى عمر

(١) راجع: العقد الفريد: ج ٤ ص ٨ و ج ١ ص ٨٢، تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٥٨ - ١٦٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٤ ص ٥٨، مروج الذهب: ج ٣ ص ٣٥، الاستيعاب: ج ٢ ص ١٠٥ الرقم ٨٢٩؛ الأمالى للطوسي:

ص ٢٣٣ ح ٤١٣، تاريخ يعقوبى: ج ٢ ص ٢٢٤، الغدير: ج ١١ ص ٣١.

(٢). الإمامة والسياسة: ج ١ ص ٢٠٣ و راجع: جمهرة رسائل العرب: ج ٢ ص ٦٧؛ الاحتجاج: ج ٢ ص ٩١ ح ١٦٤، رجال الكشي: ج ١ ص ٢٥٥ الرقم ٩٩، أعيان الشيعة: ج ٤ ص ٥٩، بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٢١٣ ح ٩، الغدير: ج ١٠ ص ١٦٠.

(٣). العقد الفريد: ج ٤ ص ٤ - ١٠.

ص: ١٨٤

تفويض الأمر إليه، فأحضر عمر زياداً، وكلمه فردّه، وأمر أمراء البصرة أن يشربوا برأيه. «١» وذلك مع كفايته في الأمور الدنيوية، وحفظه ظواهر الشرع، وبراءته من معاوية وأضرابه، كما مرّ من خطبته، وكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام

«فإني وليّك ما وليّك، وأنا أراك لذلك أهلاً...».

«٢»

و هو يدلّ على ما قلنا، مع شدّة مراقبة أمير المؤمنين عليه السلام إيّاه، ودقّته في أفعاله، كما يظهر من كتبه عليه السلام إليه، ولقد تقلّها المصنف وتقلّنا منها ما فاتته.

و بعد ذلك كلّ، فلو طرده أمير المؤمنين عليه السلام لكان بلا عذر ظاهر و حجّة مبرّرة، ولاستمالة معاوية، واستفاد منه ضدّ على عليه السلام، وأيدّ حكومته الغاشمة، بآرائه وحيله وسياسته وتدبيره، كابن العاص وأضرابه.

و أمير المؤمنين عليه السلام مع علمه بعاقبة أمر زياد وأعماله القبيحة في المستقبل داراه، كما دارى ابن ملجم وغيره، ولم يمنعه علمه بهذا من العدل فيه، وإجراء أحكام الشرع في حقّه.

٢٩ كتابه عليه السلام إلى عوسجة بن شدّاد

[روى العلّامة الثوري في المستدرک «٣»، عن إبراهيم الثّقفيّ في كتاب الغارات]، عن أبي زكريّا الحريريّ، عن يحيى بن صالح، عن الثّقات من أصحابه أنّ عليّاً عليه السلام كتب إلى عوسجة بن شدّاد:

(١). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ١٨٥.

(٢). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ١٨٢؛ معادن الحكمة: ج ١ ص ١٩٦ الرقم ٣٨.

(٣). مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ٢٨ ح ١٧٤٤١.

ص: ١٨٥

«مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَوْسَجَةَ بْنِ شَدَّادٍ: سَلَامٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ جُهَّالَ الْعِبَادِ تُسْتَفَزُّ قُلُوبُهُمْ بِالْأَطْمَاعِ، حَتَّى تَسْتَعْلِقَ الْخَدَائِعُ فِتْرَيْنُ بِالْمُنَى، عَجِبْتُ مِنْ ابْتِيَاعِكَ الْمَمْلُوكَةَ الَّتِي أَمَرْتُكَ بِابْتِيَاعِهَا مِنْ مَالِكِهَا، وَلَمْ تُعَلِّمْنِي حِينَ ابْتَعْتَهَا أَنَّ لَهَا بَعْلًا، فَلَمَّا أَتَيْتَنِي فَسَأَلْتُهَا رَدَّيْتُهَا إِلَيْكَ مَعَ مَوْلَايَ مِثْعَبٍ، فَادْعُ الَّذِي بَاعَكَ الْجَارِيَةَ وَادْعُ زَوْجَهَا، فَابْتَغِ مِنْ زَوْجِهَا بَضْعَهَا وَأَخْلِصْهَا إِنْ رَضِيَ، فَإِنْ أَبَى وَكَرِهَ بَيْعَ بَضْعِهَا، فَاقْبِضْ ثَمَنَهَا وَارْدُدْهَا إِلَى الْبَائِعِ، وَالسَّلَامُ. وَكُتِبَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ».

«١»

(١). الغارات: ج ١ ص ١١٥.

ص: ١٨٧

الفصل السادس: وصاياه

ص: ١٨٩

٣٠ كتابه عليه السلام في عين أبي نيزر و البغيغة

روى المبرّد في الكامل: كان أبو نيزر من أبناء بعض ملوك الأعاجم، قال:

و صحّ عندي بعد، أنّه من ولد النّجاشيّ، فرغب في الإسلام صغيراً، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله فأسلم، و كان معه في بيوته، فلمّا توفي رسول الله صلى الله عليه وآله صار مع فاطمة و ولدها عليهم السلام.

قال أبو نيزر: جاءني عليّ بن أبي طالب عليه السلام و أنا أقوم بالضّيعتين: عين أبي نيزر و البغيغة، فقال لي:

«هَلْ عِنْدَكَ مِنْ طَعَامٍ»

؟ فقلت: طعام لا أرضاه لأمر المؤمنين، قرع من قرع الضّيعة، صنعت به إهالة سنخة، فقال:

«عَلَيْ بِهِ»

. فقام إلى الرّبيع و هو جدول، فغسل يديه، ثمّ أصاب من ذلك شيئاً، ثمّ رجع إلى الرّبيع فغسل يديه بالرّمْل حتّى أنقاهما، ثمّ ضمّ يديه كل واحدة منهما إلى أختها، و شرب بهما حسي من الرّبيع، ثمّ قال:

«يا أبا نيزر، إنَّ الأُكُفَّ أَنْظَفُ الْآيَةِ»

، ثُمَّ مسح ندى ذلك الماء على بطنه، و قال:

«مَنْ أَدْخَلَهُ بَطْنُهُ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ!»

ثُمَّ أَخَذَ الْمَعُولَ وَ انْحَدَرَ فَجَعَلَ يَضْرِبُ وَ أَبْطَأَ عَلَيْهِ الْمَاءُ، فَخَرَجَ وَ قَدْ تَفَضَّجَ «١» جَبِينَهُ عِرْقاً، فَانْتَكَفَفَ الْعِرْقُ مِنْ جَبِينِهِ، ثُمَّ أَخَذَ الْمَعُولَ وَ عَادَ إِلَى الْعَيْنِ، فَأَقْبَلَ يَضْرِبُ فِيهَا وَ جَعَلَ يَهْمُهُمْ فَانْتَالَتْ كَأَنَّهَا عَنَقَ جُزُورٍ، فَخَرَجَ مُسْرِعاً، فَقَالَ:

«أُشْهِدُ اللَّهَ، أَنَّهَا صَدَقَتْ، عَلَى بَدْوَةِ وَصَحِيفَةٍ»

، قال: فَعَجَلَتْ بِهِمَا إِلَيْهِ، فَكَتَبَ:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا مَا تَصَدَّقَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، تَصَدَّقَ بِالضَّيْعَتَيْنِ الْمَعْرُوفَتَيْنِ بَعِينَ أَبِي نَيزَرَ وَ الْبُعْيُغَةَ عَلَى فُقَرَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَابْنِ السَّبِيلِ، لِيَقِيَ بِهِمَا وَجْهَهُ حَرَّ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا تَبَاعَا وَلَا تُوْهَبَا، حَتَّى يَرِثَهُمَا اللَّهُ، وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ، إِلَّا أَنْ يَحْتَاجَ إِلَيْهِمَا الْحَسَنُ أَوْ الْحُسَيْنُ فَهُمَا طَلِقٌ لَهُمَا، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ غَيْرِهِمَا».

قال محمد بن هشام: فركب الحسين رضى الله عنه دين، فحمل إليه معاوية بعين أبي نيزر مائتي ألف دينار، فأبى أن يبيع، و قال:

«إِنَّمَا تَصَدَّقَ بِهِمَا أَبِي لَيْقَى اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ حَرَّ النَّارِ، وَلَسْتُ بِائِعِهَا بِشَيْءٍ»

. و تَحَدَّثَ الزُّبَيْرِيُّونَ، أَنَّ مَعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَى مِرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، وَ هُوَ وَالِى الْمَدِينَةِ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَبُّ أَنْ يَرُدَّ الْأُلْفَةَ، وَ يَسَلَّ السَّخِيمَةَ، وَ يَصِلَ الرَّحْمَ، فَإِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ كِتَابِي فَاخْطُبْ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ ابْنَتِهِ أُمَّ كَلْثُومَ عَلَى يَزِيدَ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَ أَرْغَبْ لَهُ فِي الصَّدَاقِ.

(١) فلان يتفضج عرقاً، إذا عرقت أصول شعره و لم يبتل (لسان العرب: ج ٢ ص ٣٤٦).

فَوَجَّهَ مِرْوَانَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ كِتَابَ مَعَاوِيَةَ، وَ أَعْلَمَهُ مَا فِي رَدِّ الْأُلْفَةِ مِنْ صَلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَ اجْتِمَاعِ الدَّعْوَةِ.

فقال عبد الله: إنَّ خالها الحسين بينع، و ليس مِمَّن يفتات عليه بأمرٍ، فأُنظرني إلى أن يقدم، و كانت أمُّها زينب بنت عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه.

فلَمَّا قدم الحسين ذكر ذلك له عبد الله بن جعفر، فقام من عنده فدخل إلى الجارية، فقال:

«يا بنية، إنَّ ابن عمِّ القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب أحقُّ بك، ولعلَّكَ ترغبين في كثرة الصَّدَاقِ، وقد نَحَلْتُكَ البُغْيُغَاتِ»

. فلَمَّا حضر القوم للإملاك تكَلَّم مروان، فذكر معاوية و ما قصده من صلة الرَّحم و جمع الكلمة.

فتكلَّم الحسين فزوَّجها من القاسم بن محمد.

فقال له مروان: أ غدرًا يا حسين؟!

قال:

«أنتَ بدأتَ، خَطَبَ أبو مُحَمَّدٍ الحسنُ بنُ عليٍّ عليهما السلام عائِشةَ بنتَ عُثْمَانَ بنِ عفان، واجتمعنا لِذَلِكَ، فتكلَّمْتَ أنتَ فزوَّجَتَهَا مِن عَبْدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ»

. فقال مروان: ما كان ذلك، فالتفت الحسين إلى مُحَمَّد بن حاطب فقال:

«أُنشدُكَ اللهَ، أَكانَ ذاكَ»

قال: اللَّهُمَّ نعم، فلم تزل هذه الضَّيعة في أيدي بني عبد الله بن جعفر، من ناحية أمِّ كلثوم، يتوارثونها، حتَّى ملك أمير المؤمنين المأمون، فذكر ذلك له، فقال: كلَّا، هذا وَقَفُ عليّ بن أبي طالب صلواتُ الله عليه، فاتترعها من أيديهم، و عوضهم منها، و ردَّها إلى ما كانت عليه. «١»

(١). الكامل للمبرِّد: ج ٣ ص ١١٢٧ - ١١٣٠ و راجع: الإصابة: ج ٧ ص ٣٤٣، معجم البلدان: ج ١ ص ٤٦٩ و ج ٤ ص ١٧٥، المناقب للكوفي: ج ٢ ص ٨١ - ٨٣؛ الكافي: ج ٦ ص ١٧٩ ح ١، بحار الأنوار: ج ٤٢ ص ٧١ ح ١، أعيان الشيعة: ج ١ ص ٤٣٤.

ص: ١٩٢

[قال العلَّامة الأمين رحمه الله: كلام المبرِّد في خبر تزويج أمِّ كلثوم هذه، يدلُّ على أنَّ الحسين عليه السلام نحلها البغيغة، و رواية ابن شهر آشوب تدلُّ على أنَّه نحلها ضيعته بالمدينة أو أرضه بالعقيق، و أرض العقيق خارجة عن البغيغة التي بينع، أمَّا ضيعته بالمدينة فيمكن انطباقها على التي بينع، لأنَّها من توابع المدينة، و حينئذ فيرجح ما ذكره المبرِّد، و يضعف أنَّه نحلها أرضه بالعقيق.

نحلة الحسين عليه السلام البغيغة الداخلة فى الوقف لأُمّ كلثوم، هو أخذ بالرخصة التى رخصها له أبوه، و لم يعمل بها فى بيع عين أبى نيزر من معاوية، للبون الشاسع بين المقامين، فلذلك توارثها بنو عبد الله بن جعفر من ناحية أمّ كلثوم]. «١»

عبدُ الله بن جعفر بن أبى طالب

عبد الله بن جعفر بن أبى طالب القرشى الهاشمى، يُكنى أبا جعفر من صحابة النبى صلى الله عليه وآله «٢». و عند ما هاجرت أوّل مجموعة من المسلمين إلى الحبشة، كان جعفر بن أبى طالب المشهور بذى الجناحين «٣»، و زوجته أسماء بنت عميس معهم «٤»، و ولد عبد الله هناك «٥»

(١). أعيان الشيعة: ج ١ ص ٤٣٥.

(٢) راجع: المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ٦٥٥ ح ٦٤١٢، سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٥٦ الرقم ٩٣، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٧ ص ٢٤٨؛ رجال الطوسى: ص ٤٢ الرقم ٢٨٧.

(٣) راجع: المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ٦٥٥ ح ٦٤٠٨، سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٥٦ الرقم ٩٣، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٧ ص ٢٤٨؛ رجال الطوسى: ص ٤٢ الرقم ٢٨٧.

(٤) راجع: المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ٦٥٥ ح ٦٤٠٨، سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٥٧ الرقم ٩٣، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٧ ص ٢٥٠.

(٥) راجع: المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ٦٥٥ ح ٦٤٠٨، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٧ ص ٢٥٢.

ص: ١٩٣

كان له من العمر سبع سنين عند ما جاء إلى المدينة مع أبيه. و لما نظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله تبسم و بسط يده، فبايعه عبد الله «١».

استشهد والده جعفر فى مؤتة، فتكفل النبى صلى الله عليه وآله تربيته «٢».

كان أخاً لمحمد بن أبى بكر، و يحيى بن على بن أبى طالب من جهة الام «٣».

و كانت تربطه بآل الرسول صلى الله عليه وآله وشيجة قوية. و هو زوج زينب بنت على عليه السلام. شهد صفين مع عمه أمير المؤمنين عليه السلام «٤». و لم يأذن له بالقتال. و عند ما عاد إلى الكوفة قال عليه السلام: ... لئلا ينقطع به نسل بنى هاشم «٥». و كان عبد الله طويل الباع، فصيح اللسان، ثابتاً على الحق. عدّه المؤرخون و أصحاب التراجم من أجواد العرب المشهورين «٦»، بل من أسخاهم «٧». و ذكروا قصصاً فى ذلك «٨»، من هنا سُمى:

بحر الجود «٩».

كان يُصحر بالحقّ في مواطن كثيرة، و يرفع المنزلة الرفيعة لأُمير المؤمنين عليه السلام

(١) راجع: المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ٦٥٥ ح ٦٤١٠، سیر أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٥٧ الرقم ٩٣، تاریخ مدينة دمشق: ج ٢٧ ص ٢٥٢.

(٢) راجع: الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٣٧، سیر أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٥٦ و ص ٤٥٨ الرقم ٩٣، تاریخ مدينة دمشق: ج ٢٧ ص ٢٥٥.

(٣) اسد الغابة: ج ٣ ص ١٩٩ الرقم ٢٨٦٤، الإصابة: ج ٤ ص ٣٧ الرقم ٤٦٠٩.

(٤) سیر أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٦٠ الرقم ٩٣، تاریخ مدينة دمشق: ج ٢٧ ص ٢٧٢، الإصابة: ج ٣٧ ص ٤٦٠٩، تهذيب التهذيب: ج ٣ ص ١٠٨ الرقم ٣٧٧٣.

(٥) الخصال: ص ٣٨٠ ح ٥٨، وقعة صفين: ص ٥٣٠؛ تاریخ الطبری: ج ٥ ص ٦١، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٩١.

(٦) الاستيعاب: ج ٣ ص ١٨ الرقم ١٥٠٦.

(٧) الاستيعاب: ج ٣ ص ١٧ الرقم ١٥٠٦.

(٨) سیر أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٥٩ - ٤٦١ ص ٩٣، تاریخ مدينة دمشق: ج ٧ ص ٢٧٥ - ٢٩٤.

(٩) الاستيعاب: ج ٣ ص ١٧ الرقم ١٥٠٦، اسد الغابة: ج ٣ ص ٢٠٠ الرقم ٢٨٦٤.

ص: ١٩٤

و آل الرسول صلى الله عليه وآله. و لم يسكت عن الطعن في الشجرة الملعونة الامويين، على مرأى و مسمع منهم «١»، مع هذا كله كان معاوية يكرمه «٢».

و كان مع الحسين عليهما السلام بعد استشهاد أبيهما، و تبعهما بصدق.

و كان يتأسف على عدم حضوره في كربلاء، لكنه كان يفتخر و يعتز باستشهاد أولاده مع الحسين عليه السلام «٣».

توفى عبد الله بالمدينة سنة ٨٠ هـ عام الجحاف «٤» «٥» و هو ابن ثمانين سنة «٦».

٣١ كتابه عليه السلام في وقف داره

روى في الوسائل عن الحسين بن سعيد، عن محمد بن عاصم، عن الأسود بن أبي الأسود الدؤلي، عن ربيع بن عبد الله، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

«تَصَدَّقَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِدَارِهِ لَهُ بِالْمَدِينَةِ فِي بَنِي زُرَيْقٍ

، فكتب:

(١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ٢٢٩ و ج ٦ ص ٢٩٥.

(٢). المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ٦٥٦ ح ٦٤١٣، سیر أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٥٩ الرقم ٩٣، الاستيعاب:

ج ٣ ص ١٧ الرقم ١٥٠٦.

(٣). تاریخ الطبری: ج ٥ ص ٤٦٦.

(٤). سیلُ کان بطن مکة جحف الحاج و ذهب بالابل و علیها الحُمولة (تهذيب الكمال: ج ١٤ ص ٣٧٢).

(٥). تهذيب الكمال: ج ١٤ ص ٣٧٢ الرقم ٣٢٠٢، تاریخ خلیفة بن خياط: ص ٢١٥، المستدرک علی الصحیحین:

ج ٣ ص ٦٥٥ ح ٦٤٠٨ و ليس فيهما «عام الجحاف»، تاریخ مدينة دمشق: ج ٢٧ ص ٢٥٣، الاستيعاب: ج ٣ ص ١٧ الرقم ١٥٠٦.

(٦). المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ٦٥٥ ح ٦٤٠٨، تاریخ مدينة دمشق: ج ٢٧ ص ٢٩٨، تقریب التهذيب:

ص ٢٩٨ ح ٣٢٥١.

ص: ١٩٥

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا ما تصدَّق به عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وهو حَيٌّ سَوِيٌّ، تَصَدَّقَ بِدَارِهِ الَّتِي فِي بَنِي زُرَيْقٍ صَدَقَةً، لَا تُبَاعُ وَلَا تُوهَبُ حَتَّى يَرْتَهَا اللَّهُ الَّذِي يَرِثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَأَسْكَنَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ خَالَاتِهِ مَا عِشْنَ وَعَاشَ عَقِبُهُنَّ، فَإِذَا انْقَرَضُوا فَهِيَ لِدَوَى الْحَاجَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

«١»

بنو زريق هم ابن عامر بن زريق، بطن من الخزرج، منهم أبو رافع بن مالك، و هو أول من أسلم من الأنصار. «٢»

٣٢ كتابه عليه السلام لمحمد ابن الحنفية

نقل مصنف كتاب معادن الحكمة رحمه الله «٣» وصيته لابنه محمد ابن الحنفية عن كتاب من لا يحضره الفقيه، ولكنه فاته جزء منها نقله الفقيه، وهو: قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لابنه محمد ابن الحنفية:

«يا بُنَيَّ إِذَا قَوَيْتَ فَاقَوْا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَإِذَا ضَعُفْتَ فَاضْعُفْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلٍّ، وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا تُمْلِكَ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا فَاغْلُظْ، فَإِنَّهُ أَدْوَمُ لِحَالِهَا وَأَرْخَى لِبَالِهَا، وَأَحْسَنُ لِحَالِهَا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رِيحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ، فَدَارِهَا عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَحْسِنِ الصُّحْبَةَ لَهَا لِيَصْفُو عَيْشُكَ».

«٤»

(١). تهذيب الأحكام: ج ٩ ص ١٣٢ ح ٥٦٠، الاستبصار: ج ٤ ص ٩٨ ح ٣٨٠، من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٢٤٨ ح ٥٥٨٨، مستدرک الوسائل: ج ١٤ ص ٥٤ ح ١٦٠٩٠.

(٢). نهاية الارب للقلقشندی: ص ٢٥٢ الرقم ٩٥٣ و راجع: معجم القبائل العرب: ج ٢ ٤٧١.

(٣). معادن الحكمة: ج ١ ص ٤٥٤ الرقم ٨٨.

(٤). من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٥٥٦ ح ٤٩١١.

ص: ١٩٦

قال ابن عبد ربّه في العقد الفريد، و كتب إلى ابنه محمد ابن الحنفية، ثم نقل فصلاً قد يشابه في بعض الجملات ما ذكره المصنف رحمه الله عن الفقيه، ونحن نقله هنا تنميماً للفائدة، و إكثاراً للعائدة:

كتب إلى ابنه محمد ابن الحنفية:

«أَنْ تَفْقَهَ فِي الدِّينِ، وَعَوَّدَ نَفْسَكَ الصَّبْرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ، وَكُلَّ نَفْسِكَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا إِلَى اللَّهِ عِزَّ وَجَلٍّ، فَإِنَّكَ تَكُلُّهَا إِلَى كَهْفٍ. وَأَخْلِصْ الْمَسْأَلَةَ لِرَبِّكَ، فَإِنَّ بِيَدِهِ الْعَطَاءَ وَالْحَرَمَانَ، وَأَكْثَرَ الْأَسْتِخَارَةِ لَهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيئَتُهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَإِنَّهُ يُسَارِبُهُ وَإِنْ كَانَ لَا يُسِيرُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَبَى إِلَّا خَرَابَ الدُّنْيَا وَعِمَارَةَ الْآخِرَةِ.

فَإِنْ قَدَرْتَ أَنْ تَرْهَدَ فِيهَا زُهْدَكَ كُلَّهُ فَافْعَلْ ذَلِكَ، وَإِنْ كُنْتَ غَيْرَ قَابِلٍ نَصِيحَتِي إِلَيْكَ، فَاعْلَمْ عِلْمًا يَقِينًا أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمْلَكَ، وَلَا تَعْدُوَ أَجَلَكَ، وَأَنْتَ فِي سَبِيلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، فَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ، وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرِّغَائِبِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْدُلُ مِنْ نَفْسِكَ عَوْضًا، وَإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا اللَّطْمَعِ، وَتَقُولَ: مَتَى مَا أُخِّرْتَ نَزَعْتُ، فَإِنَّ هَذَا أَهْلَكَ مَنْ هَلَكَ قَبْلَكَ.

وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، فَإِنَّ تَلَاْفِيكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مِنْ إِدْرَاكِ مَا فَاتَ مِنْ مُنْطِقِكَ، وَاحْفَظْ مَا فِي الْوَعَاءِ بِشَدِّ الْوَكَاءِ، فَحُسْنُ التَّدْبِيرِ مَعَ الْاِقْتِصَادِ أَبْقَى لَكَ مِنَ الْكَثِيرِ مَعَ الْفَسَادِ، وَالْحُرْفَةُ «١» مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ، وَالْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ، وَلَرْبَمَا سَعَى فِيمَا يَضُرُّهُ.

وإِيَّاكَ وَالْاِتِّكَالَ عَلَى الْأَمَانِي، فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْكَى «٢»، وَتَنْبِطُ عَنِ الْآخِرَةِ

(١) الحُرْفَةُ: الضيق والإقلال.

(٢) النوكى - بالفتح كسرى -: جمع أنوك، أى الأحمق.

ص: ١٩٧

وَالْأُولَى. «١» وَمَنْ خَيْرَ حِظٍّ الدُّنْيَا الْقَرِينَ الصَّالِحُ، فَقَارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، وَبَايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ، وَلَا يَغْلِبَنَّ عَلَيْكَ سُوءُ الظَّنِّ، فَإِنَّهُ لَنْ يَدَعَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ خَلِيلٍ صُلْحًا.

أَذْكِرْ قَلْبَكَ بِالْأَدَبِ، كَمَا تُذَكِّي النَّارُ بِالْحَطَبِ، وَاعْلَمْ أَنَّ كُفْرَ النِّعْمَةِ لُؤْمٌ، وَصُحْبَةُ الْأَحْمَقِ شُوْمٌ، وَمِنْ الْكَرَمِ مَنَعُ الْحَرَمِ، وَمَنْ حَلُمٌ سَادَ، وَمَنْ تَفَهُمٌ اَزْدَادَ.

إِمْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ، حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً، لَا تَصْرُمْ أَخَاكَ عَلَى ارْتِيَابٍ، وَلَا تَقْطَعْهُ دُونَ اسْتِعْتَابٍ، وَلَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوءَهُ.

الرِّزْقُ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ مَالَكَ مِنْ دُنْيَاكَ إِلَّا مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَتَوَاكَ، فَأَنْفِقْ مِنْ خَيْرِكَ، وَلَا تَكُنْ خَازِنًا لِغَيْرِكَ، وَإِنْ جَزَعْتَ عَلَى مَا يُفْلِتُ مِنْ يَدَيْكَ فَاجْزَعْ عَلَى مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ، رُبَّمَا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَصْدَهُ، وَأَبْصَرَ الْأَعْمَى رُشْدَهُ، وَلَمْ يَهْلِكْ أَمْرُهُ اقْتِصَادًا، وَلَمْ يَفْتَقِرْ مِنْ زَهْدًا.

مَنْ ائْتَمَنَ الزَّمَانَ خَانَهُ، وَمَنْ تَعَظَّمَ عَلَيْهِ أَهَانَهُ. رَأْسُ الدِّينِ الْيَقِينُ، وَتِمَامُ الْإِخْلَاصِ اجْتِنَابُ الْمَعَاصِي، وَخَيْرُ الْمَقَالِ مَا صَدَّقَهُ الْفِعَالُ. سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ، وَعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ. وَاحْمِلْ لِصَدِيقِكَ عَلَيْكَ. وَأَقْبَلْ عُذْرَ مَنْ اعْتَذَرَ إِلَيْكَ، وَآخِرُ الشَّرِّ مَا اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ.

لَا يَكُنْ أَخْوَكَ عَلَى قَطِيعَتِكَ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى صِلَتِهِ، وَعَلَى الْإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الْإِحْسَانِ. لَا تُمَلِّكَنَّ الْمَرْأَةَ مِنَ الْأَمْرِ مَا يُجَاوِزُ نَفْسَهَا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رِيحَانَةٌ،

(١) الأمانى: جمع الأمنية: الأمل. و البضائع: جمع البضاعة: رأس المال. و النوكى: الحمقى لفظاً و معنى. و تنبط:

تعوق و تؤخر.

ص: ١٩٨

وَلَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَدْوَمُ لِحَالِهَا، وَأَرْخَى لِبَالِهَا.

وَاعْضُضْ بَصَرَهَا بِسِتْرِكَ، وَاكْفُفْهَا بِحِجَابِكَ. وَأَكْرِمِ الَّذِينَ بِهِمْ تَصُولُ، وَإِذَا تَطَاوَلَتْ بِهِمْ تَطَوَّلُ. أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُلْهِمَكَ الشُّكْرَ وَالرُّشْدَ، وَيُقَوِّيكَ عَلَى الْعَمَلِ بِكُلِّ خَيْرٍ، وَيَصْرِفُ عَنْكَ كُلَّ مَحْذُورٍ بِرَحْمَتِهِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. «١»

[أقول: نقل الصدوق رحمه الله هذه الوصية متفرقة في الفقيه، في آخر كتاب المزار باب الفروض على الجوارح «٢»، و في آخر الفقيه باب النوادر «٣»، و نقل مصنف كتاب معادن الحكمة رحمه الله ذلك كله، و لم يشر إلى كونها كتاباً، و لكن من المعلوم أن أمير المؤمنين عليه السلام كتب كتابين: أحدهما إلى السبط الأكبر المجتبي عليه السلام، و ثانيهما إلى محمد بن الحنفية رحمه الله، كما عن الشيخ و النجاشي، أنهما ذكرا في ترجمة الأصبغ، أنه روى كتاب عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى الأشتر، و كتاب وصيته إلى محمد بن الحنفية، كما في قاموس الرجال في ترجمة الأصبغ، و نهج السعادة، و جامع الرواة، و مر عن ابن عبد ربّه شطر منه، و نقل في نهج السعادة، و ممن ذكر السند للوصية الشريفة السيّد ابن طاوس رحمه الله، نقلًا عن الجزء الأوّل من كتاب الزّواجر و المواعظ، من نسخة تاريخها ذو القعدة من سنة ثلاث و سبعين و أربعمئة، تأليف أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري، قال: و أخبرنا أحمد بن عبد الرحمن بن فضال القاضي قال: حدّثنا الحسن بن محمد بن أحمد، و أحمد بن جعفر بن محمد بن زَيْد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: حدّثنا جعفر بن محمد الحسني، قال: حدّثنا الحسن بن عبدك، قال: حدّثنا الحسن بن

(١). العقد الفريد: ج ٢ ص ٣٣٣ - ٣٣٥.

(٢). من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٦٢٦ ح ٣٢١٥.

(٣). من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٤٨٣ ح ٥٨٣٤.

ص: ١٩٩

ظريف بن ناصح، عن الحسن (الحسين) بن علوان، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة المجاشعي، قال: كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى ابنه محمد.

و قال السيّد رحمه الله: و اعلم أنه قد روى الشيخ المتفق على ثقته و أمانته، محمد بن يعقوب الكليني تغمّده الله جل جلاله برحمته، رسالة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، إلى ابنه الحسن عليه السلام، و روى رسالة أخرى مختصرة، عن خطّ عليّ عليه السلام، إلى ولده محمد بن الحنفية، و ذكر الرّسالتين في كتاب الرّسائل، و وجدنا منها نسخة قديمة يوشك أن تكون كتابتها في زمان حياة محمد بن يعقوب رحمه الله، انتهى.

و الذي يظهر من الكليني رحمه الله أن هذه الرّسالة المختصرة ألّتي ذكرها ابن طاوس رحمه الله، غير ألّتي ذكرها الصدوق رحمه الله، إذ هو ينقل بعض جملات الوصية في الكافي، و ينسبها إلى كتابه للحسن عليه السلام، ثم يروى بعده رواية أنه كتابه لمحمد بن الحنفية رحمه الله، قال في كتاب النّكاح من الكافي: [عن أبي عبد الله الأشعري، عن بعض أصحابنا، عن جعفر بن عنبسة، عن عبادة بن زياد، عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبي جعفر عليه السلام، و أحمد بن محمد العاصمي، عمّن حدّثه، عن معلّى بن محمد، عن عليّ بن حسان، عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في رسالته إلى الحسن عليه السلام:

«إِيَّاكَ وَمُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ، فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى الْأَفْنِ، وَعَزْمُهُنَّ إِلَى الْوَهْنِ، وَكَفْفُ عَلَيَّهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ خَيْرٌ لَكَ وَلَهُنَّ مِنَ الْإِرْتِيَابِ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ دُخُولِ مَنْ لَا تَثِقُ بِهِ عَلَيَّهِنَّ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَعْرِفَنَّ غَيْرَكَ مِنَ الرِّجَالِ فَافْعَلْ».

[ثُمَّ قَالَ:] أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنِيِّ، عَنْ

ص: ٢٠٠

عَلِيِّ بْنِ عَبْدِكَ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ ظَرِيفٍ، عَنْ نَاصِحِ بْنِ طَرِيفٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ طَرِيفٍ، عَنْ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِثْلَهُ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ:

كَتَبَ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ. «١»

[ثُمَّ نَقَلَ بِالسَّنَدِ الْمَتَقَدِّمِ] عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ فِي رِسَالَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«لَا تُمْلِكِ الْمَرْأَةُ مِنَ الْأَمْرِ مَا يُجَاوِزُ نَفْسَهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ أَنْعَمُ لِحَالِهَا، وَأَرْخَى لِبَالِهَا، وَأَدْوَمُ لِحِمَالِهَا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رِيحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ، وَلَا تَعْدُ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا، وَأَغْضُضْ بَصَرَهَا بِسِتْرِكَ، وَاكْفُفْهَا بِحِجَابِكَ، وَلَا تُطْمِعْهَا أَنْ تَشْفَعَ لِعَیْرِهَا، فَيَمِيلَ عَلَيْكَ مَنْ شَفَعَتْ لَهُ عَلَيْكَ مَعَهَا، وَاسْتَبْقِ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً، فَإِنَّ إِمْسَاكَكَ نَفْسَكَ عَنْهُمْ، وَهُمْ يَرَيْنَ أَنَّكَ دُوْاقِدَارٍ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَرَيْنَ مِنْكَ حَالًا عَلَى انْكِسَارٍ».

[ثُمَّ نَقَلَ بِالسَّنَدِ الْمَتَقَدِّمِ الْمَذْكُورِ] عَنْ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِثْلَهُ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: كَتَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ. «٢»

[فِيستفاد من كلامه أَنَّ الرِّسَالَةَ عِنْدَهُ كَانَتْ وَاحِدَةً إِلَّا أَنَّهُ نَقَلَهُ بِسَنَدَيْنِ:

أَحَدُهُمَا يَتَّصِلُ بِالْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيُنْسَبُهَا إِلَى الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَثَانِيَهُمَا يَتَّصِلُ بِالْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ، وَيُنْسَبُهَا إِلَى مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَأَمَّا سَنَدُ الشَّيْخِ وَالتَّجَاشِيِّ لِكِتَابِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مُحَمَّدٍ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَيَنْتَهِي إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَحْمَدِ التَّلْجِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ

(١). الكافي: ج ٥ ص ٣٣٨ ح ٧.

(٢). الكافي: ج ٥ ص ٥١٠ ح ٣.

ص: ٢٠١

عبدك «١»، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ ظَرِيفٍ، عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلْوَانَ، عَنْ سَعْدِ بْنِ طَرِيفٍ، عَنْ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ.

كما أنَّ سندهما لعده عليه السلام للأشتر رضوان الله عليه، ينتهي إلى الحسن بن ظريف، عن الحسين بن علوان، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة.

كما أنَّ كتاب أمير المؤمنين عليه السلام في الديات، ينتهي إلى الحسن بن ظريف أيضاً، فيستفاد أنَّ لحسن بن ظريف كتاباً حاوياً لهذه الكتب، روى عنه الرواة، ولا ينافي ذلك رواية الكليني رحمه الله بعض فقرات كتابه إلى الحسن عليه السلام بسند آخر، وكذا لا ينافيه رواية الشيخ الصدوق رحمه الله في الخصال شطراً من كتابه عليه السلام إلى محمد بسند آخر، حيث قال: [حدثنا أبي رحمه الله، قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين في وصيته لابنه محمد بن الحنفية:

واعلم أنَّ مروةَ المرءِ المسلمِ مروتان: مروةٌ في حضرٍ، ومروةٌ في سفرٍ.

فأمَّا مروةُ الحضرِ فقراءةُ القرآن، ومجالسةُ العلماء، والنظرُ في الفقه، والمحافظةُ على الصلاة في الجماعات.

وأمَّا مروةُ السفرِ فبذلُ الزاد، وقلةُ الخلافِ على من صحبك، وكثرةُ ذكرِ الله عز و جل في كلِّ مصعدٍ ومهبطٍ ونزولٍ وقيامٍ وقعودٍ.

«٢»

قال: حدثنا أبي رحمه الله، قال حدثنا علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لابنه

(١) في البحار: «عبدل».

(٢). الخصال: ص ٥٤ ح ٧١.

ص: ٢٠٢

محمد بن الحنفية:

«إياك والعجب، وسوء الخلق، وقلة الصبر، فإنه لا يستقيم لك على هذه الخصال الثلاث صاحب، ولا يزال لك عليها من الناس مجانب، وألزم نفسك التودد واصبر على مؤونات الناس نفسك، وأبدل لصديقك نفسك ومالك، ولمعرفتك رفقك ومحضرك، وللعامة بشرك ومحبتك، ولعدوك عدلك وإنصافك، واضنن بدينك وعريضك عن كل أحد، فإنه أسلم لدينك ودنياك».

«١»

[و السَّند الَّذِي ذكره الصَّدوق رحمه الله في مشيخة الفقيه لوصية أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن الحنفية رحمه الله، هو ما تقدّم من سند الرواية المتقدّمة. و ذلك لأنّه يمكن أن يكون الكتاب معروفاً مشهوراً، رواه العلماء بطرق مختلفة، و شيخنا الكليني و الصَّدوق روبا بسند يتصل إلى الإمام أبي عبد الله، أو أبي جعفر عليهما السلام كتابه عليه السلام إلى ابنه السبط الأكبر عليه السلام، و إلى محمد بن الحنفية رحمه الله، و الشيخ و النجاشي روبا كتاب حسن بن ظريف، المشتغل عليهما و على غيرهما.

و اشتبه الأمر على بعض، فتوهم كونه كتاباً واحداً قد ينسب إلى الإمام الحسن، و قد عليه السلام ينسب إلى محمد رحمه الله، و ممّا يؤيد هذا التوهم عبارتا الكليني رحمه الله المتقدمتان].

٣٣ وصيته عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية

«يَا بُنَيَّ لَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ، بَلْ لَا تَقُلْ كُلَّ مَا تَعْلَمُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ فَرَضَ عَلَى جَوَارِحِكَ كُلِّهَا فَرَايَضَ يَحْتَاجُ بِهَا عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَسْأَلُكَ عَنْهَا، وَذَكَرَهَا

(١). الخصال: ص ١٤٧ ح ١٧٨، بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ١٧٥.

ص: ٢٠٣

وَوَعظَهَا، وَحَذَرَهَا وَأَدَبَهَا، وَلَمْ يَتْرُكْهَا سُدىً.

فَقَالَ اللَّهُ عز و جل: «وَلَا تَقْنُفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً» (١)، وقال عز و جل: «إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ» (٢)، ثُمَّ اسْتَعْبَدَهَا بِطَاعَتِهِ فَقَالَ عز و جل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (٣)، فَهَذِهِ فَرِيضَةٌ جَامِعَةٌ وَاجِبَةٌ عَلَى الْجَوَارِحِ.

وقال عز و جل: «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا» (٤)، يَعْنِي بِالْمَسَاجِدِ، الْوَجْهَ، وَالْيَدَيْنِ، وَالرُّكْبَتَيْنِ وَالْإِنْهَامَيْنِ.

وقال عز و جل: «وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ» (٥)، يَعْنِي بِالْجُلُودِ الْفُرُوجَ، ثُمَّ خَصَّ كُلَّ جَارِحَةٍ مِنَ جَوَارِحِكَ بِفَرَضٍ، وَنَصَّ عَلَيْهَا:

فَفَرَضَ عَلَى السَّمْعِ، أَلَّا تُصْغِيَ بِهِ إِلَى الْمَعَاصِي، فَقَالَ عز و جل: «وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَةَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ»، وقال عز و جل: «وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ» (٦)، ثُمَّ اسْتَشْنَى عز و جل مَوْضِعَ النَّسِيانِ، فَقَالَ: «وَأِمَّا يُنَسِّئَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ

(٢) النور: ١٥.

(٣) الحج: ٧٧.

(٤) الجن: ١٨.

(٥) فصلت: ٢٢.

(٦) الأنعام: ٦٨.

ص: ٢٠٤

الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» (١)، وقال عز و جل: «فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَ أُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ» (٢)، وقال عز و جل: «وَ إِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا» (٣)، وقال عز و جل: «وَ إِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ» (٤)، فهذا ما فَرَضَ اللَّهُ عز و جل عَلَى السَّمْعِ، وَهُوَ عَمَلُهُ.

وَفَرَضَ عَلَى الْبَصَرِ، أَلَّا يَنْظُرَ إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عز و جل عَلَيْهِ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: «قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ» (٥)، فَحَرَّمَ أَنْ يَنْظُرَ أَحَدٌ إِلَى فَرْجِ غَيْرِهِ.

وَفَرَضَ عَلَى اللِّسَانِ، الْإِقْرَارَ وَالتَّعْبِيرَ عَنِ الْقَلْبِ بِمَا عَقَدَ عَلَيْهِ، فَقَالَ عز و جل: «قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا» (٦) - الْآيَةِ -، وَقَالَ عز و جل: «وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا» (٧).

وَفَرَضَ عَلَى الْقَلْبِ، وَهُوَ أَمِيرُ الْجَوَارِحِ، الَّذِي بِهِ تَعْقِلُ وَتَفْهَمُ وَتَصُدُّ عَنْ أَمْرِهِ وَرَأْيِهِ فَقَالَ عز و جل: «إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ» (٨) - الْآيَةِ -، وَقَالَ تَعَالَى حِينَ أَخْبَرَ عَنْ قَوْمٍ أَعْطَوْا الْإِيمَانَ بِأَفْوَاهِهِمْ، وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ، فَقَالَ تَعَالَى:

«الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ» (٩)، وَقَالَ عز و جل: «أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ

(١) الأنعام: ٦٨.

(٢) الزمر: ١٧ و ١٨.

(٣) الفرقان: ٧٢.

(٤) القصص: ٥٥.

(٥) النور: ٣٠.

(٦) البقرة: ١٣٦.

(٧) البقرة: ٨٣.

(٨) النحل: ١٠٦.

(٩) المائدة: ٤١.

ص: ٢٠٥

تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» (١)، وقال عز و جل: «وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ» (٢).

وَفَرَضَ عَلَى الْيَدَيْنِ أَلَّا تَمْدَهُمَا إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَيْكَ، وَأَنْ تَسْتَعْمِلَهُمَا بِطَاعَتِهِ، فقال عز و جل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ» (٣)، وقال عز و جل:

«فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ» (٤).

وَفَرَضَ عَلَى الرَّجْلَيْنِ أَنْ تَنْقُلَهُمَا فِي طَاعَتِهِ، وَأَلَّا تَمْشِيَ بِهِمَا مَشْيَةَ عَاصٍ، فقال عز و جل: «وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا» كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّلٌ - هُوَ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا» (٥)، وقال عز و جل: «الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» (٦)، فَأَخْبَرَ عَنْهَا أَنَّهَا تَشْهَدُ عَلَى صَاحِبِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

فهذا ما فَرَضَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى جَوَارِحِكَ، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا بُنَيَّ، وَاسْتَعْمِلْهَا بِطَاعَتِهِ وَرِضْوَانِهِ.

وَإِيَّاكَ أَنْ يَرَاكَ اللَّهُ تَعَالَى عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ، أَوْ يَفْقِدَكَ عِنْدَ طَاعَتِهِ، فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

(١) الرعد: ٢٨.

(٢) البقرة: ٢٨٤.

(٣) المائدة: ٦.

(٤) محمد: ٤.

(٥) الإسراء: ٣٧ و ٣٨.

(٦) يس: ٦٥.

وعَلَيْكَ بَقَاءُ الْقُرْآنِ، وَالْعَمَلُ بِمَا فِيهِ، وَلُزُومُ فَرَائِضِهِ وَشَرَائِعِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، وَأَمْرُهُ وَنَهْيُهُ، وَالتَّهَجُّدُ بِهِ، وَتِلَاوَتُهُ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ، فَإِنَّهُ عَهْدٌ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى خَلْقِهِ، فَهُوَ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَنْظُرَ كُلَّ يَوْمٍ فِي عَهْدِهِ، وَلَوْ خَمْسِينَ آيَةً.

واعْلَمْ أَنَّ دَرَجَاتِ الْجَنَّةِ عَلَى عَدَدِ آيَاتِ الْقُرْآنِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُقَالُ لِقَارِئِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْقُ، فَلَا يَكُونُ فِي الْجَنَّةِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ أَرْفَعُ دَرَجَةً مِنْهُ».

«١»

٣٤ وصيته عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية

«يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ وَالْاِتِّكَالَ عَلَى الْأَمَانِيِّ، فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْكِ «٢»، وَتَشْبِيطٌ عَنِ الْآخِرَةِ، وَمِنْ خَيْرٍ حَظٌّ الْمَرْءِ قَرِينَ صَالِحٌ.

جَالِسُ أَهْلِ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، بَايِنُ أَهْلِ الشَّرِّ وَمَنْ يَصْدُكَ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ عِزُّ وَجَلُّ وَذِكْرُ الْمَوْتِ بِالْأَبَاطِيلِ الْمُزْخَرَفَةِ وَالْأَرَاغِيفِ الْمُلَفَّقَةِ تَبْنِ مِنْهُمْ.

وَلَا يَغْلِبَنَّ عَلَيْكَ سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ عِزُّ وَجَلُّ، فَإِنَّهُ لَنْ يَدْعُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ خَلِيلِكَ صَلَاحًا.

أَذْكُ بِالْأَدَبِ قَلْبَكَ كَمَا تُذَكِّي النَّارَ بِالْحَطَبِ، فَنِعْمَ الْعَوْنُ الْأَدَبُ لِلنَّحِيْزَةِ «٣» وَالتَّجَارِبُ لِذِي اللَّبِّ، اصْصُمِ آرَاءَ الرِّجَالِ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ اخْتَرِ أَقْرَبَهَا إِلَى الصَّوَابِ، وَأَبْعَدَهَا مِنَ الْارْتِيَابِ.

(١). من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٦٢٧ ح ٣٢١٥.

(٢) النوكى: جمع الأنوك بمعنى الأحمق، و الجاهل العاجز.

(٣) نحيزة: الطبيعة و الطريق.

يَا بُنَيَّ، لَا شَرَفَ أَعْلَى مِنَ الْإِسْلَامِ، وَلَا كَرَمَ أَعَزُّ مِنَ التَّقْوَى، وَلَا مَعْقِلَ أَحَرَّ مِنَ الْوَرَعِ، وَلَا شَفِيعَ أَنْجَحُ مِنَ التَّوْبَةِ، وَلَا لِبَاسَ أَجْمَلُ مِنَ الْعَافِيَةِ، وَلَا وَقَايَةَ أَمْنُ مِنَ السَّلَامَةِ، وَلَا كَنْزَ أَغْنَى مِنَ الْقُنُوعِ، وَلَا مَالَ أَذْهَبَ لِلْفَاقَةِ مِنَ الرِّضَا بِالْقُوْتِ، وَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَى بُلْغَةِ الْكَفَافِ فَقَدْ ائْتَنَظَمَ الرَّاحَةَ وَتَبَوَّأَ خَفْضَ الدَّعَةِ، الْحِرْصُ دَاعٍ إِلَى التَّقَحُّمِ فِي الذُّنُوبِ.

أَلْقِ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بَعَزَائِمِ الصَّبْرِ، عَوِّدْ نَفْسَكَ الصَّبْرَ، فَنِعْمَ الْخُلُقُ الصَّبْرُ، وَاحْمِلْهَا عَلَى مَا أَصَابَكَ مِنْ أَهْوَالِ الدُّنْيَا وَهُمُومِهَا، فَازِ الْفَائِزُونَ، وَنَجَا الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى، فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْفَاقَةِ، وَالْجَبِيْ نَفْسَكَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَى اللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْفِ حَصِينٍ، وَحِرْزِ حَرِيْزٍ، وَمَانِعِ عَزِيْزٍ، وَأَخْلِصِ الْمَسْأَلَةَ لِرَبِّكَ، فَإِنَّ بِيْدِهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَالْإِعْطَاءَ وَالْمَنْعَ، وَالصَّلَاةَ وَالْحِرْمَانَ».

وقال عليه السلام في هذه الوصية:

«يا بُنَيَّ، الرِّزْقُ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ، فَلَا تَحْمِلْ هَمَّ سَتَيْكَ عَلَى هَمِّ يَوْمِكَ، وَكَفَاكَ كُلَّ يَوْمٍ مَا هُوَ فِيهِ، فَإِنْ تَكُنَ السَّنَةُ مِنْ عُمْرِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَيَأْتِيكَ فِي كُلِّ غَدٍ بِجَدِيدٍ مَا قَسَمَ لَكَ، وَإِنْ لَمْ تَكُنِ السَّنَةُ مِنْ عُمْرِكَ فَمَا تَصْنَعُ بَعَمَّ وَهَمٍّ مَا لَيْسَ لَكَ؟ وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَنْ يَسْبِقَكَ إِلَى رِزْقِكَ طَالِبٌ، وَلَنْ يَغْلِبَكَ عَلَيْهِ غَالِبٌ، وَلَنْ يَحْتَجِبَ عَنْكَ مَا قَدَّرَ لَكَ، فَكَمْ رَأَيْتُ مِنْ طَالِبٍ مُتَعَبٍ نَفْسَهُ مُقْتَرٍ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَمُقْتَصِدٍ فِي الطَّلَبِ قَدْ سَاعَدَتْهُ الْمَقَادِيرُ، وَكُلُّ مَقْرُونٍ بِهِ الْفَنَاءُ، الْيَوْمَ لَكَ وَأَنْتَ مِنْ بُلُوغِ غَدٍ عَلَى غَيْرِ يَقِينٍ، وَلَرُبَّ مُسْتَقْبِلٍ يَوْمًا لَيْسَ بِمُسْتَنْدِرِهِ، وَمَغْبُوطٍ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ قَامَ فِي آخِرِهَا بِوَاكِئِهِ، فَلَا يَغُرُّكَ مِنَ اللَّهِ طَوْلُ حُلُولِ النِّعَمِ، وَإِبْطَاءُ مَوَارِدِ النِّقَمِ، فَإِنَّهُ لَوْ خَشِيَ الْقَوْتَ عَاجِلٌ بِالْعُقُوبَةِ قَبْلَ الْمَوْتِ.

ص: ٢٠٨

يا بُنَيَّ اقْبَلْ مِنَ الْحُكَمَاءِ مَوَاعِظَهُمْ، وَتَدَبَّرْ أَحْكَامَهُمْ، وَكُنْ آخِذَ النَّاسِ بِمَا تَأْمُرُ بِهِ، وَأَكْفَ النَّاسِ عَمَّا تَنْهَى عَنْهُ، وَأَمُرٌ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ، فَإِنَّ اسْتِثْمَامَ الْأُمُورِ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ.

وَنَفَقَهُ فِي الدِّينِ فَإِنَّ الْفُقَهَاءَ وَرَثَةَ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَلَكِنَّهُمْ وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ مِنْهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ، وَاعْلَمْ أَنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الطَّيْرُ فِي جَوِّ السَّمَاءِ، وَالْحُوتُ فِي الْبَحْرِ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أجنحتها لِطَالِبِ الْعِلْمِ رَضَى بِهِ، وَفِيهِ شَرَفُ الدُّنْيَا وَالْفَوْزُ بِالْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِأَنَّ الْفُقَهَاءَ هُمُ الدُّعَاةُ إِلَى الْجَنَانِ، وَالْأَدْلَاءُ عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وَأَحْسِنِ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسِنَ إِلَيْكَ، وَارْضَ لَهُمْ مَا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ، وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ، وَحَسِّنْ مَعَ جَمِيعِ النَّاسِ خُلُقَكَ، حَتَّى إِذَا غَبَتْ عَنْهُمْ حَنُوكُ إِلَيْكَ، وَإِذَا مِتَّ بَكُوا عَلَيْكَ، وَقَالُوا: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلَا تَكُنْ مِنَ الَّذِينَ يُقَالُ عِنْدَ مَوْتِهِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ رَأْسَ الْعَقْلِ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُدَارَاةُ النَّاسِ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُعَاشِرُ بِالْمَعْرُوفِ مَنْ لَا بُدَّ مِنْ مَعَاشَرَتِهِ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ إِلَى الْخُلَاصِ مِنْهُ سَبِيلًا، فَإِنِّي وَجَدْتُ جَمِيعَ مَا يَتَعَاشَرُ بِهِ النَّاسُ وَبِهِ يَتَعَاشَرُونَ مِلَّةً مَكِيَالٍ ثَلَاثَةً: اسْتِحْسَانًا، وَثُلُثُهُ تَعَاوُلٌ.

وَمَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنَ الْكَلَامِ وَلَا أَقْبَحَ مِنْهُ، بِالْكَلَامِ ابْيَضَّتْ الْوُجُوهُ، وَبِالْكَلَامِ اسْوَدَّتْ الْوُجُوهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْكَلَامَ فِي وَثَاقِكَ مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ، فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ فِي وَثَاقِهِ، فَاحْزَنْ لِسَانَكَ كَمَا تَخْزِنُ ذَهَبَكَ وَوَرَقَكَ، فَإِنَّ اللَّسَانَ كَلْبٌ عَقُورٌ، فَإِنْ أَنْتَ خَلَيْتَهُ عَقَرَ، وَرُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً، مِنْ سَبَبِ عِذَارِهِ قَادَهُ إِلَى كُلِّ

ص: ٢٠٩

كَرِيهَةٍ وَفَضِيحَةٍ، ثُمَّ لَمْ يَخْلَصْ مِنْ دَهْرِهِ إِلَّا عَلَى مَقْتٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَذَمٌّ مِنَ النَّاسِ.

قَدْ خَاطَرَ بِنَفْسِهِ مَنْ اسْتَغْنَى بِرَأْيِهِ، وَمَنْ اسْتَقْبَلَ وَجْهَ الْآرَاءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ الْخَطَا، مَنْ تَوَرَّطَ فِي الْأُمُورِ غَيْرَ نَازِلٍ فِي الْعَوَاقِبِ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِمُفْظِعَاتِ النَّوَائِبِ.

والتَّدْبِيرُ قَبْلَ الْعَمَلِ يُؤْمِنُكَ مِنَ النَّدَمِ، وَالْعَاقِلُ مَنْ وَعَظَتْهُ التَّجَارِبُ، وَفِي التَّجَارِبِ عِلْمٌ مُسْتَأْنَفٌ، وَفِي تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ عِلْمٌ جَوَاهِرِ الرِّجَالِ، الْإِيَّامُ تَهْتِكُ لَكَ عَنِ السَّرَائِرِ الْكَامِنَةِ. تَفْهَمُ وَصِيَّتِي هَذِهِ، وَلَا تَذْهَبَنَّ عَنْكَ صَفْحًا، فَإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَعُ.

اغْلَمْ يَا بُنَيَّ، أَنَّهُ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ حُسْنِ الْإِرْتِيَادِ، وَبَلَاغِكَ مِنَ الزَّادِ مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ، فَلَا تَحْمِلْ عَلَى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، فَيَكُونَ عَلَيْكَ ثِقْلًا فِي حَشْرِكَ وَنَشْرِكَ فِي الْقِيَامَةِ، فَيُبْسِ الزَّادُ إِلَى الْمَعَادِ الْعُدُونَ عَلَى الْعِبَادِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ مَهَالِكَ وَمَهَاوِيَّ وَجُسُورًا وَعَقِبَةً كَثُودًا، لَا مَحَالَةَ أَنْتَ هَابِطُهَا، وَأَنْ مَهْبِطُهَا إِمَّا عَلَى جَنَّةٍ أَوْ عَلَى نَارٍ، فَارْتَدَّ لِنَفْسِكَ قَبْلَ تَزْوِلِكَ إِيَّاهَا، وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ زَادَكَ إِلَى الْقِيَامَةِ فَيُؤَايِكَ بِهِ غَدًا حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَاعْتَنِمُهُ وَحَمَلُهُ، وَأَكْثِرْ مِنْ تَزَوُّدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلَا تَجِدُهُ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَتَّقِيَ لِتَحْمِيلِ زَادِكَ بِمَنْ لَا وَرَعَ لَهُ وَلَا أَمَانَةَ، فَيَكُونُ مِثْلَكَ مِثْلَ ظِمَّانٍ رَأَى سَرَابًا حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا، فَتَبْقَى فِي الْقِيَامَةِ مُنْقَطَعًا بِكَ».

وقال عليه السلام في هذه الوصية:

«يَا بُنَيَّ، الْبَغْيُ سَائِقٌ إِلَى الْحَيْنِ «١»، لَنْ يَهْلِكَ أَمْرٌ عَرَفَ قَدْرَهُ، مَنْ حَصَّنَ شَهْوَتَهُ صَانَ قَدْرَهُ، قِيَمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يُحْسِنُ، الْإِعْتِبَارُ يَفِيدُكَ الرَّشَادَ، أَشْرَفُ الْغِنَى تَرْكُ الْمُنَى، الْحِرْصُ فَقْرٌ حَاضِرٌ، الْمَوَدَّةُ قَرَابَةٌ مُسْتَفَادَةٌ، صَدِيقُكَ أَخُوكَ لِأَبِيكَ،

(١) الحَيْن: الهلاك و المحنة.

ص: ٢١٠

وَأَمَّكَ، وَلَيْسَ كُلُّ أَخٍ لَكَ مِنْ أَبِيكَ وَأَمَّكَ صَدِيقُكَ، لَا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقًا فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ، كَمْ مِنْ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْكَ مِنْ قَرِيبٍ، وَصَوْلٌ مُعْدِمٌ خَيْرٌ مِنْ مُثَرٍّ جَافٍ.

المَوْعِظَةُ كَهْفُ لِمَنْ وَعَاها، مَنْ مَنَّ بِمَعْرُوفِهِ أَفْسَدَهُ، مَنْ أَسَاءَ خُلُقُهُ عَذَّبَ نَفْسَهُ، وَكَانَتْ الْبَغْضَةُ أَوْلَى بِهِ.

لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ الْقَضَاءُ بِالظَّنِّ عَلَى التَّقَى، مَا أَقْبَحَ الْأَشْرَ عِنْدَ الظَّفَرِ، وَالْكَاتِبَةُ عِنْدَ النَّائِبَةِ الْمُعْضِلَةُ، وَالْقَسْوَةُ عَلَى الْجَارِ، وَالْخِلَافُ عَلَى الصَّاحِبِ، وَالْحِنْثُ مِنْ ذِي الْمُرْوَةِ، وَالْغَدْرُ مِنَ السُّلْطَانِ.

كُفِّرُ النَّعَمِ مُوقٌ «١»، وَمَجَالَسَةُ الْأَحْمَقِ شُوْمٌ، اعْرِفِ الْحَقَّ لِمَنْ عَرَفَهُ لَكَ، شَرِيفًا كَانَ أَوْ وَضِيعًا، مَنْ تَرَكَ الْقَصْدَ جَارًا، مَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ، كَمْ مِنْ دَنْفٍ قَدْ نَجَا، وَصَحِيحٍ قَدْ هَوَى، قَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِدْرَاكًا، وَالطَّمَعُ هَلَاكًا، اسْتَعْتَبَ مَنْ رَجَوْتَ عِتَابَهُ.

لَا تَبْتَئَنَّ مِنْ أَمْرٍ عَلَى غَدَرٍ، الْغَدْرُ شَرُّ لِبَاسِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ، مَنْ غَدَرَ مَا أَخْلَقَ أَلَّا يُوفَى لَهُ، الْفَسَادُ يُبِيرُ الْكَثِيرَ، وَالْإِقْتِصَادُ يَنْمِي الْيَسِيرَ.

مِنْ الْكَرَمِ الْوَفَاءُ بِالذِّمَمِ، مَنْ كَرُمَ سَادَ، وَمَنْ تَفَهَّمَ ارْتَدَّادَ.

أَمْحُضُ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ، وَسَاعِدُهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ مَا لَمْ يَحْمِلْكَ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ عِزُّهُ وَجَلُّهُ، زُلْ مَعَهُ حَيْثُ زَالَ، لَا تَصْرِمُ أَخَاكَ عَلَى ارْتِيَابٍ، وَلَا تَقْطَعُهُ دُونَ اسْتِغْنَابٍ، لَعَلَّ لَهُ عُذْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ، أَقْبِلْ مِنْ مُتَنَصِّلِ عُذْرِهِ فَتَنَالِكَ الشَّفَاعَةَ، وَأَكْرَمَ الَّذِي بِهِمْ تَصُولُ، وَازْدَدْ لَهُمْ طَوْلَ الصُّحْبَةِ بَرًّا وَإِكْرَامًا وَتَبْجِيلًا وَتَعْظِيمًا، فَلَيْسَ جَزَاءُ مَنْ عَظَّمَ شَأْنَكَ أَنْ تَضَعَ مِنْ قَدْرِهِ، وَلَا جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوءَهُ.

(١) الموق - بضم الميم -: الحُوق في غباوة، أى كفران النعمة من الحماقة.

ص: ٢١١

أَكْثَرَ الْبِرِّ مَا اسْتَطَعْتَ لِجَلِيسِكَ، فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ رَأَيْتَ رُشْدَهُ، مَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ ثَوْبُهُ اخْتَفَى عَنِ الْعُيُونِ عَيْبُهُ، مَنْ تَحَرَّى الْقَصْدَ خَفَّتْ عَلَيْهِ الْمُؤَنُّ، مَنْ لَمْ يُعْطِ نَفْسَهُ شَهْوَتَهَا أَصَابَ رُشْدَهُ.

مَعَ كُلِّ شِدَّةٍ رَخَاءٌ، وَمَعَ كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ، لَا تُنَالُ نِعْمَةً إِلَّا بَعْدَ أَدَى.

لِنْ لِمَنْ غَاظَكَ تَنْظُرَ بِطَلَبَتِكَ.

سَاعَاتُ الْهُمُومِ سَاعَاتُ الْكَفَّارَاتِ. وَالسَّاعَاتُ تُنْفِذُ عُمرَكَ.

لَا خَيْرَ فِي لَذَّةِ بَعْدِهَا النَّارُ، وَمَا خَيْرٌ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ، وَمَا شَرٌّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ، كُلُّ نَعِيمٍ دُونَ الْجَنَّةِ مُحَقَّقٌ، وَكُلُّ بَلَاءٍ دُونَ النَّارِ عَاقِبَةٌ.

لَا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالًا عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ، وَلَا يَكُونَنَّ أَخُوكَ عَلَى قَطِيعَتِكَ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى صَلَاتِهِ، وَلَا عَلَى الْإِسَاءَةِ إِلَيْكَ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ.

يَا بُنَى، إِذَا قَوَيْتَ فَاقَوْا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ عِزُّهُ وَجَلُّهُ، وَإِذَا ضَعُفْتَ فَاضْعُفْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ عِزُّهُ وَجَلُّهُ، وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا تَمْلِكَ الْمَرْأَةُ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا فَافْعَلْ، فَإِنَّهُ أَدْوَمُ لِجَمَالِهَا، وَأَرْخَى لِجَالِهَا، وَأَحْسَنُ لِحَالِهَا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رِيحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ، فَدَارِهَا عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَحْسِنِ الصُّحْبَةَ لَهَا، فَيَصْفُو عَيْشُكَ.

احْتَمِلْ الْقَضَاءَ بِالرِّضَا، وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَجْمَعَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَاقْطَعْ طَمَعَكَ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ».

هذا آخر وصيته عليه السلام لمحمد بن الحنفية. «١»

(١). من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٨٤ - ٣٩٢ ح ٥٨٣٤ و راجع: الخصال: ص ١٤٧، الاختصاص: ص ٢٢٩، تنبيه الخواطر: ج ٢ ص ٥٠٥، بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٤٨ و ج ٧١ ص ٨٦ و ٢٨٧ و ج ٧٢ ص ٣١٥ ج ٧٣ ص ٧٥ و ٣٩٧ و ج ٧٦ ص ٢٢٦ و ج ٧٧ ص ١٩٧ و ٣٩٦ و ج ٧٤ ص ١٧٥؛ العقد الفريد: ج ٣ ص ١٥٦.

٣٥ كتابه عليه السلام فى وصية ماله

السيد رحمه الله فى نهج البلاغة، قال: و من وصية له عليه السلام بما يعمل فى أمواله، كتبها بعد منصرفه من صفين:

«هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَالِهِ، ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ لِيُؤَلِّجَهُ بِهِ الْجَنَّةَ وَيُعْطِيَهُ بِهِ الْأَمَنَةَ.

منها: فَإِنَّهُ يَقُومُ بِذَلِكَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَأْكُلُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيُنْفِقُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ حَدَثَ بِحَسَنٍ حَدَثٌ وَحُسَيْنٌ حَقٌّ قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ، وَأَصْدَرَهُ مَصْدَرَهُ وَإِنْ لَابَنِي فَاطِمَةَ مِنْ صَدَقَةٍ عَلَى مِثْلِ الَّذِي لِبَنِي عَلِيٍّ، وَإِنِّي إِنَّمَا جَعَلْتُ الْقِيَامَ بِذَلِكَ إِلَى ابْنِي فَاطِمَةَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، وَقُرْبَةً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَتَكْرِيماً لِحُرْمَتِهِ، وَتَشْرِيفاً لِرُصْلَتِهِ، وَيَشْتَرِطُ عَلَى الَّذِي يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرَكَ الْمَالَ عَلَى أَصُولِهِ، وَيُنْفِقَ مِنْ ثَمَرِهِ حَيْثُ أُمِرَ بِهِ وَهُدِيَ لَهُ، وَأَلَّا يَبِيعَ مِنْ أَوْلَادِ نَخِيلِ هَذِهِ الْقُرَى وَدِيَّةً حَتَّى تُشَكَلَ أَرْضُهَا غِرَاساً، وَمَنْ كَانَ مِنْ إِمَائِي اللَّاتِي أَطُوفُ عَلَيْهِنَّ لَهَا وَلَدٌ أَوْ هِيَ حَامِلٌ فَتُمْسِكُ عَلَى وَلَدِهَا وَهِيَ مِنْ حَظِّهَا، فَإِنْ مَاتَ وَلَدُهَا وَهِيَ حَيَّةٌ فَهِيَ عَتِيقَةٌ قَدْ أَفْرَجَ عَنْهَا الرِّقُّ وَحَرَّرَهَا الْعَتَقُ»

«١».

[أقول: قال السيد رحمه الله بعد نقل الكتاب ما لفظه:]

قوله عليه السلام فى هذه الوصية:

«أَلَّا يَبِيعَ مِنْ نَخِيلِهَا وَدِيَّةً»

: الودية الفسيلة، و جمعها ودى. و قوله عليه السلام:

«حَتَّى تُشَكَلَ أَرْضُهَا غِرَاساً»

، هو من أفصح الكلام، و المراد به أن

(١). نهج البلاغة: الكتاب ٢٤، شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٤ ص ٤٠٥؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد:

ج ١٥ ص ١٤٦.

الأرض يكثر فيها غراس النخل حتى يراها الناظر على غير تلك الصفة التى عرفها بها، فيشكل عليه أمرها و يحسبها غيرها. انتهى.

[نقلت الوصية في كتب الأعلام من المحدثين و المؤرخين أطول مما ذكره السيد رحمه الله، فاختار منها السيد ما ذكره. «١»]

و هو دأبه في التهج، و سوف تأتي ببعض نصوصها.

و أمّا سند الوصية:

فقد رواها الكليني رحمه الله عن أبي عليّ الأشعريّ، عن مُحَمَّد بن عبد الجبار، و مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيلَ، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى، عن عبد الرحمن بن الحجاج، قال: بعثَ إليّ أبو الحسن موسى عليه السلام بوصية أمير المؤمنين عليه السلام. «٢»

و رواه الشيخ رحمه الله في التهذيب باسناده عن الحسين بن سعيد، عن صفوان، عن عبد الرحمن بن الحجاج، قال بعث إليّ بهذه الوصية أبو إبراهيم عليه السلام. «٣»

و رواها عبد الرزاق في المصنف، قال أخبرنا ابن جريج، قال: أخبرني عطاء أنه بلغه أن علياً كتب في عهده:

«إني تركتُ تسعَ عشرةَ سرّيّة، فأيتهنّ ما كانت ذاتَ وَلَدٍ قُومَت بِحِصَّةٍ وَلَدَهَا بِمِثْلِهِ مِنِّي، وَأَيُّهُنَّ مَا لَمْ تَكُنْ ذاتَ وَلَدٍ فَهِيَ حُرَّةٌ».

(١) راجع: الكافي: ج ٧ ص ٤٩ ح ٧، تهذيب الأحكام: ج ٩ ص ١٤٦ ح ٦٠٨، مسند زيد بن عليّ: ص ٣٧٨، دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٣٣٩، المناقب لابن شهر آشوب: ج ٢ ص ١٢٣، بحار الأنوار: ج ٤١ ص ٤٠؛ السنن الكبرى:

ج ٦ ص ١٦١، المصنّف لعبد الرزاق: ج ٧ ص ٢٢٨، الكامل للمبرّد: ج ٢ ص ١٣١، وفاء الوفاء: ج ٤ ص ١٣٧١، كنز العمال: ج ١٠ ص ٢١٦ ح ١٦٦٢.

(٢). الكافي: ج ٧ ص ٤٩ ح ٧.

(٣). تهذيب الأحكام: ج ٩ ص ١٤٦ ح ٦٠٨.

ص: ٢١٤

قال: فسألت محمّد بن عليّ بن حسين الأكبر، أ ذلك في عهد عليّ؟ قال: نعم.

عبد الرزاق، عن ابن عُيَيْنَةَ، عن عمرو بن دينار، قال: كتب عليّ في وصيته:

«فإن حدثَ بي حدٌّ في هذا الغزو، أمّا بعدُ؛ فإنّ ولائدي اللاتي أطوفُ عليهنّ تسعَ عشرةَ وليدة، مِنْهُنَّ أمّهاتُ أولادٍ مَعَهُنَّ أولادُهُنَّ، وَمِنْهُنَّ حُبَالَى، وَمِنْهُنَّ مَنْ لَا وَلَدَ لَهُنَّ، فَقَضَيْتُ: إن حدثَ بي حدٌّ في هذا الغزو فإنّ مَنْ كَانَتْ مِنْهُنَّ لَيْسَتْ بِحُبْلَى، وَلَيْسَ لَهَا وَلَدٌ، فَهِيَ عَتِيقَةٌ لَوَجْهِ اللَّهِ، لَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَيْهَا سَبِيلٌ، وَمَنْ كَانَتْ مِنْهُنَّ حُبْلَى، أَوْ لَهَا وَلَدٌ، فَإِنَّهَا تُحْبَسُ عَلَى

وَلَدَهَا وَهِيَ مِنْ حَظِّهِ، فَإِنْ مَاتَ وَلَدُهَا وَهِيَ حَيَّةٌ فَإِنَّهَا عَتِيقَةٌ لَوَجْهِ اللَّهِ. هَذَا مَا قَضَيْتُ فِي وَلَائِدِي التَّسْعَ عَشْرَةَ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، شَهِدَ هَيَّاجُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ، وَكَتَبَ فِي جُمَادَى سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ».

«١»

[صورة مفصلة من الوصية على رواية الكليني رحمه الله:]

أَبُو عَلِيٍّ الْأَشْعَرِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ وَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَجَّاجِ، فَقَالَ بَعَثَ إِلَيَّ أَبُو الْحَسَنِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِوَصِيَّةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهِيَ:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ وَقَضَى بِهِ فِي مَالِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ، ابْنِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، لِیُولِجَنِي بِهِ الْجَنَّةَ، وَيَصْرِفَنِي بِهِ عَنِ النَّارِ، وَيَصْرِفَ النَّارَ عَنِّي يَوْمَ تَبْيِضُ وُجُوهٌُ وَتَسْوَدُ وُجُوهٌُ.

أَنَّ مَا كَانَ لِي مِنْ مَالٍ يَبْنَعُ يُعْرِفُ لِي فِيهَا وَمَا حَوْلَهَا صَدَقَةٌ وَرَقِيقَةٌ، غَيْرَ أَنَّ رَبَّاحًا وَأَبَا نِيزَرَ وَجُبَيْرًا عُنَقَاءُ، لَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَيْهِمْ سَبِيلٌ، فَهُمْ مَوَالِيٌّ يَعْمَلُونَ فِي

(١). المصنّف لعبد الرزّاق: ج ٧ ص ٢٨٨ الرقم ١٣٢١٢ و ١٣٢١٣.

ص: ٢١٥

الْمَالِ خَمْسَ حِجَجٍ، وَفِيهِ نَفَقَتُهُمْ، وَرَزَقُهُمْ وَأَرْزَاقُ أَهْلِيهِمْ، وَمَعَ ذَلِكَ مَا كَانَ لِي بِوَادِي الْقُرَى كُلِّهِ مِنْ مَالٍ لِبَنِي فَاطِمَةَ، وَرَقِيقَتُهَا صَدَقَةٌ، وَمَا كَانَ لِي بِدَيْمَةٍ وَأَهْلِهَا صَدَقَةٌ، غَيْرَ أَنَّ زُرَيْقًا لَهُ مِثْلُ مَا كَتَبْتُ لِأَصْحَابِهِ، وَمَا كَانَ لِي بِأُذَيْنَةٍ وَأَهْلِهَا صَدَقَةٌ، وَالْفَقِيرَيْنِ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ صَدَقَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنَّ الَّذِي كَتَبْتُ مِنْ أَمْوَالِي هَذِهِ صَدَقَةٌ وَاجِبَةٌ، بَتْلَةً حَيًّا أَنَا أَوْ مَيِّتًا، يُنْفَقُ فِي كُلِّ نَفَقَةٍ يُبْتَغَى بِهَا وَجْهُ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَوَجْهَهُ وَذَوِي الرَّحِمِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَبَنِي الْمُطَّلِبِ، وَالْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، فَإِنَّهُ يَقُومُ عَلَى ذَلِكَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَأْكُلُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيُنْفِقُهُ حَيْثُ يَرَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي حِلٍّ مُحَلَّلٍ لَا حَرَجَ عَلَيْهِ فِيهِ، فَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَبِيعَ نَصِيبًا مِنَ الْمَالِ فَيَقْضِيَ بِهِ الدَّيْنَ فَلْيَفْعَلْ إِنْ شَاءَ، وَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ فِيهِ إِنْ شَاءَ جَعَلَهُ سَرَى الْمَلِكِ، وَإِنْ وُلِدَ عَلِيٌّ وَمَوَالِيَهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَإِنْ كَانَتْ دَارُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ غَيْرَ دَارِ الصَّدَقَةِ فَبَدَأْ لَهُ أَنْ يَبِيعَهَا فَلْيَبِيعْ إِنْ شَاءَ، لَا حَرَجَ عَلَيْهِ فِيهِ، وَإِنْ بَاعَ فَإِنَّهُ يَقْسِمُ ثَمَنَهَا ثَلَاثَةً أَثْلَاثٍ:

فَيَجْعَلُ ثُلُثًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَثُلُثًا فِي بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ، وَيَجْعَلُ الثُّلُثَ فِي آلِ أَبِي طَالِبٍ، وَإِنَّهُ يَضَعُهُ فِيهِمْ حَيْثُ يَرَاهُ اللَّهُ.

وَإِنْ حَدَّثَ بِحَسَنِ حَدَّثَ وَحُسَيْنٌ حَيٌّ، فَإِنَّهُ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَإِنْ حُسَيْنًا يَفْعَلُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي أَمَرْتُ بِهِ حَسَنًا، لَهُ مِثْلُ الَّذِي كَتَبْتُ لِلْحَسَنِ، وَعَلَيْهِ مِثْلُ عَلَى الْحَسَنِ.

وإن لبني (ابن) فاطمة من صدقة علي مثل الذي لبني علي، وإني إنما جعلت الذي جعلت لبني فاطمة ابتغاء وجه الله عز وجل، وتكريم حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله، وتعظيمهما، وتشريفهما، ورضاهما.

وإن حدث بحسن وحسين حدث، فإن الآخر منهما ينظر في بني علي، فإن وجد فيهم من يرضى بهداه وإسلامه وأمانته فإنه يجعله إليه إن شاء، وإن لم يرض فيهم

ص: ٢١٦

بعض الذي يريده فإنه يجعله إلى رجل من آل أبي طالب يرضى به، فإن وجد آل أبي طالب قد ذهب كبراًؤهم وذوؤ آرائهم، فإنه يجعله إلى رجل يرضاه من بني هاشم، وإنه يشترط على الذي يجعله إليه، أن يترك المال على أصوله، ويُنفق ثمره حيث أمرته به من سبيل الله، ووجهه، وذو الرّحم من بني هاشم وبني المطلب، والقريب والبعيد، لا يباع منه شيء، ولا يوهب، ولا يورث.

وإن مال محمد بن علي نأحيته، وهو إلى ابني فاطمة، وإن رقيق الذين في صحيفة صغيرة التي كتبت لي عُتقاء، هذا ما قضى به علي بن أبي طالب في أمواله هذه، الغد، من يوم قدم مسكن ابتغاء وجه الله، والدار الآخرة، والله المستعان على كل حال.

ولا يحل لأمرئ مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقول في شيء قضيته من مالي، ولا يخالف فيه أمر من قريب أو بعيد.

أما بعد، فإن ولائدي اللائي أطوف عليهن السبعة عشر «١»، منهن أمهات أولاد معهن أولادهن، ومنهن حبالى، ومنهن من لا ولد له، فقضى فيهن إن حدث بي حدث، أنه من كان منهن ليس لها ولد وليست بحبالى فهي عتيق لوجه الله عز وجل، ليس لأحد عليهن سبيل، ومن كان منهن لها ولد أو حبالى فتمسك على ولدها وهي من حظه، فإن مات ولدها وهي حية فهي عتيق، ليس لأحد عليهن سبيل.

هذا ما قضى به علي في ماله، الغد من يوم قدم مسكن، شهد أبو شمربن أبرهة، وصعصعة بن صوحان، ويزيد بن قيس، وهياج بن أبي هياج، كتب علي بن أبي طالب بيده لعشر خلون من جمادى الاولى، سنة سبع وثلاثين.

«٢»

(١) هكذا في المصدر، و الصحيح: السبع عشرة.

(٢). الكافي: ج ٧ ص ٤٩ ح ٧، تهذيب الأحكام: ج ٩ ص ١٤٦ ح ٤٠٨، بحار الأنوار: ج ٤١ ص ٤٠ ح ١٩.

ص: ٢١٧

[و كانت الوصية الاخرى مع الاولى:]

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، أَوْصَى أَنَّهُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ...

إلى آخر ما نقله المصنف رحمه الله في معادن الحكمة. «١»

[صورة ثالثة من الوصية على رواية دعائم الإسلام:]

و عن علي عليه السلام أنه أوصى بأوقاف أوقفها من أمواله، ذكرها في كتاب وصيته. كان فيما ذكره منها:

«هذا ما أوصى به وقفاً، فقصي في ماله علي بن أبي طالب ابتغاء وجه الله، لئولجني الله به الجنة، ويصرفني عن النار، ويصرف النار عني يوم تبيض وجوه، وتسود وجوه.

ما كان لي ينبع من مال، ويعرف لي منها وما حولها صدقة ورقيقها. غير أن رياحاً، وأبا بيزر، وحبتراً عتقاء ليس لأحد عليهم سبيل، وهم موالى يعملون في المال خمس حجج، وفيه نفقتهم ورزقهم ورزق أهليهم، ومع ذلك ما كان لي بوادي القرى ثلثه مال بني فاطمة، ورقيقها صدقة، وما كان لي ببرقة وأهلها صدقة.

غير أن زريقاً له مثل ما كتبت لأصحابه. وما كان لي بأذينة وأهلها صدقة، والذي كتبت من أموال هذه صدقة واجبة بتلة، حتى أنا أو ميت، تنفق في كل نفقة يبتغي بها وجه الله، وفي سبيل الله وجهه، وذوي الرحم من بني هاشم وبني

(١). الكافي: ج ٧ ص ٥١ ح ٧، تهذيب الأحكام: ج ٩ ص ١٧٧ ح ٧١٤، بحار الأنوار: ج ٤٢ ص ٢٤٨ ح ٥١، معادن الحكمة: ج ١ ص ٣٦٧.

ص: ٢١٨

عبدالمطلب، والقريب والبعيد، وأنه يقوم على ذلك الحسن بن علي عليه السلام، يأكل منه بالمعروف، ويُنفقه حيث يريه الله في حلٍّ مُحَلَّلٍ لا حَرَجَ عَلَيْهِ فِيهِ.

وإن أراد أن يبذل مالاً من الصدقة مكان مال فإنه يفعل ذلك لا حَرَجَ عَلَيْهِ فِيهِ، وإن أراد أن يبيع نصيباً من المال فيقتضي به الدين فعل إن شاء، ولا حَرَجَ عَلَيْهِ فِيهِ.

وإن ولد علي ومالههم إلى الحسن بن علي، وإن كانت دار الحسن بن علي داراً غير دار الصدقة، فبدا له أن يبيعها فليبيع إن شاء ولا حَرَجَ عَلَيْهِ فِيهِ، فإن باع فتمنأ ثلاثة أثلاث، يجعل ثلثاً في سبيل الله، وثلثاً في بني هاشم، وثلثاً في آل أبي طالب، يضعه فيه حيث يريه الله.

وإن حدث بالحسن حدث والحسين حي فإنه إلى الحسين بن علي، وإن حسين بن علي يفعل فيه مثل الذي أمرت حسناً، وله مثل الذي كتبت للحسن، وعليه مثل الذي على حسن.

وإنَّ الَّذِي لَبِنِي فَاطِمَةَ مِنْ صَدَقَةٍ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِثْلَ الَّذِي لَبِنِي عَلَيٌّ، وَإِنِّي إِنَّمَا جَعَلْتُ الَّذِي جَعَلْتُ إِلَى بَنِي فَاطِمَةَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ثُمَّ لِكَرِيمِ حُرْمَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَتَعْظِيمًا، وَتَشْرِيفًا، وَرِضًا بِهِمَا، فَإِنْ حَدَّثَ بِالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ حَدَّثُ فَإِنْ وَلَدَ الْآخِرَ مِنْهُمَا يَنْظُرُ فِي ذَلِكَ، وَإِنْ رَأَى أَنْ يُؤَلِّقَهُ غَيْرُهُ نَظَرَ فِي بَنِي عَلِيٍّ فَإِنْ وَجَدَ فِيهِمْ مَنْ يَرْضَى دِينَهُ وَإِسْلَامَهُ وَأَمَانَتَهُ جَعَلَهُ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ، وَإِنْ لَمْ يَرَ فِيهِمْ الَّذِي يُرِيدُهُ فَإِنَّهُ يَجْعَلُهُ إِنْ شَاءَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ آلِ أَبِي طَالِبٍ يَرْضَاهُ، فَإِنْ وَجَدَ آلَ أَبِي طَالِبٍ يَوْمَنَدٍ قَدْ ذَهَبَ أَكَابِرُهُمْ، وَذَوُو آرَائِهِمْ وَأَسْنَانِهِمْ، فَإِنَّهُ يَجْعَلُهُ إِنْ شَاءَ إِلَى رَجُلٍ يَرْضَى حَالَهُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَيَشْتَرِطُ عَلَى الَّذِي يَجْعَلُ ذَلِكَ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرَكَ الْمَالَ عَلَى أَصْلِهِ، وَيُنْفِقَ ثَمَرَتَهُ حَيْثُ أَمَرَتْهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عِزٍّ وَجَلٍّ وَوُجُوهِهِ، وَذَوَى الرَّحِمِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَالْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، لَا يُبَاعُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَلَا يُوهَبُ وَلَا يُورَثُ، وَإِنْ مَالَ

ص: ٢١٩

مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى نَاحِيَّتِهِ إِلَى بَنِي فَاطِمَةَ، وَكَذَلِكَ مَالَ فَاطِمَةَ إِلَى بَنِيهَا.

و ذكر باقي الوصية. «١»

٣٦ وصية له عليه السلام لعسكره بصفين

سنح بخاطري أن اتبعها بوصيته عليه السلام لجنده:

١. قال نصر: عمر بن سعد، وحدثني رجل عن عبد الله بن جندب، عن أبيه، أن عليًا عليه السلام كان يأمرنا في كل موطن لقينا معه عدوه يقول:

«لَا تُقَاتِلُوا الْقَوْمَ حَتَّى يَبْدُوَكُمْ، فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى حُجَّةٍ، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدُوَكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا قَاتَلْتُمُوهُمْ فَهَزِمْتُمُوهُمْ، فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِرًا، وَلَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ، وَلَا تَكْشِفُوا عَوْرَةً، وَلَا تُمَثِّلُوا بِقَتِيلٍ، فَإِذَا وَصَلْتُمْ إِلَى رِجَالِ الْقَوْمِ فَلَا تَهْتِكُوا سِتْرًا، وَلَا تَدْخُلُوا دَارًا إِلَّا بِإِذْنِي، وَلَا تَأْخُذُوا شَيْئًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مَا وَجَدْتُمْ فِي عَسْكَرِهِمْ، وَلَا تُهَيِّجُوا امْرَأَةً بِأَذَى، وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ، وَتَنَاولْنَ أَمْرَاءَكُمْ وَصُلَحَاءَكُمْ، فَإِنَّهُنَّ ضِعَافُ الْقَوَى وَالْأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ، وَلَقَدْ كُنَّا وَإِنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ، وَإِنَّهُنَّ لَمْشَرِكَاتٌ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلَ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالْهَرَاوَةِ أَوْ الْحَدِيدِ، فَيُعِيرُ بِهَا عَقِبَهُ مِنْ بَعْدِهِ»

«٢»

(١). دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٣٤١ ح ١٢٨٤، مستدرک الوسائل: ج ١٤ ص ٥٢ ح ١٦٠٨٦ و راجع: تاريخ مدينة دمشق: ج ١ ص ٢٢٥ - ٢٢٨.

(٢). وقعة صفين: ص ٢٠٣، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٤٦١ ح ٦٧٧ و راجع: الكافي: ج ٥ ص ٣٨ ح ٣: مروج الذهب:

ج ٢ ص ٣٧١، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٠، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٧٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٤ ص ٢٥.

٢. و عن الحَضْرَمِيِّ، قال: سمعتُ عليّاً عليه السلام حرّضَ في النَّاسِ في ثلاثة مواطنَ:

في يومِ الجَمَلِ، و يومِ صِفِّينَ، و يومِ النَّهْرَوَانِ، فقال:

«عِبَادَ اللَّهِ، اتَّقُوا اللَّهَ عِزَّ وَ جَلَّ، وَغُضُّوا الْأَبْصَارَ، وَاخْفِضُوا الْأَصْوَاتَ، وَأَقْلُوا الْكَلَامَ، وَوُطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الْمُنَازَلَةِ وَالْمُجَاوَلَةِ، وَالْمُبَارَزَةِ وَالْمُعَانَقَةِ وَالْمُكَادِمَةِ، وَابْتَتُوا «وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» «١»، «وَلَا تَنْزَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» «٢»، اللَّهُمَّ أَلْهِمَّهُمُ الصَّبْرَ، وَأَنْزِلْ عَلَيْهِمُ النَّصْرَ، وَأَعْظِمْ لَهُمُ الْأَجْرَ.»

«٣»

٣. [نص السيّد في النهج:]

و من وصيّة له عليه السلام لعسكره قبل لقاء العدوِّ بصفّين:

«لَا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدُووَكُمْ، فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى حُجَّةٍ، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدُووَكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِرًا، وَلَا تُصِيبُوا مُعُورًا، وَلَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ، وَلَا تَهَيِّجُوا النِّسَاءَ بِأَذَى، وَإِنْ شَتَمَنَ أَعْرَاضَكُمْ، وَسَبَّيْنِ أُمَرَاءَكُمْ، فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَالْأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ، إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ، وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرَكَاتٌ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفَهْرِ أَوْ الْهَرَاوَةِ، فَيُعِيرُ بِهَا وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ.» «٤»

٤. [نص المسعودي:]

(١) الأنفال: ٤٥.

(٢) الأنفال: ٤٦.

(٣). وقعة صِفِّينَ: ص ٢٠٤، و راجع: الكافي: ج ٥ ص ٣٨ ح ٢، الإرشاد: ج ١ ص ٢٦٥؛ مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٧١، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٥٦٦ ح ٤٧٠؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١١، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٧٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٤ ص ٢٦.

(٤). نهج البلاغة: الكتاب ١٤، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٤٥٨ ح ٦٧٤؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ١٠٤.

فقام عليّ رضي الله عنه في النَّاسِ خطيباً رافعاً صوته، فقال:

«يُهَا النَّاسُ، إِذَا هَزَمْتُمُوهُمْ فَلَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ، وَلَا تَقْتُلُوا أَسِيرًا، وَلَا تَتَّبِعُوا مُوَلِّيًّا، وَلَا تَطْلُبُوا مُدِيرًا، وَلَا تَكْشِفُوا عَوْرَةً، وَلَا تُمْتَلُوا بِقَتِيلٍ، وَلَا تَهْتِكُوا سِتْرًا، وَلَا تَقْرَبُوا شَيْئًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مَا تَجِدُونَهُ فِي عَسْكَرِهِمْ مِنْ سِلَاحٍ أَوْ كُرَاعٍ أَوْ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ مِيرَاثٌ لَوَرَّثْتَهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ»

. «١»

٥. وفي فروع الكافي باب ما كان يُوصى أمير المؤمنين عليه السلام به عند القتال:

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن بعض أصحابه، عن أبي حمزة، عن عَقِيلِ الْخُرَاعِيِّ، أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ إِذَا حَضَرَ الْحَرْبَ يُوصِي لِلْمُسْلِمِينَ بِكَلِمَاتٍ يَقُولُ:

«تَعَاهَدُوا الصَّلَاةَ، وَحَافِظُوا عَلَيْهَا وَاسْتَكْثَرُوا مِنْهَا، وَتَقَرَّبُوا بِهَا فَإِنَّهَا كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا، وَقَدْ عَلِمَ ذَلِكَ الْكُفَّارُ حِينَ سُئِلُوا «مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ؟» قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ» «٢»، وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا مَنْ طَرَقَهَا، وَأَكْرَمَ بِهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا يَسْغُلُهُمْ عَنْهَا زَيْنٌ مُتَاعٍ، وَلَا قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ مَالٍ وَلَا وَلَدٍ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَكَابِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ» «٣»، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُنْصِبًا لِنَفْسِهِ بَعْدَ الْبُشْرَى لَهُ بِالْجَنَّةِ مِنْ رَبِّهِ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَأَمْرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطِرْ عَلَيْهَا» «٤» ... الْآيَةُ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِهَا أَهْلَهُ، وَيُصَبِّرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ.

ثُمَّ إِنَّ الزُّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلَاةِ قُرْبَانًا لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَمَنْ لَمْ

(١). مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٧١.

(٢) المدثر: ٤٢ و ٤٣.

(٣) النور: ٣٧.

(٤) طه: ١٣٢.

ص: ٢٢٢

يُعْطِيهَا طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا يَرْجُو بِهَا مِنَ الثَّمَنِ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ، مَعْبُونُ الْأَجْرِ، ضَالُّ الْعُمُرِ، طَوِيلُ النَّدَمِ يَتْرِكُ أَمْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالرَّغْبَةَ عَمَّا عَلَيْهِ صَالِحُو عِبَادِ اللَّهِ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى» «١»، مِنَ الْأَمَانَةِ فَقَدْ خَسِرَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا، وَضَلَّ عَمَلُهُ، عُرِضَتْ عَلَى السَّمَاوَاتِ الْمَبْنِيَّةِ، وَالْأَرْضِ الْمِهَادِ، وَالْجِبَالِ الْمَنْصُوبَةِ، فَلَا أَطْوَلَ وَلَا أَعْرَضَ، وَلَا أَعْلَى وَلَا أَعْظَمَ، لَوْ امْتَنَعَنْ مِنْ طَوْلٍ أَوْ عَرْضٍ أَوْ عِظَمٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزَّةٍ امْتَنَعَنْ، وَلَكِنْ أَشْفَقَنْ مِنَ الْعُقُوبَةِ.

ثُمَّ إِنَّ الْجِهَادَ أَشْرَفُ الْأَعْمَالِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ قَوَامُ الدِّينِ، وَالْأَجْرُ فِيهِ عَظِيمٌ مَعَ الْعِزَّةِ وَالْمَنْعَةِ، وَهُوَ الْكِرَّةُ فِيهِ الْحَسَنَاتُ، وَالْبُشْرَى بِالْجَنَّةِ بَعْدَ الشَّهَادَةِ، وَبِالرِّزْقِ غَدًا عِنْدَ الرَّبِّ، وَالْكَرَامَةُ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ

اللَّهُ» «٢» الآية، ثُمَّ إِنَّ الرُّعْبَ والخَوْفَ من جِهَادِ المُسْتَحِقِّ لِلجِهَادِ، والمُتَوَازِينَ على الضَّلَالِ ضَالًّا في الدِّينِ، وسَلْبُ الدُّنْيَا مَعَ الدَّلِّ والصَّغَارِ، وفيهِ اسْتِيْجَابُ النَّارِ بِالْفِرَارِ مِنَ الرَّحْفِ عِنْدَ حَضْرَةِ الْقِتَالِ، يَقُولُ اللَّهُ عز و جل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُوَلُّوهُمْ الْأُدْبَارَ» «٣»، فَحَافِظُوا على أَمْرِ اللَّهِ عز و جل في هَذِهِ المَوَاطِنِ الَّتِي الصَّبْرُ عَلَيْهَا كَرَمٌ وسَعَادَةٌ وَنَجَاةٌ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ، مِنْ فَطِيْعِ الهَوْلِ والمَخَافَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ عز و جل لَا يَعْْبَأُ بِمَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ لِيَلْهُمُ وَنَهَارَهُمْ، لَطْفَ بهِ عِلْمًا، وَكُلُّ ذَلِكَ في كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى، فَاصْبِرُوا وَصَابِرُوا، وَاسْأَلُوا النَّصْرَ، وَوَطَّنُوا أَنْفُسَكُمْ على الْقِتَالِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ عز و جل، «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ

(١) النساء: ١١٥.

(٢) آل عمران: ١٦٩.

(٣) الأنفال: ١٥.

ص: ٢٢٣

مُحْسِنُونَ» «١»

. «٢»

٦. و في حديث مالك بن أَعْيَنَ، قال: حَرَضَ أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - النَّاسَ بِصِفَيْنِ، فقال:

«إِنَّ اللَّهَ عز و جل دَلَّكُمْ على تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ من عَذَابِ أَلِيمٍ، وَتُشْفِي بِكُمْ على الْخَيْرِ، الْإِيْمَانُ بِاللَّهِ، والجِهَادُ في سَبِيلِ اللَّهِ، وَجَعَلَ ثَوَابَهُ مَغْفِرَةً لِلذَّنْبِ، وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً في جَنَّاتِ عَدْنٍ، وقال عز و جل: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ في سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنِينَ مَرْصُوعِينَ» «٣»، فَسَوُّوا صُفُوفَكُمْ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوعِ، فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ، وَأَخْرُوا الْحَاسِرَ، وَعَضُّوا على النَّوَاجِذِ، فَإِنَّهُ أَنْبَأَ لِلْسِّيُوفِ على الْهَامِ، وَالتَّوَوَّا على أَطْرَافِ الرِّمَاحِ، فَإِنَّهُ أَمَرُ لِلْأَسِنَّةِ، وَغَضُّوا الْأَبْصَارَ، فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَأَشِ، وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ، وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ، فَإِنَّهُ أَطْرَدَ لِلْفُشْلِ، وَأَوَلَّى بِالْوَقَارِ، وَلَا تَمِيلُوا بِرَأْيَاتِكُمْ، وَلَا تُزِيلُوهَا، وَلَا تَجْعَلُوهَا، إِلَّا مَعَ شُجْعَانِكُمْ، فَإِنَّ الْمَانِعَ لِلذَّمَّارِ، وَالصَّابِرَ عِنْدَ نُزُولِ الْحَقَائِقِ، هُمْ أَهْلُ الْحِفَاطِ، وَلَا تَمَثَّلُوا بِقَتِيلٍ، وَإِذَا وَصَلْتُمْ إِلَى رِجَالِ الْقَوْمِ، فَلَا تَهْتِكُوا سِتْرًا، وَلَا تَدْخُلُوا دَارًا، وَلَا تَأْخُذُوا شَيْئًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مَا وَجَدْتُمْ في عَسْكَرِهِمْ، وَلَا تُهَيِّجُوا امْرَأَةً بِأَذَى، وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ، وَسَبَبْنَ أَمْراءَكُمْ وَصُلَحَاءَكُمْ، فَإِنَّهُنَّ ضِعَافُ الْقَوَى وَالْأَنْفُسُ وَالْعُقُولِ، وَقَدْ كُنَّا نُوَمِّرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ، وَهُنَّ مُشْرِكَاتٌ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فَيُعِيرُ بِهَا، وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ أَهْلَ الْحِفَاطِ، هُمْ الَّذِينَ يَحْفُوقُونَ بِرَأْيَاتِهِمْ، وَيَكْتَنِفُونَهَا، وَيَصِيرُونَ حِفَافِيهَا، وَوَرَاءَ هَا وَأَمَامَهَا، وَلَا يُضَيِّعُونَهَا، لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيَسْلُمُوهَا، وَلَا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفَرِّدُوهَا.

رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً وَاسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ، فَيَجْتَمِعَ قِرْنُهُ وَقِرْنُ أَخِيهِ، فَيَكْتَسِبَ بِذَلِكَ اللَّائِمَةَ وَيَأْتِيَ بِدَنَاءَةٍ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَهُوَ يُقَاتِلُ الْإِثْمَيْنِ، وَهَذَا مُمَسِّكٌ يَدُهُ قَدْ

(١) النحل: ١٢٨.

(٢). الكافي: ج ٥ ص ٣٦ ح ١، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٤٤٦ ح ٦٥٩ و راجع: نهج البلاغة: الخطبة ١٩٩؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠ ص ٢٠٢.

(٣) الصف: ٤.

ص: ٢٢٤

خَلَّى قَرْنَهُ عَلَى أَخِيهِ هَارِباً مِنْهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَهَذَا فَمَنْ يَفْعَلُهُ يَمُقُّهُ اللَّهُ، فَلَا تَعَرَّضُوا لِمَقْتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّمَا مَمَرُكُمْ إِلَى اللَّهِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَأْتُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا» (١)، وَإِنَّمَا اللَّهُ، لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سُيُوفِ الْعَاجِلَةِ لَا تَسْلَمُونَ مِنْ سُيُوفِ الْآجِلَةِ، فَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ، وَالصَّدْقِ، فَإِنَّمَا يَنْزِلُ النَّصْرُ بَعْدَ الصَّبْرِ، فَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»

. «٢»

٧. و قال عليه السلام:

«إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ جَوَلْتَكُمْ وَانْحِيَاكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ، تَحُوزُكُمْ الْجُفَاءُ وَالطُّغَاةُ وَأَعْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَنْتُمْ لَهَا مِيمُ الْعَرَبِ وَالسَّنَامِ الْأَعْظَمُ، وَعُمَارُ اللَّيْلِ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، دَعْوَةُ أَهْلِ الْحَقِّ إِذْ ضَلَّ الْخَاطِئُونَ، فَلَوْلَا إِقْبَالُكُمْ بَعْدَ إِذْ بَارَكُكُمْ، وَكَرُّكُمْ بَعْدَ انْحِيَاكُمْ، لَوَجِبَ عَلَيْكُمْ مَا يَجِبُ عَلَى الْمُؤَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ دُبْرَهُ، وَكُنْتُمْ فِيهِمَا أَرَى مِنَ الْهَالِكِينَ، وَلَقَدْ هَوَّنَ عَلَى بَعْضٍ وَجْدِي، وَشَفَى بَعْضَ حَاجِ صَدْرِي، إِذَا رَأَيْتُكُمْ حَزْتُمُوهُمْ كَمَا حَازُوكُمْ، فَأَزَلْتُمُوهُمْ عَنْ مَصَافِهِمْ كَمَا أَزَلُّوكُمْ، وَأَنْتُمْ تَضْرِبُونَهُمْ بِالسُّيُوفِ حَتَّى رَكِبَ أَوْلَاهُمْ آخِرَهُمْ كَالْإِبِلِ الْمَطْرُودَةِ الْهَيْمِ، الْآنَ فَاصْبِرُوا نَزَلَتْ عَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ، وَتَبَتَّكُمْ اللَّهُ بِالْيَقِينِ، وَلْيَعْلَمْ الْمُنْهَرِمُ بَأَنَّهُ مُسْخِطُ رَبِّهِ، وَمُوبِقُ نَفْسِهِ، إِنَّ فِي الْفِرَارِ مَوْجِدَةَ اللَّهِ، وَالذُّلَّ اللَّازِمَ، وَالْعَارَ الْبَاقِيَّ، وَفَسَادَ الْعَيْشِ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ فِي عُمْرِهِ، وَلَا مَحْجُوزٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَوْمِهِ، وَلَا يَرْضَى رَبُّهُ، وَلَمَوْتُ الرَّجُلِ مُحَقَّقٌ قَبْلَ إِتْيَانِ هَذِهِ الْخِصَالِ خَيْرٌ مِنَ الرِّضَا بِالتَّلْبِيسِ بِهَا، وَالْإِقْرَارِ عَلَيْهَا»

. «٣»

(١) الأحزاب: ١٦.

(٢). الكافي: ج ٥ ص ٣٩ ح ٤، وقعة صفين: ص ٢٣٥ نحوه، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٥٦٢ ح ٤٦٨ و راجع: الإرشاد:

ج ١ ص ٢٦٥، نهج البلاغة: الكتاب ١٢٤؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٦، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٧٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٥ ص ١٨٧، البداية و النهاية: ج ٧ ص ٢٦٣.

(٣). الكافي: ج ٥ ص ٤٠ ح ٤، وقعة صفين: ص ٢٥٦، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٤٧٢ ح ٤١١: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٥ ص ٢٠٤ كلها نحوه و راجع: نهج البلاغة: الكتاب ١٠٧، المعيار و الموازنة: ص ١٤٩.

ص: ٢٢٥

٨. و في كلام له آخر:

«وَإِذَا لَقِيتُمْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ غَدًا فَلَا تُقَاتِلُوهُمْ، حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ، فَإِذَا بَدَأُوا بِكُمْ فَأَنْهَدُوا إِلَيْهِمْ.

وَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ، وَعَضُّوا عَلَى الْأَضْرَاسِ، فَإِنَّهُ أَنْبَأُ لِلْسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ، وَغَضُّوا الْأَبْصَارَ، وَمَدُّوا جِبَاهَ الْخُيُولِ وَوُجُوهَ الرِّجَالِ، وَأَقْلَوْا الْكَلَامَ، فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَسْلِ، وَأَذْهَبَ بِالْوَهْلِ «١»، وَوَطَّنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الْمُبَارَزَةِ وَالْمُنَازَلَةِ وَالْمُجَادَلَةِ، وَانْتَبَتُوا، وَادْكُرُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَثِيرًا، فَإِنَّ الْمَانِعَ لِلذَّمَّارِ عِنْدَ نُزُولِ الْحَقَائِقِ، هُمْ أَهْلُ الْحِفَاطِ، الَّذِينَ يَحْفُونَ بِرَأْيَانِهِمْ، وَيَضْرِبُونَ حَاقِئَتِهَا وَأَمَامَهَا، وَإِذَا حَمَلْتُمْ فَأَفْعَلُوا فِعْلَ رَجُلٍ وَاحِدٍ.

وَعَلَيْكُمْ بِالتَّحَامِي، فَإِنَّ الْحَرْبَ سِجَالٌ لَا يَشْدُونَ عَلَيْكُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ، وَلَا حَمَلَةً بَعْدَ جَوْلَةٍ، وَمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ فَاقْبَلُوا مِنْهُ، وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ، فَإِنَّ بَعْدَ الصَّبْرِ النَّصْرَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ «إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» «٢»»

. «٣»

٩. قال نصر: حدَّثني رجلٌ عن مالك الجُهَنِيِّ، عن زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ، أَنَّ عَلِيًّا مَرَّ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ بِصَفِّينَ فِيهِمُ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ، وَهُمْ يَشْتَمُونَهُ وَيَقْصِبُونَهُ، فَأَخْبَرُوهُ بِذَلِكَ، فَوَقَّفَ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ:

«أَنْهَدُوا إِلَيْهِمْ، وَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ وَسَيِّمُوا الصَّالِحِينَ وَوَقَّارُوا الْإِسْلَامَ، وَاللَّهُ، لِأَقْرَبُ قَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَوْمٌ قَاتِدُهُمْ وَمُؤَدِّبُهُمْ مُعَاوِيَةُ، وَابْنُ النَّابِغَةِ، وَأَبُو الْأَعْوَرِ السَّلْمِيُّ، وَابْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، شَارِبُ الْحَرَامِ، وَالْمَجْلُودُ حَدًّا فِي الْإِسْلَامِ، وَهُمْ أَوْلَاءُ يَقُومُونَ فَيَقْصِبُونَنِي، وَيَشْتَمُونَنِي، وَقَبْلَ الْيَوْمِ مَا قَاتَلُونِي وَشْتَمُونَنِي، وَأَنَا إِذَا ذَاكَ أَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَهُمْ يَدْعُونَنِي إِلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَقَدِيمًا مَا عَادَانِي الْفَاسِقُونَ، إِنَّ هَذَا هُوَ الْخَطْبُ الْجَلِيلُ.

(١) الوَهْلُ بالتحريك، الْفَزَعُ. (لسان العرب ج ١١ ص ٧٣٧).

(٢) الأعراف: ١٢٨.

(٣). الكافي: ج ٥ ص ٤١ ح ٤، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٥٦٤ ح ٤٦٩.

ص: ٢٢٦

إِنَّ فُسَاقًا كَانُوا عِنْدَنَا غَيْرَ مَرْضِيَّينَ، وَعَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ مُتَخَوِّفِينَ، أَصْبَحُوا وَقَدْ خَدَعُوا شَطْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَأَشْرَبُوا قُلُوبَهُمْ حُبَّ الْفِتْنَةِ، فَاسْتَمَالُوا أَهْوَاءَ هُمْ بِالْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ، وَقَدْ نَصَبُوا لَنَا الْحَرْبَ، وَجَدُّوا فِي إطفَاءِ نُورِ اللَّهِ «وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَكَرِهَ الْكَافِرُونَ» «١».

اللَّهُمَّ فَإِنَّهُمْ قَدْ رَدُّوا الْحَقَّ، فَافْضُضْ جَمْعَهُمْ، وَشَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ، وَأَبْسِلْهُمْ بِخَطَايَاهُمْ؛ فَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعْزُّ مَنْ عَادَيْتَ»

. «٢»

[هذا بعض ما أورده المحدثون من كلمات سيّد المسلمين عليه السلام في هذا المضمار، وإن أردت الوقوف على أكثر من ذلك فراجع نهج البلاغة «٣»، والمستدرک:

كتاب الجهاد، ونهج السعادة «٤»، و عيون الأخبار لابن قتيبة «٥».

و في محاسن البيهقي نقل وصيّة أخرى له عليه السلام، قال: و يروى أَنَّ ابنَ عَبَّاسٍ رحمه الله، قال: عَقُمَ النِّسَاءُ أَنْ يَجْتَنَّ بِمِثْلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَا رَأَيْتَ مُحْرَبًا يُزَنُّ بِهِ لِرَأْيَتِهِ يَوْمَ صَفِّينَ، وَ عَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةٌ بَيْضَاءُ، وَ كَانَ عَيْنِيهِ سَرَجًا سَلِيطٌ «٦»، وَ هُوَ يَقِفُ عَلَى شِرْذِمَةٍ بَعْدَ شِرْذِمَةٍ مِنَ النَّاسِ، يَعْظُمُ وَيَحْضُضُ وَيُحْرَضُّهُمْ، حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، وَ أَنَا فِي كَنَفٍ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَ:

«مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، اسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ، وَأَكْمِلُوا الْأَمَّةَ، وَتَجَلَّبَبُوا بِالسَّكِينَةِ، وَغَضُّوا الْأَصْوَاتَ، وَالْحَطَّوَا الشَّرَرَ، وَاطْعَنُوا الْوَجَرَ، وَصَلُّوا السُّيُوفَ بِالْخَطَايَا وَالرِّمَاحَ بِالنَّبْلِ، فَإِنَّكُمْ

(١) الصف: ٨.

(٢). وقعة صفين: ص ٣٩١ و راجع: الإرشاد: ج ١ ص ٢٦٤، كتاب سليم بن قيس: ج ٢ ص ٨١١، بحار الأنوار:

ج ٣٢ ص ٦١٣، المعيار و الموازنة: ص ١٥٢؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٤٥.

(٣). نهج البلاغة: الخطبة ١١ و ٢٤ و ٦٤ و ١٠٥ و ١٢١ و ١٢٢ و الكتاب ١١ و ١٢ و ١٤ و ١٦.

(٤). نهج السعادة: ج ٢ ص ٣٣٣ و ٣٣٥ و ٣٣٧ و ٣٥٤.

(٥). عيون الأخبار لابن قتيبة: ج ١ ص ١١٠.

(٦) السليط ما يُضَاء به، و من هذا قيل للزيتِ سليط (لسان العرب).

ص: ٢٢٧

بَعَيْنِ اللَّهِ، وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، تُقَاتِلُونَ عَدُوَّ اللَّهِ، عَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ، وَالرُّوَاقِ الْمُطَنَّبِ، فَاضْرِبُوا تَبَجَّهُ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ رَاكِسٌ فِي كَسَرِهِ، مُفْتَرِشٌ ذِرَاعِيهِ، قَدْ قَدَّمَ لِلْوَتْبَةِ يَدًا، وَأَخَّرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلًا، فَصَمَدًا صَمَدًا حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ الْحَقُّ، وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ، وَاللَّهُ مَعَكُمْ، وَلَنْ يَتْرِكُمْ أَعْمَالَكُمْ»

«١».

٣٧ وصيته عليه السلام لمخنف بن سليم

«أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي سَرَائِرِ أَمْرِهِ، وَخَفِيَّاتِ عَمَلِهِ حَيْثُ لَا شَهِيدَ غَيْرُهُ، وَلَا وَكِيلَ دُونَهُ.

وَأَمْرُهُ أَلَّا يَعْمَلَ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فِيمَا ظَهَرَ فَيُخَالِفَ إِلَى غَيْرِهِ فِيمَا أَسْرَى، وَمَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرُّهُ وَعَلَانِيَتُهُ وَفِعْلُهُ وَمَقَالَتُهُ، فَقَدْ أَدَّى الْأَمَانَةَ، وَأَخْلَصَ الْعِبَادَةَ.

وَأَمْرُهُ أَلَّا يَجِبَهُمْ، وَلَا يَعْضَهُمْ» ٢»، وَلَا يَرْغَبَ عَنْهُمْ، تَفَضُّلاً بِالْإِمَارَةِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُمْ الْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ، وَالْأَعْوَانُ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْحُقُوقِ، وَإِنْ لَكَ فِي هَذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيباً مَفْرُوضاً، وَحَقّاً مَعْلُوماً، وَشُرَكَاءَ أَهْلِ مَسْكَنَةٍ، وَضِعْفَاءَ ذَوِي فَاقَةٍ، وَإِنَّا مُؤَفُّوكَ حَقَّكَ، فَوْقَهُمْ حُقُوقَهُمْ، وَإِلَّا تَفْعَلْ فَإِنَّكَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ خُصُوماً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَبُؤْسَى لِمَنْ خَصَمَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ وَالسَّائِلُونَ وَالْمَدْفُوعُونَ

(١). المحاسن و المساوي للبيهقي: ص ٤٥، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٢ ص ٤٦٠، كنز العمال: ج ١١ ص ٣٤٦ الرقم ٣١٧٥٠ وفي كلاهما نحوه مع الزيادة: خصائص الأئمة: ص ٧٥، تفسير فرات الكوفي: ص ٤٣١ الرقم ٥٦٩ كلاهما نحوه و راجع: بشارة المصطفى: ص ١٤١، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٦٠١ ح ٤٧٦؛ عيون الأخبار لابن قتيبة: ج ١ ص ١١٠، بهج الصباغة: ج ١٠ ص ١٧٠ و ١٧١.

(٢) عَضَهُ يَعْضُهُ: قَالَ فِيهِ مَا لَمْ يَكُنْ (لسان العرب ج ١٣ ص ٥١٥).

ص: ٢٢٨

وَالْغَارِمُونَ وَابْنُ السَّبِيلِ وَمَنْ اسْتَهَانَ بِالْأَمَانَةِ، وَرَتَعَ فِي الْخِيَانَةِ، وَلَمْ يُنْزِهِ نَفْسَهُ وَدِينَهُ عَنْهَا، فَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ الذُّلَّ وَالْخِزْيَ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَذَلُّ وَأَخْزَى، وَإِنَّ أَعْظَمَ الْخِيَانَةِ خِيَانَةُ الْأُمَّةِ، وَأَفْظَعَ الْغِشِّ غِشُّ الْأَيْمَةِ، وَالسَّلَامُ».

«١»

صورة ما نقله النعمان بن محمد:

قال: أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِخْنَفَ بْنَ سُلَيْمٍ عَلَى صَدَقَاتِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ، وَكَتَبَ لَهُ عَهْداً كَانَ فِيهِ:

«فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ طَاعِنَاتِنَا مِنْ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ، وَفِيمَا بَيْنَ الْكُوفَةِ وَأَرْضِ الشَّامِ، فَادَّعَى أَنَّهُ أَدَّى صَدَقَتَهُ إِلَى عُمَالِ الشَّامِ، وَهُوَ فِي حَوَازِنَا مَمْنُوعٌ قَدْ حَمَتُهُ خِيَلُنَا وَرِجَالُنَا، فَلَا تُجْزِلُهُ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ الْحَقُّ عَلَى مَا زَعَمَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَنْ يَنْزِلَ بِلَادَنَا، وَيُؤَدِّيَ صَدَقَةَ مَالِهِ إِلَى عَدُوِّنَا». «٢»

وعن علي عليه السلام أنه أوصى مخنف بن سليم الأزدي، وقد بعثه على الصدقة بوصية طويلة، أمره فيها بتقوى الله ربه في سرائر أموره وخفيات أعماله، وأن يلقاهاهم ببسط الوجه، ولين الجانب، وأمره أن يلزم التواضع، ويجتنب التكبر، فإن الله يرفع المتواضعين، ويضع المتكبرين، ثم قال له:

«يَا مِخْنَفُ بْنُ سُلَيْمٍ، إِنَّ لَكَ فِي هَذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيباً وَحَقّاً مَفْرُوضاً، وَلَكَ فِيهَا شُرَكَاءُ فَقَرَاءَ وَمَسَاكِينَ وَغَارِمِينَ وَمُجَاهِدِينَ وَأَبْنَاءَ سَبِيلٍ، وَمَمْلُوكِينَ وَمَتَأَلِّفِينَ.

وإِنَّا مُؤَفِّوكَ حَقَّكَ فَوْقَهُمْ حُقُوقَهُمْ، وَإِلَّا فَإِنَّكَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(١). نهج البلاغة: الكتاب ٢٦، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٥٢٨ ح ٧١٩ مع اختلاف يسير؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ١٥٨ الرقم ٢٦ وفيه «شاهد» بدل «شهيد».

(٢). دعائم الإسلام: ج ١ ص ٢٥٩، بحار الأنوار: ج ٩٦ ص ٧٠.

ص: ٢٢٩

خُصَمَاءَ، وَبُؤْساً لِمَرِيٍّ أَنْ يَكُونَ خَصْمُهُ مِثْلَ هَؤُلَاءِ».

«١»

[لَمَّا انْقَضَتْ حَرْبُ الْبَصْرَةِ وَرَجَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْكُوفَةِ، جَاءَ إِلَيْهِ عِدَّةٌ لَمْ يَشْهَدُوا الْحَرْبَ، وَكَانُوا يَعْتَزِدُونَ، فَنَظَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مِخْنَفِ بْنِ سُلَيْمٍ فَقَالَ:]

«لَكِنَّ مِخْنَفَ بْنَ سُلَيْمٍ وَقَوْمَهُ لَمْ يَتَخَلَّفُوا، وَلَمْ يَكُنْ مَتْلُهُمْ مِثْلَ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

«وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُبْتَغَى فَاِنْ أَصَبْتُمْ مِصْبِيَةً قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا* وَلَئِنْ أَصَبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ مِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلْبِسَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا» «٢»

. «٣»

أقول: فما ذكره الطبري و ابن الأثير من أن راية الأزد من أهل الكوفة كانت مع مخنف بن سليم فقتل، «٤» غير صحيح، لما تقدّم و يأتي من أنه بقي و شهد في حرب صفين ... «٥».

و لما كان إغارة النُّعْمَان بن بشير في ألف رجل إلى عين التَّمَر، و فيها مالِك بن كَعْب في ألف رجل مسلحة لعلّى، و كان مالِك قد أذن لأصحابه، فأتوا الكوفة و لم يبق معه إلّا مائة رجل، فلمّا سمع بالنُّعْمَان كتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام يخبره و يستمده ... و كتب مالِك إلى مِخْنَف بن سُلَيْم يستعينه، و هو قريب منه، و اقتتل مالِك و النُّعْمَان أشدّ قتال، فوجّه مِخْنَف ابنه عبد الرّحمن في خمسين رجلاً، فانتهوا إلى مالِك، و قد كسروا جفون سيوفهم و استقتلوا، فلمّا رأهم أهل الشّام

(١). دعائم الإسلام: ج ١ ص ٢٥٢، بحار الأنوار: ج ٩٦ ص ٨٥ ح ٧.

(٢) النساء: ٧٢-٧٣.

(٣). وقعة صفين: ص ٨؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ١٠٦.

(٤) راجع: تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٢١، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٤٣.

(٥) راجع: تهذيب التهذيب: ج ٥ ص ٣٧٥ الرقم ٧٧١٨، أسد الغابة: ج ٥ ص ١٢٢ الرقم ٤٨٠٤.

ص: ٢٣٠

انهزموا عند المساء و ظلّوا أنّ لهم مدداً. «١»

و صرّح الثَّقَفِيُّ بأنّ مِخْنَفاً كان على الصّدقة لعلّى عليه السلام. «٢»

قال نصر: قال عمر عن الحارث بن حصين عن أشياخ من الأزد: أنّ مِخْنَف بن سُلَيْم لما ندب أزد العراق إلى قتال أزد الشّام، حمد الله و أثنى عليه، (فقال: الحمد لله و الصّلاة على مُحَمَّدٍ رسوله ... «٣») ثمّ قال:

إنّ من الخطب الجليل و البلاء العظيم، أنّا صرفنا إلى قومنا، و صرفوا إلينا، فو الله، ما هي إلّا أيدينا تقطعها بأيدينا، و ما هي إلّا أجنتنا نحذفها بأسيافنا، فإن نحن لم نفعل لم ننصح صاحبنا، و لم نواس جماعتنا، و إن نحن فعلنا فعزّنا أبحنا، و نارنا أخمدا.

فقال جُنْدُب بن زُهَيْر: و الله، لو كنّا آباءهم ولدناهم، أو كنّا أبناءهم ولدونا، ثمّ خرجوا من جماعتنا، و طعنوا على إمامنا، و آزروا الظّالمين و الحاكمين بغير الحقّ على أهل ملّتنا و ذمتنا، ما افترقنا بعد أن اجتمعنا، حتّى يرجعوا عمّا هم عليه، و يدخلوا فيما ندعوهم إليه، أو تكثر القتلى بيننا و بينهم.

فقال مِخْنَف: أعزّبك الله في التّيه. أما و الله، ما علمتكَ صغيراً و لا كبيراً إلّا مشتوماً، و الله، ما ميّلنا الرّأى بين أمرين قطّ، أيّهما نأتى، و أيّهما ندع، في الجاهلية و لا بعد ما أسلمنا، إلّا اخترت أعسرهما و أنكدهما. اللهمّ فأنّ نعافى

(١). الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٤٢٥، و راجع: تاريخ الطبرى: ج ٥ ص ١٣٣، البداية و النهاية: ج ٧ ص ٣٢٠؛ الغارات: ج ٢ ص ٤٥٠.

(٢) راجع: الغارات: ج ٢ ص ٤٥٠، دعائم الإسلام: ج ١ ص ٢٥٢.

(٣). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ٥ ص ٢٠٩.

ص: ٢٣١

أحبُّ إلينا من أن نبتلى. فأعط كل رجل منا ما سألَكَ ... «١».

[لَمَّا وَقَعَتْ قِصَّةُ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ فِي الْبَصْرَةِ، وَ نَصَرَ بَنُو تَمِيمِ الْبَصْرَةَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ الْحَضْرَمِيِّ، وَ نَصَرَ الْأَزْدُ زِيَادًا، وَ قَامُوا دُونَهُ] فَقَالَ شَبَّثُ بْنُ رَبِيعٍ لَعَلَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ابْعَثْ إِلَى هَذَا الْحَيِّ مِنْ تَمِيمٍ، فَادْعُهُمْ إِلَى طَاعَتِكَ وَ لَزُومِ بَيْعَتِكَ، وَ لَا تَسَلِّطْ عَلَيْهِمْ أَزْدَ عِمَانَ الْبَعْدَاءِ الْبَغْضَاءِ، فَإِنَّ وَاحِدًا مِنْ قَوْمِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ عَشْرَةٍ مِنْ غَيْرِهِمْ.

فَقَالَ لَهُ مِخْنَفُ بْنُ سُلَيْمٍ الْأَزْدِيُّ: إِنَّ الْبَعِيدَ الْبَغِيضَ مِنْ عَصَى اللَّهِ، وَ خَالَفَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ هُمْ قَوْمُكَ، وَ إِنَّ الْحَبِيبَ الْقَرِيبَ مِنْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَ نَصَرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ هُمْ قَوْمِي، وَ أَحَدُهُمْ خَيْرٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ عَشْرَةٍ مِنْ قَوْمِكَ.

فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«مَهْ، تَنَاهَوْا أَيُّهَا النَّاسُ، وَلْيَرَدِّكُمْ الْإِسْلَامُ، وَوَقَارُهُ عَنِ التَّبَاغَى وَالتَّهَادَى.

«٢» ..

قَتَلَ مِخْنَفُ بْنُ سُلَيْمٍ فِي عَيْنِ الْوَرْدَةِ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَ سِتِينَ. «٣»

نَصَرَ عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنِ الْحَكَمِ قَالَ: لَمَّا هَرَبَ مِخْنَفُ بِالْمَالِ، قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«عَذَرْتُ الْقِرْدَانَ فَمَا بِأَلِ الْحَلَمِ؟

«٤» .. «٥»

(١). وقعة صفين: ص ٢٦٢؛ تاريخ الطبرى: ج ٥ ص ٢٦، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ٥ ص ٢٠٩ كلاهما نحوه.

(٢). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ٤ ص ٤٤؛ الغارات: ج ٢ ص ٣٩٤.

(٣) راجع: تهذيب التهذيب: ج ٥ ص ٣٧٥ الرقم ٧٧١٨.

(٤) القردان - بالضم -: جمع قُراد، و الحَلَمُ جنس منه صغار.

(٥). وقعة صفين: ص ١١، قاموس الرجال: ج ٨ ص ٤٥٨.

ص: ٢٣٢

و في معجم رجال الحديث: مِخْنَفُ بن سُلَيْمِ ابن خالة عائشة، عربى كوفى، عدّه الشَّيْخ من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، و عدّه البرقى من خواصّ أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام من اليمن. «١»

شَبَثُ بن رُبَيْعٍ التَّمِيمِيُّ

شَبَثُ بن رُبَيْعٍ التَّمِيمِيُّ اليربُوعى، أبو عبد القدّوس الكوفى أحد الوجوه المتلوّثة المشبوهة العجيبة فى التّاريخ الإسلامى.

كان مؤذناً لسجاح «٢»، ثمّ أسلم «٣»، و له دور فى فتنة عثمان «٤».

كان من أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فى عصره «٥»، و من امراء جيشه فى حرب صفين «٦». و أوفده الإمام إلى معاوية ليتحدّث معه «٧». بيد أنّه لحق بالخوارج بعد التّحكيم، و صار من امراء عسكرهم. «٨»

(١) راجع: معجم رجال الحديث: ج ١٨ ص ١٠٧ الرقم ١٢١٨١، رجال الطوسى: ص ٨١ الرقم ٨٠٨، رجال البرقى: ص ٦.

(٢) سجاح: هى امرأة ادّعت النبوة (المعارف لابن قتيبة: ص ٤٠٥).

(٣). تهذيب الكمال: ج ١٢ ص ٣٥٢ الرقم ٢٦٨٦، تهذيب التهذيب: ج ٢ ص ٤٧٣ الرقم ٣١٩٧، تاريخ الطبرى:

ج ٣ ص ٢٧٤.

(٤). تاريخ الطبرى: ج ٤ ص ٤٨٣، تهذيب التهذيب: ج ٢ ص ٤٧٣ الرقم ٣١٩٧.

(٥). تهذيب التهذيب: ج ٢ ص ٤٧٣ الرقم ٣١٩٧؛ رجال الطوسى: ص ٦٨ الرقم ٦٢٠.

(٦). وقعة صفين: ص ٢٠٥؛ تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٤٧، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٥٤١، الأخبار الطوال: ص ١٧٢.

(٧). وقعة صفين: ص ١٩٨؛ تاريخ الطبرى: ج ٥ ص ٥، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٣٦٧.

(٨). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٦٣، تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٤٤، تهذيب التهذيب: ج ٢ ص ٤٧٣ الرقم ٣١٩٧، مروج الذهب: ج ٢ ص ٤٠٥.

ص: ٢٣٣

ثمّ فارقهم بعد مدّة، و عاد إلى جيش الإمام عليه السلام «١»، و كان قائد ميسرته في النهروان «٢».

كتب الإمام الحسين عليه السلام بعد هلاك معاوية كسائر الكوفيّين، و دعاه إلى الكوفة «٣». ثمّ انضمّ إلى جماعة ابن زياد، و ثبتّ النَّاس عن مسلم بن عَقِيل عليه السلام «٤».

و كان ممّن قاتل مسلماً «٥».

و كان أحد القادة العسكريّين في جيش يزيد يوم الطَّفّ «٦». و بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام جدّد بناء مسجده بالكوفة؛ فرحاً بقتل الحسين «٧».

و عند ما ثار المختار نهض شَبَثَ أيضاً للنَّار بدم الحسين عليه السلام «٨». ثمّ اشترك مع مُصْعَب بن الزُّبَيْر ضدّ المختار «٩».

مات بالكوفة سنة ٨٠ هـ «١٠»

(١). سِيرَ أعلام النبلاء: ج ٤ ١٥٠ الرقم ٥١، تهذيب التهذيب: ج ٢ ص ٤٧٣ الرقم ٣١٩٧، ميزان الاعتدال: ج ٢ ص ٢٦١ الرقم ٣٦٥٤.

(٢). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٨٥، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٠٥، الأخبار الطوال: ص ٢١٠، الإمامة و السياسة: ج ١ ص ١٦٩.

(٣). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٣٥٣، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٥٣٤، الأخبار الطوال: ص ٢٢٩.

(٤). الإرشاد: ج ٢ ص ٥٢ و ٥٣؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٣٦٩، الأخبار الطوال: ص ٢٣٩.

(٥). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٣٨١.

(٦). الإرشاد: ج ٢ ص ٩٥، المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤ ص ٩٨؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٤٢٢، تهذيب التهذيب: ج ٢ ص ٤٧٣ الرقم ٣١٩٧.

(٧). الكافي: ج ٣ ص ٤٩٠ ح ٢، تهذيب الأحكام: ج ٣ ص ٢٥٠ ح ٦٨٧.

(٨). تقريب التهذيب: ج ٢٦٣ ص ٢٧٣٥.

(٩). الأخبار الطوال: ص ٣٠١، تقريب التهذيب: ج ٢٦٣ ص ٢٧٣٥، تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٤٤، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٦٦٦.

(١٠). تقريب التهذيب: ج ٢٦٣ ص ٢٧٣٥.

ص: ٢٣٤

٣٨ وصيته عليه السلام لمعقل بن قيس

من وصية له عليه السلام وصى بها معقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام في ثلاثة آلاف مقدمة له:

«اتَّقِ اللَّهَ الَّذِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ، وَلَا مُنْتَهَى لَكَ دُونَهُ، وَلَا تُقَاتِلَنَّ إِلَّا مَنْ قَاتَلَكَ، وَسِرِّ الْبُرْدَيْنِ، وَغَوِّرِ بِالنَّاسِ، وَرَقِّهِ فِي السَّيْرِ، وَلَا تَسِرْ أَوَّلَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ سَكَنًا وَقَدَرَهُ مُقَامًا لَا ظُغْنًا، فَأَرِحْ فِيهِ بَدَنَكَ، وَرَوِّحْ ظَهْرَكَ فَإِذَا وَقَفْتَ حِينَ يَنْبَطِحُ السَّحَرُ أَوْ حِينَ يَنْفَجِرُ الْفَجْرُ فَسِرْ عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ، فَإِذَا لَقِيتَ الْعَدُوَّ فَقِفْ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسَطًا، وَلَا تَدْنُ مِنَ الْقَوْمِ دُنُوًّا مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْسِبَ الْحَرْبَ، وَلَا تَبَاعِذْ عَنْهُمْ تَبَاعُذَ مَنْ يَهَابُ الْبَأْسَ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ شَنَاثُهُمْ (سبابهم) عَلَى قِتَالِهِمْ قَبْلَ دُعَائِهِمْ، وَالْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ».

«١»

[أقول: قال العلامة الآملي في الشرح: وصيته عليه السلام لمعقل على نسخة نصر، لا تتجاوز عن قوله:

«حِينَ يَنْبَطِحُ الْفَجْرُ فَسِرْ»

«٢»، كما قلناها عنه، و ذيلها كان من وصيته عليه السلام لمالك الأشتري، و قد رواها نصر أيضاً في صفين. «٣»

فاتَّضحَ أَنَّ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ مُلَفَّقَةٌ مِنْ وَصِيَّتَيْنِ، صَدَرَتْهُمَا مِنْ وَصِيَّتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَعْقِلٍ، وَ ذَيْلُهَا لِمَالِكٍ، وَ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ مَالٍ إِلَى أَنَّهَا وَصِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، قَالَهَا لِمَعْقِلٍ، وَ قَدْ عَلِمْتَ مَا فِيهِ. عَلَى أَنَّ إِسْقَاطَ بَعْضِ عِبَارَاتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَ تَلْفِيقَ بَعْضٍ آخَرَ إِلَى خُطْبَةٍ أَوْ

(١). نهج البلاغة: الكتاب ١٢، وقعة صفين: ص ١٤٨، شرح نهج البلاغة للبحراني: ج ٤ ص ٣٧٩، بحار الأنوار:

ج ٣٢ ص ٤٢٨؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ٢٠٨ كلها نحوه.

(٢). وقعة صفين: ص ١٤٩.

(٣). وقعة صفين: ص ١٥٣.

كتاب غير عزيز في النهج، وقد دريت أنه من عادة الرضى رحمه الله؛ لأن ما كان يهّمه التقاط الفصح من كلامه عليه السلام.

اللهم إلاً أن يقال: أنه ظفر برواية أخرى لا توافق ما في تاريخ أبي جعفر الطبري، و ما في صفين لنصر، و عدّ فيها جميع هذه الوصية وصية واحدة لمعقل، و لم نظفر بها.

و الذي يُسهّل الخطب أن يقال: أن أمير المؤمنين عليه السلام كتب مضموناً واحداً و دستوراً، فأرسله إلى أكثر من واحد من أمراء جيشه، فإن ما يجب أن ينتبه إليه أحدهم من شئون الحرب يجب أن ينتبه إليه الآخر أيضاً، غاية الأمر، إن نصراً لم ينقل وصيته عليه السلام لمعقل كاملة، و ذلك لأن ظاهر كلام الشريف الرضى رحمه الله يأبى أن يقال: إن هذه الوصية ملفقة من وصيتين، و هو رحمه الله أجلّ شأنًا من أن يسند وصيته عليه السلام لمالك، إلى أنها وصيته لمعقل و المواضع التي أسقط منها بعض كلامه عليه السلام، و لفق بعضه الآخر يغيّر المقام، فتأمل.

٣٩ وصية له عليه السلام إلى الإمام الحسن عليه السلام

[أخرج مصنف كتاب معادن الحكمة رحمه الله وصية أمير المؤمنين عليه السلام عند موته، عن السيد رحمه الله في نهج البلاغة، و عن الكافي، و تهذيب الأحكام، و توجد في الفقيه، و روضة الواعظين و غيرها «١»؛ و لكن نقل في البحار عن مجالس المفيد رحمه الله، و أمالي الشيخ رحمه الله الوصية بلفظ آخر، أحببنا نقله هنا لتتيمم الفائدة:]

(١). الكافي: ج ٧ ص ٥١ ح ٧، تهذيب الأحكام: ج ٩ ص ١٧٧، نهج البلاغة: الكتاب ٤٧، روضة الواعظين:

ص ١٥٢، بحار الأنوار: ج ٤٢ ص ٢٥٦ ح ٧٨؛ مقاتل الطالبين: ص ٥٢.

«هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب أخو محمد رسول الله، وابن عمه، ووصيته، وصاحبه، وأول وصيتي أني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله وخيرته، اختاره بعلمه، وارتضاه لخيرته، وأن الله باع من في القبور، وسائل الناس عن أعمالهم، وعالم بما في الصدور، ثم إنني أوصيك يا حسن - وكفى بك وصياً - بما أوصاني به رسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا كان ذلك يا بني فالزم بيتك، وابك على خطيئتك، ولا تكن الدنيا أكبر همك.

وأوصيك يا بني بالصلاة عند وقتها، والزكاة في أهلها عند محلها، والصمت عند الشبهة، والاقتصاد في العمل، والعدل في الرضا والغضب، وحسن الجوار، وإكرام الضيف، ورحمة المجهود وأصحاب البلاء، وصلة الرحم، وحب المساكين ومجالستهم والتواضع، فإنه من أفضل العبادات، وقصر الأمل، وذكر الموت، والزهد في الدنيا، فإنك رهن موت، وغرض بلاء، وطريح سقم.

وأوصيك بخشية الله في سرٍّ أمرِكَ وعَلَانِيَتِهِ، وأنْهَكَ عَنِ التَّسْرُعِ بالقول والفعل، وإذا عَرَضَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الآخِرَةِ فابدأ به، وإذا عَرَضَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَتَانَهُ تُصِيبُ رُشْدَكَ فِيهِ، وَإِيَّاكَ وَمَوَاطِنَ التُّهْمَةِ وَالْمَجْلِسَ الْمُظَنُّونَ بِهِ السُّوءَ، فَإِنَّ قَرِينَ السُّوءِ يُغَيِّرُ جَلِيسَهُ، وَكُنْ لِلَّهِ يَا بُنَيَّ عَامِلًا، وَعَنِ الْخَنَى «١» زَجُورًا، وبِالْمَعْرُوفِ أَمِيرًا، وَعَنِ الْمُنْكَرِ نَاهِيًا، ووَاحٍ الْإِخْوَانَ فِي اللَّهِ، وَأَحِبَّ الصَّالِحَ لِصَلَاحِهِ، وَدَارِ الْفَاسِقَ عَنِ دِينِكَ، وَأَبْغِضْهُ بِقَلْبِكَ، وَزَايِلْهُ بِأَعْمَالِكَ لئَلَّا تَكُونَ مِثْلَهُ.

وَإِيَّاكَ وَالْجُلُوسَ فِي الطَّرَقَاتِ، وَدَعِ الْمُمَارَاةَ وَمُجَارَاةَ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ وَلَا عِلْمَ، وَاقْتَصِدْ يَا بُنَيَّ فِي مَعِيشَتِكَ، وَاقْتَصِدْ فِي عِبَادَتِكَ، وَعَلَيْكَ فِيهَا بِالْأَمْرِ الدَّائِمِ الَّذِي تُطِيقُهُ، وَالزَّمِ الصَّمْتَ تَسْلَمَ، وَقَدِّمْ لِنَفْسِكَ تَغْنَمَ، وَتَعَلَّمِ الْخَيْرَ تَعْلَمَ، وَكُنْ لِلَّهِ ذَاكِرًا

(١) الخنى: الفحش في القول.

ص: ٢٣٧

عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَارْحَمْ مِنْ أَهْلِكَ الصَّغِيرَ، وَوَقِّرْ مِنْهُمْ الْكَبِيرَ، وَلَا تَأْكُلَنَّ طَعَامًا حَتَّى تَصَدَّقَ مِنْهُ قَبْلَ أَكْلِهِ.

وَعَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ زَكَاةُ الْبَدَنِ وَجَنَّةٌ لِأَهْلِهِ، وَجَاهِدْ نَفْسَكَ، وَاحْذَرْ جَلِيسَكَ، وَاجْتَنِبْ عَدُوَّكَ، وَعَلَيْكَ بِمَجَالِسِ الذِّكْرِ، وَأَكْثِرْ مِنَ الدُّعَاءِ، فَإِنِّي لَمْ آلِكَ يَا بُنَيَّ نُصْحًا، وَهَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ.

وَأَوْصِيكَ بِأَخِيكَ مُحَمَّدٍ خَيْرًا، فَإِنَّهُ شَقِيقُكَ وَابْنُ أَبِيكَ، وَقَدْ تَعَلَّمَ حُبِّي لَهُ.

وَأَمَّا أَخَوَا الْحُسَيْنِ، فَهُوَ ابْنُ أُمِّكَ، وَلَا أَزِيدُ الْوَصَاةَ بِذَلِكَ، وَاللَّهُ الْخَلِيفَةُ عَلَيْكُمْ، وَإِيَّاهُ أَسْأَلُ أَنْ يُصْلِحَكُمْ، وَأَنْ يَكْفِيَ الطُّغَاةَ الْبُغَاةَ عَنْكُمْ، وَالصَّبْرَ الصَّبْرَ حَتَّى يَتَوَلَّى اللَّهُ الْأَمْرَ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ»

«١».

[و نقل في البحار عن العدد القويّة وصيّة لأمر المؤمنين عليه السلام إلى ولده الحسن عليه السلام تشبه الملاحم.]

«كَيْفَ وَأَنْتَى بَكَ يَا بُنَيَّ إِذَا صِرْتَ فِي قَوْمٍ صَبِيْهِمْ غَاوٍ، وَشَابُّهُمْ فَاتِكٌ، وَشَيْخُهُمْ لَا يَأْمُرُ بِمَعْرُوفٍ، وَلَا يَنْهَى عَنْ مُنْكَرٍ، وَعَالِمُهُمْ خَبٌّ مَوَاهٍ مُسْتَحَوِذٌ عَلَيْهِ هَوَاهُ «٢»، مُتَمَسِّكٌ بِعَاجِلِ دُنْيَاهُ، أَشَدُّهُمْ عَلَيْكَ إِقْبَالًا يَرُصُّدُكَ بِالْغَوَائِلِ «٣».

وَيَطْلُبُ الْحَيْلَةَ بِالتَّمَنَّى، وَيَطْلُبُ الدُّنْيَا بِالْاجْتِهَادِ. خَوْفُهُمْ آجِلٌ، وَرَجَاؤُهُمْ عَاجِلٌ، لَا يَهَابُونَ إِلَّا مَنْ يَخَافُونَ لِسَانَهُ، وَيَرْجُونَ نَوَالَهُ، دِينُهُمُ الرِّبَاءُ، كُلُّ حَقٍّ عِنْدَهُمْ مَهْجُورٌ، وَيُحِبُّونَ مَنْ غَشَّاهُمْ، وَيَمْلُونَ مَنْ دَاهَنَهُمْ، قُلُوبُهُمْ خَاوِيَةٌ.

(١). الأمالى للمفيد: ص ٢٢١-٢٢٣ ح ١، الأمالى للطوسى: ص ٧ ح ٨، كشف الغمّة: ج ٢ ص ١٦١-١٦٣، بحار الأنوار: ج ٤٢ ص ٢٠٢.

(٢) الخب: الخداع. و موه الخبر: زوره عليه و زخرفه و لبسه، أو بلغه خلاف ما هو.

(٣) الغوائل: جمع غائلة، وهى الشر، والحق، والداهية.

ص: ٢٣٨

لا يسمعون دُعَاءً، ولا يُجيبون سائِلاً. قد استولت عليهم سَكْرَةُ الْعَفْلَةِ، إن تركتهم لا يتركون، وإن تابعتهم اغتالوك، إخوان الظَّاهِرِ، وأعداء السِّرِّ، يتصاحبون على غير تقوى، فإذا افرقوا ذمَّ بعضهم بعضاً. تموت فيهم السنن، وتحيى فيهم البدع، فأحمق الناس من أسف على فقدِهِم، أو سرَّ بكثرتِهِم.

فَكُنْ يا بُنَى، عِنْدَ ذَلِكَ كَابِنِ اللَّبُونِ «١» لا ظَهَرَ فِيرْكَبَ، ولا وَرَّ فَيُسَلَبَ، ولا ضَرَعَ فَيُحَلَبَ، فما طَلَبَكَ «٢» لِقَوْمٍ إن كنت عالماً أعابوك، وإن كنت جاهلاً لم يُرشدوك، وإن طلبت العلم قالوا: متكلف متعمق، وإن تركت طلب العلم قالوا: عاجز غبي، وإن تحققت لعبادة ربك قالوا: متصنع مُراءٍ.

وإن لزمت الصمت قالوا: ألكن، وإن نطقت قالوا: مهذار، وإن أنفقت قالوا:

مُسرف، وإن اقتصدت قالوا: بخيل، وإن احتججت إلى ما فى أيديهم صارموك وذموك، وإن لم تغتد بهم كفرؤك، فهذه صفة أهل زمانك، فأصغاك من فرغ من جورِهِم، وأمين من الطمع فيهِم، فهو مُقبل على شأنه، مُدارٍ لأهل زمانه.

ومن صفة العالم ألا يعطى إلّا من يقبل عطيته، ولا ينصح مُعجباً برأيه، ولا يخبر بما يخاف إذاعته، ولا تؤدع سرّك إلّا عند كل نقّة، ولا تلفظ إلّا بما يتعارفون «٣» به الناس، ولا تخاطبهم إلّا بما يعقلونه، فأحذر كلّ الحذر، وكُن فرداً وحيداً.

واعلم أن من نظر فى عيب نفسه شغل عن عيب غيره، ومن كابد الأمور عطب،

(١) اللبون - كصبور -: الناقة والشاة ذات اللبن غزيراً كان أم لا، و الجمع لبن -: بضم اللام و سكون الباء و قد تضم الباء للاتباع - و ابن اللبون ولد الناقة استكمل السنة الثانية و دخل فى الثالثة، و الأنثى بنت لبون، سمي بذلك لأن امه ولدت غيره فصار لها لبن، و جمع الذكور كالاناث بنات لبون، و الضرع - للحيوانات ذات الظلف أو الخف كالثدى للمرأة - معروف.

(٢) الطلاب - على زنة ضراب - مصدر لقولهم: طالبه مطالبة، أى طلب منه حقاً له عليه.

(٣) كذا فى المصدر، و الصحيح: «بما يتعارف».

ص: ٢٣٩

وَمَنْ اقْتَحَمَ اللَّجَجَ غَرِقَ، وَمَنْ أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ ضَلَّ، وَمَنْ اسْتَعْنَى بِعَقْلِهِ زَلَّ، وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى النَّاسِ ذَلَّ، وَمَنْ مَزَحَ اسْتُخِفَّ بِهِ، وَمَنْ كَثُرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ، وَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ خَطْوُهُ، وَمَنْ كَثُرَ خَطْوُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ قَلَّ دِينُهُ، وَمَنْ قَلَّ دِينُهُ مَاتَ قَلْبُهُ، وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ.

«١»

[روى الشيخ فى أماليه باسناده]

قال أوصى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام إلى الحسن بن على عليه السلام، فقال:

فيما أوصى به إليه:

«يا بُنَيَّ، لا فقرَ أشدَّ من الجهل، ولا عُدْمَ أَعْدَمَ من العقل، ولا وحْدَةً أوحشُ من العُجب، ولا حَسَبَ كَحُسْنِ الخُلُقِ، ولا ورَعَ كالكَفِّ عَن محارِمِ اللَّهِ، ولا عِبَادَةً كالتفكُّرِ فى صُنْعَةِ اللَّهِ عز و جل.

يا بُنَيَّ، العقلُ خليلُ المرءِ، والحلمُ وزيرُهُ، والرفقُ والدُهُ، والصبرُ من خيرِ جُنودِهِ.

يا بُنَيَّ، إِنَّه لا بُدَّ للعاقلِ من أنْ يَنْظُرَ فى شأنِهِ، فَلْيَحْفَظْ لِسَانَهُ، وَلْيَعْرِفْ أَهْلَ زَمَانِهِ.

يا بُنَيَّ، إِنَّ منَ البلاءِ الفاقةُ، وأشدُّ من ذلكَ مَرَضُ البدَنِ، وأشدُّ من ذلكَ مَرَضُ القلبِ، وإنَّ منَ النِّعمِ سِعَةُ المالِ، وأفضلُ من ذلكَ صِحَّةُ البدَنِ، وأفضلُ من ذلكَ تقوى القلوبِ.

يا بُنَيَّ، للمؤمنِ ثلاثُ ساعاتٍ: ساعةٌ يُناجى فيها رَبَّهُ، وساعةٌ يُحاسبُ فيها نَفْسَهُ، وساعةٌ يَخْلُو فيها بَيْنَ نَفْسِهِ وَلَذَّتِها فيما يَحِلُّ وَيَجْمَلُ؛ وليسَ للمؤمنِ بُدٌّ

(١). العدد القويّة: ص ٣٥٧ - ٣٥٩ ح ٢٢، بحار الأنوار: ج ٧٧ ص ٢٣٤ ح ٣ و راجع: نهج البلاغة: الحكمة ٣٤٩.

ص: ٢٤٠

مِنْ أَنْ يَكُونَ شاخِصاً فى ثلاثٍ: مَرَمَةٍ لِمَعاشٍ، أو خُطوةٍ لِمَعادٍ، أو لَذَّةٍ فى غَيْرِ مُحَرَّمٍ.

«١»

[و روى فى البحار] وصيّة له عليه السلام إلى السبط الأكبر الإمام الحسن المجتبى عليه السلام:

يا بُنَيَّ، إذا نَزَلَ بِكَ كَلْبُ الزَّمانِ «٢» وَقَحَطُ الدَّهْرِ، فَعَلَيْكَ بِذَوَى الْأُصولِ الثَّابِتَةِ، والفُرُوعِ النَّابِتَةِ، مِنْ أَهْلِ الرَّحْمَةِ والإِثَارِ وَالشَّفَقَةِ، فَإِنَّهُمْ أَقْضى لِلحاجاتِ، وَأَمْضى لِدَفْعِ المُلِمَّاتِ.

وإِيّاكَ وَطَلَبَ الفَضْلِ، واكِتِسابَ الطَّسائِبِ «٣» والقَرارِيطِ «٤»، مِنْ ذَوَى الْأَكُفِّ اليابِسةِ، والوُجُوهِ العابِسةِ، فَإِنَّهُمْ إِنْ أَعْطُوا مَتَّوا، وَإِنْ مَنَعُوا كَدُّوا «٥». ثُمَّ أَنشَأَ يَقولُ:

لَمْ يَزَلْ يَعْرِفُ الْغِنى وَالْيَساراً

واسأل العُرفَ إِنْ سَأَلْتَ كَرِماً

وسؤالُ اللّئيمِ يُورِثُ عاراً

فَسؤالُ الكَرِيمِ يُورِثُ عِزّاً

وَإِذَا لَمْ تَجِدْ مِنَ الذُّلِّ بُدًّا

فَالْقَ بِالذُّلِّ إِنْ لَقِيتَ الْكِبَارَ

لَيْسَ إِجْلَالُكَ الْكَبِيرَ بَعَارٍ

إِنَّمَا الْعَارُ أَنْ تُجِلَّ الصَّغَارُ «٦» .»

(١). الأُمالي للطوسي: ص ١٤٦ ح ٢٤٠، كشف الغمّة: ج ٢ ص ١٠ نحوه، بحار الأنوار: ج ٨٨ ح ١٣.

(٢) كَلْبُ الزَّمَانِ: شدته (الصّحاح).

(٣) الطّسّاسيج: جمع طسّوج، و هو جزء من أجزاء الدانق العملة المعروفة. (الصّحاح - طسج-).

(٤) القِرائِط: جمع القيراط، و هو نصف دانق. و عند اليونانيين القيراط: حبة خرنوب و نصف دانق. و الدرهم عندهم اثنتا عشرة حبة. و قيل: القيراط بمكة: ربع سدس دينار. و في العراق نصف عشره. و أهل الشّام يجعلونه جزءاً من أربعة و عشرين. و أصل القيراط: قراط - بالتشديد - فأبدل احد حرفي تضعيفه ياءً كما ابدلوا في دينار، و لذلك يجمع على قرائط، كما يجمع الدينار على دنائير.

(٥) أَكْدَيْتُ الرَّجُلَ عَنِ الشَّيْءِ رَدَدْتُهُ عَنْهُ.

(٦). أعلام الدين: ص ٢٧٤، بحار الأنوار: ج ٩٦ ص ١٥٩ ح ٣٨.

ص: ٢٤١

٤٠ وصيّة له عليه السلام إلى الإمام الحسين عليه السلام

[نقل ابن أبي شُعْبَةَ فِي تحف العقول:] وصيّته لابنه الحسين عليه السلام، و هي:

«يَا بُنَيَّ، أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَكَلِمَةِ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَالْقَصْدِ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَبِالْعَدْلِ عَلَى الصَّدِيقِ وَالْعَدُوِّ، وَبِالْعَمَلِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَالرِّضَا عَنِ اللَّهِ فِي الشَّدَةِ وَالرَّخَاءِ.

أَيُّ بُنَيَّ، مَا شَرُّ بَعْدِهِ الْجَنَّةُ بِشَرٍّ، وَلَا خَيْرٌ بَعْدَهُ النَّارُ بِخَيْرٍ، وَكُلُّ نَعِيمٍ دُونَ الْجَنَّةِ مُحَقَّقٌ، وَكُلُّ بَلَاءٍ دُونَ النَّارِ عَاقِبَةٌ.

وَأَعْلَمُ أَيُّ بُنَيَّ، أَنَّهُ مَنْ أَبْصَرَ عَيْبَ نَفْسِهِ شُغِلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ، وَمَنْ تَعَرَّى مِنْ لِبَاسِ التَّقْوَى لَمْ يَسْتَتِرْ بِشَيْءٍ مِنَ اللَّبَاسِ، وَمَنْ رَضِيَ بِقِسْمِ اللَّهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَهُ، وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ، وَمَنْ حَفَرَ بئراً لِأَخِيهِ وَقَعَ فِيهَا، وَمَنْ هَتَكَ حِجَابَ غَيْرِهِ انْكَشَفَتْ عَوْرَاتُ بَيْتِهِ، وَمَنْ نَسِيَ خَطِيئَتَهُ اسْتَظَمَّ خَطِيئَةَ غَيْرِهِ، وَمَنْ كَابَدَ الْأُمُورَ عَطَبَ، وَمَنْ اقْتَحَمَ الْغَمَرَاتِ غَرِقَ، وَمَنْ أَعْجَبَ بِرَأْيِهِ ضَلَّ، وَمَنْ اسْتَغْنَى بِعَقْلِهِ زَلَّ، وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى النَّاسِ ذَلَّ، وَمَنْ خَالَطَ الْعُلَمَاءَ وَفَّرَ، وَمَنْ خَالَطَ الْأَنْذَالَ حُقِّرَ، وَمَنْ سَفَهَ عَلَى النَّاسِ شَيْئاً، وَمَنْ دَخَلَ مَدَاحِلَ السَّوِّ اتُّهِمَ، وَمَنْ مَزَحَ اسْتُخِفَّ بِهِ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ، وَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ خَطْوُهُ، وَمَنْ كَثُرَ خَطْوُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ، وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ.

أَيُّ بُنَىٍّ، مَنْ نَظَرَ فِي عِيُوبِ النَّاسِ وَرَضِيَ لِنَفْسِهِ بِهَا فَذَاكَ الْأَحْمَقُ بَعِيْنُهُ، وَمَنْ تَفَكَّرَ اعْتَبَرَ، وَمَنْ اعْتَبَرَ اعْتَزَلَ، وَمَنْ اعْتَزَلَ سَلِمَ، وَمَنْ تَرَكَ الشَّهَوَاتِ كَانَ حُرًّا،

ص: ٢٤٢

وَمَنْ تَرَكَ الْحَسَدَ كَانَتْ لَهُ الْمَحَبَّةُ عِنْدَ النَّاسِ.

أَيُّ بُنَىٍّ، عِزُّ الْمُؤْمِنِ غِنَاهُ عَنِ النَّاسِ، وَالْفَنَاءَةُ مَالٌ لَا يَنْفَعُ، وَمَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَنْفَعُهُ.

أَيُّ بُنَىٍّ، الْعَجَبُ مِمَّنْ يَخَافُ الْعِقَابَ فَلَمْ يَكُفْ، وَرَجَا الثَّوَابَ فَلَمْ يَتُبْ وَيَعْمَلْ.

أَيُّ بُنَىٍّ، الْفِكْرَةُ تُورِثُ نُورًا، وَالْغَفْلَةُ ظُلْمَةً، وَالْجَهَالَةُ ضَلَالَةً، وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، وَالْأَدَبُ خَيْرُ مِيرَاثٍ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ خَيْرُ قَرِينٍ، لَيْسَ مَعَ قَطِيعَةٍ نَمَاءٌ، وَلَا مَعَ الْفُجُورِ غِنَى.

أَيُّ بُنَىٍّ، الْعَافِيَةُ عَشْرَةُ أَجْزَاءٍ: تِسْعَةٌ مِنْهَا فِي الصَّمْتِ، إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ، وَوَاحِدٌ فِي تَرْكِ مُجَالَسَةِ السُّفَهَاءِ.

أَيُّ بُنَىٍّ، مَنْ تَزَيَّا بِمَعَاصِي اللَّهِ فِي الْمَجَالِسِ أَوْرَثَهُ اللَّهُ ذُلًّا، وَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ عَلِمَ.

يَا بُنَىٍّ، رَأْسُ الْعِلْمِ الرَّفْقُ، وَأَفْتُهُ الْخُرْقُ «١»، وَمِنْ كُنُوزِ الْإِيمَانِ الصَّبْرُ عَلَى الْمَصَائِبِ، وَالْعَفَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ، وَالشُّكْرُ زِينَةُ الْغِنَى، كَثْرَةُ الزِّيَارَةِ تُورِثُ الْمَلَالََةَ، وَالطَّمَأْنِينَةُ قَبْلُ الْخُبْرَةِ ضِدُّ الْحَزَمِ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ عَقْلِهِ.

أَيُّ بُنَىٍّ، كَمْ نَظَرَةٌ جَلَبَتْ حَسْرَةً، وَكَمْ مِنْ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً.

أَيُّ بُنَىٍّ، لَا شَرَفَ أَعْلَى مِنَ الْإِسْلَامِ، وَلَا كَرَمَ أَعَزُّ مِنَ التَّقْوَى، وَلَا مَعْقِلَ أَحْرَزُ مِنَ الْوَرَعِ، وَلَا شَفِيعَ أَنْجَحُ مِنَ التَّوْبَةِ، وَلَا لِبَاسَ أَجْمَلُ مِنَ الْعَافِيَةِ، وَلَا مَالٌ أَذْهَبُ بِالْفَاقَةِ مِنَ الرِّضَا بِالْقُوتِ، وَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَى بُلْغَةِ الْكَفَافِ تَعَجَّلَ الرَّاحَةَ وَتَبَوَّأَ خَفْضَ

(١) الْخُرْقُ: الشَّدَّةُ.

ص: ٢٤٣

الدَّعَّةُ.

أَيُّ بُنَىٍّ، الْحِرْصُ مِفْتَاحُ التَّعَبِ، وَمَطْيَةُ النَّصَبِ، وَدَاعٍ إِلَى التَّقَحُّمِ فِي الذُّنُوبِ وَالشَّرِّ جَامِعٌ لِمَسَاوِي الْعُيُوبِ، وَكَفَاكَ تَأْدِيْبًا لِنَفْسِكَ مَا كَرِهْتَهُ مِنْ غَيْرِكَ، لِأَخِيكَ عَلَيْكَ مِثْلُ الَّذِي لَكَ عَلَيْهِ، وَمَنْ تَوَرَّطَ فِي الْأُمُورِ بِغَيْرِ نَظَرٍ فِي الْعَوَاقِبِ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلنَّوَائِبِ، التَّدْبِيرُ قَبْلُ الْعَصْلِ يُؤْمِنُكَ النَّدَمَ، مَنْ اسْتَقْبَلَ وُجُوهَ الْآرَاءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ الْخَطَا، الصَّبْرُ جُنَّةٌ مِنَ الْفَاقَةِ، الْبُخْلُ جِلْبَابُ الْمَسْكِنَةِ، الْحِرْصُ عَلَامَةُ الْفَقْرِ، وَصُولُ مُعْدِمٍ خَيْرٌ مِنْ جَافٍ مُكْثِرٍ، لِكُلِّ شَيْءٍ قُوَّةٌ، وَابْنُ آدَمَ قُوَّةُ الْمَوْتِ.

أَيُّ بُنَىٍّ، لَا تُؤَيِّسُ مُذْنِبًا، فَكَمْ مِنْ عَاكِفٍ عَلَى ذَنْبِهِ خْتِمٌ لَهُ بِخَيْرٍ، وَكَمْ مِنْ مُقْبِلٍ عَلَى عَمَلِهِ مُفْسِدٍ فِي آخِرِ عُمْرِهِ، صَائِرٍ إِلَى النَّارِ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْهَا.

أَيُّ بُنَىٍّ، كَمْ مِنْ عَاصٍ نَجَا، وَكَمْ مِنْ عَامِلٍ هَوَى، مَنْ تَحَرَّى الصَّدَقَ خَفَّتْ عَلَيْهِ الْمُؤَنُ، فِي خِلَافِ النَّفْسِ رُشْدُهَا، السَّاعَاتُ تَنْتَقِصُ الْأَعْمَارُ، وَيَلُ لِّلْبَاغِينَ مِنْ أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ، وَعَالِمِ ضَمِيرِ الْمُضْمِرِينَ.

يَا بُنَىَّ، يَسِّرِ الزَّادُ إِلَى الْمَعَادِ الْعُدُونَ عَلَى الْعِبَادِ، فِي كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقٌ، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ، لَنْ تُنَالَ نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقٍ أُخْرَى، مَا أَقْرَبَ الرَّاحَةَ مِنَ النَّصَبِ وَالْبُؤْسَ مِنَ النَّعِيمِ وَالْمَوْتَ مِنَ الْحَيَاةِ وَالسَّقَمَ مِنَ الصَّحَّةِ، فَطُوبَى لِمَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ عَمَلَهُ وَعِلْمَهُ وَحُبَّهُ وَبُغْضَهُ وَأَخَذَهُ وَتَرَكَهُ وَكَلَامَهُ وَصَمْتَهُ وَفِعْلَهُ وَقَوْلَهُ، وَيَخِ بَخٍ لِعَالَمٍ عَمِلَ فَجَدًا، وَخَافَ الْبَيَاتَ فَأَعَدَّ وَاسْتَعَدَّ، إِنْ سُئِلَ نَصَحَ، وَإِنْ تُرِكَ صَمَتَ، كَلَامُهُ صَوَابٌ، وَسُكُوتُهُ مِنْ غَيْرِ عَيٍّ جَوَابٌ، وَالْوَيْلُ لِمَنْ بُلِيَ بِحِرْمَانٍ وَخِذْلَانٍ وَعِصْيَانٍ، فَاسْتَحْسَنَ لِنَفْسِهِ مَا يَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِهِ، وَأَزْرَى عَلَى النَّاسِ بِمِثْلِ مَا يَأْتِي.

وَاعْلَمْ أَيُّ بُنَىٍّ، أَنَّهُ مَنْ لَانَتْ كَلِمَتُهُ وَجَبَتْ مَحَبَّتُهُ، وَفَقَكَ اللَّهُ لِرُشْدِكَ، وَجَعَلَكَ

ص: ٢٤٤

مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ بِقُدْرَتِهِ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ».

«١»

٤١ كتابه عليه السلام للحسن عليه السلام

رَوَى فِي الدَّعَائِمِ: عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، أَنَّهُمَا ذَكَرَا وَصِيَّةَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَا:

أَوْصَى إِلَى ابْنِهِ الْحَسَنِ، وَأَشْهَدَ عَلَى وَصِيَّتِهِ الْحُسَيْنَ وَمُحَمَّدًا وَجَمِيعَ وَلَدِهِ وَرُؤَسَاءِ شِيعَتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، ثُمَّ دَفَعَ الْكِتَابَ إِلَيْهِ وَالسَّلَاحَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ:

أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ أَنْ أُوصِيَ إِلَيْكَ، وَأَنْ أَدْفَعَ إِلَيْكَ كُتُبِي وَسِلَاحِي، كَمَا أَوْصَى إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، وَدَفَعَ إِلَيَّ كُتُبَهُ وَسِلَاحَهُ، وَأَمَرَنِي أَنْ آمُرَكَ إِذَا حَضَرَكَ الْمَوْتُ، أَنْ تَدْفَعَ ذَلِكَ إِلَى أَخِيكَ الْحُسَيْنِ - ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْحُسَيْنِ، فَقَالَ:-

وَأَمَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ تَدْفَعَهُ إِلَيَّ ابْنِكَ هَذَا.

- ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ ابْنِهِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ:- يَا بُنَىَّ، وَأَمَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ أَنْ تَدْفَعَهُ إِلَيَّ ابْنِكَ مُحَمَّدًا، فَاقْرَأْهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَمِنِّي السَّلَامُ، - ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى ابْنِهِ الْحَسَنِ فَقَالَ:- يَا بُنَىَّ أَنْتَ وَلِيُّ الْأَمْرِ، وَوَلِيُّ الدِّمِّ، فَإِنْ عَفَوْتَ فَلَكَ، وَإِنْ قَتَلْتَ فَضَرْبُهُ مَكَانُ ضَرْبِي، وَلَا تَأْتُمْ «٢».

و كان قبلَ ذلك قد خصَّ الحسَنَ و الحسَيْنَ عليهما السلام بوصيَّة أسرها إليهما، كَتَبَ لهما فيها أسماء الملوك في هذه الدُّنيا، و مدَّة الدُّنيا و أسماء الدُّعاة إلى يوم القيامة،

(١). تحف العقول: ص ٨٨ - ٩١، بحار الأنوار: ج ٧٧ ص ٢٣٦ و راجع: نزهة الناظر: ص ٤١ ح ٤٣.

(٢) تَأْتُم: أى، لا تبطئ من أتم.

ص: ٢٤٥

و دفع إليهما كتاب القرآن و كتاب العلم، ثُمَّ لَمَّا جَمَعَ النَّاسَ، قال لهما: ما قال، ثُمَّ كَتَبَ كِتَابَ وصيَّة، و هو:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا ما أوصى به عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لآخرِ أَيَّامِهِ مِنَ الدُّنْيَا، وَهُوَ صَائِرٌ إِلَى بَرْزَخِ الْمَوْتِ وَالرَّحِيلِ عَنِ الْأَهْلِ وَالْأَخْلَاءِ.

وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَمِينُهُ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَعَلَى إِخْوَانِهِ الْمُرْسَلِينَ وَذُرِّيَّتِهِ الطَّيِّبِينَ، وَجَزَى اللَّهُ عَنَّا مُحَمَّدًا أَفْضَلَ مَا جَزَى نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ.

وَأوصيك يا حسنُ، وَجميعَ مَنْ حَضَرَني مِنْ أَهْلِ بَيْتِي وَوَلَدِي وَشِيعَتِي بِتَقْوَى اللَّهِ، وَلَا تَمُوتَنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ: صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ.

وَأوصيكم بِالْعَمَلِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْكُمْ بِالْكَظْمِ، وَبِاغْتِنَامِ الصِّحَّةِ قَبْلَ السَّقَمِ، وَقَبْلَ «أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرَتْنِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنَمٍ - بِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخَرِينَ» «١»، أَوْ تَقُولَ: لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، وَأَنْتِي، وَمِنْ أَيْنَ، وَقَدْ كُنْتَ لِلْهَوَى مُتَّبِعًا، فَيُكْشَفُ عَنْ بَصَرِهِ، وَتُهْتَكُ لَهُ حُجُبُهُ، لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

«فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَ كَفَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ» «٢»، أَنَّتِي لَهُ الْبَصَرُ، أَلَا أَبْصَرَ قَبْلَ هَذَا الْوَقْتِ الضَّرَرَ، قَبْلَ أَنْ تُحْجَبَ التَّوْبَةُ بِزُورِ الْكُرْبَةِ فَتَسْتَمْنَى النَّفْسُ أَنْ لَوْ رُدَّتْ لِنَعْمَلْ بِتَقْوَاهَا، فَلَا يَنْفَعُهَا الْمُنَى.

(١) الزمر: ٥٦.

(٢) ق: ٢٢.

ص: ٢٤٦

وَأوصيكم بِمُجَانَبَةِ الْهَوَى، فَإِنَّ الْهَوَى يَدْعُو إِلَى الْعَمَى، وَهُوَ الضَّلَالُ فِي الْآخِرَةِ وَالْدُّنْيَا.

وَأَوْصِيَكُمْ بِالنَّصِيحَةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَيْفَ لَا تَنْصَحُ لِمَنْ أَخْرَجَكَ مِنْ أَصْلَابِ أَهْلِ الشَّرْكِ، وَانْقَذَكَ مِنْ جُحُودِ أَهْلِ الشُّكِّ، فَاعْبُدْهُ رَغْبَةً وَرَهْبَةً، وَمَا ذَاكَ عِنْدَهُ بِضَائِعٍ.

وَأَوْصِيَكُمْ بِالنَّصِيحَةِ لِلرَّسُولِ الْهَادِي مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَمِنَ النَّصِيحَةِ لَهُ أَنْ تَوَدُّوا إِلَيْهِ أَجْرَهُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» «١»، وَمَنْ وَفَّى مُحَمَّدًا أَجْرَهُ بِمَوَدَّةٍ قَرَابَتِهِ، فَقَدْ أَدَّى الْأَمَانَةَ، وَمَنْ لَمْ يُؤَدِّهَا كَانَ خَصْمَهُ، وَمَنْ كَانَ خَصْمَهُ خَصَمَهُ، وَمَنْ خَصَمَهُ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ، وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ، وَبِئْسَ الْمَصِيرُ.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ مُحَمَّدٌ إِلَّا اللَّهَ، وَلَا يُحِبُّ آلُ مُحَمَّدٍ إِلَّا الْمُحَمَّدَ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُقِلِّلْ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْثِرْ، وَأَوْصِيَكُمْ بِمَحَبَّتِنَا وَالْإِحْسَانِ إِلَى شِيعَتِنَا، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ مِنَّا.

وَأَوْصِيَكُمْ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، الَّذِينَ لَمْ يُحْدِثُوا حَدَثًا، وَلَمْ يُؤَوُّوا مُحَدِّثًا، وَلَمْ يَمْنَعُوا حَقًّا، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْ أَوْصَانَا بِهِمْ، وَلَعَنَ الْمُحَدِّثَ مِنْهُمْ وَمِنْ غَيْرِهِمْ.

وَأَوْصِيَكُمْ بِالطَّهَارَةِ الَّتِي لَا تَتِمُّ الصَّلَاةُ إِلَّا بِهَا، وَبِالصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ عَمُودُ الدِّينِ، وَقِوَامُ الْإِسْلَامِ، فَلَا تَغْفُلُوا عَنْهَا، وَبِالزَّكَاةِ الَّتِي بِهَا تَتِمُّ الصَّلَاةُ، وَبِصَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَحُجِّ الْبَيْتِ (الْحَرَامِ)، مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَبِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ ذُرْوَةُ الْأَعْمَالِ وَعِزُّ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ، وَالصَّوْمِ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ، وَعَلَيْكُمْ بِالمُحَافَظَةِ عَلَى أَوْقَاتِ الصَّلَاةِ، فَلَيْسَ مِنِّي مَنْ ضَيَّعَ الصَّلَاةَ.

وَأَوْصِيَكُمْ بِصَلَاةِ الزَّوَالِ فَإِنَّهَا صَلَاةُ الْأَوَّابِينَ.

(١) الشورى: ٢٣.

ص: ٢٤٧

وَأَوْصِيَكُمْ بِأَرْبَعِ رَكَعَاتٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرَبِ فَلَا تَتْرَكُوهُنَّ، وَإِنْ خِفْتُمْ عَدُوًّا.

وَأَوْصِيَكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، فَإِنْ غَلَبَ عَلَيْكُمْ النَّوْمُ فَفِي آخِرِهِ، وَمَنْ مُنِعَ بِمَرَضٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْذِرُ بِالْعُذْرِ، وَلَيْسَ مِنِّي وَلَا مِنْ شِيعَتِي مَنْ ضَيَّعَ الْوِتْرَ، أَوْ مَطَلَ بِرَكَعَتِي الْفَجْرِ.

وَلَا يَرِدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ أَكْلِ مَالًا حَرَامًا، لَا وَاللَّهِ، لَا وَاللَّهِ، لَا وَاللَّهِ، وَلَا يَشْرَبُ مِنْ حَوْضِهِ، وَلَا تَنَالُهُ شَفَاعَتُهُ، لَا وَاللَّهِ، وَلَا مَنْ أَدَمَّنَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأَشْرَبَةِ الْمُسْكِرَةِ، وَلَا مَنْ زَنَى بِمُحْصَنَةٍ، لَا وَاللَّهِ، وَلَا مَنْ لَمْ يَعْرِفْ حَقِّي، وَلَا حَقَّ أَهْلِ بَيْتِي، وَهِيَ أَوْجِبُهُنَّ، لَا وَاللَّهِ، وَلَا يَرِدُ عَلَيْهِ مَنْ أَتْبَعَ هَوَاهُ، وَلَا مَنْ شَبَعَ وَجَارُهُ الْمُؤْمِنُ جَائِعٌ، وَلَا يَرِدُ عَلَيْهِ مَنْ لَمْ يَكُنْ قَوْمًا لِلَّهِ بِالْقِسْطِ.

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَهْدَ إِلَيَّ، فَقَالَ: يَا عَلِيُّ، مُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَإِنِّهِ عَنِ الْمُنْكَرِ بِيَدِكَ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِكَ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِكَ، وَإِلَّا فَلَا تَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَكَ.

وإِيَّاكُمْ وَالْغَيْبَةَ، فَإِنَّهَا تَحْبِطُ الْأَعْمَالَ، صَلُّوا الْأَرْحَامَ، وَأَفْسُوا السَّلَامَ، وَصَلُّوا النَّاسُ نِيَامًا.

وأوصيكم يا بني عبد المطلب خاصةً، أَنْ يَتَّبِعَنَّ فَضْلَكُمْ عَلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكُمْ، وَتَصْدِيقِ رَجَاءِ مَنْ أَمَّلَكُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَشْبَهُ بِأَنْسَابِكُمْ.

وإِيَّاكُمْ وَالْبُغْضَ لِذَوَى أَرْحَامِكُمُ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ لِلدِّينِ، وَعَلَيْكُمْ بِمُدَارَاةِ النَّاسِ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ، وَأَكْثَرُوا مِنْ قَوْلٍ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَعَلِّمُوها أَطْفَالَكُمْ، وَأَسْرِعُوا بِخِتَانِ أَوْلَادِكُمْ، فَإِنَّهُ أَطْهَرُ لَهُمْ، وَلَا تَخْرُجَنَّ مِنْ أَفْوَاهِكُمْ كِذْبَةً مَا بَقِيتُمْ، وَلَا تَتَكَلَّمُوا بِالْفُحْشِ، فَإِنَّهُ لَا يَلِيقُ بِنَا وَلَا بِشِيعَتِنَا، وَإِنَّ الْفَاحِشَ لَا يَكُونُ صَدِيقًا، وَإِنَّ الْمُتَكَبِّرَ مَلْعُونٌ، وَالتَّوَاضِعَ عِنْدَ اللَّهِ مَرْفُوعٌ.

ص: ٢٤٨

وإِيَّاكُمْ وَالْكِبَرَ، فَإِنَّهُ رِءَاءُ اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ، فَمَنْ نَازَعَهُ رِءَاءَ هُ قَصَمَهُ اللَّهُ.

وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْإِتِّمَامِ، فَلَا يَجُوعَنَّ بِحَضْرَتِكُمْ.

وَاللَّهُ اللَّهُ فِي ابْنِ السَّبِيلِ، فَلَا يَسْتَوْحِشَنَّ مِنْ عَشِيرَتِهِ بِمَكَانِكُمْ.

وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الضَّيْفِ، لَا يَنْصَرِفَنَّ إِلَّا شَاكِرًا لَكُمْ.

وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْجِهَادِ لِلْأَنْفُسِ، فَهِيَ أَعْدَى الْعَدُوِّ لَكُمْ، فَإِنَّهُ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

«إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي» «١»، وَإِنَّ أَوَّلَ الْمَعَاصِي تَصْدِيقُ النَّفْسِ، وَالرُّكُوعُ إِلَى الْهَوَى.

وَاللَّهُ اللَّهُ، لَا تَرْغَبُوا فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ الدُّنْيَا هِيَ رَأْسُ الْخَطَايَا، وَهِيَ مِنْ بَعْدُ إِلَى زَوَالٍ.

وإِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ، فَإِنَّهُ أَوَّلُ ذَنْبٍ كَانَ مِنَ الْجِنِّ قَبْلَ الْإِنْسِ.

وإِيَّاكُمْ وَتَصْدِيقَ النِّسَاءِ، فَإِنَّهُنَّ أَخْرَجْنَ أَبَاكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، وَصَيَّرْنَهُ إِلَى نَصَبِ الدُّنْيَا.

وإِيَّاكُمْ وَسُوءَ الظَّنِّ، فَإِنَّهُ يَحْبِطُ الْعَمَلَ، وَ «اتَّقُوا اللَّهَ وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا» * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ» «٢»، وَعَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ مَنْ لَا تُعْذَرُونَ فِي تَرْكِ طَاعَتِهِ، وَطَاعَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ طَاعَتَنَا بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ، وَنَظَّمَ ذَلِكَ فِي آيَةٍ مِنْ كِتَابِهِ، مَنَّا مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ، وَأَوْجَبَ طَاعَتَهُ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ وَطَاعَةَ وُلَاةِ الْأَمْرِ مِنْ آلِ رَسُولِهِ، وَأَمَرَكُمْ أَنْ تَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ، وَنَحْنُ وَاللَّهُ أَهْلُ الذِّكْرِ، لَا يُدْعَى ذَلِكَ غَيْرُنَا إِلَّا كَاذِبًا، يُصَدِّقُ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عِزٌّ وَ جَلٌّ: «قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا» *

رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» (١)، ثُمَّ قَالَ: «فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (٢)، فَحَنُّ أَهْلِ الذِّكْرِ، فَاقْبَلُوا أَمْرَنَا، وَأَنْتَهُوَ عَمَّا نَهَيْنَا، وَنَحْنُ الْأَبْوَابُ الَّتِي أَمَرْتُمْ أَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْهَا، فَحَنُّ وَاللَّهِ، أَبْوَابُ تِلْكَ الْبُيُوتِ، لَيْسَ ذَلِكَ لِغَيْرِنَا، وَلَا يَقُولُهُ أَحَدٌ سِوَانَا.

وَأَيُّهَا النَّاسُ، هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ يَدْعِي قِبَلِي جَوْرًا فِي حُكْمٍ، أَوْ ظُلْمًا فِي نَفْسٍ، أَوْ مَالٍ، فَلْيَقِمِ أَنْصِفُهُ مِنْ ذَلِكَ.

فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَأَتَنِي تَنَاءً حَسَنًا عَلَيْهِ، وَأَطْرَاهُ وَذَكَرَ مَنَاقِبَهُ فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ، فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أَيُّهَا الْعَبْدُ الْمُتَكَلِّمُ، لَيْسَ هَذَا حِينَ إِطْرَاءٍ، وَمَا أَحِبُّ أَنْ يَحْضُرَنِي أَحَدٌ فِي هَذَا الْمَحْضَرِ بغيرِ النَّصِيحَةِ، وَاللَّهُ الشَّاهِدُ عَلَيَّ مَنْ رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلَمْ يُعْلَمْنِيهِ، فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَسْتَعْتِبَ مِنْ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ تَقُوتَ نَفْسِي، اللَّهُمَّ إِنَّكَ شَهِيدٌ، وَكَفَى بِكَ شَهِيدًا، إِنِّي بَايَعْتُ رَسُولَكَ وَحُجَّتَكَ فِي أَرْضِكَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أَنَا وَثَلَاثَةٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي عَلَى آلَا نَدَعُ لِلَّهِ أَمْرًا إِلَّا عَمَلْنَاهُ، وَلَا نَدَعُ لَهُ نَهْيًا إِلَّا رَفَضْنَاهُ، وَلَا وَلِيًّا إِلَّا أَحْبَبْنَاهُ، وَلَا عَدُوًّا إِلَّا عَادَيْنَاهُ، وَلَا نُوَلِّي ظُهُورَنَا عَدُوًّا، وَلَا نَمِلُّ عَنْ فَرِيضَةٍ، وَلَا نَزِدَادُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، إِلَّا نَصِيحَتَهُ، فَقُتِلَ أَصْحَابِي - رَحِمَهُ اللَّهُ وَرِضْوَانُهُ عَلَيْهِمْ - وَكُلُّهُمْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي: عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ (رَحِمَهُ اللَّهُ)، قُتِلَ بِدَرِّ شَهِيدًا، وَعَمِّي حَمْزَةُ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَرِضْوَانُهُ، وَأَخِي جَعْفَرٌ قُتِلَ يَوْمَ مُوتَةِ شَهِيدًا رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيَّ وَفِي أَصْحَابِي، «مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ

عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا» (١)، أَنَا وَاللَّهُ الْمُنْتَظَرُ، مَا بَدَّلْتَ تَبْدِيلًا، ثُمَّ وَعَدْنَا بِفَضْلِهِ الْجَزَاءَ، فَقَالَ: «قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ يَفْزِلُ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ» (٢)، وَقَدْ آتَى لِي فِيهَا نَزْلٌ بِي أَنْ أَفْرَحَ بِنِعْمَةِ رَبِّي.

فَأَتُّوا عَلَيْهِ خَيْرًا وَبَكُوا، فَقَالَ:

أَيُّهَا النَّاسُ أَنَا أَحِبُّ أَنْ أَشْهَدَ عَلَيْكُمْ أَنِّي أَقُولُ فَخِفْتُ، فَقَدْ أَعْذَرْتُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، اللَّهُمَّ إِنَّا لَا يَكُونُ أَحَدٌ يَرِيدُ ظُلْمِي وَالِدَعْوَى عَلَيَّ بِمَا لَمْ أَجُنِّ، أَمَّا إِنِّي لَمْ أَسْتَحِلَّ مِنْ أَحَدٍ مَالًا، وَلَمْ أَسْتَحِلَّ مِنْ أَحَدٍ دَمًا بِغَيْرِ حِلِّهِ، جَاهَدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِأَمْرِ اللَّهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ، فَلَمَّا قَبِضَ اللَّهُ رَسُولَهُ جَاهَدْتُ مَنْ أَمَرَنِي بِجِهَادِهِ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ، وَسَمَّاهُمْ لِي رَجُلًا رَجُلًا، وَحَضَنِي عَلَى جِهَادِهِمْ، وَقَالَ: يَا عَلِيُّ تَقَاتِلُ النَّاكِثِينَ، وَسَمَّاهُمْ لِي، وَالْقَاسِطِينَ، وَسَمَّاهُمْ لِي، وَالْمَارِقِينَ، وَسَمَّاهُمْ لِي، فَلَا تَكْثُرُ مِنْكُمْ الْأَقْوَالُ، فَإِنْ أَصْدَقَ مَا يَكُونُ الْمَرْءُ عِنْدَ هَذَا الْحَالِ:

فقالوا خيراً، وأثنوا بخيرٍ وبكوا، فقال للحسن:

يا حسنُ، أنتَ وليُّ دمي وهو عندك، وقد صيرتُهُ إليك (يعني ابن ملجم لعنة الله عليه)، ليس لأحدٍ فيه حُكمٌ، فإن أردتَ أن تقتلَ فاقْتُلْ، وإن أردتَ أن تعفو فاعفُ، وأنتَ الإمامُ بعدي، ووارثُ علمي، وأفضلُ مَنْ أتركُ بعدي، وخيرُ مَنْ أخلفُ من أهل بيتي، وأخوكَ ابنُ أُمِّكَ، بشركُما رسولُ الله صلى الله عليه وآله بالبشرى، فأبشِرا بما بشركُما، واعملا لله بالطاعة، فاشكُراهُ على النعمة.

ثم لم يزل يقول عليه السلام:

(١) الأحزاب: ٢٣.

(٢) يونس: ٥٨.

ص: ٢٥١

اللَّهُمَّ اكْفِنَا عَذُوكَ الرَّجِيمَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ أَنَّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَأَنَّكَ الْوَاحِدُ، الصَّمَدُ، لَمْ تَلِدْ، وَلَمْ تُوَلَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَكَ كُفُواً أَحَدٌ، فَلكَ الْحَمْدُ، عَدَدَ نِعَمَائِكَ لَدَيَّ، وإِحْسَانِكَ عِنْدِي، فَاغْفِرْ لِي، وارْحَمْنِي، وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ.

ولم يزل يقول عليه السلام:

لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، عُدَّةٌ لِهَذَا الْمَوْقِفِ وما بعده منَ المواقِفِ، اللَّهُمَّ أَجْزِ مُحَمَّدًا عَنَّا خَيْرًا، وَأَجْزِ مُحَمَّدًا عَنَّا خَيْرَ الْجَزَاءِ، وَبَلِّغْهُ مِنَّا أَفْضَلَ السَّلَامِ، اللَّهُمَّ الْحَقْنِي بِهِ، وَلَا تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ، رَوْوَفٌ رَحِيمٌ.

ثم نظر إلى أهل بيته، فقال:

حَفِظْكُمْ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ، وَحَفِظْ فِيكُمْ نَبِيِّكُمْ، وَأَسْتَوْدِعُكُمْ اللَّهَ، وَأَقْرَأْ عَلَيْكُمْ السَّلَامُ.

ثم لم يزل يقول:

لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ.

حتى قبض صلوات الله عليه ورحمته ورضوانه، ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان، سنة أربعين من الهجرة. «١»

[أقول: و نقل له عليه السلام أيضاً وصايا لأصحابه و أولاده، و لا بأس بنقل بعضها:

نقل في نهج السعادة عن دستور معالم الحكم:]

(١). دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٣٤٨ - ٣٥٥ ح ١٢٩٧ و راجع: الكافي: ج ١ ص ٢٩٧ ح ١ وح ٥، تهذيب الأحكام: ج ٩ ص ١٧٦ ح ٧١٤، من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ١٨٩ ح ٥٤٣٣، الغيبة للطوسي: ص ١٩٤ ح ١٥٧، كتاب سليم بن قيس الهلالي: ج ٢ ص ٩٢٤، بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٣٢٢ ح ١.

ص: ٢٥٢

قال القضاعي: لَمَّا ضُرِبَ أمير المؤمنين عليه السلام، اجتمع إليه أهل بيته و جماعة من خاصة أصحابه، فقال:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَقَّتَ الْآجَالَ، وَقَدَّرَ أَرْزَاقَ الْعِبَادِ، وَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا، وَلَمْ يُفْرِطْ فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ، فَقَالَ: «أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ» (١)، وقال عز و جل: «قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ» (٢)، وقال عز و جل لنبيه صلى الله عليه و آله: «وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» (٣).

لقد خَبَّرَنِي حَبِيبُ اللَّهِ، وَخَيْرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ عَنْ يَوْمِي هَذَا، وَعَهْدَ إِلَيَّ فِيهِ، فَقَالَ: يَا عَلِيُّ، كَيْفَ بَكَ إِذَا بَقِيتَ فِي حُثَالَةٍ (٤) مِنَ النَّاسِ، تَدْعُو فَلَا تُجَابُ، وَتَنْصَحُ عَنِ الدِّينِ فَلَا تُعَانُ.

وقد مال أصحابك، وَشَفَّ لَكَ نَصْحَاؤُكَ، وَكَانَ الَّذِي مَعَكَ أَشَدُّ عَلَيْكَ مِنْ عَدُوِّكَ إِذَا اسْتَنْهَضْتَهُمْ صَدُّوا مُعْرَضِينَ، وَإِنْ اسْتَحْسَنْتَهُمْ أَدْبَرُوا نَافِرِينَ، يَتَمَنُونَ فَقْدَكَ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ قِيَامِكَ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ، وَصَرَفَكَ إِيَّاهُمْ عَنِ الدُّنْيَا، فَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ حَسَمْتَ طَمَعَهُ فَهُوَ كَاطِمٌ عَلَى غَيْظِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَتَلْتَ أَسْرَتَهُ فَهُوَ نَائِرٌ مُتَرَبِّصٌ بِكَ رَيْبَ الْمَنُونِ، وَضُرُوفَ النَّوَائِبِ، وَكُلُّهُمْ نَغْلُ الصَّدْرِ، مَلْتَهَبُ الْغَيْظِ، فَلَا تَرَالُ فِيهِمْ كَذَلِكَ حَتَّى يَقْتُلُوكَ مَكْرًا، أَوْ يَرْهَقُوكَ شَرًّا، وَسَيُسَمُّونَكَ بِأَسْمَاءٍ قَدْ سَمَوْنِي بِهَا،

(١) النساء: ٧٨.

(٢) آل عمران: ١٥٤.

(٣) لقمان: ١٧.

(٤) الحثال و الحثالة - كغراب و ثعالة - الرديء من كل شيء. و حثالة الناس: رذالهم. و حثالة الدهن: نفله.

و يقال: هو من حثالتهم، أى ممّا لا خير فيه منهم.

ص: ٢٥٣

فَقَالُوا: كَاهِنٌ، وَقَالُوا سَاحِرٌ، وَقَالُوا كَذَّابٌ مُفْتَرٍ، فَاصْبِرْ، فَإِنَّ لَكَ فِي أَسْوَةٍ.

وبذلك أمر الله، إذ يقول: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» (١).

يا على، إِنَّ اللَّهَ عز و جل أَمَرَنِي أَنْ أُدْنِيكَ وَلَا أُقْصِيكَ، وَأَنْ أُعَلِّمَكَ وَلَا أُهْمِكَ، وَأَنْ أُقَرِّبَكَ وَلَا أُجْفِكَ. فَهَذِهِ وَصِيَّتُهُ إِلَيَّ، وَعَهْدُهُ لِي.

ثُمَّ إِنِّي أُوصِيكُمْ أَيُّهَا النَّفَرُ، الَّذِينَ قَامُوا بِأَمْرِ اللَّهِ، وَذَبُّوا عَنْ دِينِ اللَّهِ، وَجَدُّوا فِي طَلَبِ حُقُوقِ الْأَرَامِلِ وَالْمَسَاكِينِ، أَوْصِيكُمْ بَعْدِي بِالتَّقْوَى، وَأَحْذَرُكُمْ الدُّنْيَا وَالْاِغْتِرَارَ بِزِبْرِجِهَا وَزُخْرُفِهَا، فَإِنَّهَا مَتَاعُ الْغُرُورِ، وَجَانِبُوا سَبِيلَ مَنْ رَكَنَ إِلَيْهَا، وَطَمَسَتْ الْعَقْلَةَ عَلَى قُلُوبِهِمْ، حَتَّى أَتَاهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَحْتَسِبُوا. وَأُخِذُوا بِغَتَّةٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ.

وَقَدْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَوْمٌ خَلَفُوا أَنْبِيَاءَ هُمْ بِاتِّبَاعِ آثَارِهِمْ، فَإِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِدْيِهِمْ، وَاقْتَدَيْتُمْ بِسُنَّتِهِمْ لَمْ تُضِلُّوا.

إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خَلَفَ فِيكُمْ كِتَابَ اللَّهِ، وَأَهْلَ بَيْتِهِ، فَعِنْدَهُمْ عِلْمُ مَا تَأْتُونَ وَمَا تَتَّقُونَ، وَهُمْ الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ، وَالنُّورُ اللَّائِخُ، وَأَرْكَانُ الْأَرْضِ الْقَوَامُونَ بِالْقِسْطِ، بِنُورِهِمْ يُسْتَضَاءُ، بِهِدْيِهِمْ يُفْتَدَى، مِنْ شَجَرَةِ كَرَمٍ مَنِبْتَهَا، فَتَبَتْ أَصْلُهَا، وَبَسَقَ فَرْعُهَا، وَطَابَ جَنَاهَا، نَبَتَتْ فِي مُسْتَقَرِّ الْحَرَمِ، وَسُقِيَتْ مَاءَ الْكَرَمِ، وَصَفَتْ مِنَ الْأَقْدَاءِ وَالْأَدْنَسِ، وَتُخَيِّرَتْ مِنْ أَطْيَبِ مَوَالِيدِ النَّاسِ، فَلَا تَزُولُوا عَنْهُمْ فَتَفَرَّقُوا، وَلَا تَتَحَرَّفُوا عَنْهُمْ فَتَمَزَّقُوا، وَالزَّمَوْهُمْ تَهْتَدُوا وَتَرْشُدُوا، وَاخْلُفُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِيهِمْ بِأَحْسَنِ الْخِلَافَةِ، فَقَدْ أَخْبَرَكُمْ أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَى الْحَوْضِ، أَغْنَى كِتَابَ

(١) الأحزاب: ٢١.

ص: ٢٥٤

اللَّهُ وَذَرِيَّتَهُ.

أَسْتَوْدِعُكُمْ اللَّهَ الَّذِي لَا تَضِيْعُ وَدَائِعُهُ، بَلَّغَكُمْ اللَّهَ مَا تَأْمُلُونَ، وَوَقَّامَكُمْ مَا تَحْذَرُونَ.

اقْرَؤُوا عَلَى أَهْلِ مَوَدَّتِي السَّلَامَ، وَالْخَلْفَ وَخَلْفَ الْخَلْفِ، حَفِظْكُمْ اللَّهُ، وَحَفِظَ فِيكُمْ نَبِيِّكُمْ، وَالسَّلَامُ».

«١»

ثُمَّ نَقَلَ وَصِيَّتَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِآلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِصُورَةٍ أُخْرَى، وَهِيَ:

«وَفِيكُمْ مَنْ يَخْلُفُ مِنْ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا، هُمُ الدُّعَاةُ، وَهُمْ النُّجَاةُ، وَهُمْ أَرْكَانُ الْأَرْضِ، وَهُمْ النُّجُومُ، بِهِمْ يُسْتَضَاءُ، مِنْ شَجَرَةِ طَابَ فَرْعُهَا، وَزَيْتُونَةٍ طَابَ (بُورِك) أَصْلُهَا، نَبَتَتْ فِي الْحَرَمِ، وَسُقِيَتْ مِنْ كَرَمٍ إِلَى خَيْرٍ مُسْتَوْدَعٍ، مِنْ مُبَارَكٍ إِلَى مُبَارَكٍ، صَفَتْ مِنَ الْأَقْدَارِ وَالْأَدْنَسِ، وَمِنْ قَبِيحٍ مَا نَبَهَ شِرَارَ النَّاسِ، لَهَا فُرُوعٌ طَوَالٌ، وَثَمَرٌ لَا تُتَالُ، حَسِرَتْ عَنْ وَصْفِهَا وَصَفَاتُهَا الْأَلْسُنُ، وَقُصِرَتْ عَنْ بُلُوغِهَا الْأَعْنَاقُ، فَهُمُ الدُّعَاةُ، وَهُمْ النُّجَاةُ، وَبِالنَّاسِ إِلَيْهِمُ الْحَاجَةُ، فَاخْلُفُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِيهِمْ بِأَحْسَنِ الْخِلَافَةِ، فَقَدْ أَخْبَرَكُمْ أَيُّهَا التَّقْلَانِ أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا، هُمُ الْقُرْآنُ، حَتَّى يَرِدَا عَلَى الْحَوْضِ، فَالزَّمَوْهُمْ تَهْتَدُوا وَتَرْشُدُوا، وَلَا تَتَفَرَّقُوا عَنْهُمْ، فَتَفَرَّقُوا وَتَمَزَّقُوا»

«٢».

و لنكتف بنقل هذا المقدار، و للقارئ الكريم أن يراجع مضان هذه الروايات، ك نهج البلاغة، و مروج الذهب و الكافي و البحار «٣».

(١). دستور معالم الحكم: ص ٧٢ - ٧٤؛ نهج السعادة: ج ٨ ص ٣٦٨ الرقم ٥٦.

(٢). شرف النبي عليهم السلام: ص ٢٥٦؛ إثبات الهداة: ج ١ ص ٧٠٤، نهج السعادة: ج ٨ ص ٣٩٥.

(٣) راجع: الكافي: ج ١ ص ٢٩٩ و ٣٠٠، نهج البلاغة: الخطبة ١٤٧ و الكتاب ٢٣، بحار الأنوار: ج ٤٢ ص ٢٠٦ ح ١١ و ص ٢١٢ ح ١٢؛ مروج الذهب: ج ٢ ص ٤٢٤.

ص: ٢٥٥

٤٢ وصيته عليه السلام للحسن و الحسين عليهما السلام

من وصيته له عليه السلام للحسن و الحسين عليهما السلام لما ضرب به ابن ملجم لعنه الله:

«أوصيكم بتقوى الله، و ألا تبغوا الدنيا و إن بغتكم، و لا تأسفوا على شيء منها زوى عنكم، و قولوا بالحق، و اعملوا للأجر، و كونوا للظالم خصما، و للمظلوم عوناً.

أوصيكم بجميع و لدى، و أهلي، و من بلغه كتابي بتقوى الله، و نظم أمركم، و صلاح ذات بينكم، فإني سمعت جدكم صلى الله عليه و آله يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة و الصيام.

الله الله في الأيتام، فلا تغربوا أفواههم، و لا يضيعوا بحضرتكم.

والله الله في جيرانكم، فإنهم وصية نبيكم، ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم.

والله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم.

والله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم.

والله الله في بيت ربكم، لا تخلوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم تناظروا.

والله الله في الجهاد بأموالكم، و أنفسكم، و ألسنتكم، في سبيل الله.

وعليكم بالتواصل و التبادل، و إياكم و التدابر و التقاطع.

لا تتركوا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فيؤلى عليكم شراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم.

ثُمَّ قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا الْفَيْنَكُمُ تَخُوضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضًا تَقُولُونَ: قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ! أَلَا لَا تَقْتُلُنَّ بِي إِلَّا قَاتِلِي، انْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هَذِهِ، فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ، وَلَا تَمَثِّلُوا بِالرَّجُلِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ:

ص: ٢٥٦

إِيَّاكُمْ وَالْمُثَلَّةَ، وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعُقُورِ»

«١».

٤٣ وصيته عليه السلام قبل شهادته

من كلام له عليه السلام قاله قبل موته على سبيل الوصية لما ضربه ابن ملجم لعنه الله:

«وَصِيَّتِي لَكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا وَمُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعُمُودَيْنِ وَأَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْمَصْبَاحَيْنِ وَخَلَاكُمْ ذُمَّ أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ وَالْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ وَغَدًا مُفَارِقُكُمْ إِنْ أَبَقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي وَإِنْ أَفْنٍ فَالْفَنَاءُ مِيعَادِي وَإِنْ أَغْفُ فَالْعَفْوُ إِلَى قُرْبَةٍ وَهُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ فَاعْفُوا أَلَّا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ مَا فَجَأَنِي مِنَ الْمَوْتِ وَارِدَ كَرِهَتُهُ وَلَا طَالَعُ أَنْكَرَتُهُ وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَقَارِبٍ وَرَدَّ وَطَالِبٍ وَجَدَ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ».

«٢»

٤٤ وصيته عليه السلام لما دعاه الله إلى جواره

قال عبد الرحمن بن الحجاج رحمه الله: كانت الوصية الاخرى التي بعثها العبد الصالح الإمام الكاظم عليه السلام، إلى - مع الاولى - هذه:

(١). نهج البلاغة: الكتاب ٤٧ و راجع: الكافي: ج ٧ ص ٥١- ٥٢، التهذيب: ج ٢ ص ٣٢٧، من لا يحضره الفقيه:

ج ٤ ص ١٨٩- ١٩١، تحف العقول: ص ١٩٧، الغيبة للطوسي: ص ٢١٥، الأمل للطوسي: ص ٢١٢، روضة الواعظين: ص ١١٨، كشف الغمّة: ج ١ ص ٤٣١، كتاب سليم بن قيس: ص ١٥، فرحة الغرى: ص ٢٣؛ تاريخ الطبرى: ج ٦ ص ٣٤٦١، الكامل للمبرّد: ج ٢ ص ١٥٢، الكامل لابن الأثير: ج ٣ ص ٣٩١، مروج الذهب: ج ٢ ص ٤١٢، الفتوح: ج ٤ ص ١٤٢، المناقب للخوارزمي: ص ٢٧٨، الأمل للزجاجي: ص ١١٢.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب ٢٣.

ص: ٢٥٧

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ، أَوْصَى أَنَّهُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

ثُمَّ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ، وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

ثُمَّ إِنِّي أَوْصِيكَ يَا حَسَنُ وَجَمِيعَ أَهْلِ بَيْتِي وَوُلْدِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اللَّهِ رَبِّكُمْ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ: صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ، وَأَنَّ الْمُبِيرَةَ الْحَالِقَةَ لِلدِّينِ فَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، انْظُرُوا ذَوِي أَرْحَامِكُمْ فَصِلُوهُمْ يَهْوَنَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْحِسَابَ.

اللَّهُ اللَّهُ فِي الْإِيْتَامِ فَلَا تُغْبُوا أَقْوَاهُمْ، وَلَا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ، فَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ: مَنْ عَالَ يَتِيمًا حَتَّى يَسْتَغْنَى أَوْجَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِذَلِكَ الْجَنَّةَ، كَمَا أَوْجَبَ لِأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ النَّارَ.

اللَّهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ فَلَا يَسْبِقُكُمْ إِلَى الْعَمَلِ بِهِ أَحَدٌ غَيْرُكُمْ.

اللَّهُ اللَّهُ فِي جِيرَانِكُمْ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَوْصَى بِهِمْ، وَمَا زَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ سَيُورَثُهُمْ.

اللَّهُ اللَّهُ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ فَلَا يَخْلُو مِنْكُمْ مَا بَقِيتُمْ، فَإِنَّهُ إِنْ تَرَكْتُمْ لَمْ تُنَاطَرُوا وَأَدْنَى مَا يَرْجِعُ بِهِ مَنْ أُمُّهُ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ مَا سَلَفَ.

اللَّهُ اللَّهُ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا خَيْرُ الْعَمَلِ، إِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ.

ص: ٢٥٨

اللَّهُ اللَّهُ فِي الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا تُطْفِئُ غَضَبَ رَبِّكُمْ.

اللَّهُ اللَّهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَإِنَّ صِيَامَهُ جَنَّةٌ مِنَ النَّارِ.

اللَّهُ اللَّهُ فِي الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، فَسَارِكُوهُمْ فِي مَعَايِشِكُمْ.

اللَّهُ اللَّهُ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَالسِّنَتِكُمْ، فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ رَجُلَانِ: إِمَامٌ هُدَى، أَوْ مُطِيعٌ لَهُ مُقْتَدِرٌ بِهِدَاهُ.

اللَّهُ اللَّهُ فِي ذُرِّيَةِ نَبِيِّكُمْ، فَلَا يُظْلَمَنَّ بِحَضْرَتِكُمْ وَبَيْنَ ظَهْرَانِيكُمْ، وَأَنْتُمْ تَقْدِرُونَ عَلَى الدَّفْعِ عَنْهُمْ.

اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِ نَبِيِّكُمْ، الَّذِينَ لَمْ يُحْدِثُوا حَدَثًا، وَلَمْ يُؤْوَوا مُحَدِّثًا، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَوْصَى بِهِمْ، وَلَعَنَ الْمُحَدِّثَ مِنْهُمْ، وَمِنْ غَيْرِهِمْ، وَالْمُؤْوَى لِلْمُحَدِّثِ.

اللَّهُ اللَّهُ فِي النِّسَاءِ وَفِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ، فَإِنَّ آخِرَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ قَالَ:

أَوْصِيَكُمْ بِالضَّعِيفِينَ النَّسَاءِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ.

الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ، لَا تَخَافُوا فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً، يَكْفِكُمُ اللَّهُ مِنْ آذَانِكُمْ وَيَغِي عَلَيْكُمْ، قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وَلَا تَتْرَكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَيُؤَلِّيَ اللَّهُ أَمْرَكُمْ شِرَارَكُمْ، ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ.

وَعَلَيْكُمْ يَا بَنِيَّ بِالتَّوَّاصِلِ، وَالتَّبَادُلِ، وَالتَّيَّارِ.

وَالْيَاكُمُ وَالتَّقَاطُعِ، وَالتَّدَابُرِ، وَالتَّفَرُّقِ.

وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ.

وَاتَّقُوا اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ.

حَفِظَكُمُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ، وَحَفِظَ فِيكُمْ نَبِيِّكُمْ، أَسْتَوْدِعُكُمْ اللَّهَ، وَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ

ص: ٢٥٩

السَّلَامَ، وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ».

ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، حَتَّى قُبِضَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَرَحْمَتُهُ، فِي ثَلَاثِ لَيَالٍ مِنَ الْعَشْرِ الْآخِرِ لَيْلَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ، مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، سَنَةِ أَرْبَعِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَكَانَ ضَرْبَ لَيْلَةٍ إِحْدَى وَعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ.

«١»

[و قد نقل السيّد رحمه الله في نهج البلاغة روايتين، إحداهما بالرقم «١١» من باب الكتب بعنوان: وصيته له عليه السلام وصّى بها جيشاً بعثه إلى العدو، و ثانيتهما بالرقم «٥٦» بعنوان: و من وصيته له عليه السلام وصّى بها شريح بن هانئ لما جعله على مقدمته إلى الشام، و نحن نورد الروايتين]:

وصيته عليه السلام لشريح بن هانئ (لما جعله على مقدمته إلى الشام):

«اتَّقِ اللَّهَ فِي كُلِّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ، وَخَفْ عَلَى نَفْسِكَ الدُّنْيَا الْغُرُورَ، وَلَا تَأْمَنْهَا عَلَى حَالٍ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَرُدَّ نَفْسَكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ مَخَافَةَ مَكْرُوهِ سَمَتَ بِكَ الْأَهْوَاءُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الضَّرَرِّ، فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَانِعاً رَادِعاً وَلِنَزْوَتِكَ عِنْدَ الْحَفِظَةِ وَأَقِمَّ قَائِماً».

«٢»

و من وصيته له عليه السلام وصّى بها جيشاً بعثه إلى العدو:

«فَإِذَا نَزَلْتُمْ بِعَدُوِّ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ فَلْيَكُنْ مُعْسَكَرُكُمْ فِي قُبُلِ الْأَشْرَافِ، أَوْ سِفَاحِ

(١). الكافي: ج ٧ ص ٥١ ح ٧ و راجع: تحف العقول: ص ١٩٧؛ تاريخ الطبري: ج ٤ ص ١١٣، مقاتل الطالبين:

ص ٢٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ١٢٠، ذخائر العقبى: ص ١١٦، المناقب للخوارزمي:

ص ٢٧٨.

(٢). نهج البلاغة: الكتاب ٥٦، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٢٦١ ح ٦٧٦؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٧ ص ١٣٨ الرقم ٥٦ نحوه.

ص: ٢٦٠

الْجِبَالِ، أَوْ أَثْنَاءِ الْأَنْهَارِ، كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ رِذَاءٌ أَوْ دُونَكُمْ مَرَدًّا، وَلْتَكُنْ مَقَاتِلُكُمْ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ أَوْ اثْنَيْنِ، وَاجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صَيَاصِي الْجِبَالِ، وَمَنَاقِبِ الْهَضَابِ لئَلَّا يَأْتِيَكُمُ الْعَدُوُّ مِنْ مَكَانٍ مَخَافَةٍ، أَوْ أَمْنٍ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَوْمِ عِيُونُهُمْ، وَعُيُونُ الْمُقَدِّمَةِ طَلَابِعُهُمْ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّفَرُّقَ، فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانْزِلُوا جَمِيعًا، وَإِذَا ارْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا جَمِيعًا، وَإِذَا غَشِيَكُمُ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً، وَلَا تَذَوْقُوا النَّوْمَ غِرَارًا، أَوْ مَضْمَضَةً».

«١»

[يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَا نَقَلَهُ السَّيِّدُ رَحِمَهُ اللَّهُ بِالرَّقْمِ «١١» مُخْتَارًا مِنَ الْكِتَابِ الْمُتَقَدِّمِ، كَمَا هُوَ دَائِبُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي النَّهْجِ، وَ مَا نَقَلَهُ بِالرَّقْمِ «٥٦» مِنْ وَصِيَّتِهِ خَارِجًا عَنِ الْكِتَابِ الَّذِي وَصَّى بِهِ شُرَيْحُ بْنُ هَانِيٍّ، كِلَيْهِمَا حِينَ التَّوْدِيْعِ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي وَصِيَّتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَزِيَادَ حِينَ وَدَّعَهُ.]

نقل تحف العقول من وصيَّته عليه السلام لزياد بن النَّضْر، حين أنفذه على مقدمته إلى صفين:

ثُمَّ أَرَدَفَهُ بِكِتَابِ يَوْصِيهِ فِيهِ وَ يَحْذَرُهُ: اعْلَمُ أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَوْمِ عِيُونُهُمْ «٢»

– فساق قريباً من الكتاب المتقدِّم–.

صورة الوصية و الكتاب على نقل تحف العقول:

«اتَّقِ اللَّهَ فِي كُلِّ مَمْسَى وَمَصْبَحٍ، وَخَفْ عَلَى نَفْسِكَ الْغُرُورَ، وَلَا تَأْمَنْهَا عَلَى

(١). نهج البلاغة: الكتاب ١١، تحف العقول: ص ١٩٢، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٤٦١ ح ٦٧٦؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي

الحديد: ج ١٥ ص ٨٩ الرقم ١١ كلها نحوه.

حالٍ مِنَ الْبَلَاءِ.

واعلم، أنك إن لم ترع نفسك عن كثير مما تحبُّ مخافةً مكروهه، سمت بك الأهواء إلى كثيرٍ من الضرِّ حتَّى تظعن، فكن لنفسك مانعاً وازعاً عن الظلم والغي والبغى والعدوان.

قد وليتكَ هذا الجُندَ، فلا تستذلَّهم، ولا تستطلِ عليهم، فإنَّ خيركم اتقاكم، تعلَّم من عالمهم، وعلم جاهلهم، واحلم عن سفيهم، فإنَّك إنما تدرك الخير بالعلم وكف الأذى والجهل.

ثم أردفه بكتاب يوصيه فيه ويحذره:

اعلم أنَّ مقدِّمة القوم غيوتهم، وغيون المقدِّمة طلائعهم، فإذا أنت خرجت من بلادك ودنوت من عدوك، فلا تسأم من توجيه الطلائع في كل ناحية، وفي بعض الشعاب والشجر والخمر، وفي كل جانب، حتَّى لا يغيركم عدوكم ويكون لكم كمين.

ولا تسير الكتائب والقبائل من لدن الصُّباح إلى المساء، إلَّا تعبئةً، فإن دهمكم أمرٌ أو غشيتكم مكروه، كنتم قد تقدَّمتم في التعبئة، وإذا نزلتم بعدوٍّ أو نزل بكم فليكن معسكركم في أقبال الأشراف، أو في سفاح الجبال، أو أثناء الأنهار، كيما يكون لكم رداء، ودونكم مرداً.

ولتكن مقاتلتكم من وجه واحدٍ أو اثنين، واجعلوا رُقباءكم في صياصي الجبال وبأعلى الأشراف، وبمناكب الأنهار، يريئون لكم لئلا يأتيتكم عدوٌّ من مكان مخافةٍ أو أمن، وإذا نزلتم فانزلوا جميعاً، وإذا رحلتم فارحلوا جميعاً، وإذا غشيتكم الليل

فنزلتهم، فحفوا عسكركم بالرماح والترسة، واجعلوا رُماثكم يلوون ترستكم، كيلا تصاب لكم غرة، ولا تلقى لكم غفلة، واحرس عسكرك بنفسك.

وإياك أن ترقد، أو تُصبح إلَّا غراراً أو مضمضةً، ثم ليكن ذلك شأنك ودأبك حتَّى تنتهي إلى عدوك، وعليك بالتأني في حربك. وإياك والعجلة إلَّا أن تمكِّنك فرصة. وإياك أن تقايل إلَّا أن يبدؤوك، أو يأتيتك أمرى، والسلام عليك ورحمة الله.

ص: ٢٦٣

الفصل السابع: مكاتيبه المجهولة التاريخ

ص: ٢٦٥

٤٥ كتابه عليه السلام إلى زياد

[نقل مصنف كتاب معادن الحكمة «١» عن السيّد الرضى رحمه الله فى نهج البلاغة صورة لهذا الكتاب، و نقلنا صورة ثانية له عن اليعقوبى، و نقل البلاذرى صورة ثالثة، و هى:]

و وجّه عليه السلام إلى زياد رسولاً ليأخذه لحمل ما اجتمع عنده من المال، فحمل زياد ما كان عنده، و قال للرسول: إنّ الأكراد قد كسروا من الخراج، و أنا أداريهم فلا تعلّم أمير المؤمنين ذلك فيرى أنّه اعتلال مني.

فقدم الرسول، فأخبر عليّاً عليه السلام بما قال زياد، فكتب إليه:

«قد بلغني رسولى عنك ما أخبرته به عن الأكراد، واستكتامك إيّاه ذلك، وقد علمت أنّك لم تلق ذلك إليه إلّا لتبلغني إيّاه، وإنّي أقسم بالله عز و جل قسماً صادقاً لئن بلغني أنّك خنت من فى المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً، لأشدنّ عليك، شدّةً

(١). معادن الحكمة: ج ١ ص ٣١٤ الرقم ٤٠.

ص: ٢٦٦

يدعك «١» قليل الوفر، ثقيل الظهر، والسلام».

«٢»

كتابه عليه السلام إلى زياد

فى نهج البلاغة: من كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه، و هو خليفة عامله عبد الله بن عباس على البصرة، و عبد الله عامل أمير المؤمنين عليه السلام يومئذٍ عليها، و على كور الأهواز، و فارس و كرمان و غيرها.

«وإنّي أقسم بالله قسماً صادقاً، لئن بلغني أنّك خنت من فى المسلمين شيئاً، صغيراً أو كبيراً، لأشدنّ عليك شدّةً تدعك قليل الوفر، ثقيل الظهر، ضئيل الأمر، والسلام».

«٣»

[أخرجهُ مصَنَّفُ كتابِ معادنِ الحكمة «٤» إلى زياد، و أشرنا إليه في ترجمة زياد، و لكن في شرح ابن أبي الحديد أخرجه بصورة أخرى، لا مناص من نقله هنا، و هو:]

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ مَا وَلَّيْتُكَ، وَأَنَا أَرَاكَ لَذَلِكَ أَهْلًا، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ فَلَتَةٌ فِي أَيَّامِ عُمَرَ مِنْ أَمَانِي النَّبِيِّ وَكَذِبِ النَّفْسِ، لَمْ تَسْتَوْجِبْ بِهَا مِيرَاثًا، وَلَمْ تَسْتَحِقْ بِهَا نَسَبًا، وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ كَالشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، يَأْتِي الْمَرْءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ، فَاحْذَرُهُ، ثُمَّ احْذَرُهُ، ثُمَّ احْذَرُهُ، وَالسَّلَامُ».

«٥»

(١) هكذا في المصدر، و الصحيح: «تَدْعُكَ» كما في نهج البلاغة، الكتاب ٢٠.

(٢). أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٩٠ و راجع: نهج البلاغة: الكتاب ٢٠.

(٣). نهج البلاغة: الكتاب ٢٠.

(٤). معادن الحكمة: ج ١ ص ٣٠٧ الرقم ٣٨.

(٥). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ١٨٢ و راجع: الإصابة: ج ١ ص ٥٤٩، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٨ ص ١٧٢؛ وقعة صفين: ص ٣٦٦.

ص: ٢٦٧

٤٦ كتابه عليه السلام إلى أهل البصرة

«مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنْ قُرِئَ عَلَيْهِ كِتَابِي هَذَا مِنْ سَاكِنِي الْبَصْرَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ حَلِيمٌ ذُو أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ بِالْعُقُوبَةِ قَبْلَ الْبَيِّنَةِ، وَلَا يَأْخُذُ الْمُذْنِبَ عِنْدَ أَوَّلِ وَهْلَةٍ، وَلَكِنَّهُ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ، وَيَسْتَدِيمُ الْأَنَاةَ، وَيَرْضَى بِالْإِنَابَةِ، لِيَكُونَ أَعْظَمَ لِلْحُجَّةِ وَأَبْلَغَ فِي الْمَعْذَرَةِ، وَقَدْ كَانَ مِنْ شِقَاقِ جُلُكُمْ أَتُّهَا النَّاسُ مَا اسْتَحَقَقْتُمْ أَنْ تُعَاقِبُوا عَلَيْهِ فَعَفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ، وَرَفَعْتُ السَّيْفَ عَنْ مُدْبِرِكُمْ، وَقَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكُمْ، وَأَخَذْتُ بِيَعَتِكُمْ؛ فَإِنْ تَفَوْا بِيَعَتِي، وَتَقَبَّلُوا نَصِيحَتِي، وَتَسْتَقِيمُوا عَلَى طَاعَتِي أَعْمَلُ فِيكُمْ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَقَصْدِ الْحَقِّ وَأَقِمُّ فِيكُمْ سَبِيلَ الْهُدَى، فَوَ اللَّهُ، مَا أَعْلَمُ أَنَّ وَالِيًا بَعْدَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنِّي وَلَا أَعْمَلُ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا صَادِقًا غَيْرَ ذَائِمٍ لِمَنْ مَضَى وَلَا مُنْتَقَصًا لِأَعْمَالِهِمْ، فَإِنْ خَطَّتْ بِكُمْ الْأَهْوَاءُ الْمُرْدِيَّةُ وَسَفَهُ الرَّأْيِ الْجَائِرِ إِلَى مُنَابَذَتِي تُرِيدُونَ خِلَافِي، فَهَآنَذَا قَرُبْتُ جِيَادِي وَرَحَلْتُ رِكَابِي، وَابِمْ اللَّهُ، لَئِنْ أَلْجَأْتُمُونِي إِلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ لِأَوْقَعَنَّ بِكُمْ وَقَعَةً لَا يَكُونُ يَوْمُ الْجَمَلِ عِنْدَهَا إِلَّا كَلْعَقَةً لَاعِقَى، وَإِنِّي لَطَّانٌ أَلَّا تَجْعَلُوا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ سَبِيلًا، وَقَدْ قَدَّمْتُ هَذَا الْكِتَابَ حُجَّةً عَلَيْكُمْ، وَلَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ كِتَابًا إِنْ أَنْتُمْ اسْتَعْشَشْتُمْ نَصِيحَتِي وَنَابَذْتُمْ رَسُولِي حَتَّى أَكُونَ أَنَا الشَّاخِصُ نَحْوَكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالسَّلَامُ».

«١»

[نقل مصنف كتاب معادن الحكمة، عن السيّد الرضى رحمه الله فى نهج البلاغة: و من

(١). الغارات: ج ٢ ص ٤٠٣ و راجع: بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٤٩٥؛ تاريخ الطبرى: ج ٥ ص ١١٢، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ٤ ص ٤٩، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٤١٦، أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٩١، البداية و النهاية: ج ٧ ص ٣١٨.

ص: ٢٤٨

المعلوم أنّ السيّد رحمه الله اختصر كما هو دأبه فى نهج البلاغة، فلمّا قرأ جارية كتاب أمير المؤمنين عليه السلام على الناس قام صبرة بن شيمان فقال:

سمعنا و أطعنا، و نحن لمن حارب أمير المؤمنين حرب، و لمن سالم أمير المؤمنين سلم، إن كفيت يا جارية قومك بقولك.

فقام وجوه الناس و تكلموا، فقام زياد خطيباً فى الأزد فأجابوه، و قدم جارية قومه فلم يجيبوه، فأرسل إلى زياد و الأزد يستصرخه، و جاءت الأزد و جاء شريك بن الأعور ناصراً جارية، فانهزم تميم و ابن الحضرميّ و دخلوا دار سبيل السّعدى، فحضروا ابن الحضرميّ فقال جارية: علىّ بالنار، فأحرق الدّار، فهلك ابن الحضرميّ فى سبعين رجلاً. [«١»

٤٧ كتابه عليه السلام إلى ابن عبّاس

[نقل مصنف كتاب معادن الحكمة رحمه الله كتاباً له عليه السلام إلى عبد الله بن العبّاس، و لكن نقله الكشّى و أنساب الأشراف و نهج السّعادة بصور أخرى:]

أمّا نصُّ ما نقل المصنّف:

«أمّا بعد، فإنّ من العجب أن تُزَيّن نفسك، أنّ لك فى بيت مال المسلمين من الحقّ أكثر ممّا لرجل واحد من المسلمين، فقد أفلحت إن كان تمنّيك الباطل، وادّعاؤك ما لا يكون يُنجيك من المأثم، ويحلّ لك المحرم، إنّك لأنّك المهتدى السّعيد إذاً.

(١) راجع: الغارات: ج ٢ ص ٤٠٤؛ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ٤ ص ٥٠.

ص: ٢٤٩

وقد بلغنى أنّك اتّخذت مَكَّةَ و طناً، و ضربت بها عطناً، تشتري بها المؤلّدات من مكّة و المدينة، و الطائف تختارهنّ على عيّتك، و تُعطى فيهنّ مال غيرك، فارجعْ - هداك الله - إلى رُشدك، و تُبْ إلى الله ربّك، و اخرجْ إلى المسلمين من أموالهم، فعَمَّا قَلِيل تَفَارِقُ مَنْ أَلَفْتَ، و تَتْرُكُ مَا جَمَعْتَ، و تَغِيبُ فى صدع من الأرض غيرَ مُوسِدٍ، و لا مُمَهَّدٍ، قد فارت الأحاب، و سكنت التراب، و واجهت الحساب، غنيّاً عمّا خلّفت، فقيراً إلى ما قدّمت، و السّلام».

«١»

وَأَمَّا نَصُّ الْكَشَى:

«أَمَّا بَعْدُ، فَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِنْ تَزْيِينِ نَفْسِكَ، أَنَّ لَكَ فِي بَيْتِ مَالِ اللَّهِ أَكْثَرَ مِمَّا أَخَذْتَ وَأَكْثَرَ مِمَّا لِرَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَدْ أَفْلَحْتَ إِنْ كَانَ تَمَنِّيكَ الْبَاطِلَ، وَادِّعَاؤُكَ مَا لَا يَكُونُ يُنَجِّيكَ مِنَ الْإِثْمِ، وَيُحِلُّ لَكَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ، عَمَرَكَ اللَّهُ، أَنْتَ لَأَنْتَ الْعَبْدُ الْمُهْتَدِي إِذَا.

فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ اتَّخَذْتَ مَكَّةَ وَطَنًا، وَضَرَبْتَ بِهَا عَطَنًا، تَشْتَرِي مُوَلَّدَاتِ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ، وَتَخْتَارُهُنَّ عَلَى عَيْنِكَ، وَتُعْطِي فِيهِنَّ مَالَ غَيْرِكَ، وَأَنْتَ لَا تُقْسِمُ بِاللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكَ وَرَبَّ الْعِزَّةِ: مَا يَسْرُنِي أَنَّ مَا أَخَذْتُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ لِي حَلَالًا، أَدْعُهُ مِيرَاثًا، فَمَا فَلَا غَرَوَ وَأَشَدَّ بَاغْتِيَابِكَ تَأْكُلُهُ رُوَيْدًا رُوَيْدًا، فَكَأَنَّ قَدْ بَلَغْتَ الْمَدَى، وَعُضِرْتَ عَلَى رَبِّكَ بِالْمَحَلِّ الَّذِي يَتَمَنَّى الرَّجْعَةَ وَالْمُضِيعَ لِلتَّوْبَةِ كَذَلِكَ، وَمَا ذَلِكَ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ».

«٢»

أَمَّا نَصُّ أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ تَزْيِينِ نَفْسِكَ لَكَ أَنَّ لَكَ فِي بَيْتِ الْمَالِ مِنْ

(١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ١٧٠.

(٢). رجال الكشي: ج ١ ص ٢٨٠.

ص: ٢٧٠

الْحَقُّ أَكْثَرَ مِمَّا لِرَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَقَدْ أَفْلَحْتَ إِنْ كَانَ ادِّعَاؤُكَ مَا لَا يَكُونُ وَتَمَنِّيكَ الْبَاطِلَ يُنَجِّيكَ مِنَ الْإِثْمِ.

عَمَرَكَ اللَّهُ أَنْتَ لَأَنْتَ السَّعِيدُ إِذَا! وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ اتَّخَذْتَ مَكَّةَ وَطَنًا، وَصَيَّرْتَهَا عَطَنًا، وَاشْتَرَيْتَ مُوَلَّدَاتِ الْمَدِينَةِ وَالطَّائِفِ، تَتَخَيَّرُهُنَّ عَلَى عَيْنِكَ، وَتُعْطِي فِيهِنَّ مَالَ غَيْرِكَ، وَاللَّهِ مَا أَحِبُّ أَنْ يَكُونَ الَّذِي أَخَذْتُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ لِي حَلَالًا أَدْعُهُ مِيرَاثًا، فَكَيْفَ لَا أَعْجَبُ مِنْ اغْتِيَابِكَ بِأَكْلِهِ حَرَامًا! فَضَحَّ رُوَيْدًا، فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ الْمَدَى، حَيْثُ يُنَادِي الْمُعْتَرُّ بِالْحَسْرَةِ، وَيَتَمَنَّى الْمُفْرِطُ التَّوْبَةَ، وَالظَّالِمُ الرَّجْعَةَ، وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ، وَالسَّلَامُ».

«١»

و نَصُّ نَهْجِ السَّعَادَةِ:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْعَجَبَ كُلُّ الْعَجَبِ مِنْكَ، إِذَا تَرَى لِنَفْسِكَ فِي بَيْتِ مَالِ اللَّهِ أَكْثَرَ مِمَّا لِرَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، قَدْ أَفْلَحْتَ إِنْ كَانَ تَمَنِّيكَ الْبَاطِلَ، وَادِّعَاؤُكَ مَا لَا يَكُونُ يُنَجِّيكَ مِنَ الْإِثْمِ، وَيُحِلُّ لَكَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ.

عَمَرَكَ اللَّهُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْبَعِيدُ الْبَعِيدُ، قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ اتَّخَذْتَ مَكَّةَ وَطَنًا، وَضَرَبْتَ بِهَا عَطَنًا، تَشْتَرِي الْمُؤَلَّدَاتِ مِنَ الْمَدِينَةِ وَالطَّائِفِ، وَتَخْتَارُهُنَّ عَلَى عَيْنِكَ، وَتُعْطِي بِهَا مَالَ غَيْرِكَ، وَإِنِّي أَقْسِمُ بِاللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكَ وَرَبِّ الْعِزَّةِ مَا أَحَبُّ أَنْ مَا أَخَذْتُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ لِي حَلَالًا أَدْعُهُ مِيراثًا لِعَقْبِي، فَمَا بَالُ اغْتِبَاطِكَ بِهِ تَأْكُلُهُ حَرَامًا.

ضَحَّ رُوَيْدًا فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ الْمَدَى وَدُفِنْتَ تَحْتَ الثَّرَى، وَعُرِضَتْ عَلَيْكَ أَعْمَالُكَ بِالْمَحَلِّ الَّذِي يُنَادِي فِيهِ الْمُغْتَرُّ بِالْحَسْرَةِ، وَيَتَمَنَّى الْمُضْطَبُّ التَّوْبَةَ، وَالظَّالِمُ الرَّجْعَةَ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ.

«٢»

(١). أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٤٠١.

(٢). نهج السعادة: ج ٥ ص ٣٣١ الرقم ١٦٩.

ص: ٢٧١

كتابه عليه السلام إلى ابن عباس

كان ابن عباس يقول: ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله كانتفاعي بهذا الكلام:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسْرُهُ دَرَكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ، وَيَسُوؤُهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ، فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نَلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ، وَلْيَكُنْ أَسْفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا، وَمَا نَلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلَا تُكْثِرْ بِهِ فَرَحًا، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعًا، وَلْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ.»

«١»

و هذا الكتاب أورده محمد بن يعقوب رحمه الله في الكافي هكذا:

عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ، رَفَعَهُ قَالَ: كَتَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ:

«أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ يَسْرُ الْمَرْءُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ، وَيَحْزَنُهُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ أَبَدًا، وَإِنْ جَهَدَ فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ، أَوْ حُكْمٍ، أَوْ قَوْلٍ، وَلْيَكُنْ أَسْفُكَ فِيمَا فَرَطْتَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ، وَدَعْ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا، فَلَا تُكْثِرْ عَلَيْهِ حَزَنًا، وَمَا أَصَابَكَ مِنْهَا فَلَا تَتَّعَمَّ بِهِ سُرُورًا، وَلْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالسَّلَامُ.»

«٢»

و مثله على ما في نهج البلاغة:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْمَرْءَ لَيَفْرَحُ بِالشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَيَفُوتَهُ، وَيَحْزَنُ عَلَى الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، فَلَا يَكُنْ أَفْضَلَ مَا نِلْتَ فِي نَفْسِكَ مِنْ دُنْيَاكَ بُلُوغُ لَذَّةٍ أَوْ شِفَاءٍ غَيِظٍ، وَلَكِنْ إِطْفَاءُ بَاطِلٍ أَوْ إِحْيَاءُ حَقٍّ، وَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا قَدَّمْتَ، وَأَسْفُكَ عَلَى مَا

(١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ١٤٠.

(٢). الكافي: ج ٨ ص ٢٤٠ ح ٣٢٧.

ص: ٢٧٢

خَلَّفْتُ، وَهَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ».

«١»

كتابه عليه السلام إلى ابن عباس

«أَمَّا بَعْدُ، فَاطْلُبْ مَا يَعْنِيكَ، وَاتْرُكْ مَا لَا يَعْنِيكَ، فَإِنَّ فِي تَرْكِ مَا لَا يَعْنِيكَ دَرَكًا مَا يَعْنِيكَ، وَإِنَّمَا تَقْدِمُ عَلَى مَا أَسْلَفْتَ لَا عَلَى مَا خَلَّفْتَ، وَابْنِ مَا تَلْقَاهُ غَدًا عَلَى مَا تَلْقَاهُ، وَالسَّلَامُ».

«٢»

كتابه عليه السلام إلى ابن عباس

كتب علي عليه السلام إلى ابن عباس:

«أَمَّا بَعْدُ، فَلَا يَكُنْ حَظُّكَ فِي وَلَا يَتَّكَ مَالًا تَسْتَفِيدُهُ، وَلَا غَيْظًا تَشْتَفِيهِ، وَلَكِنْ أَمَاتَةَ بَاطِلٍ، وَإِحْيَاءَ حَقٍّ».

«٣»

كتابه عليه السلام إلى ابن عباس

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ لَسْتَ بِسَابِقٍ أَجَلَكَ، وَلَا مَرْزُوقٍ مَا لَيْسَ لَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ الدَّهْرَ يَوْمَانِ:

يَوْمٌ لَكَ، وَيَوْمٌ عَلَيْكَ، وَأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ دُولٍ، فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ».

«٤»

(١). نهج البلاغة: الكتاب ٦٦.

(٢). تحف العقول: ص ٢١٨، بحار الأنوار: ج ٧٨ ص ٥٧.

(٣). بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ٣٢٨ ح ١٠ نقلًا عن المناقب لابن شهر آشوب.

(٤). نهج البلاغة: الكتاب ٧٢.

ص: ٢٧٣

٤٨ كتابه عليه السلام إلى بعض أكابر أصحابه

قال السيّد بن طاوس رحمه الله: إنّ الشّيخ محمّد بن يعقوب الكليني رحمه الله ذكر في كتاب الرّسائل المعتمد عليه، عن أمير المؤمنين عليه السلام رسالة تتضمّن ذكر الأئمّة من ذرّيته عليهم السلام.

قال محمّد بن يعقوب: ما هذا لفظه: عن عليّ بن محمّد، و محمّد بن الحسن و غيرهما، عن سَهْل بن زياد، عن العباس بن عمّران، عن محمّد بن القاسم بن الوليد الصّيرفيّ، عن المفضل، عن سنان بن طريف، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«كان أمير المؤمنين عليه السلام يكتب بهذه الخطبة إلى بعض أكابر أصحابه، وفيها كلامٌ عن رسول الله صلى الله عليه و آله:»

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إلى المقرّبين المقرّبين في الأظلة، الممتحنين بالبليّة، المسارعين في الطاعة المُستيقنين بى الكرة، تحيةً منّا إليكم، وسلامٌ عليكم.

أمّا بعدُ، فإنّ نور البصيرة روح الحياة الذي لا يَنفَعُ إيمانٌ إلّا به مع اتّباع كلمة الله، والتّصديق بها، فالكلمة من الروح، والروح من النّور، والنّور نور السّماوات والأرض، فبأيديكم سببٌ وصلّ إليكم منّا، نعمةٌ من الله لا تَعْقِلُونَ شُكْرَهَا خَصَّكُمْ بها واستخلصكم لها، «و تِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَ مَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ» «١»، إنّ الله عهدٌ عهداً أن لن يحلّ عَقْدُهُ أحدٌ سواه، فسارعوا إلى وفاء العهد، وامكثوا في طلب الفضل، فإنّ الدّنيا عَرْضٌ حاضرٌ يأكل منها البرُّ والفاجر، وإنّ الآخرة وعْدٌ

(١) العنكبوت: ٤٣.

ص: ٢٧٤

صَادِقٌ يَقْضِي فِيهَا مَلِكٌ قَادِرٌ.

أ لا وإنّ الأمر كما وُفّع، لِسَبْعِ بَقِينٍ من صَفَرٍ تَسِيرُ فِيهَا الْجُنُودُ، وَيُهْلِكُ فِيهَا الْمُبْطِلُ الْجَحُودُ خِيُولُهَا عِرَابٌ، وَفُرسَانُهَا حِرَابٌ، وَنَحْنُ بِذَلِكَ وَاثِقُونَ، وَلِما ذَكَرْنَا مُنْتَظِرُونَ أَنْتَظَارَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرِ، لِيَنْبُتَ الْعُشْبُ، وَيُجْنَى الثَّمَرَةُ.

دَعَانِي إِلَى الْكِتَابِ إِلَيْكُمْ اسْتِنْقَاذُكُمْ مِنَ الْعَمَى، وَإِرْشَادُكُمْ بِأَبِ الْهُدَى، فَاسْلُكُوا سَبِيلَ السَّلَامَةِ، فَإِنَّهَا جِمَاعُ الْكَرَامَةِ، اصْطَفَى اللَّهُ مِنْهُجَهُ، وَبَيَّنَ حُجَجَهُ، وَأَرَفَ أَرْفَهُ، وَوَصَفَهُ وَحَدَّهُ، وَجَعَلَهُ نَصًّا كَمَا وَصَفَهُ.

قال رسول الله صلى الله عليه و آله: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا دَخَلَ حُفْرَتَهُ يَأْتِيهِ مَلَكَانِ: أَحَدُهُمَا مُنْكَرٌ، وَالْآخَرُ نَكِيرٌ، فَأَوَّلُ مَا يَسْأَلَانِهِ عَنْ رَبِّهِ، وَعَنْ نَبِيِّهِ، وَعَنْ وَلِيِّهِ، فَإِنْ أَجَابَ نَجَا، وَإِنْ تَحَيَّرَ عَذِّبَاهُ.

فَقَالَ قَائِلٌ: فَمَا حَالُ مَنْ عَرَفَ رَبَّهُ، وَعَرَفَ نَبِيَّهُ، وَلَمْ يَعْرِفْ وَلِيِّهِ؟

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله: ذَلِكَ مُذْذَبٌ «لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ» «١».

قيل: فَمَنْ الْوَلِيُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

فَقَالَ: وَلِيُّكُمْ فِي هَذَا الزَّمَانِ أَنَا وَمَنْ بَعْدِي وَصِيِّي، وَمَنْ بَعْدَ وَصِيِّي لِكُلِّ زَمَانٍ حُجُّجُ اللَّهِ كَيْمَا لَا تَقُولُونَ كَمَا قَالَ الضُّلَّالُ حِينَ فَارَقَهُمْ نَبِيُّهُمْ: «رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى» «٢»، وَإِنَّمَا كَانَ تَمَامُ ضَلَالِهِمْ جَهْلَتَهُمْ بِالْآيَاتِ وَهُمْ الْأَوْصِيَاءُ، فَأَجَابَهُمُ اللَّهُ: «قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا

(١) النساء: ١٤٣.

(٢) طه: ١٣٤.

ص: ٢٧٥

فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَبُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى» «١»، وَإِنَّمَا كَانَ تَرَبُّصُهُمْ أَنْ قَالُوا: نَحْنُ فِي سَعَةٍ عَنْ مَعْرِفَةِ الْأَوْصِيَاءِ حَتَّى يُعْلِنَ الْإِمَامُ عِلْمَهُ.

فَالْأَوْصِيَاءُ قُورَاءٌ عَلَيْكُمْ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ، وَأَنْكَرُوهُ، لِأَنَّهُمْ عُرَفَاءُ الْعِبَادِ، عَرَفَهُمُ اللَّهُ إِيَابَهُمْ عِنْدَ اخْتِارِ الْمَوَاتِيْقِ عَلَيْهِمْ بِالطَّاعَةِ لَهُمْ، فَوَصَفَهُمْ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ جَلَّ وَعَزَّ: «وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلَّامٍ بِسِيمَلٍ - هُمْ» «٢»، وَهُمْ الشُّهَدَاءُ عَلَى النَّاسِ وَالنَّبِيُّونَ شُهَدَاءُ لَهُمْ بِأَخْذِهِ لَهُمْ مَوَاتِيْقَ الْعِبَادِ بِالطَّاعَةِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: «فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا» * يَوْمَئِذٍ يُوَدِّعُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا» «٣»، وَكَذَلِكَ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى آدَمَ: أَنْ يَا آدَمُ قَدْ انْقَضَتْ مُدَّتُكَ، وَقَضِيَتْ نُبُوتُكَ، وَاسْتَكْمَلْتَ أَيَّامَكَ، وَحَضَرَ أَجْلُكَ، فَخُذْ النُّبُوَّةَ، وَمِيرَاثَ النُّبُوَّةِ وَاسْمُ اللَّهِ الْأَكْبَرِ، فَادْفَعُهُ إِلَى ابْنِكَ هَبَةَ اللَّهِ، فَإِنِّي لَمْ أَدْعِ الْأَرْضَ بِغَيْرِ عِلْمٍ يُعْرِفُ، فَلَمْ يَزَلِ الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْصِيَاءُ يَتَوَارَثُونَ ذَلِكَ حَتَّى انْتَهَى الْأَمْرُ إِلَيَّ، وَأَنَا أَدْفَعُ ذَلِكَ إِلَى عَلِيٍّ وَصِيِّي، وَهُوَ مَنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، وَإِنَّ عَلِيًّا يُوَرِّثُ وَلَدَهُ حَيْثُ عَنْ مَبِيتِهِمْ، فَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ رَبِّهِ فَلْيَتَوَلَّ عَلِيًّا وَالْأَوْصِيَاءَ مِنْ بَعْدِهِ، وَلْيَسَلِّمْ لِفَضْلِهِمْ، فَإِنَّهُمْ الْهُدَاةُ بَعْدِي، أَعْطَاهُمُ اللَّهُ فَهْمِي وَعِلْمِي، فَهُمْ عِزَّتِي مِنْ لَحْمِي وَدَمِي، أَشْكُو إِلَى اللَّهِ عَدُوَّهُمْ، وَالْمُنْكَرَ لَهُمْ فَضْلَهُمْ، وَالْقَاطِعَ عَنْهُمْ صِلَتِي.

فَنَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَمَعْدِنُ الرَّحْمَةِ، وَمَخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ، وَمَوْضِعُ

(١) طه: ١٣٤.

(٢) الأعراف: ٤٦.

(٣) النساء: ٤١ و ٤٢.

ص: ٢٧٦

الرَّسَالَةَ، فَمَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا هَلَكَ، وَمَثَلُ بَابِ حِطَّةٍ فِي بَيْتِ إِسْرَائِيلَ، مَنْ دَخَلَهُ غُفِرَ لَهُ، فَأَيُّمَا رَايَةٍ خَرَجَتْ لَيْسَتْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَهِيَ دَجَالِيَّةٌ.

إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ لِدِينِهِ أَقْوَامًا انْتَخَبَهُمُ لِلْقِيَامِ عَلَيْهِ وَالنَّصْرِ لَهُ، طَهَّرَهُمْ بِكَلِمَةِ الْإِسْلَامِ، وَأَوْحَى إِلَيْهِمْ مُفْتَرَضَ الْقُرْآنِ، وَالْعَمَلَ بِطَاعَتِهِ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا.

إِنَّ اللَّهَ خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ، وَاسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَمْنَعُ سَلَامَةٍ، وَأَجْمَعُ كَرَامَةٍ، اصْطَفَى اللَّهُ مِنْهُجَهُ، وَوَصَفَهُ وَوَصَفَ أَخْلَاقَهُ، وَوَصَلَ أَطْنَابَهُ، مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ وَبَاطِنِ حُكْمٍ (حَلَمَ)، ذِي حَلَاوَةٍ وَمَرَارَةٍ، فَمَنْ طَهَّرَ بَاطِنَهُ رَأَى عَجَائِبَ مَنَاطِرِهِ فِي مَوَارِدِهِ وَمَصَادِرِهِ، وَمَنْ فَطَنَ لِمَا بَطْنُ رَأَى مَكْنُونِ الْفُطْنِ، وَعَجَائِبُ الْأَمْثَالِ وَالسُّنَنِ، ظَاهِرُهُ أَنْيَقُ، وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ، وَلَا تَفْنَى غَرَائِبُهُ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ فِيهِ، مَفَاتِيحُ الْكَلَامِ، وَمَصَابِيحُ الظَّلَامِ، لَا يُفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمِفَاتِيحِهِ، وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ، فِيهِ تَفْصِيلٌ وَتَوْصِيلٌ، وَبَيَانُ الْأَسْمَنِ الْأَعْلَى، الَّذِينَ جُمِعَا فَاجْتَمَعَا، وَلَا يَصْلُحَانِ إِلَّا مَعًا، يُسَمَّيَانِ، وَيُوصَلَانِ فَيَجْتَمِعَانِ، تَمَامُهُمَا فِي تَمَامِ أَحَدِهِمَا، حَوَالِيَهُمَا نَجْوَمٌ، وَعَلَى نُجُومِهَا نُجُومٌ، لِيَحْمِيَ حِمَاهُ، وَيَرْعَى مَرْعَاهُ.

وفى القرآن تبيانهُ، وبيانهُ، وحدودهُ، وأركانهُ، ومواضيعُ مقاديرهُ، ووزنُ ميزانهُ:

مِيزَانُ الْعَدْلِ، وَحُكْمُ الْفَصْلِ، إِنَّ رُعَاةَ الدِّينِ فَرَّقُوا بَيْنَ الشَّكِّ وَالْيَقِينِ، وَجَاوَزُوا بِالْحَقِّ، بَنَوْا لِلْإِسْلَامِ بُيَانًا، فَاسَّسُوا لَهُ أَسَاسًا وَأَرْكَانًا، وَجَاوَزُوا عَلَى ذَلِكَ شُهُودًا، بَعْلَامَاتٍ وَأَمَارَاتٍ، فِيهَا كِفَاءُ الْمُكْتَفَى، وَشِفَاءُ الْمُسْتَشْفَى، يَحُومُونَ حِمَاهُ، وَيَرْعَوْنَ مَرْعَاهُ، وَيَصُونُونَ مَصُونَهُ، وَيُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ، لِحُبِّ اللَّهِ، وَبِرِّهِ وَتَعْظِيمِ أَمْرِهِ، وَذَكَرَهُ مِمَّا يَجِبُ أَنْ يُذَكَّرَ بِهِ، يَتَوَاصَلُونَ بِالْوِلَايَةِ، وَيَتَنَازَعُونَ بِحُسْنِ الرَّعَايَةِ،

ص: ٢٧٧

وَيَتَسَاقُونَ بِكَأْسِ رَوْيَةٍ، وَيَتَلَقَّوْنَ بِحُسْنِ النَّحِيَّةِ، وَأَخْلَاقِ سَنِيَّةِ، قَوْمٍ عُلَمَاءُ، أَمَنَاءُ، لَا يَسُوعُ فِيهِمُ الرِّبْيَةُ، وَلَا تُشْرَعُ فِيهِمُ الْغَيْبَةُ، فَمَنْ اسْتَبْطَنَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا اسْتَبْطَنَ خُلُقًا سَنِيًّا.

فَطُوبَى لِمَنْ لَدَى قَلْبٍ سَلِيمٍ، أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ، وَاجْتَنَبَ مَنْ يُرِيدُهُ، وَيَدْخُلُ مَدْخَلَ كَرَامَةٍ، وَيَنَالُ سَبِيلَ سَلَامَةٍ، تَبَصَّرَ لِمَنْ بَصَرَهُ، وَطَاعَةَ لِمَنْ يَهْدِيهِ إِلَى أَفْضَلِ الدَّلَالَةِ، وَكَشَفَ غِطَاءَ الْجَهَالَةِ الْمُضِلَّةِ الْمُهْلِكَةِ، وَمَنْ أَرَادَ بَعْدَ هَذَا فَلْيُطَهِّرْ بِالْهُدَى دِينَهُ، فَإِنَّ الْهُدَى لَا تُغْلَقُ أَبْوَابُهُ، وَقَدْ فُتِحَتْ أَسْبَابُهُ بِبُرْهَانٍ وَبَيَانٍ، لَا مَرِيَّ اسْتَنْصَحَ، وَقَبِلَ نَصِيحَةَ مَنْ نَصَحَ بِخُضُوعٍ، وَحُسْنِ خُشُوعٍ، فَلْيُقْبَلْ أَمْرٌ بِقَبُولِهَا، وَلْيَحْذَرْ قَارِعَةً قَبْلَ حُلُولِهَا، وَالسَّلَامُ».

٤٩ كتابه عليه السلام إلى بعض أصحابه

كتب إلى بعض أصحابه واعظاً له:

عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى، عَنْ يُونُسَ، عَنْ أَبِي جَمِيلَةَ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«كَتَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ يَعْظُمُ:

«أَوْصِيكَ وَنَفْسِي بِنَفْسِي مَنْ لَا تَحِلُّ مَعْصِيَتُهُ، وَلَا يُرْجَى غَيْرُهُ، وَلَا الْغِنَى إِلَّا بِهِ، فَإِنَّ مَنْ اتَّقَى اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ وَقَوَّى، وَشَبَّعَ وَرَوَّى، وَرَفَعَ عَقْلَهُ عَنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَبَدَنَهُ مَعَ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَقَلْبَهُ وَعَقْلَهُ مُعَايِنُ الْآخِرَةِ، فَأَطْفَأَ بَصُوءَ قَلْبِهِ مَا ابْصُرَتْ عَيْنَاهُ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا، فَقَدَّرَ حَرَامَهَا، وَجَانَبَ شُبُهَاتَهَا، وَأَضَرَّ وَاللَّهِ بِالْحَلَالِ الصَّافِي إِلَّا مَا لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ، مِنْ كُسْرَةٍ مِنْهُ يَشُدُّ بِهَا صُلْبَهُ، وَثَوْبٍ يُوَارِي بِهِ عَوْرَتَهُ مِنْ أَغْلَظِ مَا يَجِدُ

(١). كشف المحجّة: ص ٢٧٠ - ٢٧٦ و راجع: بحار الأنوار: ج ٣٠ ص ٣٧، إثبات الهداة: ج ٣ ص ٧٥.

ص: ٢٧٨

وَأَحْسَنِهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِيمَا لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ ثِقَةٌ وَلَا رَجَاءٌ، فَوَقَعَتْ ثِقَتُهُ وَرَجَاؤُهُ عَلَى خَالِقِ الْأَشْيَاءِ، فَجَدَّ واجْتَهَدَ، وَأَتَعَبَ بَدَنَهُ حَتَّى بَدَتْ الْأَضْلَاعُ، وَغَارَتِ الْعَيْنَانِ، فَأَبْدَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ قُوَّةً فِي بَدَنِهِ، وَشِدَّةً فِي عَقْلِهِ، وَمَا ذُخِرَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ أَكْثَرُ.

فَارْفُضِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ حُبَّ الدُّنْيَا يُعْمِي وَيُصِمُّ، وَيُبْكِمُ وَيُذِلُّ الرِّقَابَ، فَتَدَارِكُ مَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِكَ، وَلَا تَقُلْ غَدًا أَوْ بَعْدَ غَدٍ، فَإِنَّمَا هَلَكٌ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ بِإِقَامَتِهِمْ عَلَى الْأَمَانِيِّ وَالتَّسْوِيفِ، حَتَّى أَتَاهُمْ أَمْرُ اللَّهِ بَغْتَةً وَهُمْ غَافِلُونَ، فَنُقِلُوا عَلَى أَعْوَادِهِمْ إِلَى قُبُورِهِمُ الْمُظْلِمَةِ الضَّيِّقَةِ، وَقَدْ أَسْلَمَهُمُ الْأَوْلَادُ وَالْأَهْلُونَ.

فَانْقَطِعْ إِلَى اللَّهِ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ مِنْ رَفْضِ الدُّنْيَا، وَعَزْمٍ لَيْسَ فِيهِ انْكِسَارٌ، وَلَا انْخِزَالٌ، أَعَانَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَوَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ لِمَرْضَاتِهِ».

٥٠ كتابه عليه السلام إلى بعض أصحابه

ابن ادريس قدس الله نفسه، عن ابن قولويه رحمه الله، عن جميل (بن دراج رحمه الله) قال:

قال أبو عبد الله (الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام):

بَلَغَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَوْتَ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ جَاءَ خَبَرُ آخَرٍ، أَنَّهُ لَمْ يَمِتْ فَكَتَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِ:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ أَتَانَا خَبَرُ ارْتِنَاعٍ لَهُ إِخْوَانُكَ، ثُمَّ جَاءَ تَكْذِيبُ الْخَبَرِ الْأَوَّلِ، فَأَنْعَمَ ذَلِكَ أَنْ سَرَرْنَا، وَإِنَّ السَّرُورَ وَشَيْكَ الْإِنْقِطَاعِ، يُبْلَغُهُ عَمَّا قَلِيلٍ تَصْدِيقُ الْخَبَرِ الْأَوَّلِ، فَهَلْ أَنْتَ كَائِنٌ كَرَجَلٍ قَدْ ذَاقَ الْمَوْتَ وَعَاشَ مَا بَعْدَهُ، فَسَأَلَ الرَّجْعَةَ

(١). الكافي: ج ٢ ص ١٣٦ ح ٢٣.

ص: ٢٧٩

فَأُسْعِفَ بَطْلِبَتِي، فَهُوَ مُتَأَهَّبٌ دَائِبٌ بِنَقْلِ مَأْسَرِهِ «١» مِنْ مَالِهِ إِلَى دَارِ قَرَارِهِ، لَا يَرَى أَنْ لَهُ مَالًا غَيْرَهُ.

وَعَلِمَ أَنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَمْ يَزَالَا دَائِبَيْنِ فِي نَقْصِ الْأَعْمَارِ، وَإِنْفَادِ الْأَمْوَالِ وَطَيِّ الْأَجَالِ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ قَدْ صَبَحَا عَادًا وَتَمُودًا وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا، فَأَصْبَحُوا قَدْ وَرَدُوا عَلَى رَبِّهِمْ، وَقَدِمُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ غَضَّانِ جَدِيدَانِ، لَا يُبْلِيهِمَا مَا مَرَّ بِهِ، يَسْتَعْدَّانِ لِمَنْ بَقِيَ بِمِثْلِ مَا أَصَابَا فِيهِ مَنْ مَضَى.

وَعَلِمَ إِنَّمَا أَنْتَ نَظِيرُ إِخْوَانِكَ وَأَشْبَاهِكَ مِثْلُكَ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، قَدْ نَزَعَتْ قُوَّتُهُ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا حُشَاشَةُ نَفْسِهِ يَنْتَظِرُ الدَّاعِيَ، فَتَعَوَّذَ بِاللَّهِ مِمَّا نَعِظُ بِهِ، ثُمَّ تَقَصَّرَ عَنْهُ».

«٢»

٥١ كتابه عليه السلام إلى مولى له

عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ عِيْسَى، عَنْ يُونُسَ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ:

«إِنَّ مَوْلَى لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَهُ مَالًا، فَقَالَ:

يَخْرُجُ عَطَائِي فَأَقَاسِمُكَ هُوَ.

فَقَالَ: لَا أَكْتَفِي، (و) خَرَجَ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَوَصَّلَهُ فَكَتَبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يُخْبِرُهُ بِمَا أَصَابَ مِنَ الْمَالِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَا فِي يَدِكَ مِنَ الْمَالِ قَدْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ قَبْلَكَ، وَهُوَ صَائِرٌ إِلَى أَهْلِهِ بَعْدَكَ.

(١) فِي الْمَصْدَرِ: «يَنْقَلُ بِأَسْرِهِ» وَالتَّصْوِيبُ مِنْ بَحَارِ الْأَنْوَارِ.

(٢). مستطرفات السرائر: ص ١٤١ ح ٤ و راجع: بحار الأنوار: ج ٦ ص ١٣٤؛ جمع الجوامع: ج ٢ ص ١٥١، كنز العمال: ج ٨ ص ٢١٩.

وَأَمَّا لَكَ مِنْهُ مَا مَهَّدَتْ لِنَفْسِكَ، فَأَثِرُ نَفْسِكَ عَلَى صَلَاحِ وَلَدِكَ، فَإِنَّمَا أَنْتَ جَامِعٌ لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ: إِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِطَاعَةِ اللَّهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيَتْ، وَإِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَشَقِيَ بِمَا جَمَعَتْ لَهُ، وَلَيْسَ مِنْ هَذَيْنِ أَحَدٌ بِأَهْلٍ أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ، وَلَا تُبَرِّدَ لَهُ عَلَى ظَهْرِكَ، فَارْجُ لِمَنْ مَضَى رَحْمَةَ اللَّهِ، وَثِقْ لِمَا بَقِيَ بَرَزَقِ اللَّهِ.

«١»

٥٢ كتابه عليه السلام إلى مَنْ يُريدُ عزله

أورد أبو عمر في الاستيعاب:

« قَدْ جَاءَ تَكْمُ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ » «٢»، « وَ لَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ وَ مَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ » «٣»

. «إِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا فَاحْتَفِظْ بِمَا فِي يَدَيْكَ مِنْ أَعْمَالِنَا حَتَّى نَبْعَثَ إِلَيْكَ مَنْ يَتَسَلَّمُهُ مِنْكَ».

«٤»

(١). الكافي: ج ٨ ص ٧٣ ح ٢٨ و راجع: نهج البلاغة: الحكمة ٤١٦، المناقب لابن شهر آشوب: ج ١ ص ٣١٢ - ٣١٥.

(٢) الأعراف: ٨٥.

(٣) هود: ٨٥ و ٨٦.

(٤). الاستيعاب: ج ٣ ص ٢١١ الرقم ١٨٧٥ و راجع: تاريخ بغداد: ج ٤ ص ٢١١، تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٥ ص ٣١٦، العقد الفريد: ج ١ ص ٢٩١، بلاغات النساء: ص ٤٨ ذكرا كلاهما الأخير في ذيل قصّة سودة، بنت عمّارة، معجم المؤلفين: ج ١ ص ٢٥٦؛ مطالب السؤل: ص ٩٣، بحار الأنوار: ج ٤١ ص ١١٩ نقلًا عن كشف الغمّة، قاموس الرجال: ج ١٠ ص ٤٦٤ و فيه «كتابيه عليه السلام إلى عامله يريد عزله، قال أبو عمر: إذا بلغه من أحدهم خيانة كتب إليه و يستفاد منه، أنّه كان يكتبه إلى كلِّ مَنْ يريد عزله».

٥٣ كتابه عليه السلام في الدِّيَّات

[روى الشيخ الأعظم الكليني رحمه الله في الكافي، و كذا الشيخ الصدوق رحمه الله في مَنْ لَا يحضره الفقيه، و الشيخ الطوسي في الاستبصار، و التّهذيب بإسنادهم، و نحن نذكر الأسانيد أولًا، ثُمَّ ننقله عن التّهذيب، لكون روايته أجمع و أكمل، و نتعرض لذكر ما أورده الكافي و مَنْ لَا يحضره الفقيه.]

قال في الكافي: عليُّ بنُ إبراهيم، عن مُحَمَّد بنِ عيسى، عن يونسَ و عِدَّةٍ من أصحابنا، عن سَهْل بن زيادٍ، عن مُحَمَّد بن عيسى، عن يونسَ، أَنَّهُ عَرَضَ علي أبي الحسن الرضا عليه السلام كتابَ الدِّيَاتِ، و كان فيه ...

عليُّ، عن أبيه، عن ابن فضالٍ، عن الرضا عليه السلام مثله. «١»

ثم ذكر بسنده عن مُحَمَّد بن عيسى، عن يونسَ، و عن أبيه، عن ابن فضالٍ، جميعاً عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: يونسُ عَرَضْتُ عليه الكتاب، فقال:

«هو صحيح»

. [ثم نقل شطراً من الكتاب، فقال:] عِدَّةٌ من أصحابنا عن سَهْل بن زيادٍ، عن الحسن بن ظريفٍ، عن أبيه ظريف بن ناصح، عن رَجُلٍ يُقال له عبد الله بن أيوب، قال: حدَّثني أبو عمرو المُتَطَبِّبُ، قال: عَرَضْتُ هذا الكتابَ علي أبي عبد الله عليه السلام و عليُّ بنُ فضالٍ، عن الحسن بن الجهم، قال: عَرَضْتُهُ علي أبي الحسن الرضا عليه السلام، فقال لي:

«ارؤوه فإنه صحيح»

ثم ذكر مثله. «٢»

(١). الكافي: ج ٧ ص ٣١١ ح ١.

(٢). الكافي: ج ٧ ص ٣٢٤ ح ٩.

ص: ٢٨٢

و ذكر شطراً منه بإسناده عن مُحَمَّد بن عيسى، عن يونسَ، عن أبي الحسن عليه السلام، و عنه عن أبيه، عن ابن فضالٍ، قال: عرضتُ الكتابَ علي أبي الحسن عليه السلام، فقال:

«هو صحيح...»

. «١»

و عليُّ بنُ إبراهيم، عن أبيه، عن ابن فضالٍ و مُحَمَّد بن عيسى، عن يونسَ جميعاً قالوا: عَرَضْنَا كتابَ الفرائض عن أمير المؤمنين عليه السلام علي أبي الحسن الرضا، فقال: عليه السلام

«هو صحيح»

. «٢»

وَعِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ ظَرِيفٍ، عَنْ أَبِيهِ ظَرِيفِ بْنِ نَاصِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أَيُّوبَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عَمْرٍو الْمُتَطَبِّبُ، قَالَ عَرَضْتُهُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ:

أَفْتَى - أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَكَتَبَ النَّاسُ فُتْيَاهُ، وَكَتَبَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَمْرَائِهِ وَرُؤُوسِ أَجْنَادِهِ ...

ثُمَّ سَاقَ الْحَدِيثَ. «٣»

وَرَوَى الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ فَضَّالٍ عَنْ ظَرِيفِ بْنِ نَاصِحٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَيُّوبَ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ الرَّوَّاسِيُّ، عَنْ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ الطَّبَّيْبِ، قَالَ: عَرَضْتُ هَذِهِ الرَّوَايَةَ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ:

«نَعَمْ هِيَ حَقٌّ، وَقَدْ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَأْمُرُ عُمَّالَهُ بِذَلِكَ»

. «٤»

وِإِسْنَادُهُ إِلَى ابْنِ فَضَّالٍ كَمَا فِي مَشِيخَةِ الْفَقِيهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عِيسَى عَنْهُ. «٥»

(١). الكافي: ج ٧ ص ٣٢٧ ح ٥.

(٢). الكافي: ج ٧ ص ٣٣٠ ح ١.

(٣). الكافي: ج ٧ ص ٣٣٠ ح ٢.

(٤). من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٧٥ ح ٥١٥٠.

(٥). من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٤٩٥.

ص: ٢٨٣

و فِي التَّهْذِيبِ: مُحَمَّدٌ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْوَلِيدِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الصَّقَّارِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عِيسَى، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ فَضَّالٍ، عَنْ ظَرِيفِ بْنِ نَاصِحٍ، وَرَوَى أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ مَعْرُوفٍ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ فَضَّالٍ، عَنْ ظَرِيفِ بْنِ نَاصِحٍ وَ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ فَضَّالٍ، عَنْ ظَرِيفِ بْنِ نَاصِحٍ وَ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ ظَرِيفٍ، عَنْ أَبِيهِ ظَرِيفِ بْنِ نَاصِحٍ، وَ رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْوَلِيدِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِدْرِيسَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَسَّانِ الرَّازِيِّ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ الْكِنْدِيِّ، عَنْ ظَرِيفِ بْنِ نَاصِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَيُّوبَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عَمْرٍو الْمُتَطَبِّبُ، قَالَ: عَرَضْتُ هَذِهِ الرَّوَايَةَ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَ رَوَى عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ فَضَّالٍ وَ مُحَمَّدَ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ، جَمِيعاً عَنِ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَا عَرَضْنَا عَلَيْهِ الْكِتَابَ، فَقَالَ:

هُوَ نَعَمْ حَقٌّ، وَقَدْ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَأْمُرُ عُمَّالَهُ بِذَلِكَ. «١»

و نقل فى مواضع من التَّهْذِيبِ شَطْرًا من هذا الكتاب، بهذه الأسانيد. «٢»

و ذكر العلَّامة الثُّورى رحمه الله فى خاتمة المستدرک، کتاب الدِّيَّات لِظَرِيف بن ناصح، و بحث فى اعتباره و طرق العلماء رضى الله عنهم إليه، الَّتِى يَتَّصِلُ إِلَى المشايخ الثَّلَاثَةِ الْعِظَامِ، و إِسْنَادُ الْمَشَايِخِ الْعِظَامِ إِلَى ظَرِيف بن ناصح إِلَى الإمام أبى عبد الله أو إِلَى أبى الحسن الرِّضَا عَلَيْهِمَا السَّلَام، و هِىَ مَا تَقَدَّمَ مُفَصَّلًا، و اعترف فى آخر كلامه بوجود الاختلاف بين ما نقله الكافى و التَّهْذِيبِ و الفقيه، و ما فى كتاب الدِّيَّاتِ

(١). تهذيب الأحكام: ج ١٠ ص ٢٩٥ ح ١١٤٨.

(٢). تهذيب الأحكام: ج ١٠ ص ١٦٩ ح ٦٦٨ و ص ٢٤٥ ح ٩٦٨ و ص ٢٥٨ ح ١٠١٩ و ص ٢٩٢ ح ١١٣٥ و ص ٢٩٥ ح ١١٤٨، الاستبصار: ج ٤ ص ٢٩٩ ح ٣.

ص: ٢٨٤

الموجود عنده. «١»

و يظهر ممَّا نقله الكليني «٢» و التَّهْذِيبِ «٣»، أَنَّ أمير المؤمنين عليه السلام أفتى بما فى هذا الكتاب فى وقائع متعدِّدة فى زَمَنِ الْخُلَفَاءِ، و طيلة خِلَافَتِهِ الظَّاهِرَةِ، أو فى زَمَنِ حُكُومَتِهِ الظَّاهِرَةِ فَقَطْ، فَكَتَبَ النَّاسُ فُتْيَاهُ و جمعوها، فأمر عليه السلام أَنْ يَكْتُبَ مِنْهَا نَسْخَ كَثِيرَةٍ، و أُرْسِلَ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ عُمَّالِهِ مِنْهَا نُسخَةٌ، و أَمَرَهُمْ أَنْ يَعْمَلُوا عَلَى وَفْقِهَا.

و ذَكَرَ مُسْلِمٌ فى صحيحه، عن ابن أبى مُلَيْكَةَ، قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أَسْأَلُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابًا، و يُخْفِيَ عَنِّي. فَقَالَ: وَلَدٌ نَاصِحٌ، أَنَا اخْتَارُ الْأُمُورَ اخْتِيَارًا، و أَخْفَى عَنْهُ. قَالَ فَدَعَا بِقَضَاءٍ عَلَىَّ. فَجَعَلَ يَكْتُبُ مِنْهُ أَشْيَاءَ. و يَمُرُّ بِهِ الشَّيْءُ، فيقول: و اللَّهُ مَا قَضَى بِهَذَا عَلَىَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ضَلًّا.

ثُمَّ نَقَلَ عَنْ طَاوُسٍ قَالَ: أَتَى ابْنُ عَبَّاسٍ بِكِتَابٍ فِيهِ قَضَاءٌ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَمَحَاهُ، إِلَّا قَدْرًا، و أَشَارَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ بِذِرَاعِهِ. «٤»

[و يستفاد ممَّا مرَّ أَنَّ قَضَايَا أمير المؤمنين عليه السلام كانت تكتب وقتئذٍ، و كان فى أَيْدِي النَّاسِ مِنْهَا نُسَخٌ يَكْتُبُونَ عَنْهَا و يَرَوْنَ، و أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ عَنْده مِنْهَا نُسَخَةٌ، يَكْتُبُ مِنْهَا و يَتْرَكُهَا و يَأْتُوهُ بِأُخْرَى فَيَقْرُؤُهَا، و يَمْحُو مِنْهَا مَا كَانَ مَوْضِعًا عَلَى أمير المؤمنين عليه السلام بِزَعْمِهِ.]

و من الذين كتبوا قضايا أمير المؤمنين عليه السلام و ألفوا فيها كتابًا، أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه و آله، و لأبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه و آله كتاب السُّنَنِ و الأحكام و القضايا «٥»

(١). خاتمة مستدرک الوسائل: ج ١ ص ١٠٤ - ١٠٦ الرقم ١٨.

(٢). الكافي: ج ٧ ص ٣٣٠ ح ٢.

(٣). تهذيب الأحكام: ج ١٠ ص ٢٥٨ ح ١٠١٩.

(٤). صحيح مسلم: ج ١ ص ١٣ و ١٤ ح ٧.

(٥). الشيعة و فنون الإسلام: ص ٦٦.

ص: ٢٨٥

ثم ذكر النجاشي إسناده إلى رواية الكتاب باباً باباً، الصلوة والصيام والحج والزكاة والقضايا. «١»

و في **الفهرست** للطوسي رحمه الله في ترجمة عبيد الله بن أبي رافع ساقَ سنده إلى كتاب قضايا أمير المؤمنين عليه السلام، تأليف عبيد الله إلى محمد بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن جدّه، عن أمير المؤمنين عليه السلام، و يظهر منه أنّ الكتاب لأبي رافع، و إن كان في أوّل كلامه: إنّ لعبيد الله كتاب قضايا أمير المؤمنين عليه السلام «٢».

و قال المحدث القمي رحمه الله في **الكُنَى**: و له كتاب السنن و الأحكام و القضايا، و هو أوّل من جمَعَ الحديث و رتبّه بالأبواب. «٣»

و لكن من المحتمل أن يكون كتابه كتاباً واحداً جامعاً للسنن و الأحكام و القضايا، لا أنّه أفرد للقضايا كتاباً، و أمّا ابنه عبيد الله فقد عمل هو الآخر كتاباً أفردّه في قضايا أمير المؤمنين عليه السلام، كما صرّح به الشيخ في **الفهرست**، و قاموس **الرجال**، قال: عبيد الله بن أبي رافع كاتب أمير المؤمنين عليه السلام، له كتاب قضايا أمير المؤمنين عليه السلام، و كتاب تسمية من شهد مع أمير المؤمنين عليه السلام الجمل و صفين و النهروان من الصحابة. «٤»

[فمن المحتمل أن يكون الكتاب، إمّا من أبي رافع، أو ابنه عبيد الله، أو غيرهما، أخذه أمير المؤمنين عليه السلام منهم، فكتبه و أرسله إلى عمّاله ليعملوا بما فيه، كما يشهد به سياق الكتاب و أسلوبه، و صريح الرواية كما تقدّم، و لكنّ يُبعد أن

(١). رجال النجاشي: ج ١ ص ٦١ - ٦٧.

(٢). **الفهرست**: ص ١٧٤ الرقم ٤٦٧.

(٣). الكنى و الألقاب: ج ١ ص ٧٧ و ٧٨.

(٤). قاموس الرجال: ج ٧ ص ٥٦ الرقم ٤٧٠٧، الشيعة و فنون الإسلام: ص ٦٨.

ص: ٢٨٦

ظاهر قوله عليه السلام:

«وكتب به أمير المؤمنين إلى أمائه ورؤوس أجناده»

، و قوله عليه السلام:

«نعم هو حق، وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يأمر عُمَّاله بذلك»

، أنه عليه السلام كتبه إلى عُمَّاله ليعملوا به طيلة حكومته، و ذلك يُناسب أن يكون الكتاب في أوّل خلافته، حتّى يعملوا على وفقه، لا بعد أن جمع الناس الفتيا و كتبوها و أرسله إلى عُمَّاله، لأنّ كتاب النَّاس أمر تدريجي حسب وقوع الحوادث.

و من المحتمل أن يكون الكتاب الموجود هو ما كتبه النَّاس، و كان يوافق ما كتبه أمير المؤمنين عليه السلام إلى عُمَّاله، أو يكون الكتاب الموجود هو ما كتبه أمير المؤمنين عليه السلام، و النَّاس أيضاً كانوا ألّفوا على وفقه تدريجاً، فهو موافق لما فيه من الأحكام، و إن كان قد يخالفه عبارة و ترتيباً.]

قال في التهذيب:

«أفتى عليه السلام في كُلِّ عَظْمٍ لَهُ مُخٌّ فَرِيضَةٌ مُسَمَّاةٌ إِذَا كُسِرَ فَجُبِرَ عَلَى غَيْرِ عَتَمٍ وَلَا عَيْبٍ، فَجَعَلَ فَرِيضَةَ الدِّيَةِ سِتَّةَ أَجْزَاءٍ، وَجَعَلَ فِي الرُّوحِ وَالْجَنِينِ وَالْأَشْفَارِ وَالشَّلَلِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْإِبْهَامِ لِكُلِّ جُزْءٍ سِتَّةُ فَرَايِضَ، جَعَلَ دِيَّةَ الْجَنِينِ مِثَّةَ دِينَارٍ وَجَعَلَ مَنَى الرَّجُلِ إِلَى أَنْ يَكُونَ جَنِينًا خَمْسَةَ أَجْزَاءٍ، فَإِذَا كَانَ جَنِينًا قَبْلَ أَنْ تَلْجُهُ الرُّوحُ مِثَّةَ دِينَارٍ، فَجَعَلَ لِلنُّطْفَةِ عِشْرِينَ دِينَارًا، وَهُوَ الرَّجُلُ يُفْرَغُ عَنْ عَرْسِهِ فَيُلْقَى النُّطْفَةُ وَهُوَ لَا يُرِيدُ ذَلِكَ، فَجَعَلَ فِيهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِشْرِينَ دِينَارًا الْخَمْسَ، وَلِلْعَلَقَةِ خُمُسَى ذَلِكَ أَرْبَعِينَ دِينَارًا، وَذَلِكَ لِلْمَرْأَةِ أَيْضًا تُطْرَقُ أَوْ تُضْرَبُ فُتَلْقِيهِ، ثُمَّ الْمَضْغَةُ سِتِّينَ دِينَارًا إِذَا طَرَحَتْهُ الْمَرْأَةُ أَيْضًا فِي مِثْلِ ذَلِكَ، ثُمَّ الْعَظْمُ ثَمَانِينَ دِينَارًا إِذَا طَرَحَتْهُ الْمَرْأَةُ، ثُمَّ الْجَنِينُ أَيْضًا مِثَّةَ دِينَارٍ إِذَا طَرَقَهُمْ عَدُوٌّ فَأَسْقَطْنَ النِّسَاءُ فِي مِثْلِ هَذَا، أَوْ جَبَ عَلَى النِّسَاءِ ذَلِكَ مِنْ جِهَةِ الْمَعْقَلَةِ مِثْلَ ذَلِكَ، فَإِذَا وُلِدَ الْمَوْلُودُ وَاسْتَهْلَ - وَهُوَ الْبُكَاءُ - فَبَيَّتُوهُمْ فَقَتَلُوا الصَّبِيَّانَ، فَفِيهِمْ أَلْفُ دِينَارٍ لِلذَّكَرِ وَالْأُنْثَى عَلَى مِثْلِ هَذَا الْحِسَابِ عَلَى خَمْسَمِثَّةٍ دِينَارٍ.

ص: ٢٨٧

وَأَمَّا الْمَرْأَةُ إِذَا قُتِلَتْ وَهِيَ حَامِلٌ مُتِمٌّ فَلَمْ تَسْقُطْ وَلَدَهَا وَلَمْ يُعْلَمْ أَوْ ذَكَرٌ هُوَ أَمْ أُنْثَى، وَلَمْ يُعْلَمْ بَعْدَهَا مَاتَ أَوْ قَبْلَهَا، فَدِيَّتُهُ نِصْفَانِ، نِصْفُ دِيَّةِ الذَّكَرِ وَنِصْفُ دِيَّةِ الْأُنْثَى، وَدِيَّةُ الْمَرْأَةِ كَامِلَةٌ بَعْدَ ذَلِكَ.

وَأُفْتِيَ فِي مَنَى الرَّجُلِ يُفْرَغُ عَنْ عَرْسِهِ فَيَعْزِلُ عَنْهَا الْمَاءَ وَلَمْ يُرَدْ ذَلِكَ نِصْفُ خُمُسِ الْمِثَّةِ مِنْ دِيَّةِ الْجَنِينِ عَشْرَةَ دَنَانِيرَ، وَإِنْ أَفْرَغَ فِيهَا عِشْرُونَ دِينَارًا، وَجَعَلَ فِي قِصَاصِ جِرَاحَتِهِ وَمَعْقَلَتِهِ عَلَى قَدَرِ دِيَّتِهِ وَهِيَ مِثَّةُ دِينَارٍ، وَقَضَى فِي جِرَاحَةِ الْجَنِينِ مِنْ حِسَابِ الْمِثَّةِ عَلَى مَا يَكُونُ مِنْ جِرَاحِ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ كَامِلَةً.

وَأُفْتِيَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْجَسَدِ، وَجَعَلَهُ سِتَّةَ فَرَايِضَ: النَّفْسُ، وَالْبَصَرُ، وَالسَّمْعُ، وَالْكَلامُ، وَالْعَقْلُ، وَنَقْصُ الصَّوْتِ، مِنَ الْغَنَنِ وَالْبَحْثِ وَالشَّلَلِ فِي الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ، فَجَعَلَ هَذَا بِقِيَاسِ ذَلِكَ الْحُكْمِ. ثُمَّ جَعَلَ مَعَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ قِسَامَةً عَلَى نَحْوِ مَا بَلَغَتْ الدِّيَّةُ.

وَالْقَسَامَةُ فِي النَّفْسِ، جَعَلَ عَلَى الْعَمْدِ خَمْسِينَ رَجُلًا، وَعَلَى الْخَطَا خَمْسَةَ وَعَشْرِينَ رَجُلًا عَلَى مَا بَلَغَتْ دَيْتُهُ أَلْفَ دِينَارٍ، وَعَلَى الْجِرَاحِ بِقَسَامَةِ سِتَّةِ نَفَرٍ، فَمَا كَانَ دُونَ ذَلِكَ فَحِسَابُهُ عَلَى سِتَّةِ نَفَرٍ.

وَالْقَسَامَةُ فِي النَّفْسِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْعَقْلِ وَالصَّوْتِ مِنَ الْغَنَنِ وَالْبَحْحِ وَنَقْصِ الْيَدَيْنِ وَالرَّجْلَيْنِ، فَهَذِهِ سِتَّةُ أَجْزَاءِ الرَّجُلِ.

فَالدَّيَّةُ فِي النَّفْسِ أَلْفُ دِينَارٍ.

وَالْأَنْفُ أَلْفُ دِينَارٍ.

وَالضَّوُّ كُلُّهُ مِنْ الْعَيْنَيْنِ أَلْفُ دِينَارٍ.

وَالْبَحْحُ أَلْفُ دِينَارٍ.

ص: ٢٨٨

وَشَلْلُ الْيَدَيْنِ أَلْفُ دِينَارٍ.

وَالرَّجْلَيْنِ أَلْفُ دِينَارٍ.

وَذَهَابُ السَّمْعِ كُلِّهِ أَلْفُ دِينَارٍ.

وَالشَّفَتَيْنِ إِذَا اسْتُؤْصِلَتَا أَلْفُ دِينَارٍ.

وَالظَّهْرُ إِذَا حَدَبَ أَلْفُ دِينَارٍ.

وَالذَّكْرُ أَلْفُ دِينَارٍ.

وَاللِّسَانُ إِذَا اسْتُؤْصِلَ أَلْفُ دِينَارٍ.

وَالْأَنْثَتَيْنِ أَلْفُ دِينَارٍ.

وَجَعَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ دِيَّةَ الْجِرَاحَةِ فِي الْأَعْضَاءِ كُلِّهَا فِي الرَّأْسِ وَالْوَجْهِ وَسَائِرِ الْجَسَدِ مِنَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالصَّوْتِ وَالْعَقْلِ وَالْيَدَيْنِ وَالرَّجْلَيْنِ، فِي الْقَطْعِ وَالْكَسْرِ وَالصَّدْعِ وَالْبَطْطِ وَالْمُوضِحَةِ وَالْدَّامِيَةِ وَنَقْلِ الْعِظَامِ وَالنَّاقِبَةِ يَكُونُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَمَا كَانَ مِنْ عَظْمٍ كُسِرَ فَجُبِرَ عَلَى غَيْرِ عَثْمٍ وَلَا عَيْبٍ لَمْ يُنْقَلْ مِنْهُ الْعِظَامُ، فَإِنَّ دَيْتَهُ مَعْلُومَةٌ، فَإِذَا أُوضِحَ وَلَمْ يُنْقَلْ مِنْهُ الْعِظَامُ فَدِيَّةُ كُسْرِهِ وَدِيَّةُ مُوضِحَتِهِ، وَلِكُلِّ عَظْمٍ كُسِرَ مَعْلُومٌ.

فَدِيَّةُ نَقْلِ عِظَامِهِ، نِصْفُ دِيَّةِ كُسْرِهِ.

وَدِيَّةُ مُوضِحَتِهِ رُبْعُ دِيَّةِ كُسْرِهِ مِمَّا وَارَتْ الثِّيَابُ مِنْ ذَلِكَ غَيْرَ فَصَبَتَى السَّاعِدِ وَالْأَصَابِعِ.

وفى قَرَحَةٍ لَا تَبْرَأُ ثُلُثُ دِيَّةِ ذَلِكَ الْعُضْوِ الَّذِي هِيَ فِيهِ.

فَإِذَا أُصِيبَ الرَّجُلُ فِي إِحْدَى عَيْنَيْهِ فَإِنَّهَا تُقَاسُ بِبَيْضَةِ تَرْبُطُ عَلَى عَيْنِهِ الْمُصَابَةِ وَيُنْظَرُ مَا يَنْتَهِي بَصَرُ عَيْنِهِ الصَّحِيحَةِ، أَوْ يَدِهِ الصَّحِيحَةِ ثُمَّ تَغْطَى عَيْنَهُ الصَّحِيحَةَ،

ص: ٢٨٩

وَيُنْظَرُ مَا يَنْتَهِي بَصَرُ عَيْنِهِ الْمُصَابَةِ، فَيُعْطَى دِيَّتَهُ مِنْ حِسَابِ ذَلِكَ، وَالْقَسَامَةُ مَعَ ذَلِكَ مِنَ السِّتَةِ أَجْزَاءٌ لِلْقَسَامَةِ عَلَى سِتَّةِ نَفَرٍ عَلَى قَدَرٍ مَا أُصِيبَ مِنْ عَيْنِهِ، فَإِنْ كَانَ سُدُسَ بَصَرِهِ حَلْفَ الرَّجُلِ وَحَدَهُ وَأُعْطِيَ، وَإِنْ كَانَ ثُلُثَ بَصَرِهِ حَلْفَ هُوَ، وَحَلْفَ مَعَهُ رَجُلٌ آخَرُ، وَإِنْ كَانَ نِصْفَ بَصَرِهِ حَلْفَ هُوَ وَحَلْفَ مَعَهُ رَجُلَانِ، وَإِنْ كَانَ ثُلْثِي بَصَرِهِ حَلْفَ هُوَ وَحَلْفَ مَعَهُ ثَلَاثَةُ رِجَالٍ، وَإِنْ كَانَ أَرْبَعَةَ أَخْمَاسِ بَصَرِهِ حَلْفَ هُوَ وَحَلْفَ مَعَهُ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ، وَإِنْ كَانَ بَصَرَهُ كُلَّهُ حَلْفَ هُوَ وَحَلْفَ مَعَهُ خَمْسَةُ رِجَالٍ.

ذَلِكَ فِي الْقَسَامَةِ فِي الْعَيْنَيْنِ.

قَالَ: وَأَقْتَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَنْ يَحْلِفُ مَعَهُ وَلَمْ يُوَثِّقْ بِهِ عَلَى مَا ذَهَبَ مِنْ بَصَرِهِ، أَنَّهُ يَضَاعَفُ عَلَيْهِ الْيَمِينَ، إِنْ كَانَ سُدُسَ بَصَرِهِ حَلْفَ وَاحِدَةٍ، وَإِنْ كَانَ الثُّلُثَ حَلْفَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنْ كَانَ النِّصْفَ حَلْفَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَإِنْ كَانَ الثُّلُثَيْنِ حَلْفَ أَرْبَعِ مَرَّاتٍ، وَإِنْ كَانَ خَمْسَةَ أَسْدَاسِ حَلْفَ خَمْسَ مَرَّاتٍ، وَإِنْ كَانَ بَصَرَهُ كُلَّهُ حَلْفَ سِتِّ مَرَّاتٍ، ثُمَّ يُعْطَى، وَإِنْ أَبَى أَنْ يَحْلِفَ لَمْ يُعْطَ إِلَّا مَا حَلْفَ عَلَيْهِ، وَوَثِّقَ مِنْهُ بِصِدْقٍ، وَالْوَالِي يَسْتَعِينُ فِي ذَلِكَ بِالسُّؤَالِ وَالنَّظَرِ وَالتَّثَبُّتِ فِي الْقِصَاصِ وَالْحُدُودِ وَالْقَوَدِ، وَإِنْ أَصَابَ سَمْعَهُ شَيْءٌ فَعَلَى نَحْوِ ذَلِكَ يُضْرَبُ لَهُ شَيْءٌ لِكَيْ يُعْلَمَ مُنْتَهَى سَمْعِهِ، ثُمَّ يُقَاسُ ذَلِكَ وَالْقَسَامَةُ عَلَى نَحْوِ مَا نَقَصَ مِنْ سَمْعِهِ فَإِنْ كَانَ سَمْعُهُ كُلَّهُ فَعَلَى نَحْوِ ذَلِكَ، وَإِنْ خِيفَ مِنْهُ فُجُورٌ تَرَكَ حَتَّى يَغْفَلَ، ثُمَّ يَصَاحُ بِهِ، فَإِنْ سَمِعَ عَاوَدَهُ الْخُصُومُ إِلَى الْحَاكِمِ، وَالْحَاكِمُ يَعْمَلُ فِيهِ بِرَأْيِهِ، وَيَحْطُ عَنْهُ بَعْضُ مَا أَخَذَ.

وَإِنْ كَانَ النِّقْصُ فِي الْفَخِذِ أَوْ فِي الْعُضْدِ فَإِنَّهُ يُقَاسُ بِخَيْطٍ تُقَاسُ رِجْلُهُ الصَّحِيحَةُ أَوْ يَدِهِ الصَّحِيحَةِ، ثُمَّ يُقَاسُ بِهِ الْمُصَابَةُ، فَيُعْلَمُ مَا نَقَصَ مِنْ يَدِهِ أَوْ رِجْلِهِ، وَإِنْ أُصِيبَ السَّاقُ أَوْ السَّاعِدُ مِنَ الْفَخِذِ أَوْ الْعُضْدِ يُقَاسُ وَيُنْظَرُ الْحَاكِمُ قَدْرَ فَخْذِهِ.

وَقَضَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صَدْعِ الرَّجُلِ إِذَا أُصِيبَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَّا مَا انْحَرَفَ الرَّجُلُ

ص: ٢٩٠

نِصْفُ الدِّيَةِ خَمْسُمِئَةِ دِينَارٍ، وَمَا كَانَ دُونَ ذَلِكَ فَبِحِسَابِهِ.

وَقَضَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي شَفْرِ الْعَيْنِ الْأَعْلَى، إِنْ أُصِيبَ فَشَتِيرَ فَدِيَّتُهُ ثُلُثُ دِيَةِ الْعَيْنِ، مِئَةٌ وَسِتَّةٌ وَسِتُّونَ دِينَارًا وَثُلَاثَا دِينَارًا، وَإِنْ أُصِيبَ شَفْرُ الْعَيْنِ الْأَسْفَلِ فَدِيَّتُهُ نِصْفُ دِيَةِ الْعَيْنِ، مِئَتَا دِينَارٍ وَخَمْسُونَ دِينَارًا.

فَإِنْ أُصِيبَ الْحَاجِبُ فَذَهَبَ شَعْرُهُ كُلُّهُ فَدِيَّتُهُ نِصْفُ دِيَةِ الْعَيْنِ، مِئَتَا دِينَارٍ وَخَمْسُونَ دِينَارًا، فَمَا أُصِيبَ مِنْهُ فَعَلَى حِسَابِ ذَلِكَ.

فإن قُطِعَت رَوْتَةُ الْأَنْفِ فِدْيَتُهَا خَمْسُمِئَةُ دِينَارٍ نِصْفُ الدِّيَةِ، وَإِنْ أَنْفَذَتْ فِيهِ نَافِذَةٌ لَا تَسُدُّ بِسَهْمٍ أَوْ بَرْمُحٍ فِدْيَتُهُ ثَلَاثُمِئَةُ وَثَلَاثَ وَثَلَاثُونَ دِينَاراً وَثُلُثٌ، وَإِنْ كَانَتْ نَافِذَةٌ فَبَرَأَتْ وَالتَّامَّتْ فِدْيَتُهَا خُمُسُ دِيَّةِ رَوْتَةِ الْأَنْفِ مِئَةُ دِينَارٍ، فَمَا أُصِيبَ فَعَلَى حِسَابِ ذَلِكَ، فَإِنْ كَانَتْ النَّافِذَةُ فِي أَحَدِ الْمَنْخَرَيْنِ إِلَى الْخَيْشُومِ وَهُوَ الْحَاجِزُ بَيْنَ الْمَنْخَرَيْنِ فِدْيَتُهَا عَشْرُ دِيَّةِ رَوْتَةِ الْأَنْفِ، لِأَنَّهُ النَّصْفُ. وَالْحَاجِزُ بَيْنَ الْمَنْخَرَيْنِ خَمْسُونَ دِينَاراً، وَإِنْ كَانَتْ الرَّمِيَّةُ نَفَذَتْ فِي أَحَدِ الْمَنْخَرَيْنِ وَالْخَيْشُومِ إِلَى الْمَنْخَرِ الْآخَرِ، فِدْيَتُهَا سِتَّةٌ وَسِتُّونَ دِينَاراً وَثُلُثَا دِينَارٍ.

وَإِذَا قُطِعَت الشِّفَةُ الْعُلْيَا وَاسْتُصِلَتْ فِدْيَتُهَا نِصْفُ الدِّيَةِ، خَمْسُمِئَةُ دِينَارٍ، فَمَا قُطِعَ مِنْهَا فَبِحِسَابِ ذَلِكَ، فَإِنْ أَنْشَقَتْ فَبَدَأَ مِنْهَا الْأَسْنَانُ، ثُمَّ دُووِيَتْ فَبَرَأَتْ وَالتَّامَّتْ فِدْيَةُ جُرْحِهَا، وَالْحُكُومَةُ فِيهَا خُمُسُ دِيَّةِ الشِّفَةِ مِئَةُ دِينَارٍ، وَمَا قُطِعَ مِنْهَا فَبِحِسَابِ ذَلِكَ، وَإِنْ شَتِرَتْ وَشَيِنَتْ شَيْناً قَبِيحاً فِدْيَتُهَا مِئَةُ دِينَارٍ، وَسِتَّةٌ وَسِتُّونَ دِينَاراً، وَثُلُثَا دِينَارٍ، وَدِيَّةُ الشِّفَةِ السُّفْلَى إِذَا قُطِعَتْ وَاسْتُصِلَتْ ثُلُثَا الدِّيَةِ كَمَلًا سِتَّمِئَةُ وَسِتَّةٌ وَسِتُّونَ دِينَاراً وَثُلُثَا دِينَارٍ، فَمَا قُطِعَ مِنْهَا فَبِحِسَابِ ذَلِكَ، فَإِنْ أَنْشَقَتْ حَتَّى يَدَّو مِنْهَا الْأَسْنَانُ ثُمَّ بَرَأَتْ وَالتَّامَّتْ مِئَةُ دِينَارٍ وَثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ دِينَاراً وَثُلُثُ دِينَارٍ، وَإِنْ أُصِيبَتْ فَشَيِنَتْ شَيْناً فَاحِشاً فِدْيَتُهَا ثَلَاثُمِئَةُ دِينَارٍ وَثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ دِينَاراً

ص: ٢٩١

وُثُلْتُ دِينَارٌ وَذَلِكَ ثُلْتُ دِيَّتِهَا.

قَالَ: وَسَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: بَلَّغْنَا أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَضَّلَهَا لِأَنَّهَا تُمَسِّكُ الطَّعَامَ وَالْمَاءَ، فَلِذَلِكَ فَضَّلَهَا فِي حُكُومَتِهِ.

وَفِي الْخَدِّ إِذَا كَانَتْ فِيهِ نَافِذَةٌ وَبَدَأَ مِنْهَا جَوْفُ الْفَمِ فِدْيَتُهَا مِئَةُ دِينَارٍ فَإِنْ دُووِيَ فَبَرَأَ وَالتَّامَّ بِهِ أَثَرُ بَيْنٍ وَشَيْنٍ فَاحِشٍ فِدْيَتُهُ خَمْسُونَ دِينَاراً، فَإِنْ كَانَتْ نَافِذَةٌ فِي الْخَدَّيْنِ كِلَيْهِمَا فِدْيَتُهَا مِئَةُ دِينَارٍ وَذَلِكَ نِصْفُ دِيَّةِ الْتِي بَدَأَ مِنْهَا الْفَمُ. فَإِنْ كَانَتْ رُمِيَتْ بِنَصْلِ يَنْفُذُ فِي الْعَظْمِ حَتَّى يَنْفُذَ إِلَى الْحَنَكِ فِدْيَتُهَا مِئَةُ وَخَمْسُونَ دِينَاراً، جُعِلَ مِنْهَا خَمْسُونَ دِينَاراً لِمُوضِحَتِهَا، وَإِنْ كَانَتْ نَاقِيَةً وَلَمْ تَنْفُذْ فِدْيَتُهَا مِئَةُ دِينَارٍ، فَإِنْ كَانَتْ مُوضِحَةً فِي شَيْءٍ مِنَ الْوَجْهِ فِدْيَتُهَا خَمْسُونَ دِينَاراً، فَإِنْ كَانَ لَهَا شَيْنٌ فِدْيَةُ شَيْنِهَا رُبْعُ دِيَّةِ مُوضِحَتِهَا، وَإِنْ كَانَ جُرْحاً وَلَمْ يُوضَحْ ثُمَّ بَرَأَ، وَكَانَ فِي الْخَدَّيْنِ أَثَرُ فِدْيَتِهِ عَشْرَةُ دَنَانِيرٍ.

وَإِنْ كَانَ فِي الْوَجْهِ صَدْعٌ فِدْيَتُهُ ثَمَانُونَ دِينَاراً، فَإِنْ سَقَطَتْ مِنْهُ جَذْوَةٌ لَحْمٍ وَلَمْ يُوضَحْ وَكَانَ قَدَرُ الدَّرْهِمِ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ فِدْيَتُهَا ثَلَاثُونَ دِينَاراً.

وَدِيَّةُ الشَّجَّةِ إِنْ كَانَتْ مُوضِحَةً أَرْبَعُونَ دِينَاراً إِذَا كَانَتْ فِي الْجَسَدِ، وَفِي مَوْضِعِ الرَّأْسِ خَمْسُونَ دِينَاراً، فَإِنْ نَقَلَ مِنْهَا الْعِظَامُ فِدْيَتُهَا مِئَةُ دِينَارٍ وَخَمْسُونَ دِينَاراً، فَإِنْ كَانَتْ نَاقِيَةً فِي الرَّأْسِ فَتِلْكَ تُسَمَّى الْمَأْمُومَةَ، وَفِيهَا ثُلْتُ الدِّيَةِ، ثَلَاثُمِئَةُ دِينَارٍ، وَثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ دِينَاراً وَثُلُثُ دِينَارٍ.

وَجُعِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْأَسْنَانِ فِي كُلِّ سِنٍّ خَمْسِينَ دِينَاراً، وَجُعِلَ الْأَسْنَانُ سَوَاءً، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يَجْعَلُ فِي الثَّنِيَّةِ خَمْسِينَ دِينَاراً، وَفِي مَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَسْنَانِ فِي الرَّبَاعِيَّةِ أَرْبَعِينَ دِينَاراً، وَفِي الثَّابِ ثَلَاثِينَ دِينَاراً، وَفِي الضَّرْسِ خَمْسَةَ وَعِشْرِينَ دِينَاراً، فَإِذَا اسْوَدَّتِ السِّنُّ إِلَى الْحَوْلِ فَلَمْ تَسْقُطْ فِدْيَتُهَا دِيَّةُ السَّاقِطِ خَمْسُونَ

دِينَارًا، وَإِنْ تَصَدَّعَتْ وَلَمْ تَسْقُطْ فَدَيْتُهَا خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ دِينَارًا، فَمَا انْكَسَرَ مِنْهَا فَبِحِسَابِهِ مِنَ الْخَمْسِينَ، وَإِنْ سَقَطَتْ بَعْدَ وَهْيِ سَوْدَاءَ فَدَيْتُهَا اثْنَا عَشَرَ دِينَارًا وَنِصْفٌ، وَمَا انْكَسَرَ مِنْهَا مِنْ شَيْءٍ فَبِحِسَابِهِ مِنَ الْخَمْسَةِ وَعِشْرِينَ دِينَارًا.

وَفِي التَّرْقُوعِ إِذَا انْكَسَرَتْ فَجُبِرَتْ عَلَى غَيْرِ عَثَمٍ وَلَا عَيْبٍ أَرْبَعُونَ دِينَارًا، فَإِنْ انْصَدَّعَتْ فَدَيْتُهَا أَرْبَعَةٌ أَخْمَاسُ دِيَّةٍ كَسَرَهَا اثْنَانِ وَثَلَاثُونَ دِينَارًا، فَإِنْ أَوْضَحَتْ فَدَيْتُهَا خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ دِينَارًا، وَذَلِكَ خَمْسَةُ أَجْزَاءٍ مِنْ دَيْتِهَا إِذَا انْكَسَرَتْ، فَإِنْ نُقِلَ مِنْهَا الْعِظَامُ فَدَيْتُهَا نِصْفُ دِيَّةٍ كَسَرَهَا عِشْرُونَ دِينَارًا، فَإِنْ نَقِبَتْ فَدَيْتُهَا رُبْعُ دِيَّةٍ كَسَرَهَا عَشْرَةٌ دَنَانِيرَ.

وَدِيَّةُ الْمَنْكِبِ إِذَا كُسِرَ خُمُسُ دِيَّةِ الْيَدِ مِثَّةً دِينَارًا، فَإِنْ كَانَ فِي الْمَنْكِبِ صَدْعٌ فَدَيْتُهُ أَرْبَعَةٌ أَخْمَاسُ دِيَّةٍ كَسَرَهُ ثَمَانُونَ دِينَارًا، فَإِنْ أَوْضِحَ فَدَيْتُهُ رُبْعُ دِيَّةٍ كَسَرَهُ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ دِينَارًا، فَإِنْ نُقِلَتْ مِنْهُ الْعِظَامُ فَدَيْتُهُ مِثَّةً دِينَارًا وَخَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ دِينَارًا، مِنْهَا مِثَّةً دِينَارًا دِيَّةً كَسَرَهُ، وَخَمْسُونَ دِينَارًا لِنَقْلِ الْعِظَامِ، وَخَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ دِينَارًا لِلْمُوضِحَةِ، وَإِنْ كَانَتْ نَاقِبَةً فَدَيْتُهَا رُبْعُ دِيَّةٍ كَسَرَهَا خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ دِينَارًا، فَإِنْ رُضَّ فَعَثَمَ فَدَيْتُهُ ثَلَاثُ دِيَّةِ النَّفْسِ ثَلَاثُمِثَّةً دِينَارًا وَثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ دِينَارًا وَثَلَاثُ دِينَارٍ، فَإِنْ كَانَ فَكٌّ فَدَيْتُهُ ثَلَاثُونَ دِينَارًا.

وَفِي الْعُضْدِ إِذَا كُسِرَتْ فَجُبِرَتْ عَلَى غَيْرِ عَثَمٍ وَلَا عَيْبٍ فَدَيْتُهَا خُمُسُ دِيَّةِ الْيَدِ مِثَّةً دِينَارًا، وَدِيَّةٌ مُوَضِّحَتِهَا رُبْعُ دِيَّةٍ كَسَرَهَا خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ دِينَارًا، وَدِيَّةٌ نَقْلِ عِظَامِهَا نِصْفُ دِيَّةٍ كَسَرَهَا خَمْسُونَ دِينَارًا، وَدِيَّةٌ نَقَبِهَا رُبْعُ دِيَّةٍ كَسَرَهَا خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ دِينَارًا.

وَفِي الْمِرْفَقِ إِذَا كُسِرَ فَجُبِرَ عَلَى غَيْرِ عَثَمٍ وَلَا عَيْبٍ فَدَيْتُهُ مِثَّةً دِينَارًا وَذَلِكَ خُمُسُ دِيَّةِ الْيَدِ، فَإِنْ انْصَدَّعَ فَدَيْتُهُ أَرْبَعَةٌ أَخْمَاسُ دِيَّةٍ كَسَرَهُ ثَمَانُونَ دِينَارًا فَإِنْ أَوْضِحَ

فَدَيْتُهُ رُبْعُ دِيَّةٍ كَسَرَهُ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ دِينَارًا فَإِنْ نُقِلَتْ مِنْهُ الْعِظَامُ فَدَيْتُهُ مِثَّةً دِينَارًا وَخَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ دِينَارًا، لِلْكَسْرِ مِثَّةً دِينَارًا، وَلِنَقْلِ الْعِظَامِ خَمْسُونَ دِينَارًا، وَلِلْمُوضِحَةِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ دِينَارًا، فَإِنْ كَانَتْ فِيهِ نَاقِبَةٌ فَدَيْتُهَا رُبْعُ دِيَّةٍ كَسَرَهُ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ دِينَارًا، فَإِنْ رُضَّ الْمِرْفَقُ فَعَثَمَ فَدَيْتُهُ ثَلَاثُ دِيَّةِ النَّفْسِ ثَلَاثُمِثَّةً دِينَارًا وَثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ دِينَارًا وَثَلَاثُ دِينَارٍ، فَإِنْ كَانَ فَكٌّ فَدَيْتُهُ ثَلَاثُونَ دِينَارًا، وَفِي الْمِرْفَقِ الْآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ سِوَاءً.

وَفِي السَّاعِدِ إِذَا كُسِرَ فَجُبِرَ عَلَى غَيْرِ عَثَمٍ وَلَا عَيْبٍ ثَلَاثُ دِيَّةِ النَّفْسِ ثَلَاثُمِثَّةً وَثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ دِينَارًا وَثَلَاثُ دِينَارٍ، فَإِنْ كُسِرَ إِحْدَى الْقَصَبَتَيْنِ مِنَ السَّاعِدِ فَدَيْتُهَا خُمُسُ دِيَّةِ الْيَدِ مِثَّةً دِينَارًا، وَفِي أَحَدِهِمَا أَيْضًا فِي الْكَسْرِ لِأَحَدِ الزَّنْدَيْنِ خَمْسُونَ دِينَارًا، وَفِي كِلَيْهِمَا مِثَّةً دِينَارًا، فَإِنْ انْصَدَّعَ إِحْدَى الْقَصَبَتَيْنِ فَبِحِسَابِهَا أَرْبَعَةٌ أَخْمَاسُ دِيَّةٍ إِحْدَى قَصَبَتَي السَّاعِدِ أَرْبَعُونَ دِينَارًا، وَدِيَّةٌ مُوَضِّحَتِهَا رُبْعُ دِيَّةٍ كَسَرَهَا خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ دِينَارًا، وَدِيَّةٌ نَقْلِ عِظَامِهَا مِثَّةً دِينَارًا وَذَلِكَ خُمُسُ دِيَّةِ الْيَدِ، وَإِنْ كَانَتْ نَاقِبَةً فَدَيْتُهَا رُبْعُ دِيَّةٍ كَسَرَهَا خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ دِينَارًا، وَدِيَّةٌ نَقَبِهَا نِصْفُ دِيَّةٍ مُوَضِّحَتِهَا، اثْنَا عَشَرَ دِينَارًا وَنِصْفٌ، وَدِيَّةٌ نَافِذَتِهَا خَمْسُونَ دِينَارًا، فَإِنْ صَارَتْ فِيهَا قَرْحَةٌ لَا تَبْرَأُ فَدَيْتُهَا ثَلَاثُ دِيَّةِ السَّاعِدِ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ دِينَارًا وَثَلَاثُ دِينَارٍ فَذَلِكَ ثَلَاثُ دِيَّةٍ الَّتِي هِيَ فِيهِ.

وَدِيَّةُ الرُّسْغِ «١» إِذَا رُضَّ فَجَبِرَ عَلَى غَيْرِ عَظْمٍ وَلَا عَيْبٍ ثُلُثُ دِيَّةِ الْيَدِ مِثَّةُ دِينَارٍ وَسِتُّونَ دِينَارًا وَثُلَاثَا دِينَارٍ.

وَفِي الْكَفِّ إِذَا كُسِرَتْ فَجَبِرَتْ عَلَى غَيْرِ عَظْمٍ وَلَا عَيْبٍ خُمُسُ دِيَّةِ الْيَدِ مِثَّةُ

(١) قَالَ الْخَلِيلُ: الرُّسْغُ مَفْصِلُ مَا بَيْنَ السَّاعِدِ وَالْكَفِّ (العين: ج ١ ص ٦٧٦).

ص: ٢٩٤

دِينَارٍ، إِنْ فُكَّ الْكَفُّ فَدِيَّتُهَا ثُلُثُ دِيَّةِ الْيَدِ مِثَّةُ دِينَارٍ وَسِتُّونَ دِينَارًا وَثُلَاثَا دِينَارٍ، وَفِي مُوَضِّحَتِهَا رُبْعُ دِيَّةِ كَسْرِهَا خَمْسَةُ وَعِشْرُونَ دِينَارًا، وَدِيَّةُ نَقْلِ عِظَامِهَا مِثَّةُ دِينَارٍ وَثَمَانِيَةٌ وَسَبْعُونَ دِينَارًا، نِصْفُ دِيَّةِ كَسْرِهَا، وَفِي نَافِذَتِهَا إِنْ لَمْ تَنْسَدْ خُمُسُ دِيَّةِ الْيَدِ مِثَّةُ دِينَارٍ، فَإِنْ كَانَتْ نَافِذَةً فَدِيَّتُهَا رُبْعُ دِيَّةِ كَسْرِهَا خَمْسَةُ وَعِشْرُونَ دِينَارًا.

وَدِيَّةُ الْأَصَابِعِ وَالْقَصَبِ الَّذِي فِي الْكَفِّ فِي الْإِبْهَامِ إِذَا قُطِعَ ثُلُثُ دِيَّةِ الْيَدِ مِثَّةُ دِينَارٍ وَسِتُّونَ دِينَارًا وَثُلَاثَا دِينَارٍ، وَدِيَّةُ قَصَبَةِ الْإِبْهَامِ الَّتِي فِي الْكَفِّ تُجَبَرُ عَلَى غَيْرِ عَظْمٍ خُمُسُ دِيَّةِ الْإِبْهَامِ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ دِينَارًا وَثُلُثُ دِينَارٍ إِذَا اسْتَوَى جَبْرُهَا وَثَبَتَ، وَدِيَّةُ صَدْعِهَا سِتَّةٌ وَعِشْرُونَ دِينَارًا وَثُلَاثَا دِينَارٍ، وَدِيَّةُ مُوَضِّحَتِهَا ثَمَانِيَةُ دَنَانِيرٍ وَثُلُثُ دِينَارٍ، وَدِيَّةُ نَقْلِ عِظَامِهَا سِتَّةٌ عَشَرَ دِينَارًا وَثُلَاثَا دِينَارٍ، وَدِيَّةُ نَقْبِهَا ثَمَانِيَةُ دَنَانِيرٍ وَثُلُثُ دِينَارٍ نِصْفُ دِيَّةِ نَقْلِ عِظَامِهَا، وَدِيَّةُ مُوَضِّحَتِهَا نِصْفُ دِيَّةِ نَاقِلَتِهَا ثَمَانِيَةُ دَنَانِيرٍ وَثُلُثُ دِينَارٍ، وَدِيَّةُ فَكِّهَا عَشْرَةُ دَنَانِيرٍ، وَدِيَّةُ الْمَفْصِلِ الثَّانِي مِنْ أَعْلَى الْإِبْهَامِ إِنْ كُسِرَ فَجَبِرَ عَلَى غَيْرِ عَظْمٍ وَلَا عَيْبٍ سِتَّةٌ عَشَرَ دِينَارًا وَثُلَاثَا دِينَارٍ، وَدِيَّةُ الْمُوَضِّحَةِ إِنْ كَانَتْ فِيهَا أَرْبَعَةُ دَنَانِيرٍ وَسُدُسُ دِينَارٍ، وَدِيَّةُ نَقْبِهَا أَرْبَعَةُ دَنَانِيرٍ وَسُدُسُ دِينَارٍ، وَدِيَّةُ صَدْعِهَا ثَلَاثَةُ عَشَرَ دِينَارًا وَثُلُثُ دِينَارٍ، وَدِيَّةُ نَقْلِ عِظَامِهَا خَمْسَةُ دَنَانِيرٍ، فَمَا قُطِعَ مِنْهَا فَبِحِسَابِهِ عَلَى مَنْزِلَتِهِ.

وَفِي الْأَصَابِعِ فِي كُلِّ إِصْبَعٍ سُدُسُ دِيَّةِ الْيَدِ ثَلَاثَةٌ وَثَمَانُونَ دِينَارًا وَثُلُثُ دِينَارٍ، وَدِيَّةُ أَصَابِعِ الْكَفِّ الْأَرْبَعِ سِوَى الْإِبْهَامِ دِيَّةُ كُلِّ قَصَبَةٍ عِشْرُونَ دِينَارًا وَثُلَاثَا دِينَارٍ، وَدِيَّةُ كُلِّ مُوَضِّحَةٍ فِي كُلِّ قَصَبَةٍ مِنَ الْقَصَبِ الْأَرْبَعِ أَصَابِعِ أَرْبَعَةَ دَنَانِيرٍ وَسُدُسُ دِينَارٍ، وَدِيَّةُ نَقْلِ كُلِّ قَصَبَةٍ مِنْهُنَّ ثَمَانِيَةُ دَنَانِيرٍ وَثُلُثُ دِينَارٍ، وَدِيَّةُ كَسْرِ كُلِّ مَفْصِلٍ مِنَ الْأَصَابِعِ الْأَرْبَعِ الَّتِي تَلِي الْكَفَّ سِتَّةٌ عَشَرَ دِينَارًا وَثُلَاثَا دِينَارٍ، وَفِي صَدْعِ كُلِّ قَصَبَةٍ مِنْهُنَّ ثَلَاثَةُ عَشَرَ دِينَارًا وَثُلَاثَا دِينَارٍ.

ص: ٢٩٥

فَإِنْ كَانَ فِي الْكَفِّ قَرْحَةٌ لَا تَبْرَأُ فَدِيَّتُهَا ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ دِينَارًا وَثُلُثُ دِينَارٍ، وَفِي نَقْلِ عِظَامِهَا ثَمَانِيَةُ دَنَانِيرٍ وَثُلُثُ دِينَارٍ، وَفِي مُوَضِّحَتِهَا أَرْبَعَةُ دَنَانِيرٍ وَسُدُسُ، وَفِي فَكِّهَا خَمْسَةُ دَنَانِيرٍ.

وَدِيَّةُ الْمَفْصِلِ الْأَوْسَطِ مِنَ الْأَصَابِعِ الْأَرْبَعِ إِذَا قُطِعَ فَدِيَّتُهُ خَمْسَةُ وَخَمْسُونَ دِينَارًا وَثُلُثُ دِينَارٍ، وَفِي كَسْرِهِ أَحَدَ عَشَرَ دِينَارًا وَثُلُثُ دِينَارٍ، وَفِي صَدْعِهِ ثَمَانِيَةُ دَنَانِيرٍ وَنِصْفُ دِينَارٍ، وَفِي مُوَضِّحَتِهِ دِينَارَانِ وَثُلَاثَا دِينَارٍ، وَفِي نَقْلِ عِظَامِهَا خَمْسَةُ دَنَانِيرٍ وَثُلُثُ دِينَارٍ، وَفِي نَقْبِهِ دِينَارَانِ وَثُلَاثَا دِينَارٍ، وَفِي فَكِّهَا ثَلَاثَةُ دَنَانِيرٍ وَثُلَاثَا دِينَارٍ، وَفِي الْمَفْصِلِ الْأَعْلَى مِنَ الْأَصَابِعِ الْأَرْبَعِ إِذَا قُطِعَ سَبْعَةُ وَعِشْرُونَ دِينَارًا وَنِصْفُ دِينَارٍ وَرُبْعُ عَشَرَ دِينَارًا، وَفِي كَسْرِهِ خَمْسَةُ دَنَانِيرٍ وَأَرْبَعَةُ أَخْمَاسِ دِينَارٍ، وَفِي نَقْبِهِ دِينَارٍ وَثُلُثُ، وَفِي فَكِّهِ دِينَارٍ وَأَرْبَعَةُ أَخْمَاسِ دِينَارٍ، وَفِي ظَفْرِ كُلِّ إِصْبَعٍ مِنْهَا خَمْسَةُ دَنَانِيرٍ.

وفى الكف إذا كُسِرَتْ فَجُبِرَتْ عَلَى غَيْرِ عَظْمٍ وَلَا عَيْبٍ فَدَيْتُهَا أَرْبَعُونَ دِينَارًا، وَدِيَّةُ صَدْعِهَا أَرْبَعَةُ أَخْمَاسِ دِيَّةِ كَسْرِهَا اثْنَانِ وَثَلَاثُونَ دِينَارًا، وَدِيَّةُ مُوَضِّحَتِهَا خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ دِينَارًا، وَدِيَّةُ نَقْلِ عِظَامِهَا عِشْرُونَ دِينَارًا وَنِصْفُ دِينَارٍ، وَدِيَّةُ نَقْبِهَا رُبْعُ دِيَّةِ كَسْرِهَا عَشْرَةُ دَنَانِيرٍ، وَدِيَّةُ قَرْحَةٍ لَا تَبْرَأُ ثَلَاثَةُ عَشَرَ دِينَارًا وَثَلْثُ دِينَارٍ.

وفى الصِّدْرِ إِذَا رُضَّ فَنَتَى شِقَّاهُ كِلَاهُمَا فَدَيْتُهُ خَمْسُمِئَةِ دِينَارٍ، وَدِيَّةُ إِحْدَى شِقَّتَيْهِ إِذَا انْتَنَى مِثْلَانِ وَخَمْسُونَ دِينَارًا، وَإِذَا انْتَنَى الصِّدْرُ وَالْكَتِفَانِ فَدَيْتُهُ مَعَ الْكَتِفَيْنِ أَلْفُ دِينَارٍ، فَإِنْ انْتَنَى أَحَدُ الْكَتِفَيْنِ مَعَ شِقِّ الصِّدْرِ فَدَيْتُهُ خَمْسُمِئَةِ دِينَارٍ، وَدِيَّةُ مُوَضِّحَةٍ فِي الصِّدْرِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ دِينَارًا، وَدِيَّةُ مُوَضِّحَةِ الْكَتِفَيْنِ وَالظَّهْرِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ دِينَارًا، وَإِنْ اعْتَزَى الرَّجُلُ مِنْ ذَلِكَ صَعْرٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَلْتَفِتَ فَدَيْتُهُ خَمْسُمِئَةِ دِينَارٍ.

ص: ٢٩٤

وإنْ انْكَسَرَ الصُّلْبُ فَجُبِرَ عَلَى غَيْرِ عَظْمٍ وَلَا عَيْبٍ فَدَيْتُهُ مِئَةُ دِينَارٍ، فَإِنْ عَظِمَ فَدَيْتُهُ أَلْفُ دِينَارٍ.

وفى الأضلاع فيما خَالَطَ الْقَلْبَ مِنَ الْأضْلَاعِ إِذَا كُسِرَ مِنْهَا ضِلْعٌ فَدَيْتُهُ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ دِينَارًا، وَفِي صَدْعِهِ اثْنَا عَشَرَ دِينَارًا وَنِصْفٌ، وَدِيَّةُ نَقْلِ عِظَامِهِ سَبْعَةُ دَنَانِيرٍ وَنِصْفٌ، وَمُوضِحَتِهِ عَلَى رُبْعِ كَسْرِهِ، وَدِيَّةُ نَقْبِهِ مِثْلُ ذَلِكَ.

وفى الأضلاع مِمَّا يَلِى الْعِضْدَيْنِ دِيَّةُ كُلِّ ضِلْعٍ عَشْرَةُ دَنَانِيرٍ إِذَا كُسِرَ، وَدِيَّةُ صَدْعِهِ سَبْعَةُ دَنَانِيرٍ، وَدِيَّةُ نَقْلِ عِظَامِهِ خَمْسَةٌ دَنَانِيرٍ، وَمُوضِحَتُهُ كُلِّ ضِلْعٍ رُبْعُ دِيَّةِ كَسْرِهِ دِينَارَانِ وَنِصْفُ دِينَارٍ، وَإِنْ نَقِبَ ضِلْعٌ مِنْهَا فَدَيْتُهُ دِينَارٌ وَنِصْفُ دِينَارٍ، وَفِي الْجَائِفَةِ ثَلَاثُ دِيَّةِ النَّفْسِ ثَلَاثُمِئَةٍ وَثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ دِينَارًا وَثَلْثُ دِينَارٍ، فَإِنْ نَقِبَ مِنَ الْجَانِبَيْنِ كِلَيْهِمَا بَرْمِيَّةٌ أَوْ طَعْنَةٌ وَقَعَتْ فِي الصَّفَاقِ فَدَيْتُهَا أَرْبَعُمِئَةِ دِينَارٍ وَثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ دِينَارًا وَثَلْثُ دِينَارٍ.

وفى الأذن إِذَا قُطِعَتْ فَدَيْتُهَا خَمْسُمِئَةِ دِينَارٍ، وَمَا قُطِعَ مِنْهَا فِحْسَابُ ذَلِكَ.

وفى الْوَرَكِ إِذَا كُسِرَ فَجُبِرَ عَلَى غَيْرِ عَظْمٍ وَلَا عَيْبٍ خُمُسُ دِيَّةِ الرَّجُلَيْنِ مِئَتَا دِينَارٍ، فَإِنْ صَدَعَ الْوَرَكُ فَدَيْتُهُ مِئَةٌ وَسِتُّونَ دِينَارًا أَرْبَعَةُ أَخْمَاسِ دِيَّةِ كَسْرِهِ، فَإِنْ أَوْضَحَتْ فَدَيْتُهُ رُبْعُ دِيَّةِ كَسْرِهِ خَمْسُونَ دِينَارًا، وَدِيَّةُ نَقْلِ عِظَامِهِ مِئَةٌ وَخَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ دِينَارًا مِنْهَا لِكَسْرِهَا مِئَةُ دِينَارٍ، وَلِنَقْلِ عِظَامِهَا خَمْسُونَ دِينَارًا، وَلِمُوضِحَتِهَا خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ دِينَارًا، وَدِيَّةُ فَكِّهَا ثَلَاثَا دِينَارًا، فَإِنْ رُضَّتْ وَعَظِمَتْ فَدَيْتُهَا ثَلَاثُمِئَةٍ وَثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ دِينَارًا وَثَلْثُ دِينَارٍ.

وفى الْفَخِذِ إِذَا كُسِرَتْ فَجُبِرَتْ عَلَى غَيْرِ عَظْمٍ وَلَا عَيْبٍ خُمُسُ دِيَّةِ الرَّجُلَيْنِ مِئَتَا دِينَارٍ، فَإِنْ عَظِمَتْ الْفَخِذُ فَدَيْتُهَا ثَلَاثُمِئَةِ دِينَارٍ وَثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ دِينَارًا وَثَلْثُ دِينَارٍ، ثَلَاثُ دِيَّةِ النَّفْسِ، وَدِيَّةُ الْمُوَضِّحَةِ الْعَظْمِ أَرْبَعَةُ أَخْمَاسِ دِيَّةِ كَسْرِهَا مِئَةٌ وَسِتُّونَ

ص: ٢٩٧

دِينَارًا، فَإِنْ كَانَتْ قَرْحَةً لَا تَبْرَأُ فَدَيْتُهَا ثَلَاثُ دِيَّةِ كَسْرِهَا سِتَّةٌ وَسِتُّونَ دِينَارًا وَثَلَاثَا دِينَارٍ، وَدِيَّةُ مُوَضِّحَتِهَا رُبْعُ دِيَّةِ كَسْرِهَا خَمْسُونَ دِينَارًا، وَدِيَّةُ نَقْلِ عِظَامِهَا نِصْفُ دِيَّةِ كَسْرِهَا مِئَةُ دِينَارٍ، وَدِيَّةُ نَقْبِهَا رُبْعُ دِيَّةِ كَسْرِهَا خَمْسُونَ دِينَارًا.

وفى الرُّكْبَةِ إِذَا كُسِرَتْ فَجُبِرَتْ عَلَى غَيْرِ عَظْمٍ وَلَا عَيْبٍ خُمُسُ دِيَّةِ الرَّجُلَيْنِ مِئَتَا دِينَارٍ، فَإِنْ تَصَدَّعَتْ فَدَيْتُهَا أَرْبَعَةُ أَخْمَاسِ دِيَّةِ كَسْرِهَا مِئَةٌ وَسِتُّونَ دِينَارًا، وَدِيَّةُ مُوَضِّحَتِهَا رُبْعُ دِيَّةِ كَسْرِهَا خَمْسُونَ دِينَارًا، وَدِيَّةُ نَقْلِ عِظَامِهَا مِئَةُ دِينَارٍ وَخَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ

دِينَارًا، مِنْهَا فِي دِيَّةٍ كَسَرَهَا مِثَّةُ دِينَارٍ، وَفِي نَقْلِ عِظَامِهَا خَمْسُونَ دِينَارًا، وَفِي مُوَضِّحَتِهَا خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ دِينَارًا، وَدِيَّةُ نَقَبِهَا رُبْعُ دِيَّةٍ كَسَرَهَا خَمْسُونَ دِينَارًا، فَإِنْ رُضَّتْ فَعَمَّتْ فَبَيْنَهَا ثَلَاثُ دِيَّةٍ النَّفْسِ ثَلَاثُمِثَّةٌ وَثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ دِينَارًا وَثُلُثُ دِينَارٍ، فَإِنْ فُكَّتْ فَبَيْنَهَا ثَلَاثَةُ أَجْزَاءٍ مِنْ دِيَّةِ الْكَسْرِ ثَلَاثُونَ دِينَارًا.

وَفِي السَّاقِ إِذَا كُسِرَتْ فَجَبِرَتْ عَلَى غَيْرِ عَظْمٍ وَلَا عَيْبٍ خُمُسُ دِيَّةِ الرَّجُلَيْنِ مِثَّتَا دِينَارٍ، وَدِيَّةُ صَدْعِهَا أَرْبَعَةُ أَخْمَاسٍ، دِيَّةُ كَسَرِهَا مِثَّةٌ وَسِتُّونَ دِينَارًا، وَفِي مُوَضِّحَتِهَا رُبْعُ دِيَّةٍ كَسَرَهَا خَمْسُونَ دِينَارًا، وَفِي نَقْلِ عِظَامِهَا رُبْعُ دِيَّةٍ كَسَرَهَا خَمْسُونَ دِينَارًا، وَفِي قَرْحَةٍ لَا تَبْرَأُ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ دِينَارًا وَثُلُثُ دِينَارٍ، فَإِنْ عَمَّتِ السَّاقُ فَدَيْنَتْهَا ثُلُثُ دِيَّةِ النَّفْسِ ثَلَاثُمِثَّةٌ وَثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ دِينَارًا وَثُلُثُ دِينَارٍ.

وَفِي الْكَعْبِ إِذَا رُضَّ فَجَبِرَ عَلَى غَيْرِ عَظْمٍ وَلَا عَيْبٍ ثُلُثُ دِيَّةِ الرَّجُلَيْنِ ثَلَاثُمِثَّةٌ وَثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ دِينَارًا وَثُلُثُ دِينَارٍ.

وَفِي الْقَدَمِ إِذَا كُسِرَتْ فَجَبِرَتْ عَلَى غَيْرِ عَظْمٍ وَلَا عَيْبٍ خُمُسُ دِيَّةِ الرَّجُلَيْنِ مِثَّتَا دِينَارٍ، وَدِيَّةُ مُوَضِّحَتِهَا رُبْعُ دِيَّةٍ كَسَرَهَا خَمْسُونَ دِينَارًا، وَفِي نَاقِيَةٍ فِيهَا رُبْعُ دِيَّةٍ كَسَرَهَا خَمْسُونَ دِينَارًا.

ص: ٢٩٨

وَدِيَّةُ الْأَصَابِعِ وَالْقَصَبِ الَّتِي فِي الْقَدَمِ لِلْإِبْهَامِ ثُلُثُ دِيَّةِ الرَّجُلَيْنِ ثَلَاثُمِثَّةٌ وَثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ دِينَارًا وَثُلُثُ دِينَارٍ، وَدِيَّةُ كَسْرِ قَصَبَةِ الْإِبْهَامِ الَّتِي تَلِي الْقَدَمَ خُمُسُ دِيَّةِ الْإِبْهَامِ سِتَّةٌ وَسِتُّونَ دِينَارًا وَثُلُثَا دِينَارٍ، وَفِي صَدْعِهَا سِتَّةٌ وَعِشْرُونَ دِينَارًا وَثُلُثَا دِينَارٍ، وَفِي مُوَضِّحَتِهَا ثَمَانِيَةُ دَنَانِيرٍ وَثُلُثُ دِينَارٍ، وَفِي نَقْلِ عِظَامِهَا سِتَّةٌ وَعِشْرُونَ دِينَارًا وَثُلُثَا دِينَارٍ، وَفِي نَقَبِهَا ثَمَانِيَةُ دَنَانِيرٍ وَثُلُثُ دِينَارٍ، وَفِي فَكِّهَا عَشْرَةُ دَنَانِيرٍ.

وَدِيَّةُ الْمَفْصِلِ الْأَعْلَى مِنَ الْإِبْهَامِ وَهُوَ الثَّانِي الَّذِي فِيهِ الظُّفْرُ سِتَّةٌ عَشَرَ دِينَارًا وَثُلُثَا دِينَارٍ، وَفِي مُوَضِّحَتِهِ أَرْبَعَةُ دَنَانِيرٍ وَسُدُسٌ، وَفِي نَقْلِ عِظَامِهِ ثَمَانِيَةُ دَنَانِيرٍ وَثُلُثُ دِينَارٍ، وَفِي نَاقِيَتِهِ أَرْبَعَةُ دَنَانِيرٍ وَسُدُسٌ، وَفِي صَدْعِهِ ثَلَاثَةُ عَشَرَ دِينَارًا وَثُلُثُ، وَفِي فَكِّهِ خَمْسَةُ دَنَانِيرٍ، وَفِي ظُفْرِهِ ثَلَاثُونَ دِينَارًا، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ ثُلُثُ دِيَّةِ الرَّجُلِ، وَدِيَّةُ كُلِّ إِصْبَعٍ مِنْهَا سُدُسُ دِيَّةِ الرَّجُلِ ثَلَاثَةٌ وَثَمَانُونَ دِينَارًا وَثُلُثُ دِينَارٍ، وَدِيَّةُ قَصَبَةِ الْأَصَابِعِ الْأَرْبَعِ سِوَى الْإِبْهَامِ دِيَّةُ كَسْرِ كُلِّ قَصَبَةٍ مِنْهَا سِتَّةٌ عَشَرَ دِينَارًا وَثُلُثَا دِينَارٍ، وَدِيَّةُ مُوَضِّحَةٍ كُلِّ قَصَبَةٍ مِنْهَا أَرْبَعَةُ دَنَانِيرٍ وَسُدُسٌ، وَدِيَّةُ نَقْلِ كُلِّ عَظْمٍ قَصَبَةٍ مِنْهُنَّ ثَمَانِيَةُ دَنَانِيرٍ وَثُلُثُ، وَدِيَّةُ صَدْعِهَا ثَلَاثَةُ عَشَرَ دِينَارًا وَثُلُثُ دِينَارٍ، وَدِيَّةُ نَقَبِ كُلِّ قَصَبَةٍ مِنْهُنَّ أَرْبَعَةُ دَنَانِيرٍ وَسُدُسٌ، وَدِيَّةُ قَرْحَةٍ لَا تَبْرَأُ فِي الْقَدَمِ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ دِينَارًا وَثُلُثُ، وَدِيَّةُ كَسْرِ الْمَفْصِلِ الَّذِي يَلِي الْقَدَمَ مِنَ الْأَصَابِعِ سِتَّةٌ عَشَرَ دِينَارًا وَثُلُثُ، وَدِيَّةُ صَدْعِهَا ثَلَاثَةُ عَشَرَ دِينَارًا وَثُلُثُ دِينَارٍ، وَدِيَّةُ نَقْلِ كُلِّ قَصَبَةٍ مِنْهُنَّ ثَمَانِيَةُ دَنَانِيرٍ وَثُلُثُ دِينَارٍ، وَدِيَّةُ مُوَضِّحَةٍ كُلِّ قَصَبَةٍ أَرْبَعَةُ دَنَانِيرٍ وَسُدُسٌ دِينَارٍ، وَدِيَّةُ نَقَبِهَا أَرْبَعَةُ دَنَانِيرٍ وَسُدُسُ دِينَارٍ، وَدِيَّةُ فَكِّهَا خَمْسَةُ دَنَانِيرٍ، وَفِي الْمَفْصِلِ الْأَوْسَطِ مِنَ الْأَصَابِعِ الْأَرْبَعِ إِذَا قُطِعَ فَدَيْنَتْهُ خَمْسَةٌ وَخَمْسُونَ دِينَارًا وَثُلُثَا دِينَارٍ، وَدِيَّةُ كَسَرِهِ أَحَدَ عَشَرَ دِينَارًا وَثُلُثَا دِينَارٍ، وَدِيَّةُ صَدْعِهِ ثَمَانِيَةُ دَنَانِيرٍ وَأَرْبَعَةُ أَخْمَاسِ دِينَارٍ، وَدِيَّةُ مُوَضِّحَتِهِ دِينَارَانِ، وَدِيَّةُ نَقْلِ عِظَامِهِ خَمْسَةُ دَنَانِيرٍ وَثُلُثَا دِينَارٍ، وَدِيَّةُ فَكِّهِ

ص: ٢٩٩

ثَلَاثَةُ دَنَانِيرٍ وَثُلُثَا دِينَارٍ، وَدِيَّةُ نَقَبِهِ دِينَارَانِ وَثُلُثَا دِينَارٍ، وَفِي الْمَفْصِلِ الْأَعْلَى مِنَ الْأَصَابِعِ الْأَرْبَعِ الَّتِي فِيهَا الظُّفْرُ إِذَا قُطِعَ فَدَيْنَتْهُ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ دِينَارًا وَأَرْبَعَةُ أَخْمَاسِ دِينَارٍ، وَدِيَّةُ كَسَرِهِ خَمْسَةُ دَنَانِيرٍ وَأَرْبَعَةُ أَخْمَاسِ دِينَارٍ، وَدِيَّةُ صَدْعِهِ أَرْبَعَةُ دَنَانِيرٍ

وْخُمْسُ دِينَارٍ، وَدِيَّةٌ مُوَضِّحَتُهُ دِينَارٌ وَثُلْتُ دِينَارٍ، وَدِيَّةٌ نَقْلُ عِظَامِهِ دِينَارَانِ وَخُمْسُ دِينَارٍ، وَدِيَّةٌ نَقْبُهُ دِينَارٌ وَثُلْتُ دِينَارٍ، وَدِيَّةٌ فَكَّهُ دِينَارٌ وَأَرْبَعَةُ أَخْمَاسِ دِينَارٍ، وَدِيَّةٌ كُلُّ ظُفْرِ عَشْرَةُ دَنَائِيرٍ.

وَأُفْتِيَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَلْمَةِ تَدْيِ الرَّجُلِ ثُمْنُ الدِّيَةِ مِثْلُ دِينَارٍ وَخَمْسَةَ وَعِشْرُونَ دِينَارًا.

وَفِي خُصِيَّةِ الرَّجُلِ خَمْسُمِئَةِ دِينَارٍ.

قَالَ: وَإِنْ أَصِيبَ رَجُلٌ فَأَدِرَ خُصْيَتَاهُ كِلْتَاهُمَا فَدِيَّتُهُ أَرْبَعُمِئَةِ دِينَارٍ، فَإِنْ فَحِجَ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْمَشْيِ إِلَّا مَشْيًا لَا يَنْفَعُهُ، فَدِيَّتُهُ أَرْبَعَةُ أَخْمَاسِ، دِيَّةُ النَّفْسِ ثَمَانِمِئَةِ دِينَارٍ، فَإِنْ أُحْدِبَ مِنْهَا الظَّهْرُ فَحِينَئِذٍ تَمَّتْ، دِيَّتُهُ أَلْفُ دِينَارٍ، وَالْقَسَامَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ سِتَّةُ نَفَرٍ عَلَى مَا بَلَغَتْ دِيَّتُهُ.

وَأُفْتِيَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْوَجِيئَةِ إِذَا كَانَتْ فِي الْعَانَةِ فَخَرَقَتْ السَّقَّاقَ فَصَارَتْ أُذْرَةً فِي إِحْدَى الْخُصْيَتَيْنِ، فَدِيَّتُهَا مِثْلُ دِينَارِ خُمْسِ الدِّيَةِ.

وَفِي النَّافِذَةِ إِذَا نَفَذَتْ مِنْ رُمْحٍ أَوْ خِنْجَرٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الرَّجُلِ مِنْ أَطْرَافِهِ، فَدِيَّتُهَا عَشْرُ دِيَّةِ الرَّجُلِ مِثْلُ دِينَارٍ.

وَقَضَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّهُ لَا قَوْدَ لِرَجُلٍ أَصَابَهُ وَالِدُهُ فِي أَمْرٍ يَعِيبُ عَلَيْهِ فِيهِ فَأَصَابَهُ عَيْبٌ مِنْ قَطْعٍ وَغَيْرِهِ وَتَكُونُ لَهُ الدِّيَةُ وَلَا يُقَادُّ، وَلَا قَوْدَ لَامْرَأَةٍ أَصَابَهَا زَوْجُهَا فَعِيبَتْ، وَغُرْمُ الْعَيْبِ عَلَى زَوْجِهَا وَلَا قِصَاصَ عَلَيْهِ.

وَقَضَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي امْرَأَةٍ رَكِبَهَا زَوْجُهَا فَأَعْفَلَهَا، أَنْ لَهَا نِصْفَ دِيَّتِهَا مِثْلَانِ وَخُمْسُونَ دِينَارًا.

ص: ٣٠٠

وَقَضَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي رَجُلٍ افْتَضَّ جَارِيَةً بِإِصْبَعِهِ فَخَرَقَ مِثْلَانَتَهَا، فَلَا تَمْلِكُ بَوْلَهَا، فَجَعَلَ لَهَا ثُلُثَ الدِّيَةِ، مِثْلُ سِتَّةٍ وَسِتِّينَ دِينَارًا وَثُلْثَى دِينَارٍ، وَقَضَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهَا عَلَيْهِ صِدَاقُهَا مِثْلُ نِسَاءِ قَوْمِهَا.

«١»

إِلَى هُنَا تَمَّ مَا أَوْرَدَهُ الشَّيْخُ فِي التَّهْذِيبِ مَفْصَلًا، وَلَكِنَّهُ نَقَلَ أَوَّلَ هَذَا الْكِتَابِ بِنَحْوِ آخِرِ قَوْلِهِ:

«إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَعَلَ دِيَّةَ الْجَنِينِ مِثْلُ دِينَارٍ، وَجَعَلَ مَنَى الرَّجُلِ إِلَى أَنْ يَكُونَ جَنِينًا خَمْسَةَ أَجْزَاءٍ: فَإِذَا كَانَ جَنِينًا قَبْلَ أَنْ يُلِجَ الرُّوحُ فِيهِ مِثْلُ دِينَارٍ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ، وَهِيَ النُّطْفَةُ فَهَذَا جُزْءٌ، ثُمَّ عُلِقَتْ فَهُوَ جُزْءٌ آخَرٌ، ثُمَّ مُضِغَةٌ ثَلَاثَةُ أَجْزَاءٍ، ثُمَّ عَظْمٌ فَهُوَ أَرْبَعَةُ أَجْزَاءٍ، ثُمَّ يُكْسَى لَحْمًا فَحِينَئِذٍ ثَمْنُ جَنِينًا، فَكَمَلَتْ لَهُ خَمْسَةُ أَجْزَاءٍ مِثْلُ دِينَارٍ وَالْمِثْلُ دِينَارٍ خَمْسَةُ أَجْزَاءٍ.

فَجَعَلَ لِلنُّطْفَةِ خُمْسَ الْمِثْلِ عِشْرِينَ دِينَارًا، وَلِلْعُلْقَةِ خُمْسِي الْمِثْلِ أَرْبَعِينَ دِينَارًا، وَلِلْمُضْغَةِ ثَلَاثَةَ أَخْمَاسِ الْمِثْلِ سِتِّينَ دِينَارًا، وَلِلْعَظْمِ أَرْبَعَةَ أَخْمَاسِ الْمِثْلِ ثَمَانِينَ دِينَارًا، فَإِذَا أَنْشَأَ فِيهِ خَلْقٌ آخَرٌ وَهُوَ الرُّوحُ فَهُوَ حِينَئِذٍ نَفْسُ أَلْفِ دِينَارٍ دِيَّةٌ كَامِلَةٌ إِنْ كَانَ ذَكَرًا، وَإِنْ كَانَ أُنْثَى فَخَمْسُمِئَةِ دِينَارٍ.

وإن قُتِلَتِ امْرَأَةٌ وَهِيَ حُبْلَى فَتَمَّ فَلَمْ يَسْقُطْ وَلَدُهَا وَلَمْ يُعْلَمَ أَذَكَرٌ هُوَ أَمْ أُنْثَى وَلَمْ يُعْلَمَ أَبْعَدَهَا مَاتَ أَوْ قَبْلَهَا، فَدِيَّتُهُ نِصْفَانِ: نِصْفُ دِيَّةِ الذَّكَرِ وَنِصْفُ دِيَّةِ الْأُنْثَى، وَدِيَّةُ الْمَرْأَةِ كَامِلَةٌ بَعْدَ ذَلِكَ، وَذَلِكَ سِتَّةُ أَجْزَاءٍ مِنَ الْجَنِينِ.

وَأُفْتِيَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَنَى الرَّجُلِ يُفْرِغُ مِنْ عَرْسِهِ فَيَعْزِلُ عَنْهَا الْمَاءَ وَلَمْ يُرَدِّ، ذَلِكَ نِصْفُ

(١). تهذيب الأحكام: ج ١٠ ص ٢٩٥ - ٣٠٨ ح ١١٤٨ و راجع: الكافي: ج ٧ ص ٣١١ - ٣٤٠، من لا يحضره الفقيه:

ج ٤ ص ٧٥ - ٩٢ ح ٥١٥٠.

ص: ٣٠١

خُمْسُ الْمِئَةِ عَشْرَةَ دَنَانِيرَ، وَإِذَا أَفْرَغَ فِيهَا عِشْرِينَ دِينَارًا، وَقَضَى فِي دِيَّةِ جِرَاحِ الْجَنِينِ مِنْ حِسَابِ الْمِئَةِ عَلَى مَا يَكُونُ مِنْ جِرَاحِ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ كَامِلَةً، وَجَعَلَ لَهُ فِي قِصَاصِ جِرَاحَتِهِ وَمَعْقَلَتِهِ عَلَى قَدْرِ دِيَّتِهِ، وَهِيَ مِئَةُ دِينَارٍ. «١»

ثُمَّ نَقَلَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ شَطْرًا مِنْهُ مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«وَجَعَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ دِيَّةَ الْجِرَاحَةِ»

- إِلَى قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ -

«الْعَظْمُ الَّذِي هُوَ فِيهِ»

، بِاخْتِلَافٍ يَسِيرٍ، وَزَادَ

«وَأُفْتِيَ فِي النَّافِذَةِ إِذَا أَنْفَذَتْ مِنْ رُمْحٍ أَوْ خِنْجَرٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الرَّجُلِ فِي أَطْرَافِهِ، فَدِيَّتُهَا عِشْرُ دِيَّةِ الرَّجُلِ مِئَةُ دِينَارٍ»

«٢».

و هَذِهِ الْجُمْلَةُ مُوجُودَةٌ فِي الْكِتَابِ فِي آخِرِ قَوْلِهِ، وَأُفْتِيَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْوَجِيئَةِ.

و نَقَلَ شَطْرًا مِنْ أَوَّلِ الْكِتَابِ مِنْ قَوْلِهِ:

«الصَّوْتُ، مِنَ الْغَنَنِ»

- إِلَى قَوْلِهِ -

«وَالْأَنْثَيْنِ أَلْفَ دِينَارٍ»

، وَهَكَذَا،

«ذَهَابَ السَّمْعُ كُلُّهُ أَلْفُ دِينَارٍ، وَالصَّوْتُ كُلُّهُ مِنَ الْغَنَنِ، وَالْبَحْ أَلْفُ دِينَارٍ، وَشَلَّلَ الْيَدَيْنِ كِلْتَابَهُمَا، وَالشَّلَّلُ كُلُّهُ أَلْفُ دِينَارٍ، وَشَلَّلَ الرَّجْلَيْنِ أَلْفُ دِينَارٍ، وَالشَّفَتَيْنِ إِذَا اسْتُؤْصِلَتَا أَلْفُ دِينَارٍ، وَالظَّهْرَ إِذَا حُدِبَ أَلْفُ دِينَارٍ، وَالذَّكَرَ إِذَا اسْتُؤْصِلَ أَلْفُ دِينَارٍ، وَالْبَيْضَتَيْنِ أَلْفُ دِينَارٍ، وَفِي صُدْغِ الرَّجُلِ إِذَا أُصِيبَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَّا مَا انْحَرَفَ الرَّجُلُ نِصْفُ الدِّيَةِ خَمْسُمَةِ دِينَارٍ، فَمَا كَانَ دُونَ ذَلِكَ فَبِحَسَابِهِ».

«٣»

و نقل شَطْرًا منه من قوله:

«وَقَضَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي شَفْرِ الْعَيْنِ»

- إلى قوله -

«عَلَى حِسَابِ ذَلِكَ»

، باختلاف يسير. «٤»

و نقل شَطْرًا آخر أيضاً من قوله:

«فَإِذَا أُصِيبَ الرَّجُلُ فِي إِحْدَى عَيْنَيْهِ»

- إلى قوله -

«حَلَفَ مَعَهُ خَمْسَةُ رِجَالٍ».

(١). تهذيب الأحكام: ج ١٠ ص ٢٨٥ ح ١١٠٧، الكافي: ج ٧ ص ٣٤٣ ح ١ نحوه.

(٢). تهذيب الأحكام: ج ١٠ ص ٢٩٢ ح ١١٣٥، الكافي: ج ٧ ص ٣٢٧ ح ٥.

(٣). تهذيب الأحكام: ج ١٠ ص ٢٤٥ ح ٩٦٨، الكافي: ج ٧ ص ٣١١ ح ١.

(٤). تهذيب الأحكام: ج ١٠ ص ٢٤٨ ح ١٠١٩، الكافي: ج ٧ ص ٣٣٠ ح ٢.

ص: ٣٠٢

و نقل بعده جملاً كثيرة المخالفة في المتن و لذا فلا بُدَّ من نقلها كلها قال:

«وَكَذَلِكَ الْقِسَامَةُ كُلُّهَا فِي الْجُرُوحِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْمُصَابِ بَصَرُهُ مِنْ يَحْلِفُ مَعَهُ ضُوعِفَتْ عَلَيْهِ الْإِيمَانُ إِنْ كَانَ سُدُسَ بَصَرِهِ حَلَفَ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَإِنْ كَانَ ثُلُثَ بَصَرِهِ حَلَفَ مَرَّتَيْنِ وَهَذَا الْحِسَابُ، وَإِنَّمَا الْقِسَامَةُ عَلَى مَبْلَغِ مُنْتَهَى بَصَرِهِ، وَإِنْ كَانَ السَّمْعُ فَعَلَى نَحْوِ مَنْ ذَلِكَ غَيْرَ أَنَّهُ يُضْرَبُ لَهُ بِشَيْءٍ حَتَّى يُعْلَمَ مُنْتَهَى سَمْعِهِ، ثُمَّ يُقَاسُ مِنْ ذَلِكَ، وَالْقِسَامَةُ عَلَى نَحْوِ مَا يَنْقُصُ مِنْ سَمْعِهِ، فَإِنْ كَانَ سَمْعُهُ كُلُّهُ فَخِيفَ مِنْهُ فَجُورٌ فَإِنَّهُ يُتْرَكُ حَتَّى إِذَا اسْتَقَلَّ نَوْمًا صَبَحَ بِهِ، فَإِنْ سَمِعَ قَاسَ بَيْنَهُمُ الْحَاكِمُ بِرَأْيِهِ، وَإِنْ كَانَ النِّقْصُ فِي الْعَضِدِ وَالْفَخِذِ فَإِنَّهُ يُعْلَمُ قَدْرُ ذَلِكَ يُقَاسُ بِخَيْطِ رِجْلِهِ الصَّحِيحَةِ، ثُمَّ يُقَاسُ بِهِ الْمُصَابَةُ، فَيُعْلَمُ قَدْرُ مَا نَقَصَتْ رِجْلُهُ أَوْ يَدُهُ، فَإِنْ أَصِيبَ السَّاقُ أَوْ السَّاعِدُ فَمِنْ الْفَخِذِ وَالْعَضِدِ يُقَاسُ وَيَنْظَرُ الْحَاكِمُ قَدْرَ فَخِذِهِ».

«١»

أبو رافع مولى رسول الله

غَلَبَتْ عَلَيْهِ كُنْيَتُهُ، وَ اخْتُلِفَ فِي اسْمِهِ، فَقِيلَ: أَسْلَمٌ؛ وَ هُوَ أَشْهَرُ مَا قِيلَ فِيهِ، وَ قِيلَ: إِبْرَاهِيمَ «٢»، وَ قِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ. أَحَدُ الْوُجُوهِ الْبَارِزَةِ فِي التَّشْيِيعِ، وَ مِنْ السَّابِقِينَ إِلَى التَّأْلِيفِ وَ التَّدْوِينِ وَ الْعِلْمِ، وَ أَحَدُ صَحَابَةِ الْإِمَامِ الْأَبْرَارِ.

كَانَ غَلَامًا لِلْعَبَّاسِ عَمِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله «٣»، ثُمَّ وَهَبَهُ الْعَبَّاسُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله «٤». وَ لَمَّا أَسْلَمَ

(١). تهذيب الأحكام: ج ١٠ ص ٢٦٧ ح ١٠٥٠، الكافي: ج ٧ ص ٣٢٤ ح ٩ مع اختلاف يسير.

(٢). الاستيعاب: ج ١ ص ١٧٧ الرقم ٣٤؛ تهذيب المقال: ج ١ ص ١٦٤ الرقم ١.

(٣). المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ٦٩٠ ح ٦٥٣٦، الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٧٣، تاريخ الطبري: ج ٣ ص ١٧٠، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٦٦٨؛ رجال النجاشي: ج ١ ص ٦١ الرقم ١.

(٤). المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ٦٩٠ ح ٦٥٣٦، الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٧٣، تاريخ الطبري: ج ٣ ص ١٧٠، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٦٦٨.

ص: ٣٠٣

الْعَبَّاسِ وَ بَلَغَ أَبُو رَافِعٍ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله بِإِسْلَامِهِ أَعْتَقَهُ. «١»

شَهِدَ أَبُو رَافِعٍ حُرُوبَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله كُلَّهَا إِلَّا بَدْرًا «٢». وَ وَقَفَ بَعْدَهُ إِلَى جَانِبِ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثَابِتَ الْعَقِيدَةِ وَ لَمْ يَفَارِقْهُ «٣». وَ هُوَ أَحَدُ رَوَاةِ حَدِيثِ الْغَدِيرِ «٤».

وَ عُذٌّ مِنْ أَبْرَارِ الشَّيْعَةِ وَ صَالِحِيهِمْ «٥». وَ كَانَ مَعَ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْضًا فِي جَمِيعِ مَعَارِكِهِ «٦».

وَ كَانَ مَسْئُولًا عَنْ بَيْتِ مَالِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْكُوفَةِ «٧». وَ وَلَدَاهُ عُبَيْدُ اللَّهِ «٨»، وَ عَلِيٌّ «٩» مِنْ كُتَّابِهِ.

و لأبى عليه السلام رافع كتاب كبير عنوانه، السنن و القضايا و الأحكام «١٠»، يشتمل على الفقه فى أبوابه المختلفة، رواه جمع من المحدثين الكبار و فيهم ولده. و له كتب اخرى منها كتاب: أفضية أمير المؤمنين، و كتاب الديات و غيرهما، و يعتقد بعض

(١). الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٧٣، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٦٦٨، سير أعلام النبلاء: ج ٢ ص ١٦ الرقم ٣، الاستيعاب: ج ١ ص ١٧٧ الرقم ٣٤؛ رجال النجاشي: ج ١ ص ٦١ الرقم ١.

(٢). الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٧٤، الاستيعاب: ج ١ ص ١٧٨ الرقم ٣٤؛ رجال النجاشي: ج ١ ص ٦٢ الرقم ١ و فيه «و شهد مع النبى صلى الله عليه و آله مشاهده».

(٣). رجال النجاشي: ج ١ ص ٦٢ الرقم ١، الأمالى للطوسى: ص ٥٩ ح ٨٦.

(٤). مقتل الحسين للخوارزمي: ج ١ ص ٤٨؛ الغدير: ج ١ ص ١٦ ح ٨.

(٥). رجال النجاشي: ج ١ ص ٦٢ الرقم ١.

(٦). رجال النجاشي: ج ١ ص ٦٢ الرقم ١، الأمالى للطوسى: ص ٥٩ ح ٨٦.

(٧). الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٤٤١.

(٨). الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٧٤، تاريخ الطبرى: ج ٣ ص ١٧٠ و فيه «عبدة الله»؛ رجال النجاشي: ج ١ ص ٦٢ الرقم ١، رجال الطوسى: ص ٧١ الرقم ٦٥٤.

(٩). رجال النجاشي: ج ١ ص ٦٢ الرقم ١، رجال ابن داود: ص ١٣٤ الرقم ١٠١١ و راجع تهذيب المقال: ج ١ ص ١٦٤-١٨٢ الرقم ١.

(١٠). رجال النجاشي: ج ١ ص ٦٤ الرقم ١.

ص: ٣٠٤

العلماء أنها قاطبة أبواب ذلك الكتاب الكبير و فصوله «١». و ذهب أبو رافع مع الإمام الحسن عليه السلام إلى المدينة بعد استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام «٢». و وضع الإمام الحسن المجتبى عليه السلام نصف بيت أبيه تحت تصرفه. و روى أبو رافع عن رسول الله صلى الله عليه و آله أيضاً «٣». و ذكر البعض أنه توفي سنة ٤٠ هـ. «٤»

فى رجال النجاشي عن أبى رافع: دخلت على رسول الله صلى الله عليه و آله و هو نائم، أو يوحى إليه، و إذا حيّة فى جانب البيت، فكرهت أن أقتلها فاوقظهُ، فاضطجعت بينه و بين الحيّة، حتّى إن كان منها سوء يكون إلىّ دونه، فاستيقظَ و هو يتلو هذه الآية:

«إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاغِبُونَ» «٥».

ثم قال:

الحمد لله الذي أكمل لي على عليه السلام منيته، وهنيئاً لعلّ عليه السلام بتفضيل الله إياه

، ثم التفت، فرآني إلى جانبه، فقال:

ما أضجعت هاهنا يا أبا رافع؟

فأخبرته خبر الحية، فقال:

قم إليها فاقتلها، فقتلتها.

ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيدي فقال:

يا أبا رافع كيف أنت وقوم يقاتلون علياً عليه السلام هو على الحق وهم على الباطل! يكون في حق الله جهادهم، فمن لم يستطع جهادهم فقبله، فمن لم يستطع فليس وراء ذلك شيء، فقلت: ادع لي إن أدركتهم أن يعينني الله ويقويني على قتالهم، فقال: اللهم إن أدركهم فقهه وأعنه. ثم خرج إلى الناس، فقال: يا أيها الناس! من أحب أن ينظر إلى أميني على

(١). تدوين السنة الشريفة: ص ١٣٨ - ١٤٢.

(٢). رجال النجاشي: ج ١ ص ٦٤ الرقم ١، الأمالى للطوسي: ص ٥٩ ح ٨٦.

(٣). التاريخ الكبير: ج ٥ ص ١٣٨ ح ٤١٥.

(٤). سير أعلام النبلاء: ج ٢ ص ١٦ الرقم ٣، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٦٦٨، وقيل «مات بعد قتل عثمان» كما في الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٧٥ و تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٦٦٨، وقيل «توفي في خلافة علي عليه السلام» كما في سير أعلام النبلاء: ج ٢ ص ١٦ الرقم ٣ والإستيعاب: ج ١ ص ١٧٨ الرقم ٣٤.

(٥) المائدة: ٥٥.

ص: ٣٠٥

نفسى وأهلى، فهذا أبو رافع أمينى على نفسى.

«١»

و عن عَوْنِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ: لَمَّا بُويعَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ خَالَفَهُ مَعَاوِيَةُ بِالشَّامِ، وَ سَارَ طَلْحَةُ وَ الزُّبَيْرُ إِلَى الْبَصْرَةِ، قَالَ أَبُو رَافِعٍ: هَذَا قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ:

«سَيُقَاتِلُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْمٌ يَكُونُ حَقًّا فِي اللَّهِ جِهَادُهُمْ»

. فَبَاعَ أَرْضَهُ بِخَبِيرٍ وَ دَارِهِ، ثُمَّ خَرَجَ مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ هُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ لَهُ خَمْسٌ وَ ثَمَانُونَ سَنَةً، وَ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، لَقَدْ أَصْبَحْتُ لَا أَحَدَ بِمَنْزِلَتِي، لَقَدْ بَايَعَتِ الْبَيْعَتَيْنِ، بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ، وَ بَيْعَةَ الرُّضْوَانِ، وَ صَلَّيْتُ الْقِبْلَتَيْنِ، وَ هَاجَرْتُ الْهَجْرَ الثَّلَاثَ، قُلْتُ: وَ مَا الْهَجْرَ الثَّلَاثُ؟ قَالَ: هَاجَرْتُ مَعَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ - إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَ هَاجَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَ هَذِهِ الْهَجْرَةُ مَعَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْكُوفَةِ، فَلَمْ يَزَلْ مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى اسْتَشْهَدَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَرَجَعَ أَبُو رَافِعٍ إِلَى الْمَدِينَةِ مَعَ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَ لَا دَارَ لَهُ بِهَا وَ لَا أَرْضَ، فَقَسَمَ لَهُ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَارَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنَصَفَيْنِ، وَ أَعْطَاهُ سُنْحَ «٢»: أَرْضَ أَقْطَعِهِ إِيَّاهَا، فَبَاعَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ مِنْ مَعَاوِيَةَ بِمِائَةِ أَلْفٍ وَ سَبْعِينَ أَلْفًا. «٣»

٥٤ كتابه عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري

«مُرُوا الْأَقَارِبَ أَنْ يَتَزَاوَرُوا وَلَا يَتَجَاوَرُوا».

[نقله العلامة المتتبع المحقق الكاشاني في المَحَجَّة البيضاء، بعد ما نقله عن

(١). رجال النجاشي: ج ١ ص ٦٣ الرقم ١.

(٢) سُنْحٌ: مَوْضِعٌ بِعَوَالِي الْمَدِينَةِ، فِيهِ مَنَازِلُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ (النهاية: ج ٢ ص ٤٠٧).

(٣). رجال النجاشي: ج ١ ص ٦٤ الرقم ١.

ص: ٣٠٦

عمر بن الخطّاب، أنّه كتبه إلى عمّاله، قال: و قد نسب بعض العلماء هذه المكاتبة إلى أمير المؤمنين عليه السلام، و أنّه كتبه إلى أبي موسى الأشعري]. «١»

٥٥ كتابه عليه السلام إلى عمرو بن العاص

كتب عليّ رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص:

لَأُصْبِحَنَّ الْعَاصِ وَ ابْنَ الْعَاصِي

تَسْعِينَ أَلْفًا عَاقِدِي النَّوَاصِي

مُسْتَحْقِقِينَ حَلَقَ الدَّلَاصِ

قَدْ جَنَّبُوا الْخَيْلَ مَعَ الْقِلَاصِ

آسَادُ غَيْلٍ حِينَ لَا مَنَاصِ

فكتب عمرو بن العاص إلى علي رضي الله عنه أبياتاً مطلعها:

أَلَسْتُ بِالْعَاصِي وَشَيْخِ الْعَاصِي

مِنْ مَعْشَرٍ فِي غَالِبٍ مَنَاصٍ «٢»

٥٦ كتابه في قائم سيفه عليه السلام

يقال: إن هذه الأبيات كانت مكتوبة على قائم سيف الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

النَّاسُ حِرْصٌ عَلَى الدُّنْيَا وَقَدْ فَسَدَتْ

فَصَفُّوْهَا لَكَ مَمْرُوجٌ بِتَكْدِيرِ

فَمِنْ مُكِبٍّ عَلَيْهَا لَا تُسَاعِدُهُ

وَعَاجِزٍ نَالَ دُنْيَاهُ بِتَقْصِيرِ

(١). المحجّة البيضاء: ج ٣ ص ٢٢٩.

(٢). الفتوح: ج ٢ ص ٥٣٩ و راجع: الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٦١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ١٦٩؛ وقعة صفين: ص ١٣٦.

ص: ٣٠٧

لَمْ يُدْرِكُوهَا بِعَقْلِ عِنْدَ مَا قُسِمَتْ

وَأِنَّمَا أَدْرَكُوهَا بِالْمَقَادِيرِ

لَوْ كَانَ عَنْ قُدْرَةٍ أَوْ عَنْ مُغَالَبَةٍ

طَارَ الْبُرْءُ بِأَرْزَاقِ الْعَصَافِيرِ «١» .»

و في لفظ ابن عساكر:

لِلنَّاسِ حِرْصٌ عَلَى الدُّنْيَا وَتَدْبِيرِ

وَصَفُّوْهَا لَكَ مَمْرُوجٌ بِتَكْدِيرِ

لَمْ يُرْزَقُوهَا بِعَقْلِ عِنْدَ مَا قُسِمَتْ

لَكِنَّهُمْ رُزِقُوهَا بِالْمَقَادِيرِ

كَمْ مِنْ أَدِيبٍ لَبِيبٍ لَا تُسَاعِدُهُ

وَمَاتِقٍ نَالَ دُنْيَاهُ بِتَقْصِيرِ

لَوْ كَانَ عَنْ قُوَّةٍ أَوْ عَنْ مُغَالَبَةٍ

طَارَ الْبُرْءُ بِأَرْزَاقِ الْعَصَافِيرِ «٢» .»

٥٧ كتابه عليه السلام إلى شبيب بن عامر

كتب (أمير المؤمنين عليه السلام) إلى شبيب بن عامر بمثل هذه النسخة:

«أما بعد؛ فالحمد لله الذي يصنع للمرء كيف يشاء، وينزل النصر على من يشاء إذا شاء، فنعم المولى ربنا ونعم النصير، وقد أحسنت النظر للمسلمين ونصحت إمامك، وقدماً كان ظنّي بك ذلك فجريت «٣» والعصاة التي نهضت بهم إلى حرب عدوك خير ما جزى الصابرون والمجاهدون، فانظر لا تغزون غزوة ولا تجلّون إلى حرب عدوك خطوة بعد هذا حتى تستأذني في ذلك - كفانا الله وإياك تظاهر الظالمين، إنه عزيز حكيم، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته-».

(١). بهجة المجالس و أنس المجالس: ج ١ ص ١٤٣ عن بكر بن حماد.

(٢). تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٢ ص ٥٢٥، البداية و النهاية: ج ٨ ص ١٠.

(٣) كذا في المصدر، و الظاهر أنّها: «فجريت».

ص: ٣٠٨

و ليس فيها زيادة غير هذه الكلمات:

«واعلم يا شبيب أن الله ناصر من نصره، وجاهد في سبيله - والسلام عليك ورحمة الله وبركاته-».

«١»

٥٨ كتابه عليه السلام إلى بعض عمّالة

«أما بعد، فإنك ممن استظهر به على إقامة الدين، وأقمع به نخوة الأئيم، وأسد به لَهَاة الثغر المخوف.

فاستعن بالله على ما أهلك، واخبط الشدة بضغت من اللين، وارفق ما كان الرفق أرفق، واعتزم بالشدة حين لا تغني عنك إلا الشدة، واخفض للرعية جناحك، وابسط لهم وجهك، وألن لهم جانبك، وآس بينهم في اللحظة والنظرة، والإشارة والتحية، حتى لا يطمع العظماء في حيفك، ولا يئأس الضعفاء من عدلك، والسلام».

«٢»

كتابه عليه السلام إلى عمّاله

إن أمير المؤمنين عليه السلام كتب إلى عمّاله:

«أدقوا أقدامكم، وقاربوا بين سطورك، وأحذقوا عنى فضولكم، وأقصدا قصدا المعاني، وإياكم والإكثار، فإن أموال المسلمين لا تحتمل الإضرار».

(١). الفتوح: ج ٤ ص ٢٢٨ و راجع: الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٤٢٨، أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٢٣٢.

(٢). نهج البلاغة: الكتاب ٤٦.

(٣). الخصال: ص ٣١٠ ح ٨٥، بحار الأنوار: ج ٧٦ ص ٤٩.

ص: ٣٠٩

كتابه عليه السلام إلى عماله

روى مُحَمَّد بن يعقوب الكليني رضى الله عنه، عن أبى علىّ الأشعريّ، عن مُحَمَّد بن عبد الجبار، عن صفوان، عن ابن مسكان، عن الحلبي، عن أبى عبد الله عليه السلام؛ قال:

كان أمير المؤمنين عليه السلام يكتب إلى عماله:

«لا تَسْخَرُوا الْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ غَيْرَ الْفَرِيضَةِ فَقَدْ اعْتَدَى فَلَا تُعْطُوهُ. وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَكْتُبُ وَيُوصِي بِالْفَلَاحِينَ خَيْراً وَهُمْ الْأَكَارُونَ».

«١»

كتابه عليه السلام إلى عماله

روى أبو البختري، عن جعفر، عن أبيه؛ أَنَّ عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَكْتُبُ إِلَى أُمَرَاءِ الْأَجْنَادِ:

أَنْشُدْكُمْ اللَّهَ فِي فَلَاحِي الْأَرْضِ أَنْ يُظْلَمُوا قَبْلَكُمْ.

«٢»

كتابه عليه السلام إلى عماله

كُتِبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى عَمَّالِهِ (بافتح) فى الآفاق، فى كلام طويل، و كان فيه:

«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَتَلَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ عَلَى بَعْثِهِمَا وَشِقَاقِهِمَا وَنَكْتِهِمَا، وَهَزَمَ جَمْعَهَا، وَرَدَّ عَائِشَةَ خَاسِرَةً».

«٣»

كتابه عليه السلام إلى بعض عماله

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ دَهَاقِينَ أَهْلِ بَلَدِكَ شَكَوْا مِنْكَ غِلْظَةً وَقَسْوَةً، وَاحْتِقَاراً وَجَفْوَةً،

(١). الكافي: ج ٥ ص ٢٨٤ ح ٣، تهذيب الأحكام: ج ٧ ص ١٥٤ ح ٣٠، النوادر للأشعري: ص ١٦٤ ح ٤٢٥، بحار الأنوار: ج ١٠٣ ص ١٧٢ ح ٦.

(٢). قرب الإسناد: ص ١٣٨ ح ٤٨٩، بحار الأنوار: ج ١٠٠ ص ٣٣ ح ١٠.

(٣). الفصول المختارة: ص ١٤٢.

ص: ٣١٠

وَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلًا، لَأَنْ يُدْنُوا لِشَرِكِهِمْ، وَلَا أَنْ يُقْصَوْا، وَيُجَفَّوْا لِعَهْدِهِمْ، فَالْبَسَ لَهُمْ جَلْبَاباً مِنَ اللَّيْلِ تَشْوِيهِ بِطَرْفٍ مِنَ الشَّدَّةِ، وَدَاوِلَ لَهُمْ بَيْنَ الْقَسْوَةِ وَالرَّافَةِ، وَأَمَزَجَ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ وَالْإِدْنَاءِ، وَالْإِبْعَادِ وَالْإِقْصَاءِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

«١»

كتابه عليه السلام إلى بعض عماله

قال الزُّهْرِيُّ: دخلت إلى عمر يوماً، فبينما أنا عنده إذ أتاه كتاب من عامل له، يخبره أنَّ مدينتهم قد احتاجت إلى مَرَمَّةٍ، فقلت له: إنَّ بعضَ عمال علي بن أبي طالب كتب بمثل هذا، وكتب إليه:

«أَمَّا بَعْدُ، فَحَصَّنْهَا بِالْعَدْلِ، وَتَقَّ طُرُقَهَا مِنَ الْجَوْرِ».

فكتب بذلك عمر إلى عامله. «٢»

٥٩ كتابه عليه السلام إلى القضاة

قال عليه السلام لقضاته: - وقد سألوهم بم نحكم يا أمير المؤمنين؟ فقال:

«اقضُوا كَمَا كُنْتُمْ تَقْضُونَ، حَتَّى تَكُونَ النَّاسُ جَمَاعَةً، أَوْ أَمُوتُ كَمَا مَاتَ أَصْحَابِي» «٣».

«٤»

(١). نهج البلاغة: الكتاب ١٩ و راجع: تاريخ يعقوبى: ج ٢ ص ١٩٢؛ أنساب الأشراف: ج ٢ ص ١٦١.

(٢). تاريخ يعقوبى: ج ٢ ص ٣٠٦ و راجع: تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٥ ص ٢٠٢.

(٣). تهذيب الأحكام: ج ٩ ص ٢٥٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٧ ص ٧٢.

(٤) و في صحيح البخارى: ص عن عبيدة، عن عليّ رحمه الله؛ قال: «أقضوا كما كنتم تقضون، فإنّي أكره الاختلاف حتّى يكون للناس جماعة، أو أموت كما مات أصحابي». فكان ابن سيرين يرى أنّ عامّة ما يروى على عليّ الكذب. (ج ٣ ص ١٣٥٩ ح ٣٥٠٤ و في تاريخ بغداد: ج ٨ ص ٤٢ ح ٤٠٩٨).

و راجع: فتح البارى: ج ٧ ص ٧١ الرقم ٣٧٠٧، الأموال: ص ٣٤٣ ح ٨٥٠، عمدة القارى: ج ١٦ ص ٢١٨ ح ٢٠٣، إرشاد السارى: ج ٦ ص ١١٨؛ الغارات: ج ١ ص ١٢٣، أخبار القضاة: ج ٢ ص ٣٩٩.

ص: ٣١١

قال ابن أبي الحديد: ثمّ ذكر عليه السلام نكتة لطيفة في هذا المعنى، فقال:

«العَادَةُ أَنَّ الرَّعِيَّةَ تَخَافُ ظُلْمَ الْوَالِي وَأَنَا أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي»

؛ و من تأمل أحواله عليه السلام في خلافته، علم أنّه كان كالمحجور عليه لا يتمكّن من بلوغ ما في نفسه، و ذلك لأنّ العارفين بحقيقة حاله كانوا قليلين، و كان السّواد الأعظم، لا يعتقدون فيه الأمر الّذى يجب اعتقاده فيه، و يرون تفضيل من تقدّمه من الخلفاء عليه، و يظنّون أنّ الأفضليّة إنّما هي الخلافة، و يقلّد أخلافهم أسلافهم، و يقولون لو لا أنّ الأوائل علموا فضل المتقدّمين عليه لما قدّموهم، و لا يرونه إلّا بعين التّبعيّة لمن سبقه، و أنّه كان رعيّة لهم، و أكثرهم إنّما يحارب معه بالحميّة و بنخوة العربيّة، لا بالدين و العقيدة، و كان عليه السلام مدفوعاً إلى مداراتهم و مقاربتهم، و لم يكن قادراً على إظهار ما عنده، أ لا ترى إلى كتابه إلى قضاته في الأمصار، و قوله: فاقضوا كما ... و هذا الكلام لا يحتاج إلى تفسير، و معناه واضح، و هو أنّه قال لهم:

أتبعوا عادتكم الآن بعاجل الحال في الأحكام و القضايا الّتي كنتم تقضون بها إلى أن يكون للناس جماعة، أى إلى أن تسفر هذه الأمور و الخطوب عن الاجتماع و زوال الفرقة و سكون الفتنة، و حينئذ أعرفكم ما عندي في هذه القضايا و الأحكام الّتي قد استمررتم عليها.

ثمّ قال:

«أو أموت كما مات أصحابي»

، فمن قائل يقول: عنّي بأصحابه الخلفاء المتقدّمين، و من قائل يقول: عنّي بأصحابه شيعته كسلمان، و أبي ذرّ، و المقداد، و عمّار، و نحوهم. «١»

(١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٧ ص ٧٢.

ص: ٣١٢

٦٠ كتابه عليه السلام لشريح بن الحارث قاضيه

رَوَى أَنَّ شُرَيْحَ بْنَ الْحَارِثِ قَاضِيَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اشْتَرَى عَلَى عَهْدِهِ دَارًا بِشَمَانِينَ دِينَارًا فَبَلَغَهُ ذَلِكَ، فَاسْتَدْعَى شُرَيْحًا وَقَالَ لَهُ:

«بَلَّغْنِي أَنْكَ ابْتَعْتَ دَارًا بِشَمَانِينَ دِينَارًا، وَكَتَبْتَ لَهَا كِتَابًا، وَأَشْهَدْتَ فِيهِ شُهُودًا»

. فَقَالَ لَهُ شُرَيْحٌ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

قال: فَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ:

«يَا شُرَيْحُ أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لَا يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ، وَلَا يَسْأَلُكَ عَنْ بَيِّنَتِكَ، حَتَّى يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصًا، وَيُسَلِّمَكَ إِلَى قَبْرِكَ خَالِصًا، فَانْظُرْ يَا شُرَيْحُ، لَا تَكُونَ ابْتَعْتَ هَذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ، أَوْ نَقَدْتَ التَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلَالِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الْآخِرَةِ.

أَمَا إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا اشْتَرَيْتَ لَكَ كِتَابًا عَلَى هَذِهِ النُّسخَةِ، فَلَمْ تَرْغَبْ فِي شِرَاءِ هَذِهِ الدَّارِ بِدِرْهَمٍ فَمَا فَوْقُ، وَالنُّسخَةُ هَذِهِ»

: «هَذَا مَا اشْتَرَى عَبْدٌ ذَلِيلٌ مِنْ مَيِّتٍ قَدْ أُرْجِعَ لِلرَّحِيلِ اشْتَرَى مِنْهُ دَارًا مِنْ دَارِ الْغُرُورِ، مِنْ جَانِبِ الْفَانِينَ، وَخِطَّةَ الْهَالِكِينَ، وَتَجَمَّعُ هَذِهِ الدَّارُ حُدُودُ أَرْبَعَةٍ: الْحَدُّ الْأَوَّلُ يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْآفَاتِ، وَالْحَدُّ الثَّانِي يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْمُصِيبَاتِ، وَالْحَدُّ الثَّلَاثُ يَنْتَهِي إِلَى الْهَوَى الْمُرْدِي، وَالْحَدُّ الرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلَى الشَّيْطَانِ الْمُغْوِي، وَفِيهِ يُشْرَعُ بَابُ هَذِهِ الدَّارِ! اشْتَرَى هَذَا الْمُعْتَرُ بِالْأَمَلِ مِنْ هَذَا الْمُزْعَجِ بِالْأَجَلِ، هَذِهِ الدَّارُ بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ الْقَنَاعَةِ، وَالدُّخُولِ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ وَالضَّرَاعَةِ، فَمَا أَدْرَكَ هَذَا الْمُشْتَرَى فِيمَا اشْتَرَى مِنْهُ مِنْ دَرَكٍ، فَعَلَى مُبْلِلِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ، وَسَالِبِ نُفُوسِ الْجَبَابِرَةِ، وَمُزِيلِ مُلُوكِ الْفِرَاعِنَةِ، مِثْلَ كَسْرَى وَقَيْصَرَ، وَتُبَّعٍ وَحَمِيرٍ، وَمَنْ جَمَعَ الْمَالَ

ص: ٣١٣

عَلَى الْمَالِ فَأَكْثَرَ، وَمَنْ بَنَى وَشَيْدَ وَزَخَرَفَ وَنَجَّدَ، وَادَّخَرَ وَاعْتَقَدَ، وَنَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ إِشْخَاصَهُمْ جَمِيعًا إِلَى مَوْقِفِ الْعَرَضِ وَالْحِسَابِ، وَمَوْضِعِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، إِذَا وَقَعَ الْأَمْرُ بِفَضْلِ الْقَضَاءِ، «وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ» «١»، شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ الْعَقْلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوَى وَسَلِمَ مِنْ عِلَاقِ الدُّنْيَا».

«٢»

٦١ كتابه عليه السلام إلى أمراء البلاد

في معنى الصلاة:

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهْرَ حَتَّى تَفْئِءَ الشَّمْسُ مِنْ مَرْبُضِ الْعِزِّ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ بَيَظَاءُ حَيَّةٌ فِي غُضُو مِنْ النَّهَارِ، حِينَ يُسَارُ فِيهَا فَرَسَخَانِ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ، وَيَدْفَعُ الْحَاجُّ إِلَى مَنَى، وَصَلُّوا بِهِمُ الْعِشَاءَ حِينَ يَتَوَارَى الشَّقَقُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْغَدَاةَ وَالرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِهِ، وَصَلُّوا بِهِمُ صَلَاةَ أَضْعَفِهِمْ، وَلَا تَكُونُوا فِتَانَيْنِ».

«٣»

٦٢ كتابه عليه السلام إلى قُتْمِ بْنِ الْعَبَّاسِ

و هو عامله على مَكَّة:

(١) غافر: ٧٨.

(٢). نهج البلاغة: الكتاب ٣ و راجع: الأمالى للصدوق: ص ١٨٧، روضة الواعظين: ص ٣٦٦، دستور معالم الحكم:

ص ١٣٥، بحار الأنوار: ج ٧٧ ص ٢٧٧؛ تذكرة الخواص: ص ١٨٥.

(٣). نهج البلاغة: الكتاب ٥٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٧ ص ٢٢. و راجع في شرح هذه الجملات:

شرح الحميدى، و البحرانى.

ص: ٣١٤

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَأَقِمِ لِلنَّاسِ الْحَجَّ، وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ، وَاجْلِسْ لَهُمُ الْعَصْرَيْنِ، فَأَقِ الْمُسْتَفْتَى، وَعَلِّمِ الْجَاهِلَ، وَذَكِّرِ الْعَالِمَ، وَلَا يَكُنْ لَكَ إِلَى النَّاسِ سَفِيرٌ إِلَّا لِسَانُكَ، وَلَا حَاجِبٌ إِلَّا وَجْهُكَ، وَلَا تَحْجُبَنَّ ذَا حَاجَةٍ عَنْ لِقَائِكَ بِهَا، فَإِنَّهَا إِنْ ذِيدَتْ عَنْ أَبْوَابِكَ فِي أَوَّلِ وَرْدِهَا لَمْ تُحْمَدْ فِيمَا بَعْدَ عَلَى قَضَائِهَا، وَأَنْظُرْ إِلَى مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِ اللَّهِ، فَاصْرِفْهُ إِلَى مَنْ قَبْلَكَ مِنْ ذَوَى الْعِيَالِ، وَالْمَجَاعَةِ مُصِيبًا بِهِ مَوَاضِعُ الْفَاقَةِ، وَالْخَلَاتِ، وَمَا فَضَلَ عَنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ إِلَيْنَا لِنَقْسِمَهُ فِيمَنْ قَبْلَنَا، وَمُرْ أَهْلَ مَكَّةَ أَلَا يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنِ أَجْرًا، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: سَوَاءُ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ، فَالْعَاكِفُ الْمُقِيمُ بِهِ، وَالْبَادِي الَّذِي يَحُجُّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ، وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ لِمَحَابَّةِ، وَالسَّلَامِ».

«١»

[أقول: قُتْمٌ - كَزُفَرٍ كَمَا فِي الْقَامُوسِ - بَنُ الْعَبَّاسِ، عَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَ أُمُّهُ أُمُّ الْفَضْلِ، أَوَّلُ امْرَأَةٍ أَسْلَمَتْ بِمَكَّةَ بَعْدَ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَ كَانَ يَشْبَهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

سَأَلَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ خَالِدٍ قُتْمٌ: مَا شَأْنُ عَلِيٍّ؟ كَانَ لَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَنْزِلَةٌ لَمْ تَكُنْ لِلْعَبَّاسِ؟ وَ فِي رِوَايَةٍ: كَيْفَ وَرِثَ عَلِيٌّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دُونَكُمْ؟ فَقَالَ قُتْمٌ: كَانَ أَوْلُنَا لِحَوْقًا، وَ أَشَدَّنَا لَزُوقًا - لَزُومًا - «٢»، وَ كَانَ آخِرُ النَّاسِ عَهْدًا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ «٣».

وكان قُتْمُ أُمِّ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الرِّضَاعَةِ، لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَرْضَعُهُ مِنْ لَبَنِ أُمِّ الْفَضْلِ أُمِّ قُتْمٍ. «٢»

(١). نهج البلاغة: الكتاب ٦٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٨ ص ٣٠.

(٢) راجع: أسد الغابة والإصابة.

(٣) راجع: الاستيعاب، أسد الغابة، الإصابة.

(٤) راجع: بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٢٥٥.

ص: ٣١٥

وقد ولّاه أمير المؤمنين عليه السلام لمّا بُويعَ على مَكَّةَ والطَّائِفِ، كما في الطَّبَرِيِّ «١»، أَنَّهُ وَلَّاهُ الْمَدِينَةَ، وَالْأَوَّلَ أَصَحَّ، لِأَنَّهُ أَشْهَرُ، بَلْ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْمُؤَرِّخِينَ، وَمُخَالَفُهُ يَنْتَهِي إِلَى الزُّبَيْرِ بْنِ بَكَّارٍ، وَلَعَلَّ ابْنَ قُتَيْبَةَ أَيْضاً يَنْتَهِي إِلَيْهِ، وَيُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ بِقَوْلِ ثَالِثٍ، وَهُوَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَزَلَ خَالِدَ بْنَ الْعَاصِ بْنِ هِشَامٍ عَنْ مَكَّةَ، وَوَلَّاهَا أَبَا قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيَّ، ثُمَّ عَزَلَهُ وَوَلَّاهَا قُتْمًا، كَمَا فِي الْإِصَابَةِ، وَالْإِسْتِيعَابِ، فَلَعَلَّ قُتْمًا كَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ حِينَ كَانَ أَبُو قَتَادَةَ عَلَى مَكَّةَ، ثُمَّ عَزَلَ أَبَا قَتَادَةَ، وَوَلَّى قُتْمًا عَلَى مَكَّةَ، وَوَلَّى سَهْلَ بْنَ حَنْيَفٍ عَلَى الْمَدِينَةِ، وَوَلَّى أَيْ حَالًا، فَقَدْ كَانَ قُتْمٌ عَلَى مَكَّةَ وَطَائِفٍ، حَتَّى قَتَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

و توفى قُتْمٌ فِي زَمَنِ مَعَاوِيَةَ بِسَمَرْقَنْدٍ شَهِيداً، كَمَا فِي أَسَدِ الْغَابَةِ وَالْإِصَابَةِ وَالْإِسْتِيعَابِ.

و له أَفَاصِيصٌ فِي الْكُرَمِ، وَوَفُورٌ الْعَطَاءِ، وَمَدَحُهُ الشُّعْرَاءُ، وَقد ذَكَرَهَا أَبُو الْفَرَجِ. «٢»

و لم أعثر إلى الآن على قدح فيه، بل قال الطَّبَرِيُّ: أَنَّهُ كَانَ وَرِعاً فَاضِلاً، بَلْ هَذَا الْكِتَابُ يَدُلُّ عَلَى جَلَالَتِهِ، وَ لَمْ يَذْكُرْهُ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ بَطْلَ الشَّيْخَةِ، وَخَطِيبَ الْأَنْصَارِ بِسُوءٍ، حِينَ خَطَبَ بَعْدَ فِرَارِ عُبَيْدِ اللَّهِ إِلَى مَعَاوِيَةَ، مَعَ أَنَّهُ وَقَعَ فِي عِبْدِ اللَّهِ، وَ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَ الْعَبَّاسِ. وَ هَذَا، أَيْضاً يَدُلُّ عَلَى جَلَالَتِهِ، إِلَّا أَنَّهُ فَرَّ وَ خَلَّى مَكَّةَ لُبْسَرِ بْنِ أَرْطَاةَ لَعَنَهُ اللَّهُ تَعَالَى. «٣»

(١). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٥٥ و ٤٩٢ و ج ٥، الإمامة و السياسة: ج ١ ص ٥٣ و راجع: أسد الغابة: ج ٥، ص ٣١٦ الرقم ٥٢٥٤، الإصابة: ج ٦ ص ٣٥١ الرقم ٨٧٦٧، الاستيعاب: ج ٤ ص ٦٤ الرقم ٢٦٤٨.

(٢) راجع: سفينة البحار: ج ٢ ص ٤٠٨ و قاموس الرجال.

(٣) راجع: الطبقات الكبرى: ج ٧ ص ٣٦٧، سيرة أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٤١، المنتخب من ذيل المذيل للطبري: ص ٣٨.

ص: ٣١٦

أُمُّ الْفَضْلِ بِنْتُ الْحَارِثِ

هى لبابة بنت الحارث بن حَزَن الهَلَالِيَّة، أُمّ الفضل، وهى زوجة العباس بن عبد المطلب، و أُمّ أكثر بنيه، وهى اخت ميمونة زوج النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله. يقال: إنها أول امرأة أسلمت بعد خديجة، روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«الأخوات المؤمنات: ميمونة بنت الحارث وأُمّ الفضل وسلمى وأسماء»

. «١»

فى الفتوح: كتبت أُمّ الفضل بنت الحارث إلى عليّ رضى الله عنه: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله على أمير المؤمنين من أُمّ الفضل بنت الحارث، أما بعد؛ فإنّ طُلْحَةَ والزُّبَيْرَ وعائِشَةَ قد خرجوا من مكّة يريدون البصرة، وقد استنفروا النَّاسَ إلى حربك، ولم يخفّ معهم إلى ذلك إلّا من كان فى قلبه مرض، ويد الله فوق أيديهم، والسّلام.

قال: ثمّ دفعت أُمّ الفضل هذا الكتاب إلى رجل من جُهيّنة له عقل و لسان، يقال له: ظُفْر، فقالت: خذ هذا الكتاب، وانظر أن تقتل فى كلّ مرحلة بغيراً و علىّ ثمنه، وهذه مائة دينار قد جعلتها لك، فجُدّ السَّيْرَ حتّى تلقى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، فتدفع إليه كتابى هذا.

قال: فسار الجُهنّى سيراً عتيقاً حتّى لحق أصحاب عليّ رضى الله عنه و هم على ظهر المسير «٢»، فلمّا نظروا إليه نادوه من كلّ جانب: أيّها الرّاكب ما عندك؟ قال:

فنادى الجُهنّى بأعلى صوته شعراً يخبر فيه قدوم عائِشَةَ و طُلْحَةَ و الزُّبَيْرَ. «٣»

(١). الاستيعاب: ج ٤ ص ٤٦٢ الرقم ٣٥١٤ و راجع اسد الغابة: ج ٧ ص ٢٤٦ الرقم ٧٢٥٢.

(٢) أى يتهيّئوا للخروج إلى الشام.

(٣). الفتوح: ج ٢ ص ٤٥٦ و راجع: تاريخ الطبرى: ج ٤ ص ٤٥١.

ص: ٣١٧

أبو قتادة الأنصارى

هو الحارث بن ربِيع بن بلْدَمَة، أبو قتادة الأنصارى الخزرجى، و هو مشهور بكنيته، كان من الصّحابة «١». شارك فى معركة احد و ما بعدها من المعارك «٢».

و كان أحد الشّجعان فى جيش «٣» النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله حتّى ذكره صلى الله عليه وآله بأنّه من خيرة المقاتلين.

كان من صحابة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام «٤»، و اشترك في جميع حروبه «٥». قال في معركة الجمل قولاً يدلّ على إيمانه العميق و وفائه للإمام عليه السلام «٦». و كان على الرّجالة في النهروان «٧». و ولّاه الإمام عليه السلام على مَكَّة «٨». توفّي أبو قتادة في أيّام خلافة الإمام عليه السلام. «٩»

(١). رجال الطوسي: ص ٣٥ الرقم ١٨٣؛ تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٤ ص ٣٤١.

(٢). المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ٥٤٦ ح ٦٠٣١، تاريخ بغداد: ج ١ ص ١٥٩ الرقم ١٠، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٤ ص ٣٤٠، الاستيعاب: ج ٤ ص ٢٩٥ الرقم ٣١٦١، اسد الغابة: ج ٦ ص ٢٤٤ الرقم ٦١٧٣.

(٣). تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٤ ص ٣٤١، سیر أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٤٤٩ الرقم ٨٧، الاستيعاب: ج ١ ص ٣٥٣ الرقم ٤١٤، اسد الغابة: ج ٦ ص ٢٤٤ الرقم ٦١٧٣.

(٤). رجال الطوسي: ص ٨٣ الرقم ٨٣٧؛ تاريخ بغداد: ج ١ ص ١٥٩ الرقم ١٠.

(٥). تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٤ ص ٣٤٢، الاستيعاب: ج ٤ ص ٢٩٥ الرقم ٣١٦١، اسد الغابة: ج ٦ ص ٢٤٥ الرقم ٦١٧٣.

(٦). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٥١.

(٧). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٨٥، الأخبار الطوال: ص ٢١٠، تاريخ بغداد: ج ١ ص ١٥٩ الرقم ١٠ و فيه «حضر معه قتال الخوارج بالنهروان».

(٨). رجال الطوسي: ص ٨٣ الرقم ٨٣٧؛ تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٥٢، الاستيعاب: ج ٣ ص ٣٦٣ الرقم ٢١٩٠ و زاد فيهما «ثمّ عزله».

(٩). الاستيعاب: ج ٤ ص ٢٩٥ الرقم ٣١٦١، اسد الغابة: ج ٦ ص ٢٤٥ الرقم ٦١٧٣، سیر أعلام النبلاء:

ج ٢ ص ٤٥٣ الرقم ٨٧ و ذكرت بعض المصادر أنّه «توفّي سنة ٥٤ هـ و هو ابن سبعين سنة» كما في المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ٥٤٧ ح ٦٠٣٣، المعجم الكبير: ج ٣ ص ٢٤٠ ح ٣٢٧٤.

ص: ٣١٨

في الاستيعاب: إنّ عليّاً لمّا وليّ الخلافة عزل خالد بن المغيرة العاصي بن هشام بن المخزومي عن مَكَّة، و ولّاها أبا قتادة الأنصاري. «١»

و فى تاريخ الطبرىّ عن أبى قتادة- لعلّى عليه السلام فى حرب الجمل -: يا أمير المؤمنين! إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله قلّدى هذا السيف و قد شيمته «٢» فطال شيمه، و قد أنى تجريدّه على هؤلاء القوم الظالمين الذين لم يألوا الأمة غشاً؛ فإن أحببت أن تقدمنى، فقدمنى. «٣»

٦٣ كتابه عليه السلام بين ربيعة و اليمن

«هذا ما اجتمع عليه أهل اليمن حاضرها وبأديها، وربيعه حاضرها، وبأديها أنهم على كتاب الله يدعون إليه، ويأمرون به، ويحيون من دعا إليه، وأمر به لا يشترون به تمناً، ولا يرضون به بدلاً، وأنهم يدّ واحد على من خالف ذلك، وتركه أنصاراً بعضهم لبعض، دعوتهم واحدة، لا ينقضون عهدهم لمتعّبة عاتب، ولا لغضب غاضب، ولا لاستئذلال قوم قوماً، ولا لمسبة قوم قوماً على ذلك، شاهدتهم وغائبهم، وسفيهم وعالمهم، وحليمهم وجاهلهم، ثم إن عليهم بذلك عهد الله وميثاقه، إن عهد الله كان مسؤولاً، وكتب على بن أبي طالب».

«٤»

(١). الاستيعاب: ج ٣ ص ٣٦٣ الرقم ٢١٩٠، تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٥٢ و فيه «خالد بن سعيد بن العاصي».

(٢). الشيم: إغماد السيف، و هو من الأضداد (النهاية: ج ٢ ص ٥٢١).

(٣). تاريخ الطبرى: ج ٤ ص ٤٥١.

(٤). نهج البلاغة: الكتاب ٧٤؛ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ١٨ ص ٦٦، شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٥ ص ٢٣١.

ص: ٣١٩

[أقول: اليمن كل من ولده قحطان: نحو حمير، و عك، و جذام، و كندة، و الأزد، و غيرهم.

و ربيعة هو: ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان؛ و هم بكر، و تغلب، و عبد القيس. «١»

و سُمى قحطان أبو اليمن، و للمسعودي فى مروج الذهب «٢» كلام فى المغاضبة بين ربيعة و مضر، و بين اليمانية القحطانيين، و إنّ الموجد لها هو الكميّ الأسد، بأمر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، و ذلك بإنشائه قصائد فى مدح نزار، و تفضيلهم على قحطان، فأثار غضب اليمانية، و تسبّب فى قيام المنازعات بينهم.

و على التفصيل المذكور فى الكتاب المشار إليه، كأنّ هذه العصبية المنتجة للمغاضبة المذكورة كانت عريقة «٣» كامنة، و إنّ هذا الكتاب بينهما كان لإطفاء نارها و إخماد فتنتها، و لعلّ السبب فى كتابة هذا العهد حراجة «٤» الموقف، و عظم الفتن التى كان أمير المؤمنين عليه السلام يعلمها.

في الحديث عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

«كُلُّ حِلْفٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَا يَزِيدُهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً»

؛ و لَا حِلْفٌ فِي الْإِسْلَامِ، لَكِنَّ فِعْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوَّلَى بِالِاتِّبَاعِ مِنْ خَيْرِ الْوَاحِدِ، وَ قَدْ تَحَالَفَتِ الْعَرَبُ فِي الْإِسْلَامِ مَرَاراً، وَ مِنْ أَرَادَ الْوُقُوفَ عَلَى ذَلِكَ فَلْيَطْلُبْهُ مِنْ كُتُبِ التَّوَارِيخِ. «٥»

(١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٨ ص ٦٦.

(٢). مروج الذهب: ج ٣ ص ٢٤٤.

(٣) أى الأصيلية.

(٤) أى الصعابة.

(٥). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٨ ص ٦٧.

ص: ٣٢٠

٦٤ كتابه عليه السلام لأبي الأسود في النحو

قال العلامة التستري في القاموس في ترجمة أبي الأسود: و أمّا تأسيسه النحو، ففي معجم الأدباء، ياقوت الحموي، عن أمالي الزجاج، عن الطبري - صاحب المازني - عن السجستاني، عن الخضرى، عن سعيد بن سلمة الباهلي، عن أبيه، عن جدّه، عن أبي الأسود، قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام فرأيتَه مطرقاً مفكراً! فقلت: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟

قال:

«إِنِّي سَمِعْتُ بِلَدِكُمْ لَحْناً، فَأَرَدْتُ أَنْ أَضَعَ كِتَاباً فِي أُصُولِ الْعَرَبِيَّةِ»

. فقلت: إن فعلت هذا يا أمير المؤمنين، أحييتنا و بقيت هذه اللغة فينا؛ ثم أتيت بعد أيام، فألقى إلى صحيفة، فيها:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْكَلَامُ كُلُّهُ: اسْمٌ، وَفِعْلٌ، وَحَرْفٌ؛ وَالْإِسْمُ، مَا أَنْبَأَ عَنِ الْمُسَمَّى، وَالْفِعْلُ، مَا أَنْبَأَ عَنِ حَرَكَةِ الْمُسَمَّى، وَالْحَرْفُ، مَا أَنْبَأَ عَنِ مَعْنَى لَيْسَ بِاسْمٍ وَلَا فِعْلٍ».

ثم قال لى: «تَبَعُهُ وَزِدَ فِيهِ مَا وَقَعَ لَكَ، وَاعْلَمْ يَا أَبَا الْأَسْوَدِ، أَنَّ الْأَشْيَاءَ ثَلَاثَةٌ: ظَاهِرٌ، وَمُضْمَرٌ، وَشَيْءٌ لَيْسَ بِظَاهِرٍ وَلَا مُضْمَرٍ»

. قال: فجُمعت منه أشياء و عرضتها عليه، و كان من ذلك حروف النَّصب، فكان منها: إِنَّ و أَنْ و لَيْتَ و لَعَلَّ و كَأَنَّ، و لم أذكر لكنَّ.

فقال لى:

«لَمْ تَرَكَتْهَا»

؟ فقلت: لم أحسبها منها.

ص: ٣٢١

فقال:

«بل هِيَ مِنْهَا فَزِدْهَا فِيهَا»

. «١»

و نقله العلّامة المجلسى فى البحار نقلًا عن المناقب هكذا:

«الكلامُ ثلاثةُ أشياء: اسمٌ، وفِعْلٌ، وحَرْفٌ جاءَ لِمَعْنَى، فالاسمُ: ما أنبأَ عَنِ المُسمَّى، والفِعْلُ: ما أنبأَ عَن حَرَكَةِ المُسمَّى، والحَرْفُ: ما أوجَدَ مَعْنَى فى غَيْرِهِ؛ وكتبَ علىُّ بنُ أبى طالبٍ»

«٢» [و فى ملحقات إحقاق الحقّ «٣» نقل تأسيسه عليه السلام لعلم النّحو عن الأنبارى فى كتابيه: لمع الأدلّة و نزهة الألباء، و القفطى فى إنباه الرّواة، و الزّجاجى: فى الإيضاح، و ابن كثير فى البداية و النّهاية، و الدّينورى فى الشّعْر و الشّعراء، و العسكرى فى المصون، و ابن العماد فى شذرات الذّهب، و القلقشندى فى صبح الأعشى، و السّمعانى فى الأنساب، و ابن النّديم فى الفهرست، و اليافعى فى مرآة الجنان، و الكنفرانى فى الموقّى، و الزّبيدىّ فى تاج العروس، و الإشبلى فى طبقات النّحاة، و السيوطى فى الوسائل و تاريخ الخلفاء، و البستوى فى محاضرة الأوائل، و الذّهبيّ فى تاريخ الإسلام، و المبرّد فى الفاضل، و غيرهم، ثمّ نقل علل التّأسيس، ثمّ ذكر ما ألقاه أمير المؤمنين عليه السلام إلى أبى الأسود على اختلاف النّسخ:

١. أملى على أبى الأسود جوامعه و أصوله - أى النّحو - من جملتها: [الكلام كلّ ثلاثة أشياء: اسم، و فعل، و حرف؛ و من جملتها تقسيم الكلمة إلى معرفة، و نكرة، و تقسيم وجوه الإعراب إلى الرّفْع، و النّصب، و الجرّ. «٤»

(١). قاموس الرجال: ج ٥ ص ٥٨٢ الرقم ٣٧٧١ و راجع: سِير أعلام النبلاء: ج ٤ ص ٨٤.

(٢). المناقب لابن شهر آشوب: ج ٢ ص ٤٧، بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ١٦٢.

(٣). إحقاق الحق: ج ٨ ص ١ - ١٠.

(٤). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ٢٠.

ص: ٣٢٢

[٢]. عن أنباء الرواة للشَّيْبَانِيَّ «١» موافقاً لما مرَّ عن ياقوت الحموي الملحقات].

٣. روى أبو الأسود قال: دخلت على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، فوجدت في يده رقعة، فقلت: ما هذه يا أمير المؤمنين؟

فقال:

«إِنِّي تَأَمَّلْتُ كَلَامَ الْعَرَبِ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ فَسَدَ بِمُخَالَطَةِ هَذِهِ الْحَمَاءِ، يَعْنِي الْأَعَاجِمَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَصْنَعَ شَيْئاً يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ»

، ثُمَّ أَلْقَى إِلَى الرَّقْعَةِ، وَفِيهَا مَكْتُوبٌ:

«الْكَلَامُ كُلُّهُ: اسْمٌ، وَفِعْلٌ، وَحَرْفٌ، فَالاسْمُ: مَا أَنْبَأَ عَنِ الْمُسَمَّى، وَالْفِعْلُ: مَا أَنْبَأَ بِهِ، وَالْحَرْفُ: مَا أَفَادَ مَعْنَى».

وقال لي: «انحُ هَذَا النَّحْوُ، وَأَضْعِفْ مَا وَقَعَ إِلَيْكَ، وَاعْلَمْ يَا أَبَا الْأَسْوَدَ، إِنَّ الْأَسْمَاءَ ثَلَاثَةٌ:

ظَاهِرٌ، وَمُضْمَرٌ، وَاسْمٌ لَا ظَاهَرَ وَلَا مُضْمَرَ، وَإِنَّمَا يَتَفَاوَضُ النَّاسُ يَا أَبَا الْأَسْوَدَ، فِيمَا لَيْسَ بِظَاهِرٍ وَلَا مُضْمَرَ، وَأَرَادَ بِذَلِكَ الْأِسْمَ الْمُبْهَمَ»

. قال: ثُمَّ وَضَعْتُ بَابِي الْعُطْفَ وَالنَّعْتَ، ثُمَّ بَابِي التَّعَجُّبِ وَالِاسْتِفْهَامِ، إِلَى أَنْ وَصَلْتُ إِلَى بَابِ إِنَّ وَأَخَوَاتِهَا، مَا خِلا لَكِنْ، فَلَمَّا عَرَضْتُهَا عَلَى عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَمَرَنِي بِضَمِّ لَكِنْ إِلَيْهَا، وَكُنْتُ كُلَّمَا وَضَعْتُ بَاباً مِنْ أَبْوَابِ النَّحْوِ عَرَضْتُهَا عَلَيْهِ رَضَى اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى أَنْ حَصَلَتْ مَا فِيهِ الْكَفَايَةُ.

قال عليه السلام:

«مَا أَحْسَنَ هَذَا النَّحْوُ الَّذِي نَحَوْتُ»

فَلِذَلِكَ سُمِّيَ نَحْوًا». «٢»

[و يعلم من الأخبار المنقولة أنَّ أبا الأسود أخذ بعضه عن أمير المؤمنين عليه السلام مكتوباً، وبعضه شفاهاً، و ألحق به من عند نفسه أشياء، ثُمَّ قرأه على أمير المؤمنين عليه السلام، فقرَّره، و صحَّحه، إلى أن حصلت ما به الكفاية، و كان

(١). أنباء الرواة: ج ١ ص ٤.

(٢). نزهة الألباء: ص ٣ و راجع: غرر الخصائص.

ص: ٣٢٣

أبو الأسود لا يخرج به بل يخفيه و يسره و يضمن به حتى أمره زياد. «١»

بل إليه تنتهي العلوم الإسلامية و الكمالات الإنسانية، و قد أقر به ابن أبي الحديد. «٢»

قال ابن أبي الحديد: و ما أقول في رجل أقر له أعداؤه و خصومه بالفضل، و لم يمكنهم جحد مناقبه، و لا كتمان فضائله ... و ما أقول في رجل تُعزى إليه كل فضيلة، و تنتهى إليه كل فرقة، و تتجاذبه كل طائفة، فهو رئيس الفضائل و ينبوعها، و أبو عذرها، و سابق مضمارها، و مجلّى حليتها، كل من يزغ فيها بعده فمته أخذ، و له اقتفى، و على مثاله احتذى.

و قد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الإلهي، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، و معلومه أشرف الموجودات، فكان هو أشرف العلوم، و من كلامه عليه السلام اقتبس، و عنه نقل، و إليه انتهى، و منه ابتداء، فإن المعتزلة - الذين هم أهل التوحيد و العدل، و أرباب النظر، و منهم تعلم الناس هذا الفن - تلامذته و أصحابه؛ «٣» [ثم ذكر إسناد العلوم الإسلامية إليه مفصلاً].

٦٥ كتابه عليه السلام لمن يستعمله على الصدقات

«انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تروعن مسلماً، ولا تجتازن عليه كارهاً، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله، فإذا قدمت على الحي فأنزل بمائهم

(١) راجع: الشيعة و فنون الإسلام: ص ٥٣ - ١٦٤؛ الإصابة: ج ٢ ص ٢٤٢.

(٢). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ١٦ - ٢٠ و ج ١٦ ص ١٤٦. و راجع: مطالب السؤل: ص ٢٨، ملحقات الإحقاق: ج ٨ ص ١ - ٦٦ و الشيعة و فنون الإسلام: ص ٥٣ - ١٦٤.

(٣). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ١٦ - ٢٠.

ص: ٣٢٤

من غير أن تخالط أربابهم، ثم امض إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم، فتسلم عليهم، ولا تخرج بالتحية لهم، ثم تقول: عباد الله أرسلني إليكم ولي الله وخليفته لأخذ منكم حق الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه، فإن قال قائل لا فلا تراجع، وإن أنعم لك منعم فأنطلق معه من غير أن تخيفه، أو توعده، أو تغسفه، أو ترهقه، فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة، فإن كان له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلباذه، فإن أكثرها له، فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلط عليه، ولا عنيف به، ولا تنفرن بهيمة، ولا تفرعنّها، وتسوان صاحبها فيها، واصدع المال صدعين، ثم خيرها فإذا اختار فلا تعرض لِمَا اختاره، ثم اصدع الباقي صدعين، ثم خيرها، فإذا اختار فلا تعرض لِمَا اختاره، فلا ترأل كذلك حتى يبقى ما فيه وقاء لحق الله في ماله فأقبض حق الله منه، فإن استقالك فأقله ثم اخطهما، ثم اصنع مثل الذي صنعت أولاً حتى

تَأْخُذَ حَقَّ اللَّهِ فِي مَالِهِ، وَلَا تَأْخُذَنَّ عَوْدًا، وَلَا هَرَمَةً، وَلَا مَكْسُورَةً، وَلَا مَهْلُوسَةً، وَلَا ذَاتَ عَوَارٍ، وَلَا تَأْمَنَنَّ عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ تَتَّقُ بِدِينِهِ رَافِقًا بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يُوصِلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ، وَلَا تُوَكِّلْ بِهَا إِلَّا نَاصِحًا شَفِيقًا وَأَمِينًا حَفِيزًا غَيْرَ مُعْنِفٍ وَلَا مُجْهِفٍ وَلَا مُلْغِبٍ وَلَا مُتَعَبٍ، ثُمَّ احْدُرْ إِلَيْنَا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ نُصَيِّرُهُ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ إِلَّا يَحُولَ بَيْنَ نَاقَةٍ وَبَيْنَ فَصِيلِهَا، وَلَا يَمْضُرْ لَبَنُهَا فَيَضُرَّ ذَلِكَ بَوْلِدَهَا؛ وَلَا يَجْهَدَنَّهَا رُكُوبًا، وَلْيُعْدِلْ بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذَلِكَ وَبَيْنَهَا، وَلْيَرْفُقْ عَلَى اللَّاغِبِ، وَلْيُسْتَأْنِ بِالنَّقَبِ وَالظَّالِعِ، وَلْيُورِدْهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْغُدْرِ، وَلَا يَعْدِلْ بِهَا عَنْ نَبْتِ الْأَرْضِ إِلَى جَوَادِّ الطَّرْقِ، وَلْيُرَوِّحْهَا فِي السَّاعَاتِ، وَلْيُمَهِّلْهَا عِنْدَ النَّطَافِ وَالْأَغْشَابِ، حَتَّى تَأْتِيَنَا بِإِذْنِ اللَّهِ، بُدْنًا مُنْقِيَاتٍ غَيْرِ مُتْعَبَاتٍ، وَلَا مَجْهُودَاتٍ لِنَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَإِنْ

ص: ٣٢٥

ذَلِكَ أَعْظَمُ لِأَجْرِكَ وَأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

«١»

[أقول: رواها الكليني رحمه الله بسند صحيح يأتي ذكره، وكذا الشيخ في التهذيب، ورواها الشيخ المفيد رحمه الله في الْمُقْنَعَةِ عَنْ حَمَّادٍ، عَنْ حَرِيزٍ، عَنْ بُرَيْدٍ، وَرَوَاهَا عَنْهُ ابْنُ إِدْرِيسٍ فِي السَّرَائِرِ، وَلَعَلَّهُ أَخَذَهُ عَنْ كِتَابِ حَمَّادٍ لَا عَنْ الْكَافِي].

و رَوَاهَا الثَّقَفِيُّ بِالسَّنَدِ الْآتِي قَالَ:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: وَ أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ صَالِحٍ الْحَرِيرِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْوَلِيدُ بْنُ عَمْرٍو، وَ كَانَ ثَقَّةً، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ:

بَعَثَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُصَدِّقًا مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى بَادِيَتِهَا ...

الحديث. «٢»

[نقلناها من الكتب، وإن لم يُشر إليه في رواية الكافي وغيره، لِأَنَّ السَّيِّدَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: وَ «مَنْ وَصِيَّةً لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَكْتَبُهَا لِمَنْ يَسْتَعْمَلُ عَلَى الصَّدَقَاتِ، وَ إِنَّمَا ذَكَرْنَا هُنَا جُمْلًا مِنْهَا لِيَعْلَمَ بِهَا أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَقِيمُ عِمَادَ الْحَقِّ، وَ يَشْرَعُ أَمْثَلَةَ الْعَدْلِ فِي صَغِيرِ الْأُمُورِ وَ كَبِيرِهَا وَ دَقِيقِهَا وَ جَلِيلِهَا». «٣»

و فِي النَّهْيَاةِ: «ظَلَعَ»، وَ فِي حَدِيثِهِ - يَعْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ -:

«وَلْيُسْتَأْنِ بِالنَّقَبِ وَالظَّالِعِ»

، أَى بِذَاتِ الْجَرْبِ وَ الْعَرَجَاءِ، «٤» وَ كَذَا أَشَارَ إِلَى الْحَدِيثِ فِي «نُظْفٍ» قَالَ:

ص ٢٥٥، الغارات: ج ١ ص ١٢٥ وج ٨ ص ١١٠، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٥٢٤، ح ٧١٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ١٥١.

(٢). الغارات: ج ١ ص ١٢٦ وج ٢ ص ٧٢٤.

(٣). الغارات: ج ٢ ص ٧٢٣.

(٤). النهاية لابن أثير: ج ٣ ص ١٥٨.

ص: ٣٢٦

و منه حديثُ عليٍّ

«وَلْيُمْهَلْهَا عِنْدَ النَّطَافِ وَالْأَعْشَابِ»

، يعنى الإبل و الماشية النطاف جمع نطفة يريد أنها إذا وردت على المياه و العشب يدعها لترد و ترعى. «١»

و كذا فى «مصر» قال: و فى حديث عليٍّ

«وَلَا يَمْصُرُ لَبْنَهَا فَيَضُرُّ ذَلِكَ بَوْلَهَا»

، المصر: الحلب بثلاث أصابع يريد لا يكتر من أخذ لبنها. «٢»

و راجع: لسان العرب «٣» فى هذا المواد، و غرضنا من نقل جملات النهاية إن الحديث مشهور.

صورة أخرى من الكتاب:

عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ حَمَّادٍ، عَنْ عِيْسَى، عَنْ حَرِيزٍ، عَنْ بُرَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ:

«بَعَثَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - مُصَدِّقًا مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى بَادِيَتِهَا، فَقَالَ لَهُ:

يَا عَبْدَ اللَّهِ انْطَلِقْ، وَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَحَدِّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا تُؤْثِرَنَّ دُنْيَاكَ عَلَى آخِرَتِكَ، وَكُنْ حَافِظًا لِمَا ائْتَمَنْتَكَ عَلَيْهِ، رَاعِيًا لِحَقِّ اللَّهِ فِيهِ، حَتَّى تَأْتِيَ نَادِيَ بَنِي فُلَانٍ، فَإِذَا قَدِمْتَ فَانْزِلْ بِمَائِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَثْيَاتَهُمْ، ثُمَّ امْضِ إِلَيْهِمْ بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ، حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ، وَتُسَلِّمْ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قُلْ لَهُمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ اللَّهِ، لَأَخْذَ مِنْكُمْ حَقَّ اللَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ، فَهَلْ لِلَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فِتْوَدُونَ إِلَى وَلِيِّهِ، فَإِنْ قَالَ لَكَ قَائِلٌ: لَا، فَلَا تُرَاجِعْهُ، وَإِنْ أَنْعَمَ لَكَ مِنْهُمْ مُنْعِمٌ فَانْطَلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ أَوْ تَعِدَهُ إِلَّا خَيْرًا، فَإِذَا أَتَيْتَ مَالَهُ فَلَا تَدْخُلْهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَإِنْ أَكْثَرَهُ لَهُ، فَقُلْ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَتَأْذَنُ لِي فِي دُخُولِ مَالِكَ، فَإِنْ أَذِنَ لَكَ فَلَا تَدْخُلْهُ دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ فِيهِ، وَلَا عُنفٍ بِهِ، فَاصْدَعْ الْمَالَ

(١). النهاية لابن أثير: ج ٥ ص ٧٥.

(٢). النهاية لابن أثير: ج ٤ ص ٣٣٦.

(٣). لسان العرب: ج ٥ ص ١٧٥.

ص: ٣٢٧

صَدَعَيْنِ، ثُمَّ خَيْرُهُ أَى الصَّدَعَيْنِ شَاءَ، فَأَيُّهُمَا اخْتَارَ فَلَا تَعْرِضُ لَهُ، ثُمَّ اصْدَعَ الْبَاقِي صَدَعَيْنِ، ثُمَّ خَيْرُهُ، فَأَيُّهُمَا اخْتَارَ فَلَا تَعْرِضُ لَهُ، وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَا فِيهِ وَفَاءً لِحَقِّ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ مَالِهِ، فَإِذَا بَقِيَ ذَلِكَ فَاقْبِضْ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ، وَإِنْ اسْتَقَالَكَ فَأَقْلُهُ، ثُمَّ اخْلُطْهَا، وَاصْنَعْ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ أَوَّلًا حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ اللَّهِ فِي مَالِهِ، فَإِذَا قَبَضْتَهُ فَلَا تُوَكِّلْ بِهِ إِلَّا نَاصِحًا شَفِيقًا أَمِينًا حَفِظًا غَيْرَ مُعْنِفٍ لَشَيْءٍ مِنْهَا، ثُمَّ احْدُرْ كُلَّ مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ كُلِّ نَادٍ إِلَيْنَا نُصِيرُهُ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا انْحَدَرَ بِهَا رَسُولُكَ فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ أَلَّا يَحُولَ بَيْنَ نَاقَةٍ وَبَيْنَ فَصِيلِهَا، وَلَا يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا، وَلَا يَمْصُرَنَّ لِبَنَاهَا فَيُضِرَّ ذَلِكَ بِفَصِيلِهَا، وَلَا يَجْهَدَ بِهَا رُكُوبًا وَلِيَعْدِلَ بَيْنَهُنَّ فِي ذَلِكَ، وَلِيُورِذَهُنَّ كُلَّ مَاءٍ يَمُرُّ بِهِ، وَلَا يَعْدِلُ بَيْنَ عَنْ نَبْتِ الْأَرْضِ إِلَى جَوَادِّ الطَّرِيقِ فِي السَّاعَةِ الَّتِي فِيهَا تُرِيحُ وَتَغْبِقُ، وَلِيُفَرِّقَ بَيْنَ جُهِدِهِ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِإِذْنِ اللَّهِ، سِحَاحًا سِمَانًا غَيْرَ مُتْعَبَاتٍ، وَلَا مُجْهِدَاتٍ فَيُقَسِّمَنَّ بِإِذْنِ اللَّهِ، عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ لِاجْرِكَ، وَأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهَا وَإِلَيْكَ، وَإِلَى جُهِدِكَ، وَنَصِيحَتِكَ لِمَنْ بَعَثَكَ وَبُعِثْتَ فِي حَاجَتِهِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: مَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى وَلِيٍّ لَهُ يَجْهَدُ نَفْسَهُ بِالطَّاعَةِ وَالنَّصِيحَةِ لَهُ، وَلِيَامَمِهِ إِلَّا كَانَ مَعَنَا فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى.

قَالَ: ثُمَّ بَكَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ قَالَ: يَا بُرَيْدُ، لَا وَاللَّهِ، مَا بَقِيَتْ لِلَّهِ حُرْمَةٌ إِلَّا أَنْتَهَكْتُ، وَلَا عُمِلَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَلَا سُنَّةِ نَبِيِّهِ فِي هَذَا الْعَالَمِ، وَلَا أُقِيمَ فِي هَذَا الْخَلْقِ حَدٌّ مُنْذُ قَبَضَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَلَا عُمِلَ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ إِلَى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا، ثُمَّ قَالَ:

أَمَّا وَاللَّهِ، لَا تَذْهَبُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى يُحِبِّيَ اللَّهُ الْمَوْتَى، وَيُمِيتَ الْأَحْيَاءَ، وَيُرِدُّ اللَّهُ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ، وَيُقِيمَ دِينَهُ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِنَفْسِهِ وَنَبِيِّهِ، فَأُبَشِّرُوا، ثُمَّ أُبَشِّرُوا، ثُمَّ أُبَشِّرُوا، فَوَاللَّهِ، مَا الْحَقُّ إِلَّا فِي أَيْدِيكُمْ»

. «١»

(١). الكافي: ج ٣ ص ٥٣٦ - ٥٣٨ ح ١.

ص: ٣٢٨

٦٦ كتابه عليه السلام في الصدقة

روى محمد بن عيسى، عن محمد بن مهران، عن عبد الله بن زُرْعَةَ - زَمْعَةَ - عن أبيه عن جدّه - عن جدّ أبيه -: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - كَتَبَ فِي كِتَابِهِ الَّذِي كَتَبَهُ لَهُ بِخَطِّهِ، حِينَ بَعَثَهُ عَلَى الصَّدَقَاتِ:

«مَنْ بَلَغَ عِنْدَهُ مِنَ الْإِبِلِ صَدَقَةُ الْجَذَعَةِ، وَلَيْسَتْ عِنْدَهُ جَذَعَةٌ، وَعِنْدَهُ حِقَّةٌ، فَإِنَّهُ تُقْبَلُ مِنْهُ الْحِقَّةُ، وَيَجْعَلُ مَعَهَا شَاتَيْنِ أَوْ عَشْرِينَ دِرْهَمًا.

وَمَنْ بَلَغَتْ عِنْدَهُ صَدَقَةُ الْحِقَّةِ، وَلَيْسَتْ عِنْدَهُ حِقَّةٌ، وَعِنْدَهُ جَذَعَةٌ، فَإِنَّهُ تُقْبَلُ مِنْهُ الْجَذَعَةُ، وَيُعْطِيهِ الْمُصَدِّقُ شَاتَيْنِ أَوْ عَشْرِينَ دِرْهَمًا.

وَمَنْ بَلَغَتْ صَدَقَتُهُ حِقَّةٌ، وَلَيْسَتْ عِنْدَهُ حِقَّةٌ، وَعِنْدَهُ بَنْتُ لُبُونٍ، فَإِنَّهُ تُقْبَلُ مِنْهُ بَنْتُ لُبُونٍ، وَيُعْطَى مَعَهَا شَاتَيْنِ أَوْ عَشْرِينَ دِرْهَمًا.

وَمَنْ بَلَغَتْ صَدَقَتُهُ ابْنَةُ لُبُونٍ، وَلَيْسَتْ عِنْدَهُ ابْنَةُ لُبُونٍ، وَعِنْدَهُ حِقَّةٌ، فَإِنَّهُ تُقْبَلُ الْحِقَّةُ مِنْهُ، وَيُعْطِيهِ الْمُصَدِّقُ شَاتَيْنِ أَوْ عَشْرِينَ دِرْهَمًا.

وَمَنْ بَلَغَتْ صَدَقَتُهُ ابْنَةُ لُبُونٍ، وَعِنْدَهُ ابْنَةُ مَخَاضٍ، فَإِنَّهُ تُقْبَلُ مِنْهُ ابْنَةُ مَخَاضٍ، وَيُعْطَى مَعَهَا شَاتَيْنِ أَوْ عَشْرِينَ دِرْهَمًا.

وَمَنْ بَلَغَتْ صَدَقَتُهُ ابْنَةُ مَخَاضٍ، وَلَيْسَتْ عِنْدَهُ ابْنَةُ مَخَاضٍ، وَعِنْدَهُ ابْنَةُ لُبُونٍ، فَإِنَّهُ تُقْبَلُ مِنْهُ بَنْتُ لُبُونٍ، وَيُعْطِيهِ الْمُصَدِّقُ شَاتَيْنِ أَوْ عَشْرِينَ دِرْهَمًا، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ ابْنَةُ مَخَاضٍ عَلَى وَجْهِهَا، وَعِنْدَهُ ابْنُ لُبُونٍ ذَكَرٌ، فَإِنَّهُ يُقْبَلُ مِنْهُ ابْنُ لُبُونٍ، وَلَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ.

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ إِلَّا أَرْبَعٌ مِنَ الْإِبِلِ، وَلَيْسَ لَهُ مَالٌ غَيْرُهَا، فَلَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ إِلَّا

ص: ٣٢٩

أَنْ يَشَاءَ رَبُّهَا، فَإِذَا بَلَغَ مَالُهُ خَمْسًا (مِنَ الْإِبِلِ) فَفِيهِ شَاءَةٌ.

«١»

[أقول: سند الكليني هو:

عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ عَيْسَى، عَنْ يُونُسَ، عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ مُقَرَّرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ، عَنْ سُبَيْعٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ جَدِّ أَبِيهِ، أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَتَبَ لَهُ فِي كِتَابِهِ الَّذِي كَتَبَ لَهُ بِخَطِّهِ، حِينَ بَعَثَهُ عَلَى الصَّدَقَاتِ ... الحديث. «٢»

و هذا غير ما نقلناه من سند المفيد رحمه الله.]

٦٧ كتابه عليه السلام إلى عمرو بن العاص

نَصْر: قال عمرو: عن أبي زُهَيْرِ الْعَبْسِيِّ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ صَالِحٍ قَالَ: كُنْتُ مَعَ شُرَيْحِ بْنِ هَانئٍ فِي غَزْوَةِ سِجِسْتَانَ، فَحَدَّثَنِي أَنَّ عَلِيًّا أَوْصَاهُ بِكَلِمَاتٍ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ لَهُ:

قل لعمرو إن لقيته:

«إنَّ عَلِيًّا يَقُولُ لَكَ: إِنَّ أَفْضَلَ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ وَإِنْ نَقَصَهُ، وَإِنْ أَبْعَدَ الْخَلْقُ مِنَ اللَّهِ مَنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْبَاطِلِ أَحَبَّ إِلَيْهِ وَإِنْ زَادَهُ.

وَاللَّهُ يَا عَمْرُو، إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَيْنَ مَوْضِعُ الْحَقِّ، فَلِمَ تَتَجَاهَلُ؟ أَبَانَ أُوتِيَتْ طَمَعًا يَسِيرًا، فَكُنْتَ لِلَّهِ وَلَؤْلِيائِهِ عَدُوًّا، فَكَأَنَّ وَاللَّهِ، مَا أُوتِيَتْ قَدْ زَالَ عَنْكَ فَلَا تَكُنْ

(١). المقنعة: ص ٢٥٣ - ٢٥٥، الكافي: ج ٣ ص ٥٣٩ ح ٧، تهذيب الاحكام: ج ٤ ص ٩٥، كلاهما نحوه مع اختلاف يسير، و راجع: صحيح البخارى: ج ١ ص ٥٢٧ ح ١٣٨٥، سنن أبى داود: ج ٢ ص ٩٦ ح ١٥٦٧، سنن ابن ماجه: ج ١ ص ٥٧٥ ح ١٨٠٠، مسند ابن حنبل: ج ١ ص ٣٥ - ٣٧ ح ٧٢، كنز العمال: ج ٦ ص ٣١٦ ح ١٥٨٣١.

(٢). الكافي: ج ٣ ص ٥٣٩ ح ٧.

ص: ٣٣٠

لِلخَائِنِينَ خَصِيمًا، وَلَا لِلظَّالِمِينَ ظَهِيرًا. أَمَا إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ يَوْمَكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ نَادِمٌ، هُوَ يَوْمٌ وَفَاتِكَ، وَسَوْفَ تَتَمَنَّى أَنَّكَ لَمْ تَظْهَرَ لِمُسْلِمٍ عَدَاوَةً، وَلَمْ تَأْخُذْ عَلَى حُكْمِ رِشْوَةٍ».

قال شُرَيْحٌ: فَأَبْلَغْتُهُ ذَلِكَ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُ عَمْرُو، وَقَالَ: مَتَى كُنْتَ أَقْبَلَ مَشُورَةً عَلَيَّ، أَوْ أُنِيبُ إِلَى أَمْرِهِ وَأَعْتَدُ بِرَأْيِهِ؟ فَقُلْتُ: وَمَا يَمْنَعُكَ يَا بَنَ النَّابِغَةِ أَنْ تَقْبَلَ مِنْ مَوْلَاكَ وَسَيِّدِ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَشُورَتُهُ. لَقَدْ كَانَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ، أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، يَسْتَشِيرَانِهِ وَيَعْمَلَانِ بِرَأْيِهِ. فَقَالَ: إِنَّ مِثْلِي لَا يُكَلِّمُ مِثْلَكَ. فَقُلْتُ: بِأَيِّ أَبُوَيْكَ تَرُغِبُ عَنْ كَلَامِي؟ بِأَيِّكَ الْوَشِيطُ، أَمْ بِأَمِّكَ النَّابِغَةِ؟ فَقَامَ مِنْ مَكَانِهِ. «١»

[لَمَّا أَخَذَ زِيَادُ حُجْرَ بْنِ عَدِيٍّ وَأَصْحَابَهُ وَأَشْهَدَ هُمْ عَلَيَّ] أَنَّ حُجْرًا جَمَعَ إِلَيْهِ الْجُمُوعَ، وَأَظْهَرَ شَتْمَ الْخَلِيفَةِ، وَدَعَا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - يَعْنِي مُعَاوِيَةَ - وَزَعَمَ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَصْلَحُ إِلَّا فَيَ آلِ أَبِي طَالِبٍ ... فَشَهِدَ عِدَّةً، وَكَتَبَ فِي الشُّهُودِ شُرَيْحَ الْقَاضِي وَشُرَيْحَ بَنِ هَانِيٍّ ... ثُمَّ دَفَعَ زِيَادُ حُجْرَ بْنَ عَدِيٍّ وَأَصْحَابَهُ إِلَى وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ الْحَضْرَمِيِّ وَكَثِيرِ بْنِ شِهَابٍ وَأَمْرَهُمَا أَنَّ يَسِيرَا بِهِمَا إِلَى الشَّامِ، فَخَرَجُوا عَشِيَّةً، فَلَمَّا بَلَغُوا الْغَرِيَيْنِ، لَحِقَهُمَا شُرَيْحُ بْنُ هَانِيٍّ وَأَعْطَى وَائِلًا كِتَابًا، وَ ... فَإِذَا فِيهِ: بَلَغْنِي أَنَّ زِيَادًا كَتَبَ شَهَادَتِي وَإِنَّ شَهَادَتِي عَلَى حُجْرٍ أَنَّهُ مِمَّنْ يَقِيمُ الصَّلَاةَ وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ وَيُدِيمُ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ وَيَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ حَرَامِ الدَّمِّ وَالْمَالِ فَإِنْ شَتَّ فَاقْتُلْهُ وَإِنْ شَتَّ فَدَعِهِ. «٢»

(١). وقعة صفين: ص ٥٤٢، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٣٠٠؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٦٩، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٩٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٥٤ كلها نحوه مع اختلاف يسير.

(٢). الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٤٩٦، تاريخ الطبرى: ج ٥ ص ٢٧٢، تاريخ مدينة دمشق: ج ٨ ص ٢٢، تاريخ ابن خلدون: ج ٣ ص ١٥ كلها نحوه.

ص: ٣٣١

٦٨ كتابه عليه السلام إلى الحسن عليه السلام

نقل فى العقد الفريد: قال و وقع (يعنى أمير المؤمنين عليه السلام) فى كتاب جاءه من الحسن بن على رضى الله عنهما:

«رأى الشيخ خيرٌ من مشهدِ الغلام».

«١»

٦٩ كتابه عليه السلام لبعض أهل الكوفة

روى أن بعض أهل الكوفة اشترى داراً، و ناول أمير المؤمنين عليه السلام رقاً، و قال له اكتب لى قبالة فكتب عليه السلام:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا ما اشترى مَيِّتٌ عن مَيِّتٍ داراً فى بلدةِ المُذْبِينِ، وَسَكَنَ الغَافِلِينَ، الحَدُّ مِنْهَا يَنْتَهَى إِلَى المَوْتِ، والثَّانِى إِلَى القَبْرِ، والثَّالِثُ إِلَى الحِسَابِ، والرَّابِعُ إِمَّا إِلَى الجَنَّةِ، وإِمَّا إِلَى النَّارِ. ثُمَّ كَتَبَ فى ذيلها هذه الأبيات:

النَّفْسُ تَبْكِي عَلَى الدُّنْيَا وَقَدْ عَلِمَتْ	أَنَّ السَّلَامَةَ مِنْهَا تَرَكُ مَا فِيهَا
لَا دَارَ لِلْمَرْءِ بَعْدَ المَوْتِ يَسْكُنُهَا	إِلَّا الَّتِى كَانَ قَبْلَ المَوْتِ بَانِيهَا
فَإِنْ بَنَاهَا بِخَيْرِ طَابَ مَسْكُنُهَا	وَإِنْ بَنَاهَا بِشَرٍّ خَابَ ثَاوِيهَا
أَيْنَ المُلُوكُ الَّتِى كَانَتْ مُسَلِّطَةً	حَتَّى سَقَاهَا بِكَأْسِ المَوْتِ سَاقِيهَا
لِكُلِّ نَفْسٍ وَإِنْ كَانَتْ عَلَى وَجَلٍ	مِنَ المَنِيَّةِ آمَالٌ تُقَوِّيَهَا

(١). العقد الفريد: ج ٣ ص ٢٣١.

ص: ٣٣٢

فَالْمَرْءُ يَبْسُطُهَا وَالدَّهْرُ يَقْبِضُهَا	و النِّفْسُ تَنْشُرُهَا وَ المَوْتُ يَطْوِيهَا
---	--

أَمْوَالُنَا لِذَوَى الْمِيرَاثِ نَجْمَعُهَا
وَدُورُنَا لِخَرَابِ الدَّهْرِ نَبْنِيهَا
كَمْ مِنْ مَدَائِنَ فِي الْآفَاقِ قَدْ بُنِيَتْ
أَمَسَتْ خَرَابًا وَ دُونَ الْمَوْتِ أَهْلِيهَا «١» .»

٧٠ كتابه عليه السلام لسُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ

أَخْرَجَ الطَّبْرِيُّ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ ثَابِتِ بْنِ هُرَيْمٍ، عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ، قَالَ:
اسْتَقْطَعَتْ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ:

«اَكْتُبْ: هَذَا مَا أَقْطَعُ عَلَى سُوَيْدٍ أَرْضًا لِدَاوَيْهِ، مَا بَيْنَ كَذَا إِلَى كَذَا وَمَا شَاءَ اللَّهُ»
«٢».

٧١ كتابه عليه السلام إلى والي المدينة

قَالَ الْكَشِّيُّ: وَجَدْتُ فِي كِتَابِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشَّاذَانِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَدَائِنِيُّ، عَنْ مُوسَى بْنِ الْقَاسِمِ الْعِجْلِيِّ،
عَنْ صَفْوَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَجَّاجِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قَالَ: كَتَبَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى وَالِي
الْمَدِينَةِ:

«لَا تُعْطِينَ سَعْدًا وَلَا ابْنَ عُمَرَ مِنَ الْفِيءِ شَيْئًا، فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَإِنِّي قَدْ عَذَرْتُهُ

(١). منهاج البراعة: ج ١٧ ص ١٠٦ عن شرح الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام للحسين بن معين الميبدى
(ص ٤٤٨).

(٢). تاريخ الطبري: ج ٣ ص ٥٨٩.

ص: ٣٣٣

فِي الْيَمِينِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِ.

«١»

٧٢ كتابه عليه السلام إلى الحارث الهمداني

«وَتَمَسَّكَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ وَاسْتَنْصَحَهُ وَأَحْلَلَ حَلَالَهُ وَحَرَّمَ حَرَامَهُ وَصَدَّقَ بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ وَاعْتَبَرَ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا لِمَا
بَقِيَ مِنْهَا فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشَبِّهُ بَعْضًا وَآخِرُهَا لَاحِقٌ بِأَوَّلِهَا وَكُلُّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ وَعَظُمَ اسْمُ اللَّهِ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلَّا عَلَى حَقٍّ، وَكَثُرَ ذِكْرُ
الْمَوْتِ وَمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَا تَتَمَنَّ الْمَوْتَ إِلَّا بِشَرِّ وَثِيقٍ وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ وَيُكْرَهُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَاحْذَرْ

كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي السِّرِّ وَيُسْتَحَى مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ أَوْ اعْتَذَرَ مِنْهُ وَلَا تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضًا لِنِبَالِ الْقَوْلِ وَلَا تُحَدِّثِ النَّاسَ بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ بِهِ فَكَفَى بِذَلِكَ كَذِبًا، وَلَا تَرُدَّ عَلَى النَّاسِ كُلِّ مَا حَدَّثُوكَ بِهِ فَكَفَى بِذَلِكَ جَهْلًا، وَأكْظِمِ الْغَيْظَ وَتَجَاوَزْ عِنْدَ الْمَقْدَرَةِ وَاحْلُمْ عِنْدَ الْغَضَبِ وَاصْفَحْ مَعَ الدَّوْلَةِ تَكُنْ لَكَ الْعَاقِبَةُ وَاسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اللَّهُ عَلَيْكَ وَلَا تُضَيِّعَنَّ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عِنْدَكَ وَلْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُهُمْ تَقْدِيمَةً مِنْ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ فَإِنَّكَ مَا تَقْدِمُ مِنْ خَيْرٍ يَبْقَى لَكَ ذُخْرُهُ، وَمَا تُؤَخِّرُهُ يَكُنْ لِغَيْرِكَ خَيْرُهُ وَاحْذَرِ صَحَابَةَ مَنْ يَفِيلُ رَأْيُهُ وَيُنْكَرُ عَمَلُهُ فَإِنَّ الصَّاحِبَ مَعْتَبِرٌ بِصَاحِبِهِ وَاسْكُنِ الْأَمْصَارَ الْعِظَامَ فَإِنَّهَا جِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ وَاحْذَرِ مَنَازِلَ الْعَقْلَةِ وَالْجَفَاءِ وَقِلَّةِ الْأَعْوَانِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَأَقْصُرْ رَأْيَكَ

(١). رجال الكشي: ج ١ ص ١٩٧ الرقم ٨٢، رجال ابن داود: ص ٤٨ الرقم ١٥٦، قاموس الرجال: ج ١ ص ٧١٧ الرقم ٤٧٠.

ص: ٣٣٤

عَلَى مَا يَغْنِيكَ وَإِيَّاكَ وَمَقَاعِدَ الْأَسْوَاقِ فَإِنَّهَا مُحَاضِرُ الشَّيْطَانِ وَمَعَارِيضُ الْفِتَنِ وَأَكْثَرُ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَنْ فَضَّلْتَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الشُّكْرِ وَلَا تُسَافِرْ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ حَتَّى تَشْهَدَ الصَّلَاةَ إِلَّا فَاصِلًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ فِي أَمْرٍ تُعْذَرُ بِهِ وَأَطِعِ اللَّهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ فَاضِلَةٌ عَلَى مَا سِوَاهَا خَادِعٌ نَفْسَكَ فِي الْعِبَادَةِ وَارْتَقَى بِهَا، وَلَا تَقْهَرَهَا وَخُذْ عَفْوَهَا وَنَشَاطَهَا إِلَّا مَا كَانَ مَكْتُوبًا عَلَيْكَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، فَإِنَّهُ لَا يُدَّ مِنْ قَضَائِهَا وَتَعَاهُذُهَا عِنْدَ مَحَلِّهَا وَإِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ آبِقٌ مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا، وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْفُسَاقِ فَإِنَّ الشَّرَّ بِالْشَّرِّ مُلْحَقٌ وَوَقِّرِ اللَّهَ وَأَحْبِبْ أَحِبَّاءَهُ وَاحْذَرِ الْغَضَبَ فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ، وَالسَّلَامُ».

«١»

٧٣ كتابه عليه السلام إلى معاوية

«فَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا لَدَيْكَ، وَانْظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ، وَارْجِعْ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا لَا تُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ، فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَعْلَامًا وَاضِحَةً، وَسُبُلًا نَبِيرَةً، وَمَحَجَّةً نَهْجَةً، وَغَايَةً مُطْلَبَةً، يَرُدُّهَا الْأَكْبَاسُ، وَيُخَالِفُهَا الْأَنْكَاسُ، مَنْ نَكَبَ عَنْهَا جَارَ عَنِ الْحَقِّ وَخَبِطَ فِي التَّبْيِ، وَغَيَّرَ اللَّهَ نِعْمَتَهُ، وَأَحْلَلَ بِهِ نِقْمَتَهُ، فَنَفْسَكَ نَفْسَكَ، فَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكَ سَبِيلَكَ وَحَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ، فَقَدْ أَجْرَيْتَ إِلَى غَايَةِ خُسْرٍ، وَمَحَلَّةٍ كُفْرٍ، فَإِنَّ نَفْسَكَ قَدْ أَوْلَجَتْكَ شَرًّا، وَأَقْحَمَتْكَ غِيًّا، وَأَوْرَدَتْكَ الْمَهَالِكِ، وَأَوَعَرَتْ عَلَيْكَ الْمَسَالِكِ».

«٢»

(١). نهج البلاغة: الكتاب ٦٩، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٥٠٨ ح ٧٠٧ نقلًا عنه؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد:

ج ١٨ ص ٤١.

(٢). نهج البلاغة: الكتاب ٣٠ و راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ٧، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٤٣٣.

ص: ٣٣٥

٧٤ كتابه عليه السلام إلى المُنذر بن الجارود

من كتاب له عليه السلام إلى المُنذر بن الجارود العبدى، و قد استعمله على بعض النواحي، و خان فى بعض ما وَّلاه من أعماله:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ صَلَاحَ أَيْبِكَ غَرْنِي مِنْكَ، وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ، وَتَسْلُكُ سَبِيلَهُ، فَإِذَا أَنْتَ فِي مَا رُفِّيَ إِلَيَّ عَنْكَ لَا تَدْعُ لِهَوَاكَ انْقِيَادًا، وَلَا تُبْقِي لآخرتك عِتَادًا، تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخرتك، وَتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دينِكَ، وَلَئِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقًّا لَجَمَلُ أَهْلِكَ، وَشِسْعُ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ.

وَمَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ نَعْرٌ، أَوْ يُنْفَذَ بِهِ أَمْرٌ، أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ، أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ، أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى جَبَايَةٍ، فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

قال الرضى رحمه الله: والمُنذر بن الجارود هذا هو الذى قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِنَّهُ لَنَظَّارٌ فِي عِطْفِيهِ، مُخْتَالٌ فِي بُرْدِيهِ، تَقَالُ فِي شِرَاكِيهِ».

«١»

٧٥ كتابه عليه السلام إلى زياد ابن أبيه

«فَدَعَ الْإِسْرَافَ مُتَّصِدًا، وَادَّكَرَ فِي الْيَوْمِ غَدًا، وَأَمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ، أَوْ تَرْجُو أَنْ يُعْطِيكَ اللَّهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ

(١). نهج البلاغة: الكتاب ٧١ و راجع: الغارات: ج ٢ ص ٨٩٧، تاريخ يعقوبى: ج ٢ ص ١٩٢؛ أنساب الأشراف:

ج ٢ ص ١٦٣، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٦٠٥.

ص: ٣٣٦

وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ؟ وَتَطْمَعُ وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ وَالْأَرْمَلَةَ أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ؟

وَأِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَسْلَفَ، وَقَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ، وَالسَّلَامُ».

٧٦ كتابه عليه السلام إلى عمّاله على الخراج

«مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ الْخَرَاجِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَحْذَرْ مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ لَمْ يُقَدِّمْ لِنَفْسِهِ مَا يُحْزِرُهَا، وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا كُفِّتُمْ بِهِ يَسِيرٌ، وَأَنَّ ثَوَابَهُ كَثِيرٌ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ عِقَابٌ يُخَافُ، لَكَانَ فِي ثَوَابِ اجْتِنَابِهِ مَا لَا عُذْرَ فِي تَرْكِ طَلَبِهِ.

فَانْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَاصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ، فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ، وَوُكَلَاءُ الْأُمَّةِ، وَسُفَرَاءُ الْأَئِمَّةِ، وَلَا تُخْشِمُوا أَحَدًا عَنْ حَاجَتِهِ، وَلَا تَحْبِسُوهُ عَنْ طَلَبَتِهِ، وَلَا تَبِيعَنَّ لِلنَّاسِ فِي الْخَرَاجِ كِسُوءَ شَيْءٍ وَلَا صَيْفٍ، وَلَا دَابَّةً يَغْتَمِلُونَ عَلَيْهَا، وَلَا عَبْدًا.

وَلَا تَضْرِبَنَّ أَحَدًا سَوْطًا لِمَكَانِ دِرْهَمٍ، وَلَا تَمَسَنَّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ مُصَلٍّ وَلَا مُعَاهِدٍ، إِلَّا أَنْ تَجِدُوا فَرَسًا أَوْ سِلَاحًا يُعْدَى بِهِ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَدَعَ ذَلِكَ فِي أَيْدِي أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ، فَيَكُونَ شَوْكَةً عَلَيْهِ.

وَلَا تَدْخِرُوا أَنْفُسَكُمْ نَصِيحَةً، وَلَا الْجُنْدَ حُسْنَ سِيرَةٍ، وَلَا الرَّعِيَّةَ مَعُونَةً، وَلَا دِينَ اللَّهِ قُوَّةً، وَأُثْلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا اسْتَوْجَبَ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ اصْطَنَعَ عِنْدَنَا وَعِنْدَكُمْ أَنْ نَشْكُرَهُ بِجَهْدِنَا، وَأَنْ نَنْصُرَهُ بِمَا بَلَغَتْ قُوَّتُنَا، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

(١). نهج البلاغة: الكتاب ٢١ و راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ١٩٦.

ص: ٣٣٧

الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ».

٧٧ كتابه عليه السلام إلى أمراء الخراج

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أُمَرَاءِ الْخَرَاجِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَحْذَرْ مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ، لَمْ يُقَدِّمْ لِنَفْسِهِ وَلَمْ يَحْزِرْهَا، وَمَنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ وَانْقَادَ لَهُ عَلَى مَا يَعْرِفُ نَفْعَ عَاقِبَتِهِ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْبِحَنَّ مِنَ النَّادِمِينَ.

أَلَا وَإِنْ أَسْعَدَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا مَنْ عَدَلَ عَمَّا يَعْرِفُ ضَرَّهُ، وَإِنْ أَشْقَاهُمْ مَنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ، فَاعْتَبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ لَكُمْ مَا قَدَّمْتُمْ مِنْ خَيْرٍ، وَمَا سَوَى ذَلِكَ وَدَدْتُمْ لَوْ أَنَّ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَاللَّهُ رَؤُوفٌ وَرَحِيمٌ بِالْعِبَادِ، وَأَنَّ عَلَيْكُمْ مَا فَرَطْتُمْ فِيهِ، وَإِنَّ الْأَذَى طَلَبْتُمْ لَيْسِيرٌ وَأَنَّ ثَوَابَهُ لَكَبِيرٌ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا نَهَى عَنْهُ مِنَ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ عِقَابٌ يُخَافُ، كَانَ فِي

ثَوَابِهِ مَا لَا عُذْرَ لِأَحَدٍ بِتَرْكِ طَلَبَتِهِ، فَارْحَمُوا تُرْحَمُوا وَلَا تُعَذِّبُوا خَلَقَ اللَّهُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ فَوْقَ طَاقَتِهِمْ، وَأَنْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَاصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ، لَا تَتَّخِذَنَّ حِجَابًا، وَلَا تَحْجُبَنَّ أَحَدًا عَنْ حَاجَتِهِ حَتَّى يُنْهِيَهَا إِلَيْكُمْ، وَلَا تَأْخُذُوا أَحَدًا بِأَحَدٍ، إِلَّا كَفَيْلًا عَمَّنْ كَفَلَ عَنْهُ، وَاصْبِرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى مَا فِيهِ الْاِغْتِيَابُ، وَإِيَّاكُمْ وَتَأْخِيرَ الْعَمَلِ وَدَفْعَ الْخَيْرِ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ النَّدْمَ، وَالسَّلَامَ»

«٢»

(١). نهج البلاغة: الكتاب ٥١ و راجع: وقعة صفين: ص ١٠٨، بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٥٥، المعيار و الموازنة: ج ٤ ص ٢٣٢.

(٢) وقعة صفين: ص ١٠٨.

ص: ٣٣٨

٧٨ كتابه عليه السلام إلى بعض أمراء جيشه

«فَإِنْ عَادُوا إِلَى ظِلِّ الطَّاعَةِ فَذَلِكَ الَّذِي نُحِبُّ، وَإِنْ تَوَافَتِ الْأُمُورُ بِالْقَوْمِ إِلَى الشَّقَاقِ وَالْعِصْيَانِ فَانْهَدِ بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَى مَنْ عَصَاكَ، وَاسْتَعْنِ بِمَنْ انْقَادَ مَعَكَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ، فَإِنَّ الْمُتَكَارِهَ مَغِيْبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ، وَقُعُودُهُ أَغْنَى مِنْ نُهُوضِهِ».

«١»

٧٩ من كلام له عليه السلام في وصف الإسلام

عَلَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، وَ مُحَمَّدٌ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عِيْسَى وَ عِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ خَالِدٍ، جَمِيعاً عَنْ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ يَعْقُوبَ السَّرَّاجِ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَ بِأَسَانِيدٍ مُخْتَلِفَةٍ عَنْ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ، قَالَ: خَطَبَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي دَارِهِ، أَوْ قَالَ فِي الْقَصْرِ وَ نَحْنُ مُجْتَمِعُونَ، ثُمَّ أَمَرَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَكَتَبَ فِي كِتَابٍ، وَ قُرِئَ عَلَى النَّاسِ، وَ رَوَى غَيْرُهُ: أَنَّ ابْنَ الْكَوَّاءِ سَأَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ صِفَةِ الْإِسْلَامِ وَ الْإِيمَانِ وَ الْكُفْرِ وَ النِّفَاقِ، فَقَالَ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى شَرَعَ الْإِسْلَامَ، وَ سَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ، وَ أَعَزَّ أَرْكَانَهُ لِمَنْ حَارَبَهُ، وَ جَعَلَهُ عِزًّا لِمَنْ تَوَلَّاهُ، وَ سَلِمًا لِمَنْ دَخَلَهُ، وَ هُدًى لِمَنْ اتَّخَذَهُ، وَ زِينَةً لِمَنْ تَجَلَّلَهُ، وَ عُذْرًا لِمَنْ انْتَحَلَهُ، وَ عُرْوَةً لِمَنْ اعْتَصَمَ بِهِ، وَ حَبْلًا لِمَنْ اسْتَمْسَكَ بِهِ، وَ بُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَ نُورًا لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِهِ، وَ عَوْنًا لِمَنْ اسْتَعَاثَ بِهِ،

(١). نهج البلاغة: الكتاب ٤ و راجع: تذكرة الخواص: ص ١٦٦.

ص: ٣٣٩

وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ، وَفَلَجًا لِمَنْ حَاجَّ بِهِ، وَعِلْمًا لِمَنْ وَعَاهُ، وَحَدِيثًا لِمَنْ رَوَى، وَحُكْمًا لِمَنْ قَضَى، وَحِلْمًا لِمَنْ جَرَّبَ، وَلِبَاسًا لِمَنْ تَدَبَّرَ، وَفَهْمًا لِمَنْ تَفَقَّنَ، وَبِقِينًا لِمَنْ عَقَلَ، وَبَصِيرَةً لِمَنْ عَزَمَ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّسَ، وَعِبرَةً لِمَنْ اتَّعَطَّ، وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ، وَتَوْدَةً لِمَنْ أَصْلَحَ، وَزُلْفَى لِمَنْ اقْتَرَبَ، وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ، وَرِخَاءً لِمَنْ فَوَّضَ، وَسُبْقَةً لِمَنْ أَحْسَنَ، وَخَيْرًا لِمَنْ سَارَعَ، وَجَنَّةً لِمَنْ صَبَرَ، وَلِبَاسًا لِمَنْ اتَّقَى، وَظَهِيرًا لِمَنْ رَشَدَ، وَكَهْفًا لِمَنْ آمَنَ، وَأَمَنَةً لِمَنْ أَسْلَمَ، وَرَجَاءً لِمَنْ صَدَّقَ، وَغِنًى لِمَنْ قَنَعَ.

فَذَلِكَ الْحَقُّ سَبِيلُهُ الْهُدَى، وَمَأْثَرَتُهُ الْمَجْدُ، وَصِفَتُهُ الْحُسْنَى، فَهُوَ أَلْبَجُ الْمُنْهَاجِ مُشْرِقُ الْمَنَارِ، ذَاكِي الْمَصْبَاحِ، رَفِيعُ الْغَايَةِ، يَسِيرُ الْمِضْمَارِ، جَامِعُ الْحَلَبَةِ، سَرِيعُ السُّبْقَةِ، أَلِيمُ النَّقْمَةِ، كَامِلُ الْعُدَّةِ، كَرِيمُ الْفُرْسَانِ.

فَالْإِيمَانُ مِنْهَاجُهُ، وَالصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ، وَالْفَقْهُ مَصَابِيحُهُ، وَالدُّنْيَا مِضْمَارُهُ، وَالْمَوْتُ غَايَتُهُ، وَالْقِيَامَةُ حَلَبَتُهُ، وَالْجَنَّةُ سُبْقَتُهُ، وَالنَّارُ نَقِمَتُهُ، وَالتَّقْوَى عُدَّتُهُ، وَالْمُحْسِنُونَ فُرْسَانُهُ.

فَبِالْإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ، وَبِالصَّالِحَاتِ يُعَمَّرُ الْفَقْهُ، وَبِالْفَقْهِ يُرْهَبُ الْمَوْتُ، وَبِالْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا، وَبِالدُّنْيَا تَجُوزُ الْقِيَامَةُ، وَبِالْقِيَامَةِ تَزْلَفُ الْجَنَّةُ، وَالْجَنَّةُ حَسْرَةُ أَهْلِ النَّارِ، وَالنَّارُ مَوْعِظَةٌ الْمُتَّقِينَ، وَالتَّقْوَى سِنُّ الْإِيمَانِ.

«١»

(١). الكافي: ج ٢ ص ٤٩ ح ١ و راجع: نهج البلاغة: الخطبة ١٠٤، الأمل للمفيد: ص ٢٧٥، الأمل للطوسي:

ص ٣٥.

ص: ٣٤١

فائدة

ص: ٣٤٣

لا بدَّ هنا من بيان أمور:

الأوّل:

قال ابن أبي الحديد: قد عاتبت العثمانيّة، و قالت: إنّ أبا بكر مات و لم يخلف ديناراً و لا درهماً، و إنّ عليّاً عليه السلام مات و خلف عقاراً كثيراً - يعنون نخلاً - قيل لهم:

قد علم كل أحد أنّ عليّاً عليه السلام استخرج عيوناً بكديده بالمدينة، و ينبع و سويعة، و أحيا بها مواتاً كثيراً، ثمّ أخرجها عن ملكه، و تصدّق بها على المسلمين، و لم يمت و شيء منها في ملكه، ألا ترى إلى ما تتضمنه كتب السير و الأخبار من منازعة زيد بن عليّ، و عبد الله بن الحسن في صدقات عليّ عليه السلام، و لم يورث عليّ عليه السلام بنيه قليلاً من المال، و لا كثيراً، إلّا عبده و إمائه و سبعمائة درهم من عطائه، تركها ليشتري بها خادماً لأهله قيمتها ثمانية و عشرون ديناراً،

على حَسَبِ المائَةِ أربعةَ دنانير، و هكذا كانت المعاملة بالدراهم إذ ذاك، و إنما لم يترك أبو بكر قليلاً، و لا كثيراً، لأنَّه ما عاش، و لو عاش لترك، أ لا ترى أن عمر أصدق أم كلثوم أربعين ألفَ درهم، و دفعها إليها! و ذلك لأنَّ هؤلاء طالت أعمارُهم، فمنهم من درَّتْ عليه أخلاف التجارة، و منهم من كان يستعمر الأرض و يزرعها، و منهم من استفضل من رزقه من الفىء.

ص: ٣٤٤

و فَضَّلَهُم أمير المؤمنين عليه السلام، بأنَّه كان يعمل بيده، و يحرث الأرض، و يستقى الماء، و يغرس النخل، كل ذلك يبشره بنفسه الشريفة، و لم يستبق منه لوقته، و لا لعقبه قليلاً و لا كثيراً، و إنما كان صدقة؛ و قد مات رسول الله صلى الله عليه و آله و له ضياع كثيرة جليلة جداً بخيبر و فدك و بنى النضير، و كان له وادى نخلة و ضياع أخرى كثيرة بالطائف، فصارت بعد موته صدقة بالخبر الذى رواه أبو بكر.

فإن كان على عليه السلام معيلاً بضياعه و نخله، فكذلك رسول الله صلى الله عليه و آله، و هذا كفر و إحداد! و إن كان رسول الله صلى الله عليه و آله إنما ترك ذلك صدقة، فرسول الله صلى الله عليه و آله - تنزه عن ذلك - ما روى عنه الخبر فى ذلك إلّا واحد من المسلمين، و على عليه السلام كان فى حياته قد أثبت عند جميع المسلمين بالمدينة أنَّها صدقة، فالتُّهمة إليه فى هذا الباب أبعد. «١»

أقول: اشتغل أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن منع عن حقّه، و أبعد من عمله الاجتماعى و هو الحكومة على المجتمع؛ بالزراعة و الغرس و إحياء الأرض، حتّى صارت له مزارع و بساتين كثيرة فى ينبع، و وادى القرى و خيبر وفدك، حتّى قال عليه السلام: مضى على ما أربط الحجر على بطنى من الجوع، و اليوم يبلغ صدقتى فى كلِّ سنة أربعون ألف دينار. «٢»

قال النووى فى تهذيب الأسماء، و ابن حجر فى أسد الغابة: ليس المراد من الصدقة الزكاة، بل المراد غلّات موقوفاته عليه السلام.

(١). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ١٥ ص ١٤٦.

(٢) راجع: مسند ابن حنبل: ج ١ ص ٣٣٤ ح ١٣٦٧ و ١٣٦٨، أسد الغابة: ج ٤ ص ٩٧، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٢ ص ٣٧٥؛ كشف المحجّة لثمرة المهجة: ص ١٨٢، المناقب لابن شهر آشوب: ج ٢ ص ٧٢، بحار الأنوار: ج ٤١ ص ٢٦ و ٤٣.

ص: ٣٤٥

ذكرنا تفاصيل أمواله و موقوفاته و صدقاته عليه السلام فى أصول مالكيته «١»، و قلنا: إنَّ على عليه السلام كان إماماً للبشر سيّما المسلمين، فى العبادة و الإيمان و العلم و البيان و العمل و الكسب من الحلال، فلمّا أبعد عليه السلام عن الخلافة، و حرم عباد الله عن أنوار الإمامة و الولاية، و أقصى عن الحكم و القضاء، و ابتلى الإسلام بهذه المصيبة العظمى،

اشتغل بالعبادة والزَّرع والغرس والسَّقْي، فأحيا الأراضى، وأجرى العيون والآبار والقنوات، فحصل له مزارع و بساتين، وقد ذكرت ذلك فى كتب الحديث و التاريخ و التراجم. «٢»

عن عَلِيٍّ بنِ إِبْرَاهِيمَ، عن أَبِيهِ، عن ابنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عن سَيْفِ بنِ عَمِيرَةَ و سَلَمَةَ صَاحِبِ السَّابِرِيِّ، عن أَبِي أُسَامَةَ زَيْدٍ الشَّحَّامِ، عن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام:

«أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَعْتَقَ أَلْفَ مَمْلُوكٍ مِنْ كَدِّ يَدِهِ»

. و عن أَحْمَدَ بنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عن شَرِيفِ بنِ سَابِقٍ، عن الْفَضْلِ بنِ أَبِي قُرَّةَ، عن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قال:

«كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَضْرِبُ بِالْمَرْءِ وَيَسْتَخْرِجُ الْأَرْضِينَ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَمُصُّ النَّوَى بِفِيهِ، وَيَغْرِسُهُ فَيَطْلُعُ مِنْ سَاعَتِهِ»

. مُحَمَّدُ بنُ يَحْيَى، عن أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدٍ، عن ابْنِ فَضَّالٍ، عن ابنِ بُكَيْرٍ، عن زُرَّارَةَ، و عن أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قال:

«لَقِيَ رَجُلٌ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَحْتَهُ وَسْقٌ مِنْ نَوَى، فَقَالَ لَهُ: مَا هَذَا يَا أَبَا الْحَسَنِ تَحْتَكَ؟ فَقَالَ: مِثَّةُ أَلْفِ عَذْقٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: فَعَرَسَهُ فَلَمْ يُغَادِرْ مِنْهُ نَوَاةً وَاحِدَةً»

(١). أصول مالكيته: ج ٢، فارسي.

(٢) راجع: الإرشاد: ج ٢ ص ١٤١ و ١٤٢، الغارات: ج ٢ ص ٧٠١، المناقب لابن شهر آشوب: ج ٢ ص ١٢٢ و ١٢٣ و ١٥٣ و ١٥٧ و ١٥٨، بحار الأنوار: ج ٤١ ص ٣٩ و ٤٠ و ١٢٥؛ السنن الكبرى: ج ٦ ص ١٣٩ و ١٤٥ و ٢٦٦، المصنف لعبد الرزاق: ج ٩ ص ١٦٩، أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٣٠ و ٣٦٠ و ٣٦١ و ٤٢٠ وج ٣ ص ٢٨ و ٣٠ و ٣١، معجم البلدان: ج ٤ ص ٢٦٩ وج ٥ ص ٤٤٩ و ٤٥٠، تاريخ اصفهان: ج ٢ ص ١٤٤، تهذيب تاريخ مدينة دمشق: ج ٤ ص ١٦٧ وج ٥ ص ٤٦٣.

ص: ٣٤٦

و عن سَهْلِ بنِ زِيَادٍ، عن ابنِ مُحَبُّوبٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ سِنَانٍ، عن أَبِي عبدِ اللَّهِ عليه السلام، قال:

«إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَخْرُجُ وَمَعَهُ أَحْمَالُ النَّوَى، فَيُقَالُ لَهُ: يَا أَبَا الْحَسَنِ، مَا هَذَا مَعَكَ؟ فَيَقُولُ: نَخْلٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَيَغْرِسُهُ فَلَمْ يُغَادِرْ مِنْهُ وَاحِدَةً»

. «١»

قال فى المناقب بعد نقل الحديث الثالث: فهو من أوقافه، و وقف مالا بخبير و بوادى القرى، و وقف مال أبى نبرو، و البغيعة، و أرباجا، و أرينه، و رعدا، و رزينا، و رباحا، على المؤمنين، و أمر بذلك أكثر ولد فاطمة من ذوى الأمانة و

الصَّلاح، و أخرج مائة عين ينبع، جعلها للحجيج، و هو باق إلى يومنا هذا، و حفر آباراً في طريق مكّة و الكوفة و بنى مسجد الفتح في المدينة، و عند مقابل قبر حمزة، و في الميقات، و في الكوفة، و جامع البصرة، و في عبادان و غير ذلك.

«٢»

و كان عليه السلام في خلافته يصرف في نفسه و عائلته من غلات أملاكه بالمدينة، و لا يصرف من بيت المال، و عن أبي جعفر عليه السلام قال: قبض عليّ عليه السلام و عليه دين ثمانمائة ألف درهم، فباع الحسن عليه السلام ضيعة له بخمسمائة ألف درهم، فقضاها عنه، و باع ضيعة أخرى له بثلاثمائة ألف درهم فقضاها عنه، و ذلك أنّه لم يكن يذر من الخمس شيئاً، و كان تنوبه نواب. «٣»

و عليّ عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عبد الرحمن بن الحجاج، عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «لَمَّا وَلِيَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَتَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَرْزُؤُكُمْ مِنْ فَيْئِكُمْ دَرْهَمًا، مَا قَامَ لِي عِذْقٌ يَبْتَرِبُ...»

«٤» .

(١). الكافي: ج ٥ ص ٧٤ ح ٢ و ٤ و ٦ و ٩.

(٢). المناقب لابن شهر آشوب: ج ٢ ص ١٢٣.

(٣) راجع: كشف المحجّة لثمرة المهجة: ص ١٨٣، بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ٢٣٩ - ٣٣٨ ح ٢٣.

(٤). الكافي: ج ٨ ص ١٨٢ ح ٢٠٤، الاختصاص: ص ١٥١، بحار الأنوار: ج ٤١ ص ١٣١ ح ٤٣.

ص: ٣٤٧

و يقول:

«فَوَاللَّهِ مَا كُنْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تَبْرًا، وَلَا ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفَرًا، وَلَا أَغْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْرًا...»

«١» .

العباس قال: حدّثنا ابن المبارك، قال: حدّثنا بكر بن عيسى، قال: كان عليّ عليه السلام يقول:

«يا أهل الكوفة، إذا أنا خرجتُ من عندكم بغير رحلي وراحلتي وغلامي فأنا خائنٌ، وكانت نفقته تأتيه من غلته بالمدينة من ينبع، وكان يطعم الناس الخُبز واللّحم، ويأكل من الثريد بالزيت، ويكُلُّها بالتمر من العجوة...»

«٢» .

و يقول:

«دخلتُ بلادَكُمْ بأشمالي هذه ورحلتى وراحلتى وما هى، فإن أنا خرجتُ من بلادِكُمْ بغير ما دخلتُ، فإننى من الخائنين»

. و فى رواية:

«يا أهل البصرة، ما تنقمون منى؟ إن هذا لمن غزل أهلى»

، وأشار إلى قميصه. «٣»

و روى أبو مخنف لوط بن يحيى، عن رجاله، قال: «لما أراد أمير المؤمنين عليه السلام التوجه إلى الكوفة قام فى أهل البصرة، فقال:

ما تنقمون علىّ يا أهل البصرة؟- وأشار إلى قميصه وردائه، فقال:- والله إنهما لمن غزل أهلى ما تنقمون منى يا أهل البصرة؟- وأشار إلى صرة فى يده فيها نفقته فقال:- والله ما هى إلّا من غلتى بالمدينة، فإن أنا خرجتُ من عندكم بأكثر ممّا ترون فأنا عند الله من الخائنين.

«٤»

هذا عمله و كسبه منذ قبض رسول الله صلى الله عليه و آله و أقصى عن مقامه الذى جعله الله له، و صبر و فى العين قذى و فى الحلق شجى و هذا أيضاً صدقاته و عطاياه، ثم جعل

(١). نهج البلاغة: الكتاب ٤٥، بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ٣٤٠ ح ٢٧، معادن الحكمة: ج ١ ص ٢٢٠.

(٢). الغارات: ج ١ ص ٦٨، بحار الأنوار: ج ٤١ ص ١٣٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ٢ ص ٢٠٠.

(٣). المناقب لابن شهر آشوب: ج ٢ ص ٩٨، بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ٣٢٥ ح ٧.

(٤). الجمل: ص ٤٢٢.

ص: ٣٤٨

أملكه و أمواله كلها وقفاً فى سبيل الله لبنى هاشم، و بنى عبد المطلب، و للحجيج و الفقراء، و المساكين.

محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمد و على بن محمد، عن سهل بن زياد، جميعاً عن ابن محبوب، عن أبى حمزة عن أبى جعفر عليه السلام، قال:

«لَمَّا قُبِضَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَامَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ قَدْ قُبِضَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ رَجُلٌ مَا سَبَقَهُ الْأَوَّلُونَ وَلَا يُدْرِكُهُ الْآخِرُونَ ... وَاللَّهُ، مَا تَرَكَ بَيِّضَاءً، وَلَا حُمْرَاءً، إِلَّا سَبَعَمِئَةَ دَرْهَمٍ فَضَلَّتْ عَنْ عَطَائِهِ، أَرَادَ أَنْ يَشْتَرِيَ بِهَا خَادِمًا لِأَهْلِهِ ...

«١»

الثاني:

رباح

بالرَّاءِ المهملة المفتوحة، و الباءِ الموحدة من تحت، و الحاءِ المهملة. «٢» و ما في الوسائل في النسخة الموجودة عندي: «أبو رباح» تصحيف، لاتفاق النسخ الموجودة عندي من الوصية بكونه رباحاً، كان عبداً أعتقه رسول الله صلى الله عليه و آله. «٣»

قال الطبري: رباح كان يؤذن للنبي، و يحتمل أن يكون رباح اسم سفينته، مولى رسول الله صلى الله عليه و آله، الذي كان لأم سلمة، فأعتقته و اشترطت عليه خدمة رسول الله صلى الله عليه و آله

(١). الكافي: ج ١ ص ٤٥٧ ح ٨ و راجع: الإرشاد: ج ٢ ص ٨، كشف الغمّة: ج ١ ص ١٧٩، بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ٢١٤ ح ٥؛ مسند ابن حنبل: ج ١ ص ٤٢٦٦ ح ١٧٢٠، أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٢٥٩، العقد الفريد: ج ٢ ص ٣٩٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٧ ص ٢١٩.

(٢) راجع: تاريخ الخميس: ج ٢ ص ١٧٨.

(٣) راجع: الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٤٩٨، السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٣٢٦؛ بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٢٥٦ و ٢٦٢ و ٢٦٣.

ص: ٣٤٩

مدّة حياته. «١» و لكن صرح ابن سعد في الطبقات بأنّ رباحاً و سفينة كانا عبيدين له صلى الله عليه و آله، فأعتقهما. «٢»

كان أسود اللون يؤذن على رسول الله صلى الله عليه و آله «٣»، و يستقي له من بئر غرس، و بيوت السقيا بأمره «٤»، و لمّا قتل يسار مولى النبي صلى الله عليه و آله جعل رباحاً مكانه، فكان يقوم بلقاح رسول الله صلى الله عليه و آله. «٥»

ذكر ابن الأثير في أسد الغابة رباحاً تارة بقوله: رباح الأسود مولى رسول الله صلى الله عليه و آله، و أخرى: رباح مولى أم سلمة «٦». و كذا ابن حجر «٧»، و هو - أي رباح - أحد شهود الصديقة الطاهرة في قضية فذك. «٨»

و ظاهر الوصية: أنّ رباحاً هذا مولى عليّ عليه السلام، و أنّه هو اشتراه و أعتقه، إذ معنى هذه الجملة: فهم موالى، إلّا أن يريد أنّ موالى رسول الله صلى الله عليه و آله هم موالى أهل البيت عليهم السلام.

و لكن فى الدَّعَائِم: و عن علىّ عليه السلام، أنّه اعتق أبا بيزر (نيزر) و حبتراً و رباحاً و زريقاً، على أن يعملوا فى ضيعة حبسها أربع سنين، ثمّ هم أحرار فعملوا ثمّ عتقوا. «٩»

(١). تاريخ الطبرى: ج ٣ ص ١٧١.

(٢) راجع: الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٤٩٨

(٣) راجع: الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٤٩٨، الكامل فى التاريخ: ج ١ ص ٦٥٨، أسد الغابة: ج ٢ ص ٢٤٨، الإصابة:

ج ٢ ص ٣٧٧، السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٣٢٦.

(٤). الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٥٠٤.

(٥) راجع: أنساب الأشراف: ج ٢ ص ١٢٧، الإصابة: ج ٢ ص ٣٧٧.

(٦) راجع: أسد الغابة: ج ٢ ص ٢٤٨ الرقم ١٦٠٧ و ص ٢٤٩ الرقم ١٦١١.

(٧) راجع: تفسير الفخر الرازى: ج ٢٩ ص ٢٨٥، فتوح البلدان: ج ١ ص ٣٥ الرقم ١١٤.

(٨) راجع: الإصابة: ج ٢ ص ٣٧٦ الرقم ٢٥٦٨ و ص ٣٧٧ الرقم ٢٥٧١.

(٩). دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٣٠٦ ح ١١٥١.

ص: ٣٥٠

و فى الكافى: على بن إبراهيم، عن أبيه، أو قال مُحَمَّد بن يَحْيَى، عن أَحْمَد بن مُحَمَّد، عن ابن فَضَّالٍ، عن عبد الرّحمن، عن أبى عبد الله عليه السلام، قال:

«أَوْصَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: إِنَّ أَبَا نِزَرَ وَرَبَّاحاً وَجُبَيْراً عَتَقُوا عَلَى أَنْ يَعْمَلُوا فِي الْمَالِ خَمْسَ سِنِينَ.

«١»

رَبَّاحَ بَفَتْحِ الرَّاءِ، وَبَاءَ مُوحِدةً، وَبِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ، أَسْوَدَ نَوْبَى اشْتَرَاهُ مِنْ وَفْدِ عَبْدِ الْعَقِيلِ، فَأَعْتَقَهُ، وَكَانَ يَأْذَنُ عَلَيْهِ أحياناً إِذَا انفرد. «٢»

أبو نيزر

بكسر التّون، و سكون الياء المثناة التّحتائيّة، و فتح الزّاء المعجمة، بعدها راء مهملة، «٣» و هو الصّحيح، لاتفاق نسخ الوسائل و التّهذيب و الوافي في الوصيّة تلك، فما في المستدرک «أبو يثرب»، و ما في الدّعائم «أبو ببرز» تصحيف. و قد تقدّم في «ربّاح»، أنّ عليّاً عليه السلام أعتقه بشرط. «٤»

قال ابن حجر: يقال: إنّهُ ولد النّجاشيّ جاء و أسلم، و كان مع النّبيّ صلى الله عليه و آله في مؤنّته، ثمّ كان مع فاطمة، ثمّ مع ولدها، و كان يقوم بضيعتي عليّ اللّتين في البقيع، تُسمّى إحداهما البغيغة، و الأخرى عين أبي نيزر «٥»، و قد تقدّم كلام المُبرّد في الكامل.

و قال الحلبي في السّيرة: إنّ عليّاً رضي الله عنه وجد ابن النّجاشي عند تاجر بمكّة، فاشتراه منه، و أعتقه مكافأة لما صنع أبوه مع المسلمين، و كان يقال له: «نيزر»

(١). الكافي: ج ٦ ص ١٧٩ ح ١، بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٧١ ح ١.

(٢). تاريخ الخميس: ج ٢ ص ١٧٨.

(٣). الإصابة: ج ٧ ص ٣٤٣ الرقم ١٠٦٦٠، معجم البلدان: ج ٤ ص ١٧٥.

(٤). راجع: دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٣٠٦ ح ١١٥١، بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٧١ ح ١.

(٥). راجع: الإصابة: ج ٧ ص ٣٤٣ الرقم ١٠٦٦٠، وفاء الوفاء: ج ٤ ص ١٢٧٢.

ص: ٣٥١

مولى عليّ كرم الله وجهه، و يقال: إنّ الحَبَشَةَ لَمَّا بلغهم خبره أرسلوا وافداً، منهم إليه ليملكوه، و يُتَوَجَّوه و لم يختلفوا عليه، فأبى و قال: ما كنت أطلب الملك بعد أن منّ الله عليّ بالإسلام، و كان من أطول النّاس قامّة، و أحسنهم وجهاً. «١»

قال السّمهودي: و أبو نيزر مولى عليّ، الذي ينسب إليه العين، كان ابناً للنّجاشيّ، الذي هاجر إليه المسلمون، اشتراه عليّ، و أعتقه مكافأة لأبيه. «٢»

قال العلّامة السيّد الأمين: كلام المُبرّد دالّ على أنّه أسلم صغيراً على يدي النّبيّ صلى الله عليه و آله، فكان معه في مؤنّته، ثمّ مع فاطمة و ولدها. و كلام ابن إسحاق دالّ على أنّ عليّاً عليه السلام اشتراه و أعتقه، و جعله في الضّيعتين، و يمكن الجمع بأنّ عليّاً عليه السلام اشتراه من تاجر و هو صغير و أعتقه، ثمّ جاء به إلى النّبيّ صلى الله عليه و آله، فأسلم و بقي عند النّبيّ صلى الله عليه و آله إلى وفاته، فانتقل إلى بيت عليّ، فصار مع فاطمة و ولدها، ثمّ جعله في الضّيعتين. «٣»

بالجيم، ثُمَّ الباء، ثُمَّ الرَّاءُ المهملة، كما في نسخ الوسائل و الوافي و الكافي و البحار؛ و ما في الدعائم «حبر» تصحيف.
«٤»

لم أجد إلى الآن جُبَّراً في مواليه عليه السلام، و لا في موالى رسول الله صلى الله عليه و آله، إلّا في هذا الكتاب.

(١). وفاء الوفاء: ج ٤ ص ١٢٧١، و راجع: معجم البلدان: ج ٤ ص ١٧٥.

(٢). وفاء الوفاء: ج ٤ ص ١٢٧١.

(٣). أعيان الشيعة: ج ١ ص ٤٣٥.

(٤) راجع: الكافي: ج ٧ ص ٥١، تهذيب الأحكام: ج ٩ ص ١٤٨، بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٤٢ ح ١٩.

ص: ٣٥٢

أبو سمر بن أبرهة

و في التَّهْذِيبِ: «أبو سمر»، و في الوافي و الكافي و البحار، و قاموس الرِّجَالِ «أبو سمر» بالمهملة، و في الإِصَابَةِ: أبو سمر بن أبرهة - بالمعجمة - الحِمِيرِيُّ، وفد على النَّبِيِّ صلى الله عليه و آله، و قتل مع عليّ عليه السلام بصَفِّين «١»، و في كتاب صفِّين لنصر: عمر بن سعد قال: أبو يَحْيَى، عن الزُّهْرِيِّ، قال: و خرج في ذلك اليوم - يعنى اليوم الخامس من أَيَّام صفِّين - سمر بن أبرهة بن الصَّبَّاحِ الحِمِيرِيُّ فلحق بعليّ عليه السلام في ناس، من قُرَاءِ أَهْلِ الشَّامِ ففتّ ذلك في عضد معاوية و عمرو ... و قتل من أصحاب معاوية أكثر، و قتل فيهم تلك اللَّيْلَةَ سمر بن أبرهة. «٢»

[أقول: أَلَّذِي نقله نصر هو سمر بن أبرهة، و أَلَّذِي شهد في الكتاب هو أبو شمرة، و لكن في قاموس الرِّجَالِ، قال: أبو سمر بن أبرهة بن الصَّبَّاحِ الحِمِيرِيُّ]، قال: عدّه «جج» في «ي» قائلًا: و كان معه رجال أهل الشَّامِ بأمير المؤمنين عليه السلام يوم صفِّين. «٣»

فعلى هذا ما في كلام نصر من أنّ اسمه «سمر» تصحيف، فيحتمل أن يكون المذكور في الكتاب هو أبو سمر بن أبرهة، و لكنّه ذكر أيضاً: «أبو سمرة بن أبرهة»، قائلًا يظهر من الصدقات. جعل أمير المؤمنين له من شهود الوصيّة (قال بعد نقله عن التَّنْقِيح): أَلَّذِي وجدت أبو سمرة بن أبرهة.

و الصَّحِيح: هو أبو سمر بن أبرهة، كما في الإِصَابَةِ، و في هامش الكافي للعلامة الزَّنْجَانِي: الصُّوَابِ، سمر بالمعجمة، كما في التَّهْذِيبِ، و ترجم له في الإِصَابَةِ،

(١). الإِصَابَةِ: ج ٧ ص ١٧٥ الرقم ١٠١١٠ و راجع: أعيان الشيعة: ج ٧ ص ٣٥٠.

(٢). وقعة صفين: ص ٢٢٢ و ٣٦٩ و راجع: الغدير: ج ٩ ص ٥٠٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٥ ص ١٨٠.

(٣). قاموس الرجال: ج ١٠ ص ٩٨.

ص: ٣٥٣

و ورد ذكره في مقدمة الأنساب للسمعاني. «١»

سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ الْهَمْدَانِيُّ

أحد شهود الوصية على رواية التهذيب، هو من التابعين الكبار و رؤسائهم، و زهادهم، مدحه أمير المؤمنين عليه السلام في قصيدة يمدح بها همدان:

«يَقُودُهُمْ حَامِي الْحَقِيقَةِ مَاجِدٌ
سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ وَ الْكَرِيمُ يُحَامِي «٢»»

و كان سيّداً مطاعاً في همدان، و كان من أبطال أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام في صفين «٣»، و ما بعده و ذخائره، و إن كان غاب عنه في الجمل فأنبه الأمير عليه السلام حين دخل الكوفة، و دخل عليه سعيد بن قيس فسلم عليه، فقال له على عليه السلام:

«وَعَلَيْكَ وَإِنْ كُنْتَ مَعَ الْمُتَرْبِّصِينَ»

. فقال: حاش لله يا أمير المؤمنين، لست من أولئك.

قال:

«فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ»

«٤».

و جعله أمير المؤمنين عليه السلام على همدان و من معهم من حمير «٥»، و جعله من أمراء أسباع الكوفة.

و كان سعيد قبل ذلك في حرب نهاوند من الأبطال العظماء أشرف الكوفة،

(١) راجع: الإصابة: ج ٧ ص ١٧٥ الرقم ١٠١١٠، الأنساب: ج ١ ص ٢٩.

(٢). قاموس الرجال: ج ٥ ص ١١٤ الرقم ٣٢٤٨، تنقيح المقال: ج ٢ ص ٢٩، سفينة البحار: ج ٤ ص ١٥٧ (الهامش)، راجع: بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٤٩٧.

(٣). سفينة البحار: ج ٤ ص ١٥٧.

(٤). وقعة صفين: ص ٧.

(٥). وقعة صفين: ص ١١٧ و ٢٠٥، تنقيح المقال: ج ٢ ص ٣٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٤ ص ٢٧، الفتوح: ج ٣ ص ٢٥ وفيه: «على خيل الجناح سعيد بن قيس».

ص: ٣٥٤

و المبادرين إلى الجهاد «١»، و بعثه عثمان على الرّى، و كان بها حتّى قتل عثمان، و كان سعيد على همدان فعزل «٢»، ثمّ رجع سعيد بعد قتل عثمان فصار من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام و خواصّه، و أبطاله المحامين عن حوزته بأشدّ ما يمكن، و هو القائلُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام حين شكّا تَنَاقُلَ أَصْحَابِهِ فِي نُصْرَتِهِ: «و الله، لو أمرتنا بالسير إلى قسطنطينيّة و روميّة مُشاةً حُفَاءً على غير عطاء، و لا قوّة، ما خالفتك، و لا رَجُلٌ من قومي.

فقال عليه السلام:

«صَدَقْتُمْ جَزَاكُمُ اللَّهُ خَيْرًا»

«٣».

و هو القائل في علىّ عليه السلام يرتجز بصفّين:

هذا علىّ و ابن عمّ المُصطَفَى أوّل من أجابه فيما روى

هُوَ الإِمَامُ لَا يُبَالِي مَنْ غَوَى «٤» [و هو الخطيب بقناصيرين]، عن مالك بن قدامة الأرجى، قال: قام سعيد بن قيس يخطب أصحابه بقناصيرين، فقال: الحمد لله الذي هدانا لدينه، و أورثنا كتابه، و امتنّ علينا بنبيّه صلى الله عليه و آله فجعله رحمةً للعالمين، و سيّدًا للمسلمين، و قائداً للمؤمنين، و خاتم النبّيين، و حجّة الله العظيم على الماضين و الغابرين، و صلوات الله عليه و رحمة الله و بركاته.

ثمّ كان ممّا قضى الله و قدره- و الحمد لله على ما أحببنا و كرهنا- أن ضمّنا و عدوّنا بقناصيرين، فلا يُحمد بنا اليوم الحياص، و ليس هذا بأوان انصرافٍ، و لات حين مناص. و قد اختصّنا الله بنعمةٍ فلا نستطيع أداء شكرها، و لا تقدّر

(١) راجع: تاريخ الطبري: ج ٤ ص ١٢٨-١٢٩، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ١٨٢.

(٢) راجع: تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٣٣٠، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٢٧٣.

(٣). سفينة البحار: ج ٤ ص ١٥٧.

(٤). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٣ ص ٢٣٢.

ص: ٣٥٥

قدرها: أن أصحابَ مُحَمَّدٍ المصطَفِينَ الأخيارَ معنا، و في حيزنا.

فو الله الذي هو بالعباد بصير أن لو كان قائدنا حبشيًّا مجدعاً إلا أن معنا من البدرين سبعين رجلاً، لكان ينبغي لنا أن تحسنَ بصائرنا، و تطيبَ أنفسنا، فكيف و إنما رئيسنا ابنُ عمِّ نبينا، بدرى صدق، صلى صغيراً، و جاهد مع نبيكم كبيراً.

و معاوية طليقٌ من وثاق الإسارِ، و ابنُ طليق، إلا أنه أغوى جُفأةً فأوردَهم النارَ، و أوردَهم العارَ، و الله، محلُّ بهم الذلِّ و الصغار.

أ لا إنكم ستلقون عدوكم غداً، فعليكم بتقوى الله و الجدِّ و الحزم، و الصدق و الصبر؛ فإن الله مع الصَّابرين.

ألا إنكم تفوزون بقتلهم، و يشقون بقتلكم، و الله لا يقتلُ رجلٌ منكم رجلاً منهم أدخل الله القاتلَ جناتِ عدن، و أدخلَ المقتولَ ناراً تُلظَّى،

«لَا يَفْتَرُ عَنْهُمْ وَ هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ» «١»

عصمنا الله و إياكم بما عصم به أوليائه، و جعلنا و إياكم ممَّن أطاعه و اتَّقه، و أستغفر الله لنا و لكم و للمؤمنين.

ثم قال الشعبي: لعمري لقد صدق بفعله، و بما قاله في خطبته «٢».

و هو القاتل يوم الجمل، و كان في عسكر عليّ عليه السلام:

و كُسِرَتْ يَوْمَ الْوَعْيِ مُرَائِهَا

أَيُّهُ حَرْبٌ أَضْرَمَتْ نِيرَانُهَا

فَادَعُ بِهَا تَكْفِيكَهَا هَمْدَانُهَا

قُلْ لِلْوَصَى أَقْبَلَتْ قَحْطَانُهَا

هُمْ بَنُوها وَ هُمْ إِخْوَانُها «٣»

(١) الزخرف: ٧٥.

(٢). وقعة صفين: ص ٢٣٦، الغدير: ج ١٠ ص ٢٣٣ - ٢٣٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٥ ص ١٨٨، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٣٥٥.

(٣). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ١٤٤.

و هو المجيب لكلام أمير المؤمنين حين قال لهم:

«يا معشر همدان، أنتم درعى ورُمحى يا همدان، ما نصرتم إلا الله، ولا أجبتكم غيره»

. فقال سعيد بن قيس: أجبنا الله وأجبناك، و نصرنا نبي الله صلى الله عليه في قبره، و قاتلنا معك من ليس مثلك، فارم بنا حيث أحببت «١».

و هو الذى ينادى يوم صفين قومه، و يقول: يا معشر همدان، إن عكا قد بايعوا أنفسهم و أديانهم من معاوية بالدنيا، فبيعوا أنتم أنفسكم من أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه بالآخرة «٢».

و لسعيد بن قيس فى حرب صفين مشاهد عظيمة، و مواقف محمودة، حتى غم معاوية «٣»، و سر أمير المؤمنين عليه السلام حتى قال فيه و فى همدان قصيدة، يقول فيها:

«و لو كنت بواباً على باب جنة
لقلتُ لهمدان ادخلى بسلام» «٤»

أرسله على عليه السلام مع بشير بن عمرو الأنصارى، و شبت بن ربعى التميمى إلى معاوية ليدعوه إلى الله عز و جل و إلى الطاعة و الجماعة «٥»

(١). وقعة صفين: ص ٤٣٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ٨ ص ٧٨.

(٢). الفتوح: ج ٣ ص ٥٨.

(٣) راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ٨ ص ٦٩؛ وقعة صفين: ص ٤٢٧.

(٤). وقعة صفين: ص ٤٣٧ و راجع: الغدير: ج ١٠ ص ٤٢٦، مواقف الشيعة: ج ٢ ص ٤٢٦، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٤٤٨؛ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ٨ ص ٧٨، تاريخ الطبرى: ج ٤ ص ٥٧٣.

(٥). وقعة صفين: ص ١٨٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ٤ ص ١٤، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٣٦٥.

و راجع زيادة: وقعة صفين: ص ٢٥١ و ٢٧٥ و ٤٠٢ و ٤٣٧ و ٤٣٨ و ٥٤٧، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٤٥٣ و ٤٦٥ و ٤٧٥ و ٥٤٤؛ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ٥ ص ١٩٩ و ٢١٦ و ج ٨ ص ٥٧ و ٧١ و ٧٨ و ٧٩، مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٧٩ و ٣٨٢.

قال نصر: حدثنا عمر بن سعد قال: لما تعاظمت الأمور على معاوية - قبل قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب - دعا عمرو بن العاص، و بusr بن أوطاة، و عبيد الله بن عمر بن الخطاب، و عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فقال لهم: إنه قد غمّنى رجال من أصحاب عليّ، منهم سعيد بن قيس فى همدان، و الأشتر فى قومه، و المرقال و عدى بن حاتم و قيس بن سعد فى الأنصار، - ثمّ عيّن لكل منهم رجلاً من هؤلاء الفجار - فقال، فأنا أكفيكم سعيد بن قيس و قومه غداً ... فأصبح معاوية فى غده، فلم يدع فارساً إلّا حشده، ثمّ قصد لهما همدان بنفسه و تقدّم الخيل و هو يقول:

لا عيشَ إلّا فلقٌ قحفٍ الهام
من أرحبٍ و شاكِرٍ و شِيام

فطعن فى أعراس الخيل ملياً. ثمّ إنّ همدان تنادت بشعارها، و أقحم سعيد بن قيس فرسه على معاوية، و اشتدّ القتال، و حجز بينهم الليل؛ فذكرت همدان أنّ معاوية فاتها ركضاً.

و قال سعيد بن قيس فى ذلك:

يا لهفَ نفسى فاتنى معاويةُ
فوقَ طمرٍ كالعقابِ هاويةُ «١»

و مدحه معاوية فقال لأصحابه: و قد عبأت نفسى لسيدهم و شجاعهم سعيد بن قيس «٢».

و عابه عتبة بن أبى سفيان بقوله: و أمّا سعيد بن قيس فقلّد عليّاً دينه «٣».

[كان مع معاوية أربعة آلاف خُضريّة عليهم عبيد الله بن عمر]، كان مع علىّ عليه السلام

(١). وقعة صفين: ص ٤٢٦؛ و راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ٨ ص ٦٩، الفتوح: ج ٣ ص ٤٤.

(٢). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ٨ ص ٧٤.

(٣). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ٨ ص ٦١.

ص: ٢٥٨

أربعة آلاف مجفف «١» من همدان، مع سعيد بن قيس رجراًجة، و كان عليهم البيضُ و السلاح و الدروع. «٢»

[فلما تداعى الناس إلى الصلح بعد رفع المصاحف، و تكلم من الفريقين من تكلم كما تقدّم فتكلم سعيد] و قال:

يا أهل الشام، إنه قد كان بيننا و بينكم أمورٌ حامينا فيها على الدين و الدنيا، سمّيتموها غدرًا و سرفاً، و قد دعوتُمونا اليوم إلى ما قاتلناكم عليه بالأمس، و لم يكن ليرجع أهل العراق إلى عراقهم، و لا أهل الشام إلى شامهم، بأمر أجمل من أن يحكم بما أنزل الله، فالأمر فى أيدينا دونكم، و إلّا فنحن نحن و أنتم أنتم «٣».

[لم يكن سعيد كالأشتر و عديّ من المستبصرين في قضية التحكيم، و قال نصر: و أمّا سعيد بن قيس فتارةً هكذا، و تارةً هكذا، يعني قد لا يرى إلّا الحرب، و قد يرى المودعة، و لكنّه لمّا سمع كلام أمير المؤمنين عليه السلام] يقول:

«إِنَّمَا فَعَلْتُ مَا فَعَلْتُ لَمَّا بَدَأَ فِيكُمْ الْخَوَرُ وَالْفَسَلُ»

. فجمع سعيد بن قيس قومه، ثمّ جاء في رجاجة من همدان كأنّها ركنٌ حصير - يعني جبلاً باليمن - فيهم عبد الرحمن بن سعيد بن قيس، غلامٌ له ذؤابة، فقال سعيد: هأنذا و قومي، لا نرادك، و لا نردّ عليك، فمرنا بما شئت.

قال: أمّا لو كان هذا قبل رفع المصاحف لأزلّتهم عن عسكرهم أو تنفرد سالفتي قبل ذلك، و لكن انصرفوا راشدين؛ فلعمري ما كنت لأعرض قبيلةً واحدةً للناس. «٤»

(١) المجفف: لابس التجفاف، و أصله ما يوضع على الخيل من حديد و غيره.

(٢). وقعة صفين: ص ٤٥٣.

(٣). وقعة صفين: ص ٤٨٣، المعيار و الموازنة: ص ١٧٤.

(٤). وقعة صفين: ص ٥٢٠.

ص: ٣٥٩

كان سعيد بن قيس في خدمة الحرب بعد كتابة الصلح، فكان في الكوفة لمّا أغار سُفيان بن عوف على الأنبار بعثه علىّ عليه السلام في ثمانية آلاف. «١»

لمّا عزم أمير المؤمنين الرجوع إلى الشام ثانياً، و طلب من أصحابه التهيؤ و الاستعداد فقام حُجر بن عديّ، و سعيد بن قيس الهمدانيّ، فقالا: لا يسوؤك الله يا أمير المؤمنين، مرنا بأمرك نتبعه، فو الله ما نعظم جزعاً على أموالنا إن نفدت، و لا على عشائرنّا إن قتلت في طاعتك.

فقال:

«تَجَهَّزُوا لِلْمَسِيرِ إِلَى عَدُوِّنَا»

. «٢»

[و لمّا قال عليه السلام في جمع من رؤساء عسكره و رءوس القبائل]

«قال: يا أهل الكوفة أنتم إخواني وأنصاري، وأعواني على الحقّ، وصحابتي على جهادِ عدوّي المُحلّين بكم، أضربُ المُدبرَ وأرجو تمامَ طاعةِ المُقبل، وقد بعثتُ إلى أهلِ البصرة فاستنفرتهم إليكم، فلم يأتني منهم إلّا ثلاثة آلاف ومِئتا رجلٍ،

فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةِ جَلِيلَةٍ خَلِيَّةٍ مِنَ الْغَشِّ ... وَإِنِّي أَسْأَلُكُمْ أَنْ يَكْتُبَ لِي رَئِيسُ كُلِّ قَوْمٍ مَا فِي عَشِيرَتِهِ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ وَأَبْنَاءِ الْمُقَاتِلَةِ الَّذِينَ أَدْرَكُوا الْقِتَالَ، وَعِبْدَانِ عَشِيرَتِهِ وَمَوَالِيهِمْ، ثُمَّ يَرْفَعُ ذَلِكَ إِلَيْنَا»

. فقام سعيد بن قيس الهمداني، فقال: يا أمير المؤمنين سَمْعاً و طاعةً، و ودّاً و نصيحةً، أنا أوّل النَّاسِ جاء بما سألت، و بما طلبت. «٣»

ثمّ بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام كان سعيد بن قيس من شيعة الحسن عليه السلام و كان معه في تجهيزه العساكر إلى معاوية، و أوصى الحسن عليه السلام عُبيد الله بن عباس بمشاورة قيس بن سعد و سعيد بن قيس. «٤»

(١) راجع: الغارات: ج ٢ ص ٤٧٠ و ٤٨١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٨٨.

(٢). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٩٠.

(٣). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٧٩، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٠٢.

(٤) راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ٣٨ - ٤٠؛ و تنقيح المقال: ج ٢ ص ٢٩.

ص: ٣٦٠

بقى سعيد بن قيس حتّى ابتلى بالحجاج لعنه الله فأجبره من تزويج ابنته من رجلٍ ناصبي «١».

كان مقاتلاً شجاعاً و بطلاً، شهد الجمل «٢»، و صفين «٣». جعله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أميراً على همدان في الجمل «٤» و صفين «٥». و في سياق خطبة بليغة خطبها في جماعة من أصحابه، كشف حقيقة الجيشين جيّداً، و أظهر انقياده التام للإمام عليه السلام، «٦» و دلّ على عظمة جيش الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان فيه ثلّة من البدرين. ثمّ بيّن منزلة الإمام الرفيعة بكلام رائع، و فضح معاوية و أخزاه مشيراً إلى السّابقة السيئة له و لأسلافه «٧». و قد أصرح بطاعته المطلقة للإمام عليه السلام بعبارات حماسيّة في مواطن كثيرة. و كان الإمام عليه السلام يُثنى على ذلك الرّجل الزّاهد المقاتل. «٨»

أشخصه الإمام عليه السلام إلى الأنبار «٩» بعد معركة صفين لصدّ الغارات التي كان يشنّها

(١). مروج الذهب: ج ٣ ص ١٥٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٤ ص ٦١؛ راجع: تنقيح المقال: ج ٢ ص ٣٠.

(٢). الجمل: ص ٣١٩؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ١٤٤.

(٣). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٧٤، الفتوح: ج ٣ ص ٣١.

(٤). الجمل: ص ٣١٩.

(٥). وقعة صفين: ص ٢٠٥؛ تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٤٧، الفتوح: ج ٣ ص ٣١.

(٦). وقعة صفين: ص ٢٣٦ و ص ٤٣٧، الغارات: ج ٢ ص ٤٨١ و ص ٤٣٧، الأمل للطوسي: ص ١٧٤ ح ٢٩٣؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٧٩، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٠٢، الفتوح: ج ٣ ص ٣١.

(٧). وقعة صفين: ص ٢٣٦ و ٢٣٧.

(٨). المناقب لابن شهر آشوب: ج ٣ ص ١٧١، الديوان المنسوب إلى الإمام علي عليه السلام: ج ٥٧٢ ص ٤٣٢، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٤٩٧ وفيهما «منهم» بدل «ماجد».

(٩) الأنبار: مدينة صغيرة كانت عامرة أيام الساسانيين، و آثارها غرب بغداد على بُعد ستين كيلومتراً مشهودة.

و سبب تسميتها بالأنبار هو أنها كانت مركزاً لخزن الحنطة و الشعير و التبن للجيش، و إلا فإن الإيرانيين كانوا يسمونها «فيروز شاپور».

فُتحت على يد خالد بن الوليد عام (١٢ هـ) و قد اتخذها السَّقَّاح - أول خلفاء بني العباس - مقراً له مدّة من الزمان.

ص: ٣٤١

سُفْيَان بن عَوْف «١».

و ثبت سعيد على صراط الحقّ بعد أمير المؤمنين عليه السلام، فكان من أصحاب الإمام الحسن عليه السلام، و بعثه الإمام الحسن عليه السلام ليخلف قيس بن سعد في قيادة الحرب ضدّ معاوية. توفّي «٢» سعيد بن قيس حوالى سنة ٤١ هـ «٣».

هَيَّاج بن أَبِي الهَيَّاج

(هياج - لشداد - ق) و في رواية عبد الرزاق هَيَّاج بن أَبِي سُفْيَان.

قال في تنقيح المقال: هَيَّاج بن هَيَّاج، عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، و لم أقف على توثيقه في كلام أحد من أصحابنا، لكنّه ثقةٌ على الأقوى، لجعل أمير المؤمنين إِيَّاه من شهود وصيّته، المنقولة في باب صدقات النّبيّ صلى الله عليه و آله و فاطمة و الأئمّة عليهم السلام من وصايا الكافي بطريق صحيح ... «٤».

الثالث:

الأماكن المذكورة في هذه الكتب هي:

١. «اذينة»: بالألف المضمومة، ثمّ الذّال المعجمة المفتوحة، ثمّ الباء المثناة

(١). الغارات: ج ٢ ص ٤٧٠، تاريخ يعقوبى: ج ٢ ص ١٩٦؛ تاريخ الطبرى: ج ٥ ص ١٣٤، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ٢ ص ٨٨.

(٢). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ١٦ ص ٤٠، مقاتل الطالبين: ص ٧١.

(٣). تنقيح المقال: ج ٢ ص ٢٩ الرقم ٤٨٦٠.

(٤). تنقيح المقال: ج ٣ ص ٣٠٥، قاموس الرجال: ج ٩ ص ٣٧٣.

ص: ٣٦٢

من تحت، ثُمَّ النَّون (كما فى الكافى و التَّهذِيب و الوسائل) كجهنية، اسم وادٍ من أودية القبلية «١».

و الْقَبْلِيَّة (بفتحيتين و إليها تضاف معادن القبلية) هى من نواحي الْفُرْع «٢»، سراة بين المدينة و ينبع، ما سال منها إلى ينبع سَمَّى بالغور، و ما سال منها إلى أودية المدينة سَمَّى الْقَبْلِيَّة.

«تَبَدَّد» قال الياقوت: ثالثه مثل أوله مفتوح، و دال مهملة، اسم وادٍ من أودية الْقَبْلِيَّة، و هو المعروف بأذينة، و فيه عرض فيه النَّخْل من صَدَقَةِ رسول الله صلى الله عليه و آله، عن الزَّمْخَشَرِيِّ، عن السَّيِّدِ عَلَى الْعُلَوَّى «٣».

٢. «دِيمَة» كما فى الكافى أو «دعة» كما فى نسخة منه أو «ترعة» كما فى أخرى أو «ذعة»:

و لم أجد إلى الآن فى تفسير هذه المواضع شيئاً إلّا ما ذكره السُّمَّهَوْدِيُّ:

قال: و ذكر ابن شَبَّه فى صدقات علىّ رضى الله عنه وادياً يقال له «نزعة» بناحية فدك بين لابتى حرّة. «٤»

و فى الدَّعَائِم «برعة» و «برقة» و برعة مخالف بالطائف، و بُرْع جبل شيهامة «٥»

(١). معجم البلدان: ج ١ ص ١٣٣، تاج العروس: ج ١٨ ص ١٤.

(٢) الْفُرْع: من أعمال المدينة عن يسار السَّقْيَا على ثمانية بُرْد من المدينة، و بها منبر و نخل و مياه كثيرة، و هى قرية غَنَاء كبيرة، و أَجَلْ عيونها، عينان غزيرتان إحداهما: الرِّبْض و السَّقْيَا قرية عظيمة قريبة من البحر، على ميسرة يوم و ليلة، و قال المجد: هى على يومين من المدينة. (راجع: وفاء الوفاء: ج ٢ ص ١٢٣٤ و ١٢٨١، معجم البلدان: ج ٣ ص ٢٢٨ و ج ٤ ص ٢٥٢، ملحقات إحقاق الحق: ج ٨ ص ٥٩١.

(٣). معجم البلدان: ج ٢ ص ٦٥.

(٤). وفاء الوفاء: ج ٤ ص ١١٦١، ملحقات إحقاق الحق: ج ٤ ص ٥٩٠.

(٥). دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٣٤٢؛ قاموس المحيط: ج ٣ ص ٤، معجم البلدان: ج ١ ص ٣٨٥.

ص: ٣٤٣

و «بُرْقَة» بالضّم، و روى بالفتح من صدقات النّبيّ صلى الله عليه وآله «١». و الظّاهر أنّ الصّحيح هو «ترعة» كما تقدّم.
٣. «يُنْبُع»: بالفتح، ثمّ السّكون، و ضمّ الموحدة، و إهمال العين مضارع- نبع الماء، أى ظهر من نواحي المدينة على أربعة أيّام، و إنّما أحرزت عنها فى الأعصر الأخيرة، سميت به لكثرة ينابيعها، قال بعضهم: عددت بها مائة و سبعين عيناً.
و لمّا أشرف عليها علىّ رضى الله عنه و نظر إلى جبالها، قال: لقد وضعت علىّ نقيّ من الماء عظيم، و سكانها جهينة، و بنو ليث، و الأنصار، و هى اليوم لبنى حسن العلويّين. «٢»

و روى ابن شبة: أنّ عمر بن الخطّاب أقطع عليّاً يَنْبُع، ثمّ اشترى علىّ إلى قطيعة عمر شيئاً، و فيها عيون عذاب غزيرة «٣»
و روى أيضاً عن كشد بن مالك الجهنّي، قال: ... فلمّا أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله يَنْبُع أقطعها لكشد، فقال: إنّي كبير و لكن أقطعها لابن أخى فأقطعها له، فابتاعها منه عبد الرّحمن بن سعد الأنصارى بثلاثين ألف درهم، فخرج عبد الرّحمن إليها و أصابه صافيتها و ربحها فقدرها، و أقبل راجعاً فلقى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه دون يَنْبُع، فقال:

«من أين جئت؟»

(١). وفاء الوفاء: ج ٤ ص ١١٤٧ و راجع: فتوح البلدان: ص ٢٧.

(٢). وفاء الوفاء: ج ٤ ص ١٣٣٤ و راجع: معجم البلدان: ج ٥ ص ٤٤٩، النهاية لابن أثير: ج ٤٦٦١، تاج العروس:

ج ١١ ص ٤٦٦، لسان العرب: ج ٨ ص ٣٤٥، لغتنامه دهخدا: ج ١٣ ص ١٩٧٢٢.

(٣). وفاء الوفاء: ج ٤ ص ١٣٣٤، و راجع: السنن الكبرى للبيهقي: ج ٦ ص ٢٦٥ ح ١١٨٩٧، فتوح البلدان: ص ٢٣، معجم البلدان: ج ٥ ص ٤٥٠.

ص: ٣٤٤

فقال: من يَنْبُع، و قد سئمتها فهل لك أن تبتاعها؟ قال علىّ:

«قد أخذتها بالثمن».

قال هى لك، فكان أوّل شيء عمّله علىّ فيها البغيعة «١».

و عن عمّار بن ياسر، قال: اقطع النّبيّ صلى الله عليه وآله عليّاً بذي العشيرة من يَنْبُع، ثمّ أقطعه عمر بعد ما استخلف قطيعة، و اشترى علىّ إليها قطيعة، و كانت أموال علىّ يَنْبُع عيوناً متفرقة تصدّق بها «٢».

و روى أحمد بن الضَّحَّاك أنَّ أبا فضالة خرج عائداً لعلَّيَّ بَيْنُوعَ و كان مريضاً، فقال له: ما يسكنك هذا المنزل؟ لو هلكت لم يَلِكْ إلَّا الأعرابُ أعرابُ جُهينة، فاحتمِلْ إلى المَدِينَةِ فَإِنْ أَصَابَكَ قَدْرٌ وَلَيْكَ أَصْحَابُكَ، فقال علىّ عليه السلام:

«إِنِّي لَسْتُ بِمَيِّتٍ مِنْ وَجَعِي هَذَا، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ عَهْدَ إِلَىَّ أَلَّا أَمُوتَ حَتَّى أُضْرَبَ، ثُمَّ تُخَضَّبُ هَذِهِ - يَعْنِي لِحْيَتَهُ - مِنْ هَذِهِ، يَعْنِي هَامَتُهُ.

«٣» قال ياقوت: هي عن يمين رَضوى لمن كان منحدراً من المدينة إلى البحر، على ليلة من رَضوى، من المدينة على سبع مراحل، و هي لبنى حسن بن علىّ، و كان يسكنها الأنصار، و جُهينة، و ليث، و فيها عيون عذاب غزيرة، و واديهما لها يَلِيل، و بها مَنِير، و هي قرية غَنَاء و واديهما يَصْبُ في غَيْقَةٍ، و قال غيره: يَنْبُع حِصْن به نخيل و ماء و زرع، و بها وَقُوف لعلَّيَّ بن أبى طالب رضى الله عنه يتولَّاهما ولده «٤»

(١). وفاء الوفاء: ج ٤ ص ١٣٣٤.

(٢). وفاء الوفاء: ج ٤ ص ١٣٣٤، ملحقات إحقاق الحق: ج ٨ ص ٥٨٨.

(٣). وفاء الوفاء: ج ٤ ص ١٣٣٥؛ الغارات: ج ٢ ص ٧٠١.

(٤). معجم البلدان: ج ٥ ص ٤٥٠، و راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ١٣ ص ٢٩٦؛ تكملة منهاج البراعة: ج ٨٨ ص ٣٧٤.

ص: ٢٦٥

و قال ابن دُرَيْد: يَنْبُع بَيْنَ مَكَّةَ وَ المَدِينَةِ، و قال غيره: يَنْبُع مِنْ أَرْضِ تَهَامَةٍ غَزَاهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، فلم يَلْقَ كَيْدًا، و هي قَرْيَةٌ مِنْ طَرِيقِ الْحَاجِّ الشَّامِيِّ «١».

قال ابن شَبَّة: فيما نقل في صدقاته: و كانت أمواله متفرقة بَيْنُوعَ، و منها عَيْنٌ يُقال لها: عَيْنُ الْبَحِير، و عَيْنٌ يُقال لها: عَيْنُ أَبِي نَيْرِز، و عَيْنٌ يُقال لها: نَوْلا، و هي أَلْتى يُقال: إِنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَمِلَ فِيهَا بِيَدِهِ، و فيها مسجد النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، و هو متوجّه إلى ذى العَشِيرَةِ، و عمل علىّ أَيْضًا بَيْنُوعَ الْبَغِيغَات.

و فى كتاب صدقته:

«أَنَّ مَا كَانَ لِي بِبَيْنُوعَ مِنْ مَاءٍ يُعْرَفُ لِي فِيهَا وَمَا حَوْلَهُ صَدَقَةٌ وَقَفْتُهَا، غَيْرَ أَنَّ رَبَاحًا وَأَبَا نَيْرِزَ وَجُبَيْرًا أَعْتَقْنَاهُمْ، وَهُمْ يَعْمَلُونَ فِي الْمَاءِ خَمْسَ حِجَجٍ، وَفِيهِ نَفَقَتُهُمْ وَرِزْقُهُمْ،

انتهى. «٢»

و فى المناقب أخرج: مائة عين ينبع جعلها للحجيج «٣».

و عن أيوب بن عطية الحدّاء، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«قَسَمَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ الْفَيْءَ فَأَصَابَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرْضًا، فَاحْتَفَرَ فِيهَا عَيْنًا، فَخَرَجَ مَاءٌ يَنْبُعُ فِي السَّمَاءِ كَهَيْئَةِ عُنُقِ الْبَعِيرِ فَسَمَّاها يَنْبُعُ، فَجَاءَ الْبَشِيرُ يُبَشِّرُ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بَشِّرِ الْوَارِثَ، هِيَ صَدَقَةٌ بَتَّةً بَتْلًا فِي حَجِيجِ بَيْتِ اللَّهِ، وَعَابِرِي سَبِيلِ اللَّهِ، لَا تُبَاعُ، وَلَا تُوهَبُ، وَلَا تُورَثُ ...

الحديث «٤»

(١). معجم البلدان: ج ٥ ص ٤٥٠، و راجع: نهاية الإرب للقلقشندي: ص ١٧، تكملة منهاج البراعة: ج ١٨ ص ٣٧٥.

(٢). وفاء الوفاء: ج ٤ ص ١٢٧١.

(٣). المناقب لابن شهر آشوب: ج ٢ ص ١٢٣، الغارات: ج ٢ ص ٧٠١ نحوه، بحار الأنوار: ج ٤١ ص ٣٢ ح ٣.

(٤). الكافي: ج ٧ ص ٥٤ ح ٩، دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٣٤١ ح ١٢٨٣، بحار الأنوار: ج ٤١ ص ٣٩ ح ١٨. و في ذخائر العقبى: إنَّ عمر أقطع عليًّا ينبع، ثُمَّ اشترى على أرضاً إلى جنب قطعه فحفر فيها عيناً، فبينما هم يعملون فيها، إذا انفجر عليهم مثل عُنُقِ الْجَزُورِ مِنَ الْمَاءِ، فَأَتَى عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَبَشَّرَ بِذَلِكَ، فَقَالَ: «بَشِّرُوا الْوَارِثَ»، ثُمَّ تَصَدَّقَ بِهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ وَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِيَوْمٍ تَبْيِضُ فِيهِ وَجُوهٌ وَ تَسْوَدُ فِيهِ وَجُوهٌ، لِيَصْرَفَ اللَّهُ بِهِ وَجْهِي عَنِ النَّارِ وَ يَصْرَفَ النَّارَ عَنِّي وَجْهِي. أَخْرَجَهُ ابْنُ السَّمَانَ فِي مَوْقِفِهِ.

ص: ٢٦٦

٤. «الْبَغْيِيَّةُ»: (مَصْغَرُ الْبُغْيِ كَقَنْفَذِ الْبُتْرِ الْقَرِيبَةِ الرَّشَاءِ - ق) ضِيْعَةٌ بِالْمَدِينَةِ، أَوْ عَيْنٌ غَزِيرَةٌ كَثِيرَةُ النَّخْلِ لآلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ. «١»

روى ابن شبة: أَنَّ يَنْبُعَ لَمَّا صَارَتْ لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ عَمِلَ فِيهَا الْبَغْيِيَّةُ، وَ أَنَّهُ لَمَّا بَشَّرَ بِهَا حِينَ صَارَتْ لَهُ قَالَ:

«تَسْرُ الْوَارِثُ»

، ثُمَّ قَالَ:

«هِيَ صَدَقَةٌ عَلَى الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ وَ ذَوِي الْحَاجَةِ الْأَقْرَبِ»

«٢».

و في رواية الواقدي: أَنَّ جَدَّاهَا بَلَغَ لِي زَمَنٍ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَلْفَ وَسْقٍ «٣».

و قال محمد بن يحيى: عمل على يئبع البغيغات، و هي عيون؛ منها عين يقال لها: خيف الأراك، و منها عين يقال لها: خيف ليلي، و منها عين يقال لها: خيف بسطاس، قال: و كانت البغيغات ممّا عمل على و تصدّق به، فلم يزل في صدقاته حتّى أعطاها حسين بن عليّ، عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، يأكل ثمرها، و يستعين بها على دينه و مئونه، على ألا يزوّج ابنته من يزيد بن معاوية، فباع عبد الله تلك العيون من معاوية، ثمّ قبضت حين ملك بنو هاشم الصّوافي، فكلم فيها عبد الله بن حسن بن حسن أبا العباس، و هو خليفة فردّها في صدقة عليّ، فأقامت في صدقته حتّى قبضها أبو جعفر في خلافته، و كلم فيها الحسن بن زيد المهديّ حين استخلف، و أخبره خبرها، فردّها مع صدقات عليّ «٤».

قال ياقوت: قال محمد بن يزيد في كتاب الكامل روي أنّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه لمّا أوصى إلى ابنه الحسن في وقف أمواله، و أن يجعل فيها ثلاثة من مواليه وقف فيها عين أبي نيزر و البغيغة، قال: و هذا غلط، لأنّ وقفه هذين الموضعين كان

(١). القاموس المحيط: ج ٣ ص ١٠٣، لسان العرب: ج ٨ ص ٤١٩، وفاء الوفاء: ج ١ ص ٤٦٩.

(٢). وفاء الوفاء: ج ٤ ص ١١٥٠، ملحقات إحقاق الحق: ج ٨ ص ٥٨٤ نحوه.

(٣). وفاء الوفاء: ج ٤ ص ١١٥٠؛ ملحقات إحقاق الحق: ج ٨ ص ٥٨٤.

(٤). وفاء الوفاء: ج ٤ ص ١١٥١، و راجع: ملحقات إحقاق الحق: ج ٨ ص ٥٨٤.

ص: ٣٦٧

لسنتين من خلافته «١».

[أقول: وقف عليّ عليه السلام البغيغة و عين أبي نيزر كان في أوّل ما ملك يئبع، و كان ذلك في نهاية زمن الخليفة الأوّل أو الثّاني، و وقفه لسائر ما يملكه من الضّيعه و البساتين كان قبيل شهادته عليه السلام بمسكن.

أمّا كون وقفه في زمان الخليفة الثّاني، لما في النّقل من أنّه جاء و طلب الطّعام من أبي نيزر، ثمّ دخل و شرع في الحفر، و لما تقدّم من أنّه عليه السلام أوّل ما عمل البغيغة، و وقفه بعد العمل، فلا مجال لتوهم كونه لسنتين من خلافته، و قول أبي نيزر له: «يا أمير المؤمنين»، دالّا على كونه في زمان خلافته مدفوع، بأنّ أبا نيزر هو شيعته و مولاه، و هو يعرف أنّه أمير المؤمنين بنصّ النّبيّ صلى الله عليه و آله من الله تعالى].

قال العلّامة الأمين في أعيان الشّيعه: إنّ المبرّد صرح بأنّ وقف عليّ عليه السلام الضّيعتين كان لسنتين من خلافته، و خطاب أبي نيزر بقوله: طعام لا أرضاه لأمير المؤمنين، و قوله في كتاب الوقف:

«هذا ما تصدّق به عبد الله عليّ أمير المؤمنين»

دالّ على أنّ ذلك في زمن خلافته، و ما ذكره من أنّ وقفه للضيعتين كان لمّا جاء أبا نيزر، و هو يقوم بهما، و ضرب في العين بالمعول فانتالت كأنّها عُتق بعير، دالّ على أنّ ذلك كان و علىّ بالحجاز، مع أنّه بعد أن ذهب إلى العراق و اتّخذ الكوفة مسكناً لم يذكر أحد أنّه رجع إلى الحجاز، و متى كان يمكنه أن يرجع و هو قد ذهب للعراق لحرب أصحاب الجمل، و بعد فراغه اشتغل بحرب صفّين، و بعده بحرب الخوارج، ثمّ استشهد فلم تكن له فرصة لأن يذهب للحجاز، و ليس

(١). معجم البلدان: ج ١ ص ٤٦٩، و راجع: وفاء الوفاء: ج ٤ ص ١١٥٠ - ١١٥١، ملحقات إحقاق الحقّ: ج ٨ ص ٥٨٥.

ص: ٣٤٨

هناك أمر مهمّ يدعوه للذهاب. «١»

[و أمّا أنّ وقف سائر أمواله كان في مسكن، فيتصرّحه في الكتاب بذلك].

٥. «وادي القرى»: واد كثير القرى، بين المدينة و الشام، و قال الحافظ بن حجر: هي مدينة قديمة بين المدينة و الشام [و على سبع ليال من المدينة، أو ستّ من أعمال المدينة].

قال أبو المنذر: سمّي وادي القرى؛ لأنّ الوادي كان من أوّله إلى آخره قرى منظمة، و كانت من أعمال البلاد و آثار القرى إلى الآن بها ظاهرة، إلّا أنّها في وقتنا هذا كلّها خراب، و مياهاها جارية تتدفق ضائقة، لا ينتفع بها أحد «٢».

٦. «الفُقَيْرَيْن»: عن جعفر بن محمد، قال: «أقطع النّبىّ صلى الله عليه و آله عليّا أربع أرضين:

الفقران «٣»، و بئر قيس، و الشجرة، و أقطع عمر يَنْبُع، و أضاف إليها غيرها «٤».

الفَقِير ضدّ الغنى، اسم موضعين قرب المدينة، يقال لهما: الفقيران «٥»، و عن جعفر الصّادق رضى الله عنه:

«أنّ النّبىّ صلى الله عليه و آله أقطع عليّاً ...

و بعالية المدينة حديقة تعرف بالفَقِير بالضمّ تصغير الفَقِير بالفتح.

و نقل ابن شُبّة في صدّقة علىّ رضى الله عنه أنّ منها الفُقَيْرَيْن بالعالية، و أنّه ذكر أنّ حسناً

(١). أعيان الشيعة: ج ١ ص ٤٣٤ (و له رحمه الله تحقيق حول هذا الكتاب فراجع، و قد ذكر قسماً منه فيما تقدّم بما بما يرتبط بالمقام.

(٢) راجع: وفاء الوفاء: ج ٤ ص ١٣٢٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ص ١٥ ص ٦٦؛ الغارات: ج ٢ ص ٥١٣.

(٣) هكذا في المصدر، و الظاهر أنّها «الفقيرين».

(٤). معجم البلدان: ج ٥ ص ٤٥٠، فتوح البلدان: ص ٢٢؛ تكملة منهاج البراعة: ج ١٨ ص ٣٧٥.

(٥) هكذا في المصدر، و الظاهر أنها «الفقيرين».

ص: ٣٦٩

أو حُسِيناً باع ذلك، فتلك الأموال متفرقة في أيدي الناس، ثم حكى كتاب الصدقة نصاً، و لفظه:

«والفقير لى كما قد علمتم صدقة في سبيل الله»

. ثم ذكر تسويغ البيع لكل من الحسن و الحسين دون غيرهما، و سبق في الصدقات بمكاتبة سلمان سيده القرظى على أن يُحْيى له ذلك النخل بالفقير، فالظاهر: أنه المعروف اليوم بالفقير قرب بنى قريظة، و إن كان أصله مكثراً فقد صغروه كما صغروا الشجرة فيقولون فيها «الشجيرة» «١».

و كان الفقير لعلى بن أبى طالب ... و هى فى وسط العوالى، و فيها نخيل كثير، أكثر من هذا القدر، و فيها العنب، و الرمان، و اللّيمون الحلو و الحامض، و الزهر و الفل (القول) بقرب البئر، و فى البئر ماء عذب طيب، و عندها النخلة التى غرسها النبى صلى الله عليه و آله بيده المباركة الشريفة، فأثمرت فى تلك السنة، و غرس عمر بن الخطاب واحد ودى فقلعها النبى صلى الله عليه و آله و غرسها بيده ... «٢».

قال السّمهودى: الفقير اسم الحديقة بالعالية، قرب بنى قريظة، و قد خفى ذلك على بعضهم، فقال: كما نقله ابن سيّد الناس: قوله «بالفقير» الوجه إنما هو بالعفير، انتهى.

و الصواب إنّه اسم لموضع، و ليس هو من صدقات النبى صلى الله عليه و آله، فقد ذكر ابن شبة فى كتاب صدقة على بن أبى طالب رضى الله عنه الذى كان بيد الحسن بن زيد ما لفظه:

(١). وفاء الوفاء: ج ٤ ص ١٢٨٢ و راجع: ملحقات إحقاق الحق: ج ٨ ص ٥٩٠.

(٢). عمدة الأخبار: ص ٣٩٠.

ص: ٣٧٠

«والفقير لى كما قد علمتم صدقة في سبيل الله»

، لكنّه سمّاه قبل ذلك فى أخبار صدقاته بالفُقيرين، مُتَنّى، فقال: و كان لى صدقات بالمدينة، الفُقيرين بالعالية، و بئر الملك بقناة، فالظاهر أنّه يسمّى. بكلّ من اسمين، و أهل المدينة اليوم ينطقون به مفرداً بضم الفاء تصغير الفقير ضدّ الغنى «١».

[أقول الذى ذكرته كتب الأماكن و البقاع هو الفقير، و الفُقيرين، كما فى الكافى، و نقل فى البحار عنه، و لكن فى التهذيب «القصرية»، و فى الوسائل عنه «القصيرتين»، و فى روضة المتقين «الفيزتين»، و فى تكملة المنهاج عن مرآة العقول

«العفريتين»، و عن بعض النسخ «الفقرتين»، و لم أتُحقق هذه كلها، و أظنها تصحيفاً من النسخ، كما قال العلامة المجلسي رحمه الله في البحار:

الظاهر أن أكثر هذه الأسماء ممّا صحّفه النسخ «٢» و إن قاله في أسماء صدقات النبي صلى الله عليه و آله، و لكنّه جار هنا أيضاً.

و على كلّ حال هذه من صدقة عليّ عليه السلام حول المدينة المشرفة، و قد ذكروا له عليه السلام صدقات حول المدينة المكرّمة غير هذه و هي:

١. «سويقة»: تصغير ساق ... قال المجد: هي موضع قرب المدينة يسكنه آل عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه، و كان محمّد بن صالح بن عبد الله بن موسى الحسنى خرج على المتوكّل، فأنفذ إليه أبا السّاج في جيش ضخم، فظفر به و بجماعة من أهله فأخذهم، و قيّدهم، و قتل بعضهم، و أخرب سويقة، و عقر بها نخلاً كثيراً، و خرّب منازلهم، و ما أفلحت سويقة بعد ذلك، و كانت من جملة صدقات عليّ بن أبي طالب ...

(١). وفاء الوفاء: ج ٣ ص ٩٩٢، مراد الاطلاع: ج ٣ ص ١٠٣٨.

(٢). بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٢٩٥.

ص: ٣٧١

و سويقة أيضاً: جبيل بين ينّوع و المدينة، نقله ياقوت عن ابن السكّيت، و تعرف اليوم بالسويق منازل بنى إبراهيم أخى النفس الزكيّة ... و جوّ سويقة من نواحي المدينة لآل عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه «١».

و فى شرح ابن أبي الحديد: «سويقة» بالعين بدل القاف، و هو تصحيف «٢».

٢. «بئر الملك»: نقل ابن شبة: إنّ عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه كان من صدقاته بالمدينة بئر الملك بقناة «٣»، و قناة وادٍ من أودية المدينة المشرفة «٤».

٣. «بئر قيس»: و قد تقدّم أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله أقطع لعليّ عليه السلام «أربع أرضين:

الفقيران، و بئر قيس» «٥».

٤. «الشجرة»: و قد تقدّم أنّ النبي صلى الله عليه و آله أقطع عليّاً عليه السلام أربع أرضين. الفقيران و بئر قيس و الشجرة.

و الشجرة كما ذكره السّمهودي: بلفظ واحدة، الشجر يضاف إليها مسجد ذى الحليفة، و هي سمرّة كان النبي صلى الله عليه و آله ينزل تحتها هناك فعرف الموضع بها، و الشجرة أيضاً: مال فيه أطم «٦» لبنى قريظة؛ و لعلّه المعروف اليوم هناك بالشجيرة مصغراً «٧»

(١). وفاء الوفاء: ج ٤ ص ١٢٣٩، معجم البلدان: ج ٣ ص ٢٨٧ راجع: مقاتل الطالبين: ص ٣٧٤ - ٤٨٠، القاموس المحيط: ج ٣ ص ٢٤٧، تاج العروس: ج ١٣ ص ٢٢٩، ملحقات إحقاق الحق: ج ٨ ص ٥٨٨.

(٢) راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ١٤٦.

(٣). وفاء الوفاء: ج ٤ ص ١١٤٤.

(٤). وفاء الوفاء: ج ٣ ص ١٠٧٤.

(٥). وفاء الوفاء: ج ٤ ص ١٢٨٢.

(٦) الاطم - بالضم - : حصنٌ مَبْنِيٌّ بحجارة (لسان العرب: ج ١٢ ص ١٩).

(٧). وفاء الوفاء: ج ٤ ص ١٢٤٢ و ١٢٨٢.

ص: ٣٧٢

و يعرف بمسجد ذى الحليفة «١»، و قال العزّ بن جماعة: و بذى الحليفة البئرُ الَّتِي تسمِّيها العوام بئرَ عليٍّ، و ينسبونها إلى عليٍّ بن أبي طالب رضى الله عنه، لظنّهم أَنَّهُ قاتلُ الجنِّ بها، و هو كذب، و نسبتها إليه غير معروفة عند أهل العلم «٢».

٥. «حرّة الرّجلى»: بديار بنى القين ... و قال ابن شَبّة في صدقات عليٍّ: و له بحرّة الرّجلاء من ناحية شعب زيد وادٍ يُدعى الأحمر، شطره فى الصّدقة و شطره بأيدى آل مناع، و بنى عدىّ منحة من عليٍّ أو له أيضاً بحرّة الرّجلى، وادٍ يقال له:

«البيضاء» «٣»، فيه مزارع و عفا، و هو فى الصّدقة، ثمّ قال: و له بناحية فدك بأعلى حرّة الرّجلى ما يقال له: «القصبية» «٤».

٦. «مَسْكِن»: بالفتح ثمّ السُّكون و كسر الكاف و نون ... هو موضع قريب من أوّانا على نهر دُجيل عند دير الجاثليق، فيها لاقى عساكر الحسن عليه السلام مع معاوية، و وقع الحرب بين عبد الملك و مُصعب بن الزُّبَيْر «٥».

الرابع:

فى نقل الكافى جملة لا يتّضح معناها و هى:

«إِنَّ مَالَ مُحَمَّدَ بْنِ عَلِيٍّ عَلَى نَاحِيَتِهِ، وَهُوَ إِلَى ابْنِى فَاطِمَةَ»

«٦».

و الجملة مجملة فيها تحريف، و فى الدّعائم:

«وإنَّ مالَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله إلى بنى فاطمة،

(١). وفاء الوفاء: ج ٤ ص ١١٩٣ و ١١٩٥.

(٢). وفاء الوفاء: ج ٤ ص ١١٩٥.

(٣). وفاء الوفاء: ج ٤ ص ١١٨٦، معجم البلدان: ج ١ ص ٥٣٠.

(٤). وفاء الوفاء: ج ٤ ص ١١٨٦.

(٥). معجم البلدان: ج ٥ ص ١٢٧ و راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ٤٠.

(٦). الكافي: ج ٧ ص ٥٠ ح ٧، بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٤١ ح ١٩.

ص: ٣٧٣

وكذلك مال فاطمة إلى بينها»

، و الظاهر صحّة نقل الدّعائم، و فيها إشارتان:

الأولى: إلى صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله الحوائط الثانية إلى صدقاتها، و جعل أمرها إلى الحسين صلوات الله عليه أجمعين، و لا بأس بنقلها بنصّها، و اللفظ للكافي:

مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الثَّانِي عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنِ الْخِطِّانِ السَّبْعَةِ الَّتِي كَانَتْ مِيرَاثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، فَقَالَ:

«لَا إِنَّمَا كَانَتْ وَقْفًا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَأْخُذُ إِلَيْهِ مِنْهَا مَا يُنْفِقُ عَلَى أَضْيَافِهِ، وَالتَّابِعَةُ يَلْزَمُهُ فِيهَا، فَلَمَّا قُبِضَ جَاءَ الْعَبَّاسُ يُخَاصِمُ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ فِيهَا فَشَهِدَ عَلَىَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَغَيْرُهُ أَنَّهَا وَقَفٌ عَلَى فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، وَهِيَ الدَّلَالُ، وَالْعَوَافُ، وَالْحُسْنَى، وَالصَّافِيَةُ، وَمَا لِمَ إِبْرَاهِيمَ، وَالْمَيْثَبُ وَالْبُرْقَةُ.

«١» عَلَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجْرَانَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ، عَنْ أَبِي بصير، قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«أَلَا أَقْرَأُكَ وَصِيَّةَ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ؟»

قَالَ: قُلْتُ: بَلَى.

قَالَ: فَأَخْرَجَ حَقًّا أَوْ سَفْطًا، فَأَخْرَجَ مِنْهُ كِتَابًا فَقَرَأَهُ؛

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا مَا أُوصِتَ بِهِ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أُوصِتَتْ بِحَوَائِطِهَا السَّبْعَةِ الْعَوَافِ وَالْذَّلَالِ، وَالْبُرْقَةِ، وَالْمَيْثَبِ، وَالْحُسْنَى، وَالصَّافِيَةِ، وَمَا لَامَ إِبْرَاهِيمَ، إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنْ مَضَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى الْحَسَنِ، فَإِنْ مَضَى الْحَسَنُ إِلَى الْحُسَيْنِ، فَإِنْ مَضَى الْحُسَيْنُ إِلَى الْأَكْبَرِ مِنْ وَلَدِي؛ شَهِدَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ، وَالْمِقْدَادَيْنِ الْأَسْوَدَ، وَالزُّبَيْرَيْنِ الْعَوَامَ، وَكَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. «٢»

(١) راجع: الكافي: ج ٧ ص ٤٧ ح ١.

(٢). الكافي: ج ٧ ص ٤٨ ح ٥، تهذيب الأحكام: ج ٩ ص ١٤٤ ح ٦٠٣، من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٢٤٤ ح ٥٥٧٨، دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٣٤٣ ح ١٢٨٦، كشف الغمّة: ج ٢ ص ١٢٥ نحوه اختصاراً، بحار الأنوار:

ج ٤٣ ص ١٨٥ ح ١٨.

ص: ٣٧٤

و لها صلوات الله عليها و على أبيها و بعلمها و بنيتها وصيّة أخرى، أخرى بالذكر هنا و هي:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا مَا كَتَبَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي مَالِهَا، إِنْ حَدَثَ بِهَا حَادِثٌ تَصَدَّقَتْ بِشَمانينَ أُوقِيَّةً تُنْفَقُ عَنْهَا، مِنْ ثِمَارِهَا أَلْتَى لَهَا كُلُّ عَامٍ فِي كُلِّ رَجَبٍ بَعْدَ نَفَقَةِ السَّقَى وَنَفَقَةِ الْمَغْلِ «١»، وَأَنَّهَا أَنْفَقَتْ أَثْمَارَهَا الْعَامَ، وَأَثْمَارَ الْقَمْحِ عَاماً قَابِلاً فِي أَوَانٍ غَلَّتْهَا، وَإِنَّهَا أَمَرَتْ لِنِسَاءِ مُحَمَّدٍ أَبِيهَا خَمْساً وَأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، وَأَمَرَتْ لِفُقَرَاءِ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِخَمْسِينَ أُوقِيَّةً.

وَكَتَبَتْ فِي أَصْلِ مَالِهَا فِي الْمَدِينَةِ: أَنَّ عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَهَا أَنْ تُؤَلِّيَهُ مَالَهَا، فَيَجْمَعُ مَالَهَا إِلَى مَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَلَا تَفْرُقْ، وَتُؤَلِّيَهُ مَا دَامَ حَيّاً، فَإِذَا حَدَثَ بِهِ حَادِثٌ دَفَعَهُ إِلَى ابْنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ فَيُؤَلِّيَانِهِ.

وَأَنِّي دَفَعْتُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَى أَنِّي أَحْلَلُهُ فِيهِ، فَيَدْفَعُ مَالِي وَمَالَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَا يُفَرِّقُ مِنْهُ شَيْئاً، يَقْضِي عَنِّي مِنْ أَثْمَارِ الْمَالِ، مَا أَمَرْتُ بِهِ وَمَا تَصَدَّقْتُ بِهِ، فَإِذَا قَضَى اللَّهُ صَدَقَتَهَا، وَمَا أَمَرْتُ بِهِ فَلَا أَمْرُ بِيَدِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِيَدِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَتَصَدَّقُ وَيُنْفِقُ حَيْثُ شَاءَ لَا حَرَجَ عَلَيْهِ، فَإِذَا حَدَثَ بِهِ حَدَثٌ دَفَعَهُ إِلَى ابْنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ الْمَالَ جَمِيعاً، مَالِي وَمَالُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَيُنْفِقَانِ وَيَتَصَدَّقَانِ حَيْثُ شَاءَا، وَلَا حَرَجَ عَلَيْهِمَا.

(١) الغلّة: الدخّل الذي يحصل من الزرع و الثمر، و فلان يُغَلُّ على عياله، أى يأتيتهم بالغلّة (لسان العرب:

ج ١١ ص ٥٠٤).

وإنَّ لابنة جُنْدُب - يعنى بنت أبى ذَرِّ الغِفَارِيَّ - التَّابُوتَ الأصغرَ، وَتَغَطُّهَا فِي المَالِ ما كَانَ، وَنَعْلَى الآدَمِيِّينَ، وَالنَّمَطَ، وَالجَبَّ، وَالسَّرِيرَ، وَالزَّرِيَّةَ، وَالْقَطِيفَتَيْنِ.

وإن حَدَّثَ بِأَحَدٍ مِمَّنْ أَوْصِيَتْ لَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْفَعَ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُنْفَقُ فِي الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ.

وَأَنَّ الْأَسْتَارَ لَا يَسْتَتِرُ بِهَا امْرَأَةٌ إِلَّا إِحْدَى ابْنَتَيْ، غَيْرَ أَنَّ عَلِيًّا يَسْتَتِرُ بِهِنَّ إِنْ شَاءَ مَا لَمْ يَنْكَحْ «١».

وإنَّ هَذَا مَا كَتَبْتُ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامَ فِي مَالِهَا وَقَضَتْ فِيهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ، وَالْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدُ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَتَبَهَا، وَلَيْسَ عَلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حَرْجٌ فِيمَا فَعَلَ مِنْ مَعْرُوفٍ «٢».

[و حيث إنَّ فاطمة عليها السلام جعلت تولية صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله التي كانت بيدها، و تولية صدقتها كلها إلى علي عليه السلام، أشار علي عليه السلام في كتابه إلى الصدقتين، و إنَّ توليتهما إلى الحسنين عليهما السلام كما أوصت هي صلوات الله عليهما إليهما، بعد أمير المؤمنين عليه السلام.

قال الأحمدي: الرِّقَّة، كذا في الوسائل، و في الفقيه و التَّهْذِيب و الوافي: البرقة بالباء الموحدة، ثُمَّ الرَّأءُ المَهْمَلَةُ، ثُمَّ الْقَافُ، وَ هُوَ الصَّحِيحُ لِأَنَّ «بُرْقَةَ» بِالضَّمِّ، وَ قَدْ رَوَاهُ بَعْضُهُمْ بِالْفَتْحِ، بِالْمَدِينَةِ، مِنَ الْأَمْوَالِ الَّتِي كَانَتْ مِنْ صَدَقَاتِ

(١) نقل أعداء أهل البيت عليهم السلام إنَّ فاطمة عليها السلام أحدثت على بيتها سترًا، فلمَّا رآه رسول الله صلى الله عليه وآله و لم يرجع و لم يدخل بيتها، و الستر مذكور في هذه الوصية كما نقله أحمد في المسند قال: «حدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ الْفَضْلِ قَالَ: قَالَ لَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ: كَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنْ أُنْسخَ إِلَيْهِ وَصِيَّةَ فَاطِمَةَ، فَكَانَ فِي وَصِيَّتِهَا السُّتْرُ الَّذِي يَزْعُمُ النَّاسُ أَنَّهَا أَحَدَثَتْهُ، وَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ دَخَلَ عَلَيْهَا، فَلَمَّا رآه رَجَعَ» رَدَّ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذِهِ الْمَزْعَمَةَ.

(٢). بحار الأنوار: ج ١٠٣ ص ١٨٤ ح ١٣ نقلًا عن مصباح الأنوار.

رسول الله صلى الله عليه وآله، و في أمالي الشيخ «البرقط»، و لكنَّه تصحيف بُرْقَة: و هي معروفة في قبلة المدينة، ممَّا يلي المشرق «١».

و العواف بالعين المهملة و آخره الفاء، كذا في جميع نسخ الكتاب، و في الدَّعَائِمِ: العوالي (على ما في هامشه) «٢»، و في كتب التَّوَارِيخِ: الأعواف].

قال السَّهْمُودِيُّ: الأعواف، و يقال: العواف إحدى صدقات النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله و آباره المتقدِّمة «٣»، موضع بالمدينة كان فيه مال لأهل المدينة.

و في الحديث: «طلب رسول الله صلى الله عليه وآله سارقاً، فهرب منه فنكبه الحجر الذي وضع بين الأعواف صدقة النبي صلى الله عليه وآله و الشَّطْبِيَّة» ... «٤»

و في الطبقات في ذكر أموال «مخبرين» التي صارت من صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله «الأعواف» «٥».

قال العلامة المجلسي رحمه الله: الظاهر أنَّ أكثر هذه الأسماء ممَّا صحَّفهُ النَّسَاجُ و «العواف» صحيح مذكور في تاريخ المدينة، لكن في أكثر رواياته «أعواف»، و في بعضها «العواف» «٦».

[أقول: أكثر نسخ الوصية، بل أكثر روايات أهل البيت عليهم السلام «العواف»].

(١) راجع: الأمالي للطوسي: ص ٢٦٦ ح ٤٩٠، وفاء الوفاء: ج ٤ ص ١١٤٧ و ج ٣ ص ٩٩٣، الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٥٠٢، فتوح البلدان: ص ٢٧-٢٨، النهاية لابن أثير: ج ١ ص ١٢٠.

(٢). دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٣٤١ (الهامش).

(٣). وفاء الوفاء: ج ٤ ص ١١٢٨ و راجع: الإصابة: ج ٦ ص ٤٧ نقل عن الزبير بن بكَّار، و فيه «ميثر» بدل «الميثب» و «المعوان» بدل «الأعواف».

(٤). عمدة الأخبار: ص ٢٣٨ و ٤٨٠ و راجع: وفاء الوفاء: ج ٣ ص ٩٨٨.

(٥) راجع: الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٥٠٢.

(٦). بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٢٩٥.

ص: ٣٧٧

قال السَّهْمُودِي: «الأعواف» جزع معروف بالعالية بقرب المربع، و الجزع منعطف الوادي، و وسطه أو منقطعه أو منحناه أو هو مكان بالوادي لا شجر فيه «١». و بئر أعواف بالمدينة معروف. «٢»

الدَّلَال: بالمهملات كذا في جميع النسخ إلَّا في تاج العروس في كلمة «ميثب» فإنَّه نقله «الزلال»، و الظَّاهر أنَّه تصحيف، لأنَّه نقله عن ياقوت، و فيه: «الدلال».

روى عن جعفر بن محمد عن أبيه، قال: «كان الدَّلَال لامرأة من بني النَّضِير، و كان لها سَلْمان الفارسيّ، فكاتبته على أن يُحييها لها، ثُمَّ هو حرٌّ، فأعلم بذلك النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله، فخرج إليها، فجلس على فقير، ثُمَّ جعل يحمل إليه الْوَدِيَّ فيضعه بيده، فما عدتْ منها وديّة أن أطلعت.

قال: ثُمَّ أفاءها الله على رسوله صلى الله عليه وآله، قال: و الذي يظهر عندنا أنَّه من أموال بني النَّضِير، و ممَّا يدلُّ على ذلك أنَّ مهزوراً يسقيها، و لم يزل يسمع أنَّه لا يسقى إلَّا أموال بني النَّضِير.

قلت: فيه نظر؛ إذ المعروف ببني النضير إنما هو مذيّنب، و مهزور لبني قريظة «٣».

نقل العلامة المجلسي في البحار هذا الكلام إلى هنا، ثم قال: و يؤيدها في سنن أبي داود: أنه كانت نخل بني النضير لرسول الله صلى الله عليه و آله خاصة، أعطاه الله إياه، فقال:

«مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ»

الآية «٤»، فأعطى أكثرها المهاجرين، و بقي منها

(١) راجع: وفاء الوفاء: ج ٣ ص ٩٩٣.

(٢) راجع: عمدة الأخبار: ص ٢٥٧ - ٢٥٨، وفاء الوفاء: ج ٣ ص ٩٤٩.

(٣). وفاء الوفاء: ج ٣ ص ٩٨٩، بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٢٩٩ و راجع: سنن أبي داود: ج ٣ ص ١٥٧ ح ٣٠٠٤، الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٥٠٢.

(٤) الحشر: ٦.

ص: ٣٧٨

صدقة رسول الله صلى الله عليه و آله آتت في أيدي بني فاطمة الحوائط السبعة. «١»

قال في المراد: «الدلال» كسحاب: اسم حائط من الحوائط آتت تصدق بها النبي صلى الله عليه و آله ممّا أوصى إليه من أموال بني النضير ... «٢».

و الدلال جزع معروف أيضاً قبل «٣» الصّافة بقرب المليكى «٤».

«الميثب»:

بالميم، ثمّ الياء المثناة التحتانية، ثمّ الثاء المثناة فوقانية، ثمّ الباء الموحدة، كذا في التهذيب، و الفقيه، و الوافي، و الكافي. و في الوسائل «المبيت» بالباء الموحدة بدل الياء، و الياء بدل الثاء، ثمّ الثاء بدل الباء.

قال في الفقيه: المسموع من ذكر أحد الحوائط «الميثب»، و لكنني سمعت السيّد أبا عبد الله محمّد بن الحسن الموسوي أدام الله توفيقه يذكر أنها تعرف عندهم بالميثم «٥»، و في الدعائم: «المنت» و هو تصحيف «٦».

و في القاموس - في وثب -: «الميثب» بكسر الميم، الأرض السهلة و القافز و الجالس، و ما ارتفع من الأرض، و ماء لعبادة، و ماء لعقيل، و مال بالمدينة إحدى صدقاته صلى الله عليه و آله، هكذا وقع في كتب اللغة، و هو غلط صريح، و الصواب ميث، ك «ميل»، من الأرض الميثاء. «٧»

(١). بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٢٩٩ و راجع: سنن أبي داود: ج ٣ ص ١٥٧ ح ٣٠٠٤.

(٢). مرصد الاطلاع: ج ٢ ص ٥٣١.

(٣) فى المصدر: «قبلى»، و لا معنى له.

(٤). وفاء الوفاء: ج ٣ ص ٩٩٣.

(٥). من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٢٤٥.

(٦) راجع: دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٣٤١.

(٧). القاموس المحيط: ج ١ ص ١٣٦.

ص: ٣٧٩

و ردّ عليه الزبيدى فى التاج قال: و مِثَبٌ: مالٌ بالمدينة الشريفة، من إحدى صدقاته صلى الله عليه وآله، و له فيها سبعة حيطان، كان أوصى بها مُخَيَّرِيقُ اليهودى للنبي صلى الله عليه وآله ...

و أسماء هذه الحيطان: بَرْقَةٌ، و مِثَبٌ، و الصَّافَةُ، و أعواف، و حَسْنَى و الزَّلال و مشربةُ أم إبراهيم.

كذا فى المعجم. هكذا وقع فى كتب اللغة، بل و فى أسماء المواضع و البقاع، كالمرصد، و المُعْجَم لياقوت، و غيرهما و مصنفات أبى عبيد. و قوله: هو غلطٌ صريحٌ، فيه ما فيه؛ لأنّه ليس له تخطئة نصٌ صحيح.

و قوله الصَّوَابُ «مِثٌ»، ك «مِيل» مأخوذ من الأرض الميثاء، و هى السهلة، لا يَنْهَضُ دليلاً على ما قاله، بل المُعْتَمَد ما ذهب إليه الأئمة. و قد سبق الكلام عليه.

و أيضاً هذا الذى ادّعه أنّه الصَّوَابُ، إنّما هو ذو المِثَب: موضعٌ بعقيق المدينة «١».

قال ياقوت: و «مِثَبٌ» مال بالمدينة إحدى صدقات النبي، و له فيها سبعة حيطان، و كان قد أوصى بها مُخَيَّرِيقُ اليهودى للنبي صلى الله عليه وآله «٢».

و المِثَب: غير معروف اليوم، و يؤخذ من وصف هذه الأربعة - يعنى الصَّافِيَّة و بَرْقَة و الدَّلال و المِثَب - بكونها متجاورات فربما من الأماكن المذكورة، و لعلّه بقرب بَرْقَة، لما سبق من أنّهما غرسهما سلمان، و كانا لشخص واحد «٣».

رؤى عن أبى عبد الله عليه السلام، قال:

«المِثَبُ هُوَ الَّذِى كَتَبَ عَلَيْهِ سَلْمَانُ، فَأَفَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله، فَهُوَ فِي صَدَقَتِهَا»

(١). تاج العروس: ج ٢ ص ٤٦٢.

(٢). معجم البلدان: ج ٥ ص ٢٤١.

(٣). وفاء الوفاء: ج ٣ ص ٩٩٣.

ص: ٣٨٠

أحد صدقات النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، لَكِنْ ضَبَطَهَا الْمَرَاغِي بِالضَّمِّ «١»، فَيَسْقِيهَا مَهْزُورًا، وَهِيَ مِنْ نَاحِيَةِ الْقَفِّ «٢».

الحسنى: بالحاء المهملة، والسين والتون والياء مقصوراً، كذا فى جميع النسخ الموجودة من الوصية وغيرها.

قال السَّهْرُودِي: وَحُسْنَى: ضَبَطَهَا الزَّيْنُ الْمَرَاغِي، كَمَا فِي خَطِّهِ بِالْقَلَمِ، بَضَمَ الْحَاءَ، وَ سَكُونِ السَّيْنِ الْمَهْمَلَتَيْنِ، ثُمَّ نُونٌ مُفْتُوحَةٌ - قَالَ: وَ رَوَيْتَهُ كَذَلِكَ فِي ابْنِ زُبَالَةَ بِالسَّيْنِ بَعْدَ الْحَاءِ، قَالَ: وَ لَا يَعْرِفُ الْيَوْمَ، وَ لَعَلَّهُ تَصْحِيفٌ مِنَ الْحِنَاءِ، بِالتَّوْنِ بَعْدَ الْحَاءِ، وَ هُوَ مَعْرُوفٌ الْيَوْمَ.

قلت: حملُ ذلك على التَّصْحِيفِ الْمَذْكُورِ مُتَعَدِّراً؛ لِأَنِّي رَأَيْتُهُ بِحَاءٍ، ثُمَّ سَيْنٍ، ثُمَّ نُونٍ، فِي عِدَّةِ مَوَاضِعٍ مِنْ كِتَابِ ابْنِ شَبَّةَ، وَ مِنْ كِتَابِ ابْنِ زُبَالَةَ، وَ غَيْرِهِمَا، وَ إِنْ أَرَادَ أَنَّ أَهْلَ زَمَانِهِ صَحَّفُوهُ بِالْحِنَاءِ، فَلَا يَصِحُّ أَيْضاً، لِأَنَّ الْمَوْضِعَ الْمَعْرُوفَ الْيَوْمَ بِالْحِنَاءِ فِي شَرْقِ الْمَاجَشُونِيَّةِ، وَ لَا يَشْرَبُ بِمَهْزُورٍ، وَ قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ حُسْنَى يَسْقِيهَا مَهْزُورًا، وَ أَنَّهَا بِالْقُفِّ ... وَ الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ حُسْنَى هُوَ الْمَوْضِعُ الْمَعْرُوفُ الْيَوْمَ بِالْحُسَيْنِيَّاتِ بِقُرْبِ الدَّلَالِ، فَإِنَّهُ بِجِهَةِ الْقُفِّ، يَشْرَبُ بِمَهْزُورٍ «٣». وَ يَنَافِي ذَلِكَ مَا يَأْتِي مِنْ أَنَّ الْحُسَيْنِيَّاتِ فِي شَامِيٍّ الْمَشْرَبَةِ.

قال فى العمدة: «القُفِّ» بالضَّمِّ وَ تشديد الفاء، علَّمْ لَوَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ الْمَدِينَةِ، عَلَيْهِ أُمُوالٌ ... وَ الظَّاهِرُ أَنَّهُ الْمَوْضِعُ الْمَعْرُوفُ بِالْحُسَيْنِيَّاتِ فِي شَامِيٍّ الْمَشْرَبَةِ، وَ هِيَ مِنَ الْقُفِّ ... «٤»

(١). عمدة الأخبار: ص ٣٠٣.

(٢). وفاء الوفاء: ج ٣ ص ٩٨٩.

(٣). وفاء الوفاء: ج ٣ ص ٩٩٣ و راجع: الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٥٠٢.

(٤). عمدة الأخبار: ص ٣٩٨، وفاء الوفاء: ج ٤ ص ١٢٩١ نحوه.

ص: ٣٨١

بالصَّادِ المهملة، ثُمَّ الْأَلْفُ، ثُمَّ الْفَاءُ، ثُمَّ الْيَاءُ، ثُمَّ النَّاءُ، كَذَا فِي جَمِيعِ النُّسخِ الَّتِي عَثَرْتُ عَلَيْهَا.

قَالَ السَّهْمُودِيُّ: فَأَمَّا الصَّافِيَّةُ وَبُرْقَةٌ وَالدَّلَالُ، وَالمِثْبُ، فَمَجَاوِرَاتٌ لِأَعْلَى الصُّورِينَ مِنْ خَلْفِ قَصْرِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، وَ يَسْقِيهَا مَهْزُورٌ «١»، فَالصَّافِيَّةُ مَعْرُوفَةٌ هُنَاكَ الْيَوْمَ، قَالَ الزَّيْنُ الْمِرَاغِيُّ: هِيَ فِي شَرْقِ الْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ بِجَزَعِ زَهْرَةٍ «٢».

مَالُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ: وَيُقَالُ مَشْرَبَةٌ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ: مَشْرَبَةٌ بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ، الْغُرْفَةُ، وَ مَشْرَبَةٌ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلهِ مَعْرُوفَةٌ بِالْعَالِيَةِ «٣».

رَوَى ابْنُ شَبَّةٍ فِيمَا جَاءَ فِي صَدَقَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلهِ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ: إِنَّ تِلْكَ الصَّدَقَاتِ كَانَتْ أَمْوَالًا لِمُخَيْرِيقٍ كَمَا سَيَأْتِي، وَ عَدَّ مِنْهَا مَشْرَبَةَ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ قَالَ:

وَ أَمَّا مَشْرَبَةُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ فَإِذَا خَلَفَتْ بَيْنَ مِذْرَاسِ الْيَهُودِ، فَجَنَّتْ مَالَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ الْأَسَدِيِّ، فَمَشْرَبَةُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ إِلَى جَنْبِهِ، وَ إِنَّمَا سُمِّيَتْ مَشْرَبَةُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ، لِأَنَّ أُمَّ إِبْرَاهِيمَ ابْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلهِ، وَكَذَلِكَ فِيهَا، وَ تَعَلَّقَتْ حِينَ ضَرْبِهَا الْمَخَاضُ بِخَشَبَةٍ مِنْ خَشَبِ تِلْكَ الْمَشْرَبَةِ، فَتِلْكَ الْخَشَبَةُ الْيَوْمَ مَعْرُوفَةٌ.

قَالَ ابْنُ النَّجَّارِ: وَ هَذَا الْمَوْضِعُ بِالْعَوَالِي مِنَ الْمَدِينَةِ بَيْنَ النَّخِيلِ، وَ هُوَ أَكْمَةٌ قَدْ حُوِّطَ عَلَيْهَا بِلَبَنِ.

وَ الْمَشْرَبَةُ: الْبَسْتَانُ، وَ أَظُنُّهُ قَدْ كَانَ بَسْتَانًا لِمَارِيَةِ الْقُبَيْطِيَّةِ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلهِ.

(١). وفاء الوفاء: ج ٣ ص ٩٨٨ و راجع الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٥٠٢.

(٢). وفاء الوفاء: ج ٣ ص ٩٩٣.

(٣). وفاء الوفاء: ج ٣ ص ٩٩٣.

قلت: قَالَ فِي الصَّحَاحِ: الْمَشْرَبَةُ بِالْكَسْرِ - أَيْ بِكَسْرِ الْمِيمِ - إِنَاءٌ يُشْرَبُ فِيهِ، وَ الْمَشْرَبَةُ بِالْفَتْحِ: الْغُرْفَةُ ... وَ الظَّاهِرُ أَنَّهُ كَانَ عَلِيَّةٌ فِي ذَلِكَ الْبَسْتَانِ، وَ هُوَ أَحَدُ صَدَقَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلهِ، وَ هَذَا هُوَ الَّذِي يَنَاسِبُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ شَبَّةٍ «١».

هَذِهِ كُلُّهَا صَدَقَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلهِ الَّتِي اخْتُلِفَ فِيهَا: أَنَّهَا كَانَتْ مِنْ أَمْوَالِ مُخَيْرِيقِ الْيَهُودِيِّ، الَّذِي أَسْلَمَ، ثُمَّ حَضَرَ أَحَدًا، وَ أَوْصَى بِمَالِهِ - إِنْ قَتَلَ - إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلهِ، فَلَمَّا اسْتَشْهَدَ صَارَ كُلُّهَا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلهِ، فَجَعَلَهَا صَدَقَةً فِي سَنَةِ سَبْعٍ «٢».

أو أنّها من أموال بنى النّضير من الفىء كانت له صلى الله عليه و آله، و صارت كلّها صدقة بعد موته صلى الله عليه و آله
للحديث المرفوع:

«نَحْنُ معاشِرُ الأنبياءِ لا نُورَثُ، ما تركناه صدقةٌ»

«٣».

أو أنّها كانت من الفىء فتملّكها رسول الله صلى الله عليه و آله حينما قسم الفىء فجعل كلّها صدقة فى سبيل الله، أو وقفاً
خاصّاً لأولاده و بنى هاشم «٤»

(١). وفاء الوفاء: ج ٣ ص ٨٢٥-٨٢٦ و راجع: الطبقات الكبرى: ج ٨ ص ٥٠٢.

(٢). راجع: الإصابة: ج ٦ ص ٤٦، قاموس الرجال: ج ٨ ص ٤٥٨، فتوح البلدان للبلاذرى: ص ٢٧ و ٢٨، الطبقات
الكبرى: ج ١ ص ٥٠٢، وفاء الوفاء: ج ٣ ص ٩٨٩ و ٩٨٨ و ٩٩٠، وج ٤ ص ١١٦٦، السيرة النبوية لابن هشام:

ج ٤ ص ١٦٤-١٦٥، معجم البلدان: ج ٥ ص ٢٤١ و ٢٩٠ و ٢٩١، البداية و النهاية: ج ٤ ص ٣٦-٣٧، تاج العروس: ج
٢ ص ٤٦١-٤٦٢ فى «وثب»، الأحكام السلطانية للماوردى: ص ١٩٦، الأحكام السلطانية أبى يعلى: ص ١٨٣، الاكتفاء:
ج ٢ ص ١٠٣، بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٢٩٨ عن السهمودى، مقدّمّة مرآة العقول: ج ١ ص ١٢٨ و ١٢٩ (عن الواقدى و
إمتاع الأسماع و الإصابة و وفاء الوفاء)، عمدة الأخبار: ص ٤٣٩ و ٤٤٠، الكامل فى التاريخ: ج ١ ص ٥٥٧، التراتيب
الإدارية: ج ١ ص ٤٠٢، مرصد الاطلاع: ج ٢ ص ٥٣١ فى «دلال».

(٣) راجع: وفاء الوفاء: ج ٣ ص ٩٩٠-٩٩١.

(٤) روى عن الصادق عليه السلام فى الميثب: «الميثب هو الذى كاتب عليه سلمان، فأفاء الله عز و جل على رسول الله
صلى الله عليه و آله، فهى فى صدقتها» يعنى انتقل إلى فاطمة عليها السلام بالإرث، فجعلتها صدقة، و لكن فى رواية أخرى
عن أبى الحسن الثانى عليه السلام قال: «سألته عن الحيّطان السبعة التى كانت ميراث رسول الله صلى الله عليه و آله
لفاطمة عليها السلام، فقال: لا إنّما كانت وقفاً، و كان رسول الله صلى الله عليه و آله يأخذ إليه منها ما ينفق على أضيافه و
التابعة ... الحديث، حيث تدلّ على أنّ الحيّطان السبعة كانت وقفاً فى حياته صلى الله عليه و آله، و منها الميثب (الكافى: ج
٧ ص ٤٨ ح ٣ و ص ٤٧ ح ١).

و عن المناقب و الإرشاد: اصطفى رسول الله صلى الله عليه و آله أموال بنى النّضير، فكانت أوّل ضيافة قسمها رسول الله
صلى الله عليه و آله بين المهاجرين الأوّلين و أمر عليّاً عليه السلام، فحاز ما لرسول الله صلى الله عليه و آله، فجعله صدقة،
فكان فى مدّة أيام حياته، ثمّ فى يد أمير المؤمنين عليه السلام بعده، و هو فى ولد فاطمة حتّى اليوم (الإرشاد: ج ١ ص
٩٣، المناقب لابن شهر آشوب: ج ١ ص ١٩٧ نحوه، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ١٧٣ ح ٦).

و فى المستدرک، عن الرضا عليه السلام: قال سألت الرضا عليه السلام عن الحيطان السبعة، فقال: كانت ميراثاً من رسول الله صلى الله عليه وآله وقف، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يأخذ منها ما ينفق على أضيافه ... (ج ٢ ص ٥١٣). و فى السنن الكبرى، عن عائشة:

أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله جعل سبع حيطان له بالمدينة صدقة على بنى عبد المطلب و بنى هاشم (السنن الكبرى للبيهقى: ج ٦ ص ٢٦٥ ح ١١٨٩٦).

ص: ٣٨٣

[و أمَّا صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله غير هذه الحوائط السبعة فهى على ما عثرت عليه إلى الآن. و أمَّا صدقات فاطمة عليها السلام التى ذكرت فى هذه الوصية، فهى على ما وقفت عليه فى كتب الحديث، و التاريخ، و الأماكن، و البقاع، فهى على ما عثرنا عليه فى المصادر].